منبر الإسلام

مع العدد
- المنتخب من السنة النبوية الشريفة
- «الفردوس» مجلة الطفل المسلم

الثمن ١٥ قرشا

العدد ٨ - السنة ٣٤ - شعبان ١٣٩٦ - اغسطس ١٩٧٦

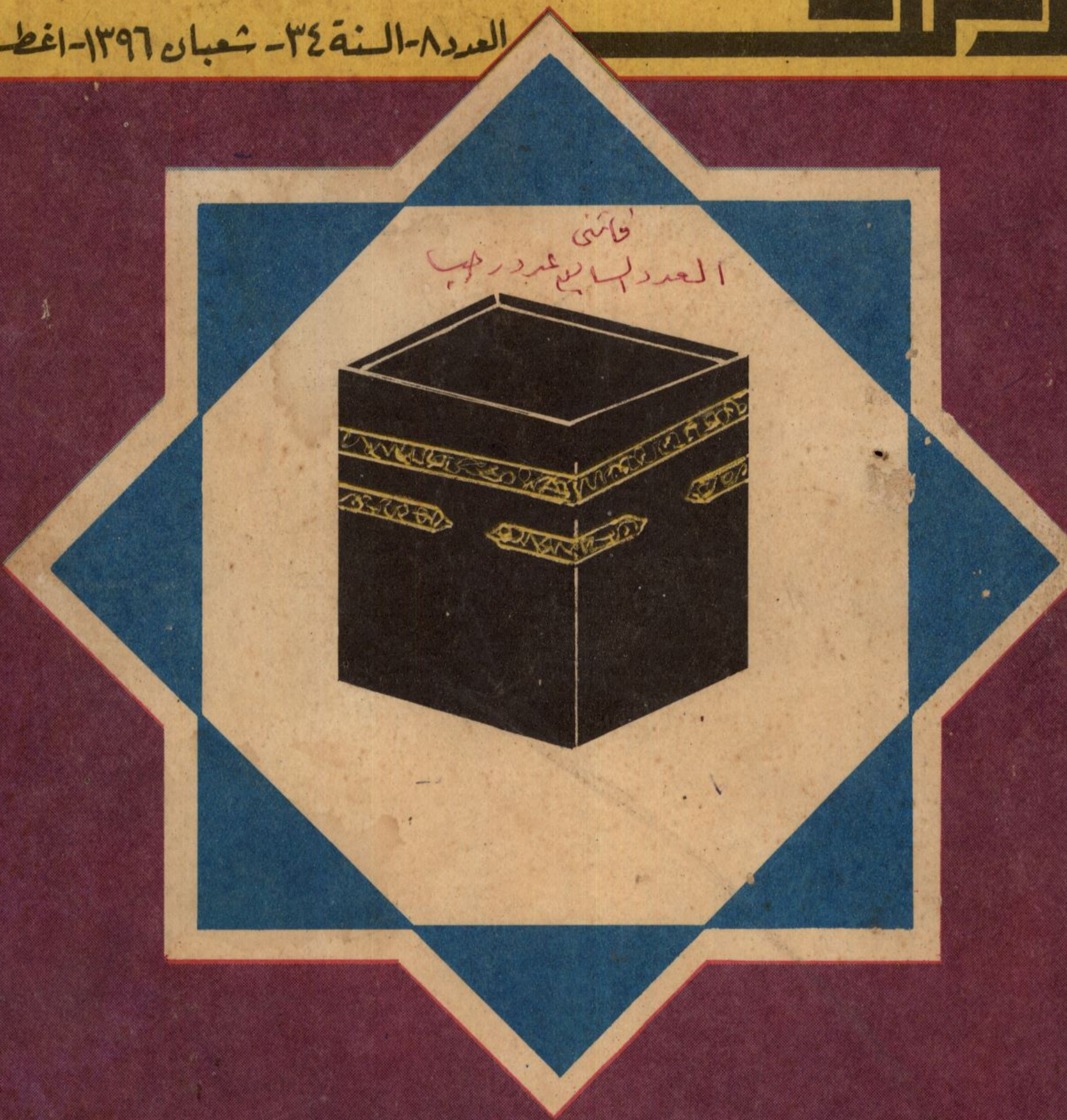

قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره

منبر الإسلام

يصدرها
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
في غرة
كل شهر عربي

رئيس التحرير
محمد توفيق عويضة

العدد ٨ - السنة ٣٤
شعبان ١٣٩٦

بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات العدد

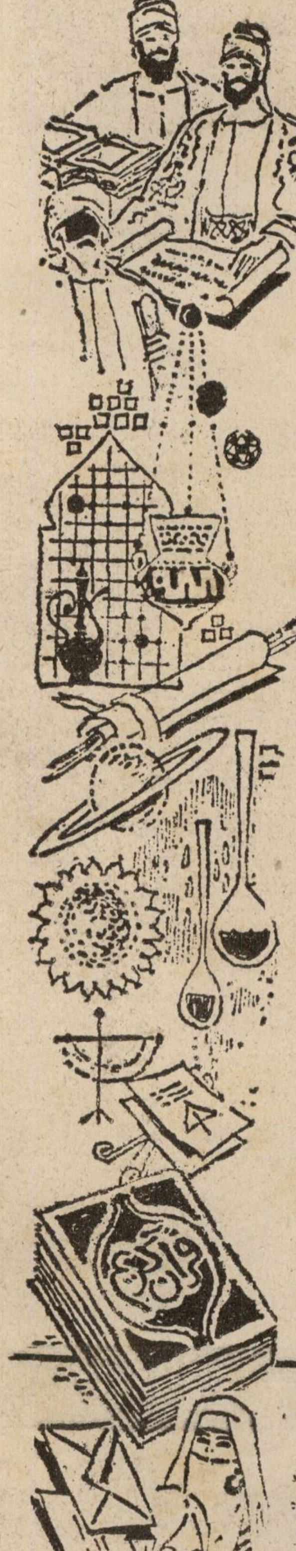

- خطاب الرئيس المؤمن محمد أنور السادات الى الامة فى العيد الرابع والعشرين لثورة يوليو . . . .
- نص الرسالة التى بعث بها الرئيس السادات الى الشعب الامريكى فى عيد الاحتفال بمرور مائتى عام على استقلال الولايات المتحدة الامريكية والتى قام بالقائها السيد محمد توفيق عويضة امين عام المجلس الاعلى للشئون الاسلامية

تفسير سورة البقرة	الاستاذ أحمد حسين
انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون	الشيخ عبد الجليل عيسى
العلم فى القرآن	الدكتور أحمد حسنين القفل
من دعاء الانبياء	الدكتور أحمد الحوفى
اياك نعبد واياك نستعين	الدكتور محمد عبد المنعم القيعى
أصحاب الكهف والرقيم	الدكتور عبد الغنى الراجحى
الاعجاز العلمى للسنة النبويه	الدكتور عبد الرزاق نوفل
الشيخ الشرقاوى يعلن الحجة الشرعية لحقوق الشعب	الاستاذ محمد فهمى عبداللطيف
أضواء على الدعوة الاسلامية	الشيخ محمود أحمد هاشم
شعبان شهر ترفع فيه الاعمال الى الله . . .	الشيخ محمد مصطفى أبو العلا
ليلة الغفران . .	الشيخ أحمد كامل الخضرى
شهر شعبان وتكريم الرسول	الدكتور حامد محمد شعبان جمعة
هذا هو الاسلام	الشيخ محمود ابراهيم طبرة
الطب الوقائى . . .	الدكتورة ابتسام عبد الحليم
لقاء مع مسلمى الصين	الاستاذ صبرى أبو المجد
الخشب وزخرفته فى العصور الاسلامية	الاستاذة سميحة محمد الجبالى
رحل ومعارك [قصة العدد]	الاستاذ محمد صالح

العنوان : ٣ شارع الامير قدادار المتفرع من شارع التحرير خلف عمارة بحرى القاهرة تليفون : ٢٨١٥٦ – تلغرافيا : الاسلام – القاهرة

الاشتراكات : ١٦٠ قرشا فى جمهورية مصر العربية – ١٤٠ قرشا للعمال والطلبة تدفع مقدما ، ويضاف اليها البريد خارج جمهورية مصر العربية ، وما يساوى قيمة هذه العملة فى البلاد الاخرى .. تقبل كوبونات البريد الدولى ذات القرشين ..

٧ معالم الطريق

الرئيس المؤمن محمد أنور السادات

يتحدث الى الأمة فى العيد الرابع والعشرين لثورة يوليو

الرئيس السادات أثناء القاء خطابه فى ذكرى ثورة ٢٣ يوليو

● ثورة ٢٣ يوليو حدث تاريخى قام وأتم دوره ولايمكن محو صفحته ولا هدم آثاره .

● فى خطاب تاريخى هام .. تحدث الرئيس أنور السادات الى الامة المصرية والامة العربية عن انجازات ثورة ٢٣ يوليو ، وما حققته من تغيير كبير فى الواقع العربى والمصرى .. وتحدث عن ملامح الحياة المصرية سياسيا واقتصاديا واجتماعيا خلال الست سنوات الاخيرة التى شهدت ثورة التصحيح وقيام دولة العلم والايمان وحرب العاشر من رمضان .. كما تحدث الرئيس عن الموقف العربى والافريقى والعالمى ، وتحرك مصر على جميع المستويات . وفى ختام خطابه أكد الرئيس على دور مصر القيادى والحضارى فى العالم وانه لا حرب الا بمصر ولا سلام الا بمصر ..

وقال الرئيس : لنتجه كلنا الى مصرنا الحبيبة وشعبها الخالد .. نفنى فى سبيله .. نشقى من أجل أن نجعل الحياة على ارض هذا البلد الامين شريفة قوية على طول الزمان .

وفيما يلى نص خطاب الرئيس الذى القاه فى الاجتماع المشترك الذى عقدته اللجنة المركزية ومجلس الشعب مساء الخميس ٢٢ يوليو سنة ١٩٧٦ م .

بسم الله : ايها الاخوة والاخوات . لاجتماعنا الليلة أكثر من مغزى أولها ان مجلس الشعب المصرى قد أكمل مدته الدستورية التى نص عليها الدستور الدائم لاول مرة فى تاريخ مصر الحديث .. خمس دورات كانت كلها غنية بارساء اسس الديمقراطية على أرض مصر .. ديمقراطية كل الشعب الممثل بأكثر من ٥٠ فى المائة من مقاعد ذلك المجلس بعماله وفلاحيه .

وثانيها : ان رئيس الجمهورية يكمل مدته الدستورية ايضا كما نص عليها الدستور الدائم ، ٦ سنوات بدأت بالالم والمرارة والمعاناة ، وها هى توشك أن تنتهى اليوم وقد عبرنا - فيما عبرنا - حواجز تلك المعاناة لنفتح أبواب الامل فسيحا الى غير ما حدود بعد أن عثرنا نحن ، وعثر معنا العالم ، على ذاتنا فى معركة رمضان - أكتوبر . عثرنا على ذاتنا نقية صافية قوية عنيدة فى مواجهة كل التحديات .

وثالثها - ايها الاخوة والاخوات - واروعها ان الليلة ليلة ٢٣ يوليو ١٩٧٦ تكمل ثورتكم عامها الرابع والعشرين ، وتدخل السنة التى سوف يتم بها مرور ربع قرن على تلك الليلة البيضاء الناصعة البياض فى تاريخ أمتنا .. ليلة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ .. تلك الليله التى تحرك فيها تحت جنح ظلامها نخبة من أبناء قواتكم المسلحة كطليعة للشعب كله وأشرق صباحها على صوت يذيع باسم هذه النخبة ذلك النبأ العظيم .

بتأييد الشعب كله سهل كل صعب

ولم تمض ساعات ، حتى كان الشعب كله قد تنادى الى تأييد الرسالة ... فانفجرت الامة المكبوتة منذ قرون ، وانفتحت امامه كل الامال التى جاهد من أجلها الاسبقون .. تجلى هذا كله فى تأييد شعبى عارم كاسح لم يتخلف عنه رجل أو امرأة او شاب أو فتاة .. وكان هذا التأييد الشعبى الصادق الكاسح الذى ليس له مثيل .. كان هذا التأييد هو الذى سهل أمامنا كل صعب ، فسقط النظام القديم الذى نخر فيه السوس ، دون مقاومة تذكر .. ولم يفكر الطاغية بكل هيلمانه الا فى وسيلة الفرار وارتبكت القوات الانجليزية .. قوات الاحتلال الموجودة فى القناة ، ولم تعرف كيف تتحرك .

هذا التأييد الشعبى الصادق الكاسح الذى ما زلنا جميعا نذكره ونتذكره ، كان هو السلاح الاعظم .. السلاح الحقيقى الذى انتصرت به الثورة . وأؤكد على هذا التأييد الشعبى الصادق الكاسح ، لانه هو العنصر الذى يفرق ويميز بين العمليات الانقلابية العادية التى رأينا ونرى منها الكثير ، وبين الثورة التى لا تكون - مهما كانت الاداة التى فجرتها - الا بالشعب وللشعب .. اقول هذا للذين يستغلون مناخ الحرية ليتطاولوا على جوهر ثورة ٢٣ يوليو ، ويحسبونها بين الانقلابات التى نسمع عنها كل يوم .. كلا .. ان هذا التأييد الشعبى الكاسح هو أساس الشرعية الجديد منذ عرفت الديمقراطية الحديثة .. أساس الشرعية لم يعد حصر الوراثة فالارض تورث ، والمال يورث ، ولكن الشعب لا يورث أبدا ..

الامر الثانى : ان الثورة تجيء عادة لكى تغير مجرى التاريخ ، ولكى تعيد صياغة العلاقات الاجتماعية بين الناس ، ولكى تسترد للاغلبية حقوقها

المسلوبة ، ولكى تحرر الوطن من ارادة الاجنبى المحتل . فهى لا تجىء لاستبدال حكام بحكام ، بل لاستبدال نظام بنظام . وهذا ما فعلته ثورة ٢٢ يوليو واستحقت به ان تدخل باب الثورات التاريخية من اوسع الابواب .

الشباب يجب أن يفخر بالنضال والتضحيات

وبعد أن استعرض الرئيس انجازات ثورة يوليو تحدث عن العبور الى مرحلة الشرعية الثورية وقارن بين الماضى قبل الثورة وبين الحاضر المشرق بانجازاتها ثم خاطب الشباب قائلا :

لقد ناطحنا الاقوياء وانهينا عهد أكبر امبراطوريتين كبيرتين فى ذلك الوقت هما الامبراطورية الانجليزية والفرنسية واننا تحملنا فى سبيل هذا كله ولكن هذه القوى من اغلبية شعوب عالم اليوم قد وقفت وما زالت تقف معنا فى محنتنا فلاننا كنا نحن السباقين الى الاخذ بيدهم واريد هنا أن أخاطب الشباب بالذات ان من لم يكن قد ولد بعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ صار اليوم خريجا ومن كان يومها طفلا صار اليوم رجلا ومن كان يومها شابا صار اليوم كهلا ولكن يجب أن يعرف ابناؤنا أن العالم كما يرونه اليوم يتخلف تماما عن العالم الذى كان موجودا قبل سنة ١٩٥٢ لقد استقل خلال هذه الفترة ما يقرب من ٨٠ دولة كانت افريقيا كلها مستعمرة باستثناء أثيوبيا وكانت معظم الدول العربية محتلة . الشمال الافريقى كله . الخليج كله . شواطىء العرب على المحيط الهندى كلها وقناة السويس طبعا . لقد كان وقتها أبعد شىء عن التصور أن يجرؤ صوت عربى على المساومة مجرد المساومة فى ثمن البترول مثلا أو فى طريقة نقله أو فى أى شىء حيوى له قيمته كان هذا هو العالم يوم تحركنا بالقيام بثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ولم يكن اسقاط هذا كله وتحرير هذه الطاقات كلها بالامر السهل أو اليسير كان نضالا وتضحيات ومؤامرات نتعرض لها وحروب تشن علينا وحضارات تفرض من حولنا ولكن الشباب بالذات من ابناء هذا الشعب الذين شبوا فى جو المساواة ولم يعرفوا ذل الاحتلال الخارجى ولا ذل الامتيازات الداخلية هذا الشباب يجب أن يكون فخورا بنضال بلاده فخورا بتضحياته لا تهتز حماسته ولا تضل بصيرته ازاء اى غبار يثار أو تشهير يطلق أو تضخيم لاخطاء وانحرافات لا تخلو منها امة ولاتخلو منها تجربة ثورية فى هذا الحجم وهذه الفخامة التى عملنا بها ويحق لنا اليوم بكل الصدق والامانة أن نسجل فى تاريخنا أن ثورة ٢٣ يوليو حدث تاريخى قام وأتم دوره ولا يمكن محو صفحته ولا هدم آثارها .

السادات وثورة التصحيح وكشف الانحرافات

هذه الثورة التى ساهمت فى تغيير الدنيا من حولنا ، وفى تجديد شباب أمتنا العربية .. هذه الثورة التى غيرت فى الداخل الى غير رجعة – شكل الهرم الاجتماعى ، وغيرت منابع السلطة وأعطت الفئات المحرومة فرصة التعبير عن نفسها والدفاع عن

حديث بين الرئيس أنور السادات ونائبه السيد حسنى مبارك قبيل الخطاب

مصالحها وأقامت قاعدة الصناعة الحديثة – ليس بالاتها فقط ، ولكن بقادتها وخبرائها وعمالها .. فكانت بحق عصر المشروعات الكبرى كالسد العالى ، ومجمعات الحديد والصلب ، ومجمعات الالمونيوم والصناعات الكيمائية وأحواض بناء السفن . ولا يمكن ان يحجب هذا كله غبار الانحرافات الصغيرة أو الاخطاء التى لم يمكن تجنبها مهما نفخوا فى هذا الغبار ، ومهما حاولوا أن يجعلوه قذى فى العيون ، ومع ذلك ، فأننى أعتقد أن من حقى كابن لثورة ٢٣ يوليو – منذ أن كانت جنينا فى رحم الغيب .. وأملا ضئيلا كشمعة وحيدة فى الرياح الهوجاء – من حقى أن أرسل ... من ان جاءت القوة التى استطاعت أن تمارس عملية التغيير والتصحيح والكشف عن اخطاء الانحرافات والحساب والعقاب .. هل فرضته على الثورة قوة خارجية ؟!

أم فرضه أولئك الذين سبقونا اليوم فى التشهير بها والتعبير عن أحقادهم نحوها ، مستغلين فى ذلك طبعا مناخ الحرية بأبعاده – التى لم تعرفها البلاد منذ اربعين سنة كلا .. أن أحد أبناء هذه الثورة الذين عملوا لها ، ثم أعلن بصوته بيانها الاول ، ثم شارك فى قيادتها ومسئولياتها ، ثم أصبح نائبا لرئيس جمهوريتنا ، ثم أصبح بعد وفاة جمال عبد الناصر ، رئيسا للجمهورية وأمينا على الرسالة – أقول ...

ان هذا الابن لثورة ٢٣ يوليو هو الذى فجر ومن قلب الثورة ومبادئها الاساسية – فجر عملية النقد والتصحيح وكشف الاخطاء والانحرافات لكى تعود الثورة الى ينابيعها الاولى .

. . . . .

وحين تستجيب الثورة ، أو يستجيب أى حكم لرغبات الشعب ويحس مقدما بأحاسيسه ويسمع دقات قلبه ويبادر الى وضع هذه الامال موضع التنفيذ

من قلب الثورة ومبادئها الأساسية فجرت عملية النقد والتصحيح .. وكشفت الأخطاء والانحرافات .. لتعود الثورة الى ينابيعها الأولى

فمعنى ذلك أن أساس الحكم الوحيد - هو ثقة الشعب - مازال قائما - تلك ببساطة هو مغزى ثورة ١٥ مايو ...

أخطر امتحانات يواجهها مسئول

كان لابد طبعا ان يكون لكل هذا ثمن وازاء الساحات المتعددة التى ناضلنا فيها والميادين الجديدة التى اقتحمناها كان لابد أن تتخلق ثغرات وان تتراكم اخطاء .. وحين تسلمت المسئولية بعد رحيل مفجر الثورة جمال عبد الناصر - أول مصرى صميم ينتخبه الشعب لرئاسة الجمهورية بعد أكثر من الفى سنة حين تسلمت المسئولية تسلمتها باعتزاز كامل ، وبتقدير كامل للصعوبات التى على أن أواجهها ... تسلمت المسئولية باعتزاز من شارك فى تفجير ثورة مصر الحديثة ، وباعتزاز للثقة التى اولانى الشعب أياها حين انتخبنى وحين شعرت أنه يحيطنى فوق ذلك - بدعواته وتأييده .. وتسلمت المسئولية أيضا بتقدير كامل للصعوبات ولقد كنت أظن أننى قد وهبت بلادى كل مااستطيع منذ مطلع شبابى الباكر ، وأننى فى سبيلى الى التقاعد .. وما كان يخطر ببالى قط أن الله سبحانه وتعالى وهو علام الغيوب ، يدخر لى أصعب وأخطر امتحانات يمكن أن يواجهها مسئول .. كان الله سبحانه وتعالى علام الغيوب يدخر لى ست سنوات أخرى من أصعب مامر ببلادنا من ظروف ، ، ومن ضرورة مواجهة مواقف واتخاذ قرارات حاسمة لاقرار نحصرها - وكلكم تعرفونها .. قرارات يمكن ادراجها تحت عدد قليل من العناوين وان كان كل عنوان ينطوى تحته عشرات من الفروع ....

قرارات مصرية فى أربعة عناوين

وأعطى والحمد لله اننى كنت قريبا من نبض الشعب فاهما لمشاعره حين وضعت يدى على العناوين الاساسية التى نبعث منها كل مااتخذته من قرارات مصرية .. هذه العناوين الاساسية يمكن اجمالها فى أربعة عناوين :

أولا : تحرير الارض المحتلة من بلادنا ومن الارض العربية ....

ثانيا : تصحيح مسار الثورة من داخلها والوصول بها الى بر الامان - أى بأن تتبلور أفكارها فى صورتها النهائية وأن تتحول الى نمط فى الحياة لا يحتاج الى اجراءات استثنائية تحميه .

ثالثا : تحرير الارادة الوطنية تحريرا كاملا . واعادة تقييم علاقاتنا بدول العالم وتكتلاته ، ومصالحها المتغيرة بحيث تسير سفينتنا فى هذا البحر الهائج ودفتها فى يدمصرية مئة فى المية ... ولا يضغط عليها ولا يسيرها اى طرف أجنبى ...

رابعا : اعادة النظر والتقييم فى كل مظاهر حياتنا ونشاطاتنا الاقتصادية بحيث نستفيد من التجربة ، ونتخلص من العيوب ، ونصل الى أصلح السبل لتلبية حاجات شعبنا .

واذا كانت الامور يمكن ترتيبها الان هذا الترتيب المنطقى - الا أنها فى ساحة النضال والعمل والتنفيذ لا يمكن تناولها بهذا الترتيب ، فهى متداخلة متشابكة ، متصلة ببعضها البعض .....

وكل قرار فى اى منها له انعكاساته على سائر المجالات .. وله ردود فعله المختلفة من الاعداء ومن الاصدقاء على السواء .....

صور الانحرافات تظهر مع الانفتاح

ثم استعرض الرئيس هذه القرارات بالتفصيل فتحدث عن تحرير الارض وحرب الاستنزاف وفتح قناة السويس وتصحيح مسار الثورة وحرب أكتوبر وآثارها فى ضم الصف العربى وخلق قوة عربية سياسية واقتصادية وعسكرية تحدث الرئيس عن الانفتاح الاقتصادى وتحرير طاقات مصروازالة مخاطر سيطرة رأس المال الاجنبى والتحولات الكبرى التى تمت فى الست سنوات الاخيرة واستراتيجية التقدم حتى سنة ٢٠٠٠ التى نادت بها ورقة اكتوبر ثم قال الرئيس :

ان ما حققناه او بدأناه اكثر من أن احكيه لكم ولكنى وقفت عند الجهود الكبرى التى شملت كل ميدان من الميادين .. ومع هذا الانفتاح والكفاح والانطلاق والتجديد فى كل شىء كان لابد ان تظهر صور جديدة من الانحراف .

.. وان تطفو على السطح عناصر طفيلية نهازة للفرص وهى أمور موجودة فى كل مجتمع فقط .. هناك مجتمعات تسدل على هذه الانحرافات ستائر كثيفة .. وهناك مجتمعات تتحدث عنها علنا وفى انفتاح .. وقد يكون بعض هذه الانحرافات ثمن لابد من دفعه ولكن المهم هو عدة أمور .

اولها : ان تكون الاضواء مضاءة ، والستائر مرفوعة والحديث عنها ونقدها مباح .

ثانيها : ان تقوم أجهزة الرقابة الرسمية بمصادمتها بكل حزم ، وبعدم التهوين من قدرها بأى شكل من الاشكال .

ثالثها : ان تقوم اجهزة الرقابة الشعبية من مجلس الشعب الى التنظيمات السياسية الى الصحافة ، بتعقب المنحرفين وغير المنتجين ونهازى الفرص بكل انتباه .. واظن ان هذا كله موجود وهو كل ما يمكن أن يوجد من وسائل لمقاومة هذا الانحراف ولكن هذا كله لا يجب ان يختلط بما يفعله البعض احيانا من تهويل هذه الجوانب السلبية أو تضخيم حجمها ... واعطاء صورة ظالمة وغير أمينة عن مجتمعنا وبلادنا والرجال العاملين الذين يسفحون عرقهم وصحتهم وحياتهم فى سبيل انجاز هذه المهمات الكبرى التى تنوء بحملها الجبال .. ان القلة المنحرفة لا يجوز ابدا أن تسىء الى سمعة الالاف من الشرفاء ، كما وان عيوب اقدم جهاز بيروقراطى فى العالم لا يمكن ان نتصور اختفاءها بين يوم وليلة ..

حجم القطاع العام

٨٠٠٠ مليون جنيه

اما مراكز القوى فقد اتخذت الاشتراكية سبيلا للتحكم فى ارزاق ومقدرات الناس ، اى سبيلا لابشع انواع الديكتاتورية . والان وبعد ممارسة السنوات الست الماضية ، اقول صار ممكنا أن نسجل ونحدد ملامح مجتمعنا .. ملامح مجتمعنا ومعالم اشتراكيتنا المصرية الصميمه فى وضوح

اولا : ان القطاع العام سيظل هو العمود الاساسى فى بنائنا الاقتصادى وفى قيامنا بالمشروعات الكبرى .. ان هذا القطاع العام الذى بلغ حجمه حوالى ٨٠٠٠ مليون جنيه من مال الشعب وعمله فى حين لم يصل حجم القطاع الخاص الى أكثر من ٥٠٠ مليون جنيه ، هذا القطاع العام سيظل دوره الاول فى الاستثمار والتنمية والتقدم ، وهو الى ذلك يضم أكبر عدد من كفاءاتنا وخبراتنا ، وهو القادر على النهوض بالمشروعات غير التجارية والمهمة فى نفس الوقت لحياة البلد ، ثم انه الجهاز الذى يستطيع بدخول منتجاته الى السوق يمنع الاستغلال ويضرب الاحتكار ويحول دون التاخير المصطنع على الاسعار ، فهو حصن قوى لحماية مصالح الشعب

ثانيا ، ان القطاع الخاص يجب ان تكون لديه الفرصة كاملة دون اى خوف او عقد لكى يعمل بكل نشاط فى أى مجال يشاء من مجالات الاستثمارات بل ان على الدولة أن تساعده وان تمد يد العون له ، ومن حقه أن يكسب كسبه المشروع كاملا طالما انه يؤدى ما عليه للوطن .

ثالثا : ان كل فرد منا مهما كان موقعه عليه أن يؤدى واجبه وواجبه ان يكون فردا مسئولا عن نفسه اولا ومنتجه لمصلحة بلاده ثانيا .. ان الذين فسروا الاشتراكية على أنها اتكالية كاملة على الدولة مخطئون .. فما هى الدولة بدون مجموع عمل ابنائها افرادا وجماعات ومؤسسات ؟ .. ان الذى يزرع شبرا من الارض او ينتج اى كمية من اللحوم والخضر . أو يقيم اصغر ورشة يدوية هو فرد منتج يضاعف الثروة القومية التى يشمله خيرها فى آخر الامر .. ان الدولة تقدم الكثير فى التعليم والعلاج والتامين واعانة السلع . وعلى الافراد ان يقوموا بدورهم بكل ماليديهم لبلادهم وانفسهم .. نريد اشتراكية الرخاء لا الفقر .. اشتراكية العمل لا الخمول والاتكال ..

رابعا : ان اشتراكيتنا اشتراكية تمليك لا تجريد . وزعنا الارض .. الارض توزع على الفلاح .. فبنك ناصر يشترى التاكسى ويملكه لصاحبه على اقساط .. دولة تشترى المئات من سيارات اللورى واصدرت تعليماتى بتمليكها لسائقيها .. ان صاحب السيارة هنا سيكسب رزقه وسيرعى سيارته كما يرعى ابنه ويوفر على الاقتصاد القومى ملايين الجنيهات تضيع فى الصيانة والادارة وهذا نموذج يمكن أن يمتد الى مئات الالاف من أصحاب الحرف اليدوية والمشروعات الصغيرة التى يعملون فيها بانفسهم ولا يستغلون فيها أحدا .

نظام ضريبى متكامل

وتجريم المتهرب منه

خامسا : فى رأيى أنه سيكون من أول مهمات مجلس الشعب الجديد اقرار نظام ضرائبى جديد متكامل .. ان كل نشاط يمارسه الفرد ويكسب منه .. لابد ان تكون عليه ضريبة . والضريبة فى المجتمعات الاشتراكية - بل والرأسمالية - من أهم وسائل اقرار العداله الاجتماعية ومنع الصراع بين الطبقات . ولابد أن يكون التهرب من الضرائب فى القانون الجديد موضع التجريم - اى جريمة لانه فعلا جريمة بل وفى بعض البلاد يعد أفحش الجرائم .

سادسا : اننا نبدء تجربة التنظيمات المتعددة فى اطار تحالف قوى الشعب العاملة . قد خطونا خطوة واسعة نحو الديمقراطية . ونجاح هذه التجربة سوف يؤدى الى نتيجتها المنطقية وهى قيام الاحزاب .. والذين لم يعجبهم عدم القفز فورا الى الاحزاب لن يقدروا كل الظروف .. ان ظروفنا لا تحتمل الفوضى ولا نحتمل قيام عشرين حزبا - كما حدث وتقدمت طلبات لاكثر من عشرين منبرا .. ولم يكن ممكنا أن أسمح من موقع مسئوليتى التاريخية بفوضى تشبه ما رأيناه فى البرتغال او غيرها من تناحر .. ان بلدنا محتل جزء منه .. خارج من ثورة شاملة يمر بمرحلة اقتصادية حرجة .. ولم يكن ممكنا فى ظل هذا كله أن نسمح بتفكك الدولة ولا ان نلقى بانفسنا الى ديمقراطية فوضوية غير مجربة ولا منضبطة تصل بنا الى ما حدث فى لبنان وغير لبنان

سابعا : اننا نعترف بوجود التناقضات الطبقية والصراع الطبقى .. وحتمية الحل الاشتراكى كما قلت مرارا - ليست فقط لانها اسرع سبل التنمية وتحقيق العدالة - ولكنها ايضا خصوصا مع الصيغة الخاصة بنا فى تحالف قوى الشعب العامل - هى التى

● سنحقق اشتراكية الرخاء لا الفقر، والعمل لا التراخي، والتمليك لا التجريد .

تحل هذا الصراع تدريجيا ومن خلال السلام الاجتماعي . هذه النقطة بالذات يجب ان تكون محل تفكير التنظيمات السياسية المختلفة وهى مقبلة على الانتخابات . والانتخابات عادة تغرى على الاخذ بأسلوب المزايدات وهو اسلوب احذر منه تحذيرا واضحا منذ الان .. قد يفكر تنظيم مثلا على سبيل المزايده - فى المطالبة بحق الاضراب لانه موجود فيه فى بعض البلاد .. كلا .. ان حق الاضراب موجود فى بلاد رأسمالية عريقه تختلف اوضاعها عنا تماما . فى بلادنا للعمال والفلاحين ٥٠ فى المائة على الاقل من عضوية المجالس المختلفة وفى مقدمتها مجلس الشعب فى بلادنا قوانين تمنع الفصل التعسفى لاى عامل - فى بلادنا قطاع عام تصل قيمته الى ٨٠٠٠ مليون جنيه يشارك فيه العمال بالادارة ونصيب من الارباح فى بلادنا تأمينات لكل فرد ضد العجز والمرض والشيخوخة .. هذا كله لايوجد فى البلاد التى تعطى حق الاضراب .. وهذا كله من ملامح اشتراكيتنا التى لا مجال معها للاضراب .. ان قضيه بلادنا الاولى والحاكمة هى الانتاج والمزيد من الانتاج .. وبغير هذا التركيز المطلق على الانتاج لا حل لمشاكلنا .. ومصلحة الوطن فوق مصلحه اى فئه .. ولهذا فان أى أمر يسىء الى الانتاج يعد جريمه لا يمكن التسامح معها .

الصحافة ملك للشعب

ولن تعود للافراد

ثامنا : ان الصحافة عندنا لابد أن تكون مملوكة للشعب ، وما ملكية الاتحاد الاشتراكى لها الا تعبير عن ملكية الشعب .. ولا يمكن أن تعود الى ملكية الافراد .. والملكية هنا لا تعنى التدخل فكل مؤسسة لها مجلس ادارة منها هو المسئول عنها ٥١ فى المائة منها مملوك للشعب ، ٤٩ فى المائة مملوك للعاملين .. لقد أصبحت الصحافة صناعة ضخمة تتكلف الملايين .. والسماح بتمليكها لافراد معناه اننا نسلمها اما لفئة محدودة قادرة ، واما اننا نفتح الباب لاشكال التمويل السرى من الداخل ومن الخارج .

ومعنى ذلك أننا نسلم تلك الادارة ذات السيطرة الهائله فى تكوين الرأى العام اما لقوى مستغلة فردية او لقوى خفية غير منظورة الامر الذى لم تعد المجتمعات تقبله .. ومرة أخرى فان ما حدث فى لبنان من جراء ذلك ليس ببعيد .. لا يجب أن تعبر الصحافة عن رأى صاحب رأس المال او عن رأى المعلن .. وببساطة شديدة يجب أن تعبر الصحافة - وقد أصبحت السلطة الرابعة - عن الشعب .

أيها الاخوة .. تلك هى ملامح نظامنا الذى توصلنا اليه عبر الممارسة والتجربة وارتضيناه .. اشتراكية ديمقراطية تترابط فيها الملامح ترابطا عضويا فلا تتعارض ولا تتناقض وبهذا البناء المتكامل المترابط ينهض البناء بقوته الذاتية وتنتفى الحاجة الى أية اجراءات استثنائية ..

الموقف العربى يبدو

مبعثرا ممزقا

أيها الاخوة والاخوات ..

لا شك انكم تنتظرون منى ان أتكلم كثيرا عن الموقف العربى الراهن .. ومعكم الحق فى ذلك .. فالموقف العربى الذى رفعته حرب اكتوبر الى قمة من الوحدة والقوة والفاعلية اهتز لها العالم كله .. هذا الموقف العربى قد يبدو الان مبعثرا .. ممزقا بصورة اليمة داميه .. والاحداث والصراعات الضيقة أكثر من ان تعد وتحصى من المحيط الى الخليج خصوصا ذلك الموقف المفجع فى لبنان العربى العزيز على كل قلب منا .. وما تتعرض له المقاومة الفلسطينية وكثير من القيم العربية هناك من انتهاكات وحشيه لم يسبق لها مثيل وليس لها فى تقاليدنا وفى أحلك ظروفنا أى نظير .. ثم ذلك الموقف المفجع الاخر وهو محاولة مجنون ليبيا وعصبه من المتآمرين معه .. « تصفيق » .. وقوى خفية من خلفه . محاولتهم غزو قطر عربى أخر عزيز هو السودان .. غزو السودان ومرة أخرى بأكثر الاساليب وحشية وخداعا .. ولكن اذا كنت ساقول شيئا فاننى سأمنع نفسى عن كلام كثير .. ذلك أننا هنا فى مصر نبهنا الى الكثير من هذا كله قبل أن يقع . وحاولنا الكثير فى السر وفى العلن بعد أن وقع لكى نحصر اثاره وننهى مواجهه ..

واسمحوا لى ايها الاخوه والاخوات .. أن أضع أمامكم بعض علامات الطريق التى تحكم تحركنا السياسى فى واقعنا العربى وغيرها مما يجرى حولنا من سياسات فلابد أنكم لاحظتم اننى حرصت منذ

واذا كان البعض قد عجزوا عن فهمه وادراك جوهره ، فالعيب فيهم لانهم تعودوا النظر الى الامور بمنظار فى اتجاه واحد .. منظار فى اتجاه واحد قاصر عن الوصول الى أبعاد متعددة ثم أن تفكيرهم قد انشل بعد أن صبوا عقولهم فى قوالب جامدة تعجز عن رؤيه الواقع ، فيجنحون الى تزوير هذا الواقع فيما يتلاءم مع تصورهم الخاطىء . ثم تأتى الاحداث .

الرئيس يصافح مستقبليه

بعد ذلك بما ينقض رؤيتهم ويهزمها من آساسها فتجدهم أما مكابرين فى تصحيح مسار تفكيرهم واما عاجزين عن الحركة ونحن فى كل هذا نسير فى خط مستقيم لا يعرف الالتواء . ولا نتوقف عن الحركة ولا يعنينا أن نلتفت لهم كل حين ونقول هل رأيتم الان ما كنا نحدثكم عنه .. كن واضحا لجماهير شعبنا العظيم التى تتمتع بوعى تاريخى لا يجاريه فيها أحد . انى منذ اللحظة الاولى أعمل لكى أحقق لوطنى ولامتى أهم عناصر القوة التى تعارفت عليها الامم والشعوب الا وهو أستقلال الارادة . لان هذا الاستقلال هو الذى يجعل الجماعة البشرية قادرة على الاحتفاظ بهويتها وكيانها وقادرة على الدفاع عن حقوقها ومصالحها وقادرة على انباع السياسية التى تحقق كل هذا بعيدا عن الضغوط والمؤثرات الخارجية أى سياسة تقوم على الفعل لا على رد الفعل وعلى التخطيط العلمى الذى يقوم على الرؤيا الواضحة ويتجنب العفوية والتخبط وقد صور البعض – أو صوروا هم لانفسهم – انا فى خطنا السياسى هذا لا

يجب على الشباب أن يكون فخورا بنضال بلاده ، فخورا بتضحياته .

نفعل أكثر من استبدال حليف بحليف أو انا نعكس توزيعنا للصداقات والعدوات وتلك نظرة سخيفة ما كان يمكن أن نجول بخاطرى أو بخاطر اى وطنى غيور على بلده وتراثه فضلا عن أنها نظرة تكفلت الايام ببيان سخفها .. دعونى اكرر باسمكم هنا فى هذه المناسبة وعلى العالم أجمع – أن مصر بعد الغاء المعاهدة المصرية السوفيتية لا ارتباط لها باحد سوى بالامة التى ننتمى اليها والعالم الثالث الذى هى جزء منه حركه ومصلحة ومصيرا .. تصفيق حاد .

ودعونى اكرر مره اخرى أمام العالم اجمع انا لن نرهن ارادة مصر لاحد كائنا من كان .. تصفيق .. سوف نتعامل مع الجميع من منطلق تصرفاتهم معنا وسياستهم ازاءنا . ولن ناخذ مواقف دول معينة قضية مسلمة . بل اننا نفحصها ونتابعها وندرسها بكل عناية حتى اذا لمسنا منها انحرافا يخرج بها عن الاطار الذى يخدم المصلحة العربية العليا كما نراه – كان لنا معها شأن .. فنحن فى سعينا لصداقة الجميع لا ننخدع بالاقوال المعسوله والوعود البراقة ولا نطمئن الى استمرار سياسة معينة وانما تعلمنا دروس التاريخ وعبره أن دوام الحال من المحال وان كل طرف يسعى الى تحقيق مصالحه هو بصرف النظر عن اتفاقها أو اختلافها مع مصالح الاخرين ولا مع المصلحة العامة للجماعة الدولية .

توحيد الصف العربى وعدم تشجيع المحاور

ولعل البعض قد احطأ فى التعرف عى هذا الخط الاساسى فى سياستى لانا نعتمد فى عملنا على الحقائق لا الشعارات . وقد ادمن هؤلاء الشعارات بدرجة أعمت ابصارهم وبصائرهم فاصبحوا غير قادرين على الرؤية الا من زاوية هذه الشعارات التى هى على أحسن الفروض جوفاء : وفى كثير من الاحيان مضللة تناقض الحقيقة وهكذا شهد العالم العربى فى الاشهر الاخيرة كما أسلفت أحداثا كشفت زيف الشعارات بل كشفت أنها كانت القناع الذى اختفت وراءه القوى التى اطلقتها لتكون ستارا من الدخان تنقض منه على مكاسب الامة فتحصرها وتطعنها من الخلف وثانى العناصر التى أحرص على جعلها أساسا للسياسة والاستراتيجية المصرية هو التفرقة بين التناقضات الجوهرية والخلافات العارضة التى هى سنة الحياة لا نملك لها تبريرا .

من هذا المنطلق اخذت على عاتقى أن ابذل كل ما فى وسعى لتوحيد الصف العربى وتوفير أقصى قدر ممكن من التضامن بين ابناء الامة وايضا عدم تشجيع المحاور والاستقطابات داخل الوطن العربى الكبير : ولم يغب عنى فى كل هذا أن هناك خلافات واختلافات بين السياسات وربما بين المصالح فى المدى القصير داخل الاسرة العربية ، وانما كان ايمانى ولا يزال هو أن هذه الخلافات والتناقضات غير جوهرية يجب التعامل معها على اساس انها تذوب ويجب أن تذوب اذا ما واجهت الامة خطرا خارجيا يستهدفها كلها دون التوقف عند التصنيفات والانقسامات .

ولعل هناك من يتساءل اليوم : أين نحن من التضامن العربى والعالم العربى على هذا الحال ؟ وردى على هذا التساؤل .هو اننا حين نتحدث عن التضامن لا نقصد كما ذهبت القضاء على جميع الخلافات فهذا أمر يدخل فى عداد المستحيلات وانما معناه ان يتوفر لنا قدر من التماسك بين ابناء هذه الامه يمكنها من التصدى لاى خطر خارجي كانها رجل واحد ، ولا يمنع هذا من وجود بعض الخوارج الذين لا تاثير لارائهم ومواقفهم – سلبا أو ايجابا – وتذكرون انا حينما خضنا معركة السادس من اكتوبر المجيد استطعنا أن نوفر لها تضامنا عربيا اجماعيا هز العالم باسره واجبره على اخذ العرب مأخذ الجد والخطورة . ولم ينل من جلال هذا الموقف أن صوتا نشازا مجنونا انطلق يهذى يتنبأ بالهزيمة ويثبط الهمم ويحاول زرع اليأس فى القلوب . لم يقل احد عندئذ ان التضامن العربى قد تحطم أو شابته شائبة لان العبرة ليست فى الصوت الذى يرتفع بالصياح والعويل وانما العبرة بالحركة المؤثرة القادرة على تحديد مجرى الاحداث ومخاطبه العالم من حولنا باللغة التى يفهمها .

الشعب العربى لا يؤخذ بجرائم حكامه ..

ومن جهة اخرى فلا يستطيع اى منصف أن يقول أن مصر أخذت من جانبها خطوة واحدة تتنافى مع التضامن العربى أو تهدمه وانما اندفع البعض فى هذا التيار تحت تأثير حقد أسود تارة ، وتارة أخرى استجابة لمخططات اجنبية يعجزون عن ادراك ابعادها ، او يتوهمون انهم يستخدمونها لمصلحتهم وهم فى الواقع اداة فيها . ومع كل هذا فان مصر لم تغلق بابا يمكن أن يؤدى الى ازالة هذه الشوائب من جو العالم العربى وكانت ولا زالت مترفعة عن الصغائر .. قادرة على تجاوز هذه النزوات والسخافات كما انى حريص دائما على عدم أخذ اى شعب عربى شقيق بالجرائم التى يرتكبها من تسلطوا

● ان قتـالنا فى أكـتوبر كان آخـر ضربة جعلت بترول العـرب كله فعلا للعـرب .

عليه واختلسوا لانفسهم مقاليد الامور فيه لان اى شعب عربى لا يمكن ان يضل السبيل أو يعبث فى الارض فسادا كما يفعل بعض الاقزام الذين تصوروا انهم عباقرة . واذا تصور احد ان الشعب سيقف مكتوف اليدين مغلوبا على أمره فأمامه دروس التاريخ القديم والحديث .

وقال الرئيس :

ان الاحداث المحزنة التى وقعت فى السودان فى الثانى من هذا الشهر بعد اعداد طويل وتآمر فى الظلام احداث لايمكن السكوت عليها فلا نسمح بهذه الفرصه الجديده والعبث بارواح شعب شقيق وتدمير مؤسساته لا لشىء سوى ارضاء نزوات البعض وتنفيذ مخططات البعض الاخر ان العبث بمقدرات اى شعب عربى خطيئه تتطلب منا اتخاذ موقف صارم لا هوادة فيه حتى لا يفسر هؤلاء العابثون تسامحنا بانه ضعف او صبرنا بانه شلل عن الحركه وقد أريد لهذا المخطط الاجرامى المسنود أن ينفذ فى السودان بالذات . السودان الذى تربطه بمصر وشائج التاريخ وروابط الدم والعربى والدين العظيم والذى هو ايضا عمق استراتيجى لمصر وسند كبير لها على جميع خطوط المواجهه كما أنه مركز استراتيجى هام فى القارة الافريقية غير اننا نحمد الله سبحانه وتعالى على ان شعب السودان البطل من وراء رئيسه المناضل تمكن من ضرب هذا المخطط والقضاء على الفتنة وتكفلت القوات المسلحة السودانيه الباسله بالاجهاز على فلول المؤامرة وتأمين الجبهة على امتداد الحدود السودانية لقد وقفت مصر منذ اللحظه الاولى الى جانب شعب السودان الشقيق فى هذه المحنه وآزرته فى صموده ضد الغزوة البربريه الغاشمة التى لا يمكن أن ننظر اليها منفصلة عن التحركات المريبه التى شهدتها القاره الافريقيه والعالم العربى فى الفترة الاخيرة .

تلك التحركات التى تعتبر تصعيدا خطيـرا فى اساليب التخريب والتدمير التى يخطط لها فى الخارج وتستخدم فى تنفيذها عناصر هى أشبه بالرقيق السياسى . تصبح اداه طيعة للقيام بعمليات الاغتيال الجماعى ونشر حمامات الدم وتخريب المنشآت وشل الحياة اليومية للجماهير بهدف ايجاد فراغ يمكن ان تنفذ منه الى مقادير الامور وتستولى على السلطه فهل مستقبل الامه العربية أن يقع فى اى بلد عربى ما وقع فى السودان وهل يمكن التسامح مع امتداد ظاهرة الارهاب الى الوطن العربى ان مجنون ليبيا قد انحدر بهذا العمل اللااخلاقى المجنون الى أسفل درجات العمالة والانحراف وسخر امكانيات الشعب الليبى الشقيق لمحاولة تحطيم الامة العربية من الداخل بعد أن عجز اعداؤها عن هزيمتها وتطويع ارادتها وتمزيق كيانها من الخارج وانا أنزه شعب ليبيا عن هذه الجرائم التى ترتكب باسمه وهو يعانى من بطش هذا المجنون واجرامه الكثير وقد اتفقت مع اخى الرئيس النميرى على تعزيز التعاون والتنسيق بين البلدين فى المجال العسكرى وقمنا بالفعل بتوقيع اتفاقية للدفاع المشترك تضيف أبعادا جديدة ومضمونا أقوى لمعاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادى بين دول الجامعة العربيه الموقعة فى ١٧ يونيو سنة ١٩٥٠ وبمقتضى الاتفاقية الجديدة يصبح اى اعتداء على احد البلدين او قواته المسلحة اعتداء على البلد الاخر يخوله استخدام حق الدفاع الشرعى الفردى والجماعى الذى هو من الحقوق الاساسية فى القانون الدولى .

وضمانا لفاعلية هذه الاتفاقية قررت الدولتـان انشاء الاجهزة الكفيلة بتنفيذها وبالذات مجلس الدفاع المشترك وهيئة الاركان المشتركة وليس الاتفاقيه التى وقعتها مع الرئيس نميرى منذ أيام الا خطوة ستعقبها خطوات على طريق تعـزيز الامن الاستراتيجى للامه العربية وزياده قدرة مصر والدول العربيه على حماية ابنائها واراضيها . ومنشآتهـا وتطوير قواتها المسلحه وفق احدث النظم العصرية بحيث تتحول القوة السادسه سياسيا الى قوة عظمى عسكريه مذهلة للدفاع عن حدودها وحماية شواطئها واجوائها واستيعاب آخر ما توصلت اليه الفنون العسكرية وتكنولوجيا العصر واقامة الصناعات الحربيه العملاقه فعندئذ فقط نستطيع أن نطمئن الى رسوخ استقلالنا السياسى والاقتصادى وتحرير كل شبر من الارض العربية .

... ويسرنى أن أقرر انى اتفقت مع جلالة الملك خالد بن عبد العزيز والرئيس جعفر نميرى أثناء زيارتنا الاخيرة للمملكة العربية السعودية الشقيقة على اتخاذ اجراءات محدده سوف تتبلور فى اعطاء دفعه كبيرة لجهودنا الحربى وقدرتنا الدفاعيه وسوف يلتقى كبار العسكريين فى الدول الثلاث خلال ايام لوضع البرامج التنفيذية والتفصيلية اللازمة فى هذا الصدد كما اننا نتطلع الى مد آفاق هذا التعاون الاستراتيجى مع دول عربية أخرى فى الاشهر القادمة ان شاء الله ومصر كعهدكم بها تعنى ما تقول وهى تعى جيدا التزامها القومى ومسئوليتها التاريخية وستفى مصر بعون الله بكل التزام وقعت عليـه

مصر مضمون سياسى ، ومركز اشعاع حضارى .. منه ينبع التقبل العالمى لنا ، والثقة الدولية فينا .

وستحافظ مصر كعهد العالم بها على كل كلمة تعهدت بها ودعونى أعلن على الملا أن مصر لن تتسامح على الاطلاق مع هذه العربدة الدولية الجديدة فستواجه هذه المخططات التخريبية وكل من اشترك فيها بالتحريض أو بالاتفاق أو بالمساعدة ولدينا كافة التفاصيل عن ذلك وليتحمل كل جزاء ما اقترفت يداه ولتكن الصورة واضحة أمام العالم أجمع بلا ادنى مواربة .

عام ١٩٧٦ لفلسطين والتأييد الدولى .

أيها الاخوة والاخوات يذكر الشعب المصرى ومعه شعوب الامة العربية والعالم كله انى اعلنت من فوق منبر الامم المتحدة فى ٢٦ أكتوبر الماضى ان مصر تنادى بأن يكون عام ٧٦ هو عام فلسطين اى العام الذى تكرس فيه الانشطة والجهود لتأكيد الانتصارات التى اكدتها منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعى الوحيد للشعب الفلسطينى والسير قدما نحو الهدف العربى القومى فى استعادة الحقوق الوطنيه الثابتة لشعب فلسطين . وتحقيقا لذلك تقدمت فى نفس ذلك التاريخ وأمام الجمعية العامة للامم المتحدة بمبادرة تستهدف اشتراك منظمة التحرير فى كافة جهود السلام وعلى رأسها مؤتمر الامم المتحدة للسلام على قدم المساواة مع بقية الاطراف وهو ما أقرته الجمعية العامة بقرار حصل على الاغلبية العظمى من الاصوات ١٠١ صوت الامر الذى دل أبلغ دلالة على التأييد الدولى الكبير لحقوق شعب فلسطين والتقدير البالغ للجهود العربية والمسيرة الفلسطينية بقيادة منظمة التحرير نحو استعادة حقوق هذا الشعب العظيم ولم يكن ذلك يتم والكل التهيأ لخطو نحو ثابتة حتى ظهرت بوادر المخطط الخطير الذى تتعرض له امتنا عامة وشعب لبنان الشقيق والمقاومة الفلسطينية بصفة خاصة هذا المخطط الذى يستهدف تضامن الامة العربية ومسيرتها وإجهاض الانتصارات التى حققها لقد قامت الازمة فى لبنان نتيجة لمخططات أجنبية وتدخلات خارجية تتنكر لاهداف هذه الامة وتنكر عليها حقها فى الحياة والحرية والتقدم . ومنذ بداية هذه الازمة ومصر تنادى أن ارفعوا أيديكم عن لبنان ودعوا شعبه يقرر مصيره ويصحح مسيرته ويقضى بإيجابياته على سلبياته ولم يكن ذلك شعارا تزايد به مصر وانما كان موقفا واعيا يقوم على أسس مدروسة وفهم سليم لواقع الامة العربية وأيضا فهما لابعاد ما تتعرض له من مؤامرات خارجية وتحركات من داخلها تخريبية وقد كان موقف مصر فى هذا الصدد على الاسس التالية أولها : ان ترفع كافة القوى الخارجية أيديها عن لبنان . ثانيها : أن يتم جهد عربى جماعى بعيد عن المحاور منزه عن مصالح أى دولة عربية أو مجموعة من الدول . ثالثها : أن يتم هذا الجهد العربى من خلال وفى اطار الجامعه العربية . رابعها : أن يبدأ العمل العربى بتحقيق الحل العربى بتحقيق وقف اطلاق النار . خامسها : أن يستهدف الحل العربى الحفاظ على وحدة لبنان وسيادته وسلامة اراضيه وعروبته . وسادسها : الحفاظ على المقاومة الفلسطينية ودورها وعدم المساس بها وقد اعلن التآمر . فرفض ما اسماه بالتعريب وقاوم اى فكرة او اقتراح يكون من شأنه ان يؤدى الى العمل العربى الجماعى او ينقذ لبنان والثورة الفلسطينية من براثن المخطط الرهيب الذى يستهدف الامه العربيه جميعا . كان من نتيجة ذلك تردى الموقف هناك وتدهور وجوبهنا اليوم بموقف تضرب فيه المقاومة الفلسطينية فى لبنان ومعها القوى الوطنية ولنا هنا أن نتساءل لصالح من تضرب المقاومة ولصالح من تضرب القوى الوطنيه اللبنانيه والى صدر من توجه الصواريخ والقذائف السورية وهل تخدم القضيه العربية بهذه الطريقة أم أن هذا الموقف يؤثر بالسلب على المسيرة العربية نحو التحرير وتقرير المصير للشعب الفلسطينى ..

..... واليوم اريد ان اقول انه ليكن معلوما لدى الجميع العدو قبل الصديق ان الحركات المسرحية الاسرائيلية لا تخيفنا أو تهزنا اننا لن نسكت عن حقوقنا او عن تحرير أرضنا وهذا مايدعونى الى أن أدعو الاخوة العرب جميعا ليتناسوا الخلافات الهامشية التى تفرق بينهم حتى نتفرغ جميعا للقضية المصيرية الكبرى التى يقترب موعد الاختبار الاساسى فيها فيما يتعلق بحلها فأما وسيلة سلمية تصان بها العدالة فيقوم السلام واما نضال بكافة أسلحة الحرب فى سبيل الكرامة فى سبيل الارض والحق والمستقبل أن علينا جميعا التزام بالولاء لاهدافنا ولعروبتنا ولقوميتنا ولايمكننا ان نفهم ان يراق الدم بيننا ثم نسمع مزايدات هنا وهناك حتى أمس ء العروبه والقومية والثورة وحماية الثورة الفلسطينية وهم أول من صوبوا الصواريخ الى صدرها ... ان الكلمات لن تولى ولا سبيل الى تحقيق الاهداف الا بالعمل

أخذت على عاتقى أن أبذل كل مافى وسعى لتوحيد الصف العربى :

الجاد والمخلص والبناء ... واتوجه بالدرجة الاولى الى اخواننا فى منظمة التحرير أن يوحدوا صفوفهم وأن يقضوا على العمالة ومحاولات التفجير من الداخل الذى يتعرضون لها والتى تزايدت بشكل خطير فى الاونة الاخيرة .. ان منظمة التحرير الفلسطينية عماد من أعمده العمل العربى القومى وأى اضعاف لها خيانة قومية سوف ندفع جميعا ثمنها غاليا .. واتوجه أيضا الى اخوتنا واشقائنا فى الارض المحتلة أن يستمروا فى نضالهم ومقاومتهم الباسلة للاحتلال الاسرائيلى الغاشم وأن يسهموا فى توحيد الصف الفلسطينى خلف منظمة التحرير الفلسطينية وأن يرفضوا وبنفس القوة التى يرفضون بها الاحتلال الاسرائيلى كافة محاولات التخريب والاحباط التى تنطلق من بعض الاروقة العربية وتغذيها الاهداف القطرية الضيقة .

عزل مصر محاولة محكوم عليها بالفشل

قبل أن اختتم كلامى عن الموقف العربى اريد أن اتوقف عند بعض العبر التى يكشف عنها كل هذا .. ان العبرة الاساسية هى أن مصر كانت ومازال صاحبة الدور المحورى الاساسى فى أمتنا العربية وبالتالى فان محاولة مصر التنصل من هذا الدور مستحيل ومحاولة الغير عزل مصر محاولة محكوم بالفشل والازدراء وليس هذا دورا نطلبه ولا هو بالامر الذى نذكره لكى نتباهى به ولكنه دور فرضه التاريخ وفرضته كل الظروف علينا ونحن نذكره لكى نتحمل مسئولياته ومن مسئوليات هذا الدور ان نتحمل الكثير من الصغائر ولكن حين تصل الامور الى المساس بالمصالح القومية العليا للوطن العربى فان علينا أن نتحرك بهذه المسئولية تصدينا لقرار قبول الحل السلمى العادل اذا كان ممكنا وبنفس هذه المسئولية تماما تصدينا لقرار الحرب فى أكتوبر حين صار القتال واجبا مقدسا وبهذه المسئولية لم نكذب على طرف ولم نخادع ولم نستثمر قضية قومية لكسب اقليمى أو حزب ضيق ولم نزايد ... الاخوة الفلسطينيون على سبيل المثال دعمنا حركتهم فى المقاومة المسلحة وحق منظمتهم فى استقلال الارادة الفلسطينية من أول يوم وعلى الدوام وكنا الوحيدين الذين لم نحاول أن نجعل لنا تنظيما بين تنظيماتهم ولا جناحا بين أجنحتهم ومن اليوم الاول حددنا اهدافنا بازالة آثار العدوا وتحرير كل شبر عربى محتل منذ ٦٧ واعطاء الشعب الفلسطينى حقوقه المشروعة صارحناهم باننا سنسعى الى الحل السياسى اذا كان حقا فى متناول اليد وبضرورة أن يكون لهم دور وحق ودولة واننا سنحارب دون ذلك كان هذا موقفنا المبدئى وسوف يظل موقفنا المبدئى دائما ومهما كانت الظروف ونحن مستعدون الى أن نبذل الى غير ماحد من أجل هذا الهدف .

أيها الاخوة والمواطنون وكما كانت مصر هى الساهرة على المصلحة العربية العليا العاملة على جمع كلمة العرب وتوحيد صفهم .. ان مصر حرصت على القيام بنفس الدور على الصعيد الافريقى ، ومصر فى كل تحركاتها الافريقى تنطلق من كونها عنصر توحيد وتوفيق .. لا عنصر فرقة واستقطاب من أجل تخليص ارض القارة من بقايا الاستعمار الاستيطانى العنصرى فى جنوب افريقيا وزيمبابوى وناميبيا ، ونحن اذ نقف فى طرف القارة الشمالى نتيجة الى اشقائنا المناضلين فى جنوب القارة ونقول لهم نحن معكم فى كل خطوة تخطونها .. نساند كفاحكم ونحمى ظهركم وقضيتكم هى قضيتنا قضية الثورة ضد الظلم والكرامة ضد الاستعباد والاضطهاد بل هى قضية الحياة فى مواجهة اعداء الحياة .

ولابد أن اطلعكم أيضا على مانفكر فيه فى حركة عدم الانحياز .. لقد مرت حركة عدم الانحياز بأطوار متعاقبة نتيجة تطور الواقع الدولى منذ ظهرت الحركة فى العقد السادس من هذا القرن فهى جزء من هذا الواقع يؤثر فيها وتؤثر فيه وتتفاعل معه ، والا اصبحت حركة هامشية لا وزن لها ، ونحن نؤمن بأن حركة عدم الانحياز هى قوة لازمة لا غنى عنها لعالمنا المعاصر فى عهد مابعد الوفاق ويخطىء من يتصور انها قد استنفدت اغراضها أو دخلت فى مرحلة الكهول فهى أقدر القوى على تصحيح مسار العالم وتحويله من طريق النزاعات الاستغلالية والتنافس على مناطق النفوذ الى طريق المساواة الحقيقية والعدالة الاقتصادية والسلام ونحن نتوجه الى المؤتمر المقبل الذى سينعقد فى الشهر القادم ان شاءالله فى كولومبو بكل ثقة وأمل وبكل تصميم أكيد على اعطاء هذه الحركة دفعة جديدة بحيث تستند بقراراتها الى قوة نفرضها على الوقع الدولى وسوف ننسق جهودنا فى هذا الصدد مع بعض الدول الصديقة التى تشاركنا هذا الرأى وفى مقدمتها يوجوسلافيا التى نعتبر رئيسها العظيم « تيتو » التى نعتز به جميعا وتجسيدا لكل المعانى والمبادىء السامية التى تقوم عليها حركة دول العالم الثالث .

علاقتنا بموسكو والولايات المتحدة

ثم استعرض الرئيس علاقتنا بموسكو والولايات المتحدة فقال :

بعد الموقف العربى .. أنا استعرضت معكم الموقف الافريقى ، واستعرضت موقف عدم الانحياز ..

« البقية ص ١٦ »

نص الرسـالة التى بعث بهـا

الرئيس المؤمن

محمـد أنـور السـادات

الى الشـعب الامريـكى فى عيـد الاحتفـال بمرور مائتى عـام علـى اسـتقلال الولايـات المتحـدة الامريكـية

ألـقى الرسـالة فى الاحتفـال

السيد محمـد توفيق عويضه
أمين عام المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

نص الرسالة التى بعث بها الرئيس السادات الى الشعب الامريكى فى عيد الاحتفال بمرور مائتى عام على استقلال الولايات المتحدة الامريكية .. وقد قام بالقائها السيد محمد توفيق عويضة أمين عام المجلس الاعلى للشئون الاسلامية فى حفل افتتاح المهرجان الاسلامى الذى أقامته جمهورية مصر العربية كمشاركة فعالة فى الاحتفالات التى يعيشها الشعب الامريكى بهذه المناسبة العظيمة وقد حضر الحفل الممثل الشخصى للرئيس فورد وسفراء الدول العربية والاسلامية وآلاف عديدة من الجاليات الاسلامية والمواطنين المصريين المقيمين بأمريكا . وفيما يلى نص الرسالة :

أيها السادة :

انه ليسرنى أيما سرور ان اعبر للسيد الرئيس الامريكى وحكومته الموقرة وللشعب الامريكى الصديق عن أصدق التهانى باسمى وباسم جمهورية مصر العربية ، فى عيد الاحتفال بمرور مائتى سنة على الظفر بالحرية بعد نضال باسل استشهد فيه رجال اعزة وأبطال أباة .

وان مصر لتقدر النضال فى سبيل الحرية والاستقلال،وتعرف أقدار المناضلين والاحرار ، لانها طالما كافحت على امتداد التاريخ لاسترداد حريتها ، وصيانة عزتها .

واذا كانت الحرية لذاتها ولعزازتها ولرفعة شأنها جديرة بأن يتبادل الاحرار التهنئات بها وان اختلفت وجهاتهم ، فان تهنئتى للشعب الامريكى الصديق تزداد عمقا وحرارة ، **لان مصر والولايات المتحدة تربطهما صلات من الود والمصالح المشتركة والمنافع المتبادلة** ، ولان مصر لن تنسى المشاعر الطيبة للرئيس

إن مصر لتقدر النضال فى سبيل الحرية وتعرف أقدار المناضلين والأحرار

الامريكى وحكومته نحوها ، وجهودهم الموفقة فى مؤازرتها لنيل حقوقها .

وانتهز هذه المناسبة الحافلة بمفاخر الولايات المتحده فأهيب بفخامة الرئيس الامريكى وحكومته وبشعبه العظيم ان يسارعوا فيؤازروا المناضلين لنيل حريتهم فى أى مكان فى العالم . بوسائلهم المادية والمعنوية ، تحقيقا لمبادىء الثوره الامريكية أن تكون الشعوب حرة فى تقرير مصيرها بنفسها .

ولست أبعد عن الصواب اذا قلت ن منطقة الشرق الاوسط التى تتصارع فيها قوى مختلفة هى أولى المناطق العالمية بمساندة الحرية فيها ، والامل عظيم فى ان تثمر الجهود الامريكيه المتصلة ثمراتها الطيبة فى هذا المجال ، فما خلق الناس ليعيشوا على هذه الارض الا احرارا وفى سلام ، مادامت حرياتهم لا تطغى على حقوق الاخرين ، ولا تتعارض والمثل الانسانية السامية .

واذا كان السلام حبيبا الى قلوبنا كما ينطق تاريخنا العريق ، وكما يأمرنا ديننا السمح ، فان هذا السلام لابد ان يكون عزيزا أبيا مصونا كفيلا بحصولنا على جميع حقوقنا ، والا كان ضعفا وهوانا لا نرضاه مهما يكلفنا الجهاد للدفاع عن حريتنا وعن وطننا من تضحيات .

وطالما جاهدنا بهذا المبدأ وطالما دعونا الى حل قضيانا فى ظلال سلام عادل ، وأملنا كبير فى ان تساهم الولايات المتحدة مساهمة فعالة فى نصرة هذا المبدا ، وفى حل **قضيه الشعب الفلسطينى المشردة ولفخامه الرئيس جيرالد فورد وحكومته وللشعب الامريكى أخلص تحياتى ، وأعظم أمنياتى بحياة حافله بالتقدم والمجد والازدهار .**

إن السلام الذى ننشده لابد أن يكون عزيزاً أبياً مصوناً

يقودنا الحديث عن عدم الانحياز الى الكلام عن علاقاتنا بالدولتين الاعظم ، وهى علاقة تحكمها مبادىء ومعايير واحدة ، فنحن نتعامل مع كل منهما على أساس استعداد هما لاحترام سيادتنا واستقلال ارادتنا ، وعدم التدخل فى شئوننا الداخلية ، والتعاون فى بناء صرح ثابت للسلام فى المنطقة على أساس انسحاب اسرائيل من جميع الاراضى العربية المحتله وتحقيق الحقوق الوطنية للشعب الفلسطينى ، ونحن لا ننطلق فى علاقتنا بأى من الدولتين من عقد أو حواجز معينة لان الضعفاء وحدهم هم الذين تكبلهم العقد تغلبهم الشعارات والهواجس أما الاقوياء فهم الذين يتصدون للعمل القوى بكل ثقة بأنفسهم وبقدرتهم .

اراده مصر جماعية .. وليست فردية

وبعد ففى نهاية سنوات ست تحملت فيها المسئولية كما اراد لى الشعب اود ان اؤدى الامانة الى أهلها .. الى الشعب .. والله سبحانه وتعالى يامرنا أن نؤدى الامانات الى أهلها .. أود أن أقول كلمة وفاء .. لقد أعطى شعبنا الكثير . وعانى شعبنا الكثير . وما زال هذا الشعب يعطى بسخاء ويتحمل فى كبرياء فسلام على شعب مصر ونيل مصر وقرى مصر . وارادة مصر .. ارادة مصر عبر قرون طويلة .. ارادة مصر كانت ولا تزال عبر قرون طويلة .. ارادة جماعية ارادة فرد بمفرده .

ومن أجل هذا ناديت وأنادى بأن نعود الى قيم القرية مهد هذا الشعب ان هذه الارادة الجماعية التى حققت المعجزات .. هى التى نشأت أول ما نشأت فى القرية .. هى التى انشأت أول حضارة شهدت مولد الزمان .. هى نفس الارادة التى أنشأت القيم التى تأصلت على مر الزمان فحافظت على أرض مصر من التلف وصانت الانسان المصرى من الدنس .. وهى نفس هذه الارادة الجماعية التى حققت الاستقلال لمصر ثلاثين قرنا بأكملها رغم طمع الطامعين واغارات المغيرين .. وعندما غزت مصر قبيلة الهكسوس البدائيه كانت ارادة الشعب المصرى هى التى تغلبت عليهم فى النهاية وطردتهم مع من لاذ بهم من بنى اسرائيل .

وقد وفدت الى مصر حضارات عديدة قبل الفتح الاسلامى وبعده ولكن لم تستطع حضارة من هذه الحضارات أن تقهر الارادة المصرية أو أن تمس الشخصية المصرية من قريب أو بعيد ! بل على العكس قهرتها الارادة المصرية واحتوتها ، بل وفى أحيان كثيرة صبغتها بلونها المميز فأصبح المنتصر مهزوما واصبح المهزوم منتصرا ، والارادة المصرية هى دائما ارادة التحدى ، تحدى قوى الشر داخليا وخارجيا ، تحدى الامكانيات مهما كانت محدودة .. تحدى كل ارادة تواجه ارادة تحقيق ذات مصر فارادتنا كانت وستظل دائما تنبع من ذاتنا وتستهدف خير هذا الشعب وصالحه وكل من يتجاهل أو يجهل هذه الحقيقة مخطىء لانه لا يعرفنا ، ويتصور انه يعرفنا وارادة الشعب المصرى ارادة التحدى هى التى حققت نصر أكتوبر العظيم .

المعركة منطلق رئيسى لكل المنجزات

من أجل هذا فان هذا النصر لم يكن معجزة كما يحلو للبعض ان يروج ونحن اذ نقول هذا لا نشيد او نزهو بهذا النصر وانما نحن نقرر حقيقة واقعة يدركها العالم الخارجى ربما أكثر مما يستطيع ادراكها البعض منا . ولان ارادة الشعب المصرى هى ارادة التحدى فقد كانت المعركة هى المنطلق الرئيسى لكل ما تم من انجازات .. ثورة التصحيح فى ١٥ مايو .. تصفية مراكز القوى . رفع الحراسات اغلاق المعتقلات عودة سيادة القانون .. بدون هذه الانجازات لم تكن المعركة ممكنة لانها جميعا كانت تستهدف شيئا واحدا هو تحرير الارادة المصرية من كل شىء يعوقها واساسا تحريرها من الخوف فلا شىء يشل ارادة الانسان بل يحيله الى جسد بلا روح مثل الخوف .. والخوف يولد العجز .. والحقد هو الثمرة الطبيعية للاحساس بالعجز . ومجتمع يعيش على الحقد لا يمكن أن يتقدم خطوة واحدة الى الامام .

ان معدن مصر من معدن فلاحها المصرى .. معدننا كلنا لا يصدأ لان أبعاده الحضارية تحميه دائما من الصدأ والتلف .. واذا كان ما نراه من بعض السلبيات فى مجتمعنا اليوم هو نتيجة لما عاناه الشعب المصرى من قهر وحرمان وخوف وانعدام للامان فهذه السلبيات ليست الا مجرد غبار بمجرد أن امتدت اليه اليد عاد المعدن الاصيل الى توهجه . ولذلك فكلى امل .. كلى امل وكلى ثقة فى اننا سوف نعود الى تأصيل القيم الانسانية العليا التى ورثناها والتى هى أساس وجودنا .

ايها الاخوة والاخوات انه قدر مصر أن تكون قلب هذه المنطقه وروحها وهو قدر مصر أن تلعب هذا الدور الرائد عربيا ودوليا وأن تتحمل تبعاته الباهظة والعالم كله يعلم حق العلم أن مصر ليست مجرد نقطة على خريطة العالم دون مضمون أو تاثير بل ان تاريخ مصر طويل .. طويل .. مصر اسهام غنى فى تاريخ البشرية ومجرى المدنية .. ومصر مهد القومية ثابتة الاركان قوية الدعائم كما أنها اليوم مهد لتحول ضخم نحو الحرية والانفتاح ومصر مضمون سياسى ومركز اشعاع حضارى منه ينبع التقبل العالمى لنا والثقة الدوليه فينا ، والقناعة الكاملة بانه لا حرب الا بمصر ، ولا سلام الا بمصر . فليتقهقر الحقد لكى يحل محله الحب ولتتراجع الخصومات والاحقاد لكى يحل محلها الاخاء والوفاء والعطاء ولنتجه كلنا الى مصرنا الحبيبة وشعبها الخالد نفنى فى سبيله .. نشقى من أجل أن نجعل الحياة على أرض هذا البلد الامين شريفة قوية على طول الزمان .

« ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب » .

والسلام عليكم ورحمة الله .

دراسات قرآنية

تفسير سورة

البقرة

الآيات من ٢٨٥ الى آخر السورة

الأستاذ أحمد حسين

آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير ● لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولاتحملنا مالا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين .

الحمد لله .

ما تصورت لحظة عندما بدأت فى تفسير سورة البقرة أننى سأعيش حتى أصل الى تفسير نهايتها ، ولكنها مشيئة الله ولكل أجل كتاب ، ونحن جميعا عبيده يسخر كل منا وييسره لما خلقه من أجله ، وما علينا الا السمع والطاعة ، ولنحمد الله ، لنحمده آناء الليل وأطراف النهار أن هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

وبعد ، فقد وصلنا الى الايتين من آخر سورة البقرة ، وسوف يرى القارىء الكريم أن لهما شأنا أى شأن ، فقد ورد بشأنهما أحاديث ، ولكنى قبل أن أثبت هذه الاحاديث أرجو أن يسمح لى بتسجيل تاريخهما معى فان لهما معى تاريخ وصحبة .

الشيخ محمد صادق المجددى :

كان هذا الشيخ الجليل الذى اعتبره أحد اساتذتى فى الدين والوطنية والسلوك بعامة أول من لفت نظرى وفتح روحى لهاتين الايتين ، كان ذلك منذ أكثر من أربعين عاما فى حجتى الاولى وكان هو يشغل فى ذلك الوقت منصب سفير الافغان لدى مصر والسعودية ، وكان يقيم مخيمه فى « منى » عند غار قيل أن سورة المرسلات نزلت على سيدنا محمد فيه ، وقام السيد محمد صادق المجددى يصلى بنا اماما « صلاة المغرب » ، ووسط هذا الجو العبق بالذكريات الالهية والنفحات الربانية ، ارتفع صوت الرجل الاجش فى ترتيل فخم بطىء يتلو هاتين الايتين ورحت أسمعهما ، وقلبى يستقبلهما ولم أعد أحس الا باننى أصبحت فى دنيا غير الدنيا ، ومنذ هذا التاريخ حتى اليوم لا أظن أننى نمت ليلة دون أن أتلوهما بالروح كلها ، الا عندما عقد الله لسانى ، فأصبحت أتلوهما بفكرى ووجدانى بالروح كلها كذلك .

خلاصة الايمان وركيزته :

ولا عجب فى ذلك ، فقد وضع الله سبحانه وتعالى فى أيتين اثنتين ختم بهما أطول سورة فى القرآن بما يجب أن يكون عليه ايمان المؤمن ، وعناصر هذا الايمان ، وكيف ينبغى للمؤمن أن يضرع لربه مسجلا عجزه وتقصيره الا أن يتداركه الله بعفوه ومغفرته ، فهو دعاء يعلمنا الله أن ندعوه به فندرك من خلاله كم هو رحيم بنا يقدر ضعفنا ، ونحس اذ نهتف به أن السموات والارض تردد معنا فى ختامه « آمين » .

كما بدأت السورة تنتهى :

ويجب دائما استحضار مطلع السورة عند تلاوة

نهايتها فكلاهما يكمل الآخر ويوضحه ويفصله فسورة الكريمة تبدأ بتقرير الحقيقة الازلية من أن القرآن الكريم كلام الله ، « **ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين** » وكون القرآن الكريم هوكلام الله القديم أنزل على محمد بن عبد الله ليكون من المرسلين لهداية العالمين ، هو ما تضمنته نهاية السورة فى قولها :

« **آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه** » .

وعندما وصفت السورة الكريمة فى مطلعها أن هؤلاء المتقين هم « **الذين يؤمنون بالغيب** » فقد جاء ختام السورة يفصل عناصر هذا الغيب : « **والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله** » .

والايمان بالكتب السماوية يعنى الايمان بالبعث بعد الموت يوم الحساب فاما الى الجنة أو النار ، وهكذا بدأت السورة وانتهت بالايمان باعتباره هو الجوهر وهو الاساس الذى يقوم عليه الاجتماع البشرى الصالح وبين دفتى كتاب الايمان قطعت بنا السورة الكريمة شوطها الطويل فى التشريع الاسلامى سواء فى الامور التعبدية من صوم وصلاة وحج، أو فى الامور المعاشية ابتداء من الحرب والقتال حتى الزكاة والصدقات والزواج والطلاق ، والبيع والشراء والتداين وتحريم الربا ، الى آخر ما مر بنا ونحن نستعرض السورة على مدى تجاوز العامين ، والمهم أن الله سبحانه وتعالى قد حرص أن يؤكد للبشر أن المنطلق الاساسى لنجاح الفرد والمجموع هو « **الايمان** » وبغير هذا الايمان ، يحبط كل عمل ويخفق أى تربيع وتسوء العاقبة .

احاديث واردة فى ختام سورة البقرة :

وقد أورد ابن كثير فى تفسيره ، العديد من الاحاديث التى وردت فى ختام سورة البقرة ، فليرجع اليها من يريد الاستقصاء ، وحسبنا أن نورد بعضها :

جاء فى الصحيحين : البخارى ومسلم :

« **من قرأ الآيتين ، وفى رواية بالآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه** » .

وروى الامام أحمد بسنده :

« **أعطيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يعطهن نبى من قبلى** » .

وروى عن سيدنا على كرم الله وجهه قوله :

« **ما أرى أحدا يعقل بلغة الاسلام ينام حتى يقرأ آية الكرسى وخواتيم سورة البقرة فانها من كنز تحت العرش** » .

والان فلنتناول كلمات الآيتين بالتفصيل :

آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه .

آمن : أى صدق .

والمعنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق بما أنزل اليه من ربه « وهو القرآن » وقد تصور بعض العلماء أنه مما يتناسب وجلال النبوة أن يفرقوا بين ايمان سيدنا محمد وبقية المؤمنين ، فقالوا ان ايمانه « ايمان مشاهدة ووحى » أما ايمان المؤمنين فمبنى على الحجة والبرهان .

وهذا الرأى نموذج لاختلاف وجهات النظر فحيث يتصور نظر أن هذا الامر أو ذاك هو الذى يحقق المقصود ، يرى نظر آخر أنه يؤدى الى عكس المطلوب ، والله سبحانه وتعالى فى هذه الاية الكريمة يشيد بالمؤمنين ثم أفرد ، سبحانه ، سيدنا محمدا بالذكر باعتباره أول المؤمنين وعنه انتقل الايمان الى بقية البشر الذين سيظلون يؤمنون بالاسلام الى أن يرث الله الارض ومن عليها ، فايمان الرسول يأتى فى الاول وعنه تتقد جذوة الايمان فى سائر المؤمنين ، ويبقى جوهر الايمان واحد وهو الايمان بالغيب لا عن طريق المشاهدة ، ولو صح أن ايمان الرسول صلوات الله عليه هو ثمرة المشاهدة ، لما زاده فضلا ، ذلا يكون ايمانا بالغيب ومن حسن الحظ ان سيرة سيدنا محمد معروفة ومسجلة بكل دقة ، وعندما آمن سيدنا محمد بما أنزل اليه من ربه لم يكن ثمة اسراء أو معراج بعد ، حتى يتحدث عن المشاهدة ، وآية صدق سيدنا محمد وأمانته أنه لم يبادر بمجرد هبوط الوحى عليه لاول مرة ، فيعلن عن رسالته ، وانما عاد الى أهل بيته وهو يرتجف ويناشد اهله ان يدثروه ويزملوه الى آخر ما شرحناه بصدد سورة « العلق » وليس الا بعد ان عاود الوحى سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم وهتف به على ما تقول بعض الروايات « **يامحمد أنا جبريل وأنت رسول الله** » ان آمن سيدنا محمد بانه رسول الله حقا وصدقا ، فصدع بما أمر به وبلغ رسالة ربه ، وقد يقول قائل هذه هى المشاهدة ، ولكن أن يصدق سيدنا محمد أن هذا الذى رآه وسمعه هو من عند الله ، فهذا هو الايمان بالغيب ، لان ما رأى وما سمع قد يكون من عند غير الله وهو ما قاله عنه المشركون بالفعل ، فالقضية تلخصت فى هذا الوحى الذى نزل على سيدنا محمد ، أهو من عند الله أم من عند غير الله ، فعندما يقرر القرآن الكريم « **آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه** » ولما كان هذا الذى أنزل هو القرآن بكل مشتملاته ، وعلى رأسها الجنة والنار والبعث والحساب واليوم الاخر ، فايمان سيدنا محمد بكل ذلك كان ايمانا بالغيب وليس بالمشاهدة ، واذا كان الله سبحانه وتعالى قد كافأه على ذلك فيما بعد بما أراه اياه « **لقد رأى من آيات ربه الكبرى** » ، فذلك من قبيل « **بلى ولكن ليطمئن قلبى** » أى أن الايمان كان قد تحقق أولا وقد حرص القرآن الكريم على أن يعمق فى أفهام المسلمين أن سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام لا يختلف فى جوهره عن سائر المسلمين ، فاشتمل القرآن الكريم على أكثر من آية بمعنى « **قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى** » أى أنه لم يقف عند حد وصفه بالبشرية فأضاف عليها « **مثلكم** » أى فى جميع خصائصكم الانسانية وانما انفرد عنكم بهذا الوحى ، وكان هذا الوحى فى حد ذاته تكليفا شاقا « **انا سنلقى عليك قولا ثقيلا** » وكان من فضل الله على سيدنا محمد أن هداه الى الايمان أن هذا الذى يسمعه ويتلقاه هو من عند الله .

والخلاصة أننا لا يجب أن نفرق بين نوعية ايمان

سيدنا محمد ونوعية ايمان سائر المؤمنين ، الا من حيث كونه كان أول المؤمنين ، وأن ايمانه كان من القوة بحيث انتقل منه وسيظل ينتقل الى ملايين الملايين .

والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله .

وبعد أن أفرد الله سبحانه ذكر سيدنا محمد باعتباره مصدر الايمان لسائر البشر جمعه على بقية المؤمنين الى يوم الدين ، وقد حاول بعض المفسرين أن يختصوا صحابة رسول الله بشرف هذا الوصف ، ولكن ذلك تخصيص بغير مخصص فالقرآن هنا يتحدث عن عناصر الايمان التى يتصف بها المؤمن ، وفى الحديث الشريف يثنى سيدنا محمد على هؤلاء الذين سوف يؤمنون به مع انهم لم يروه فمن الخير أن يبقى العمومى على عموميته الا أن يخصص بمخصص .

وعناصر الايمان :

١ ـ بالله .

٢ ـ وملائكته .

٣ ـ وكتبه ويدخل فيها الايمان بالبعث والنشور والحساب والعقاب والجنة والنار » .

٤ ـ ورسله .

لا نفرق بين أحد من رسله .

وهنا يظهر تفوق ايمان المسلمين على غير المسلمين وأن من ذاق حلاوة الايمان الاسلامي ووعاه لا يمكن ان يتحول عنه حيث سيظل الالوف ممن وعوا الاديان السابقة على الاسلام يعتنقون الاسلام ذلك ان الايمان فى الاسلام كل متكامل لا يقوم على عنصر شخصى او عصبية لمعنى خاص، او امتياز لفئة ، وانما يقوم الايمان على قواعد محددة متى تحققت فلا مناص من الاقرار بالنتائج التى تؤدى اليها فمتى آمن الانسان بوجود الله ووحدانيته وأنه خالق الكون والانسان ، وانه فى سبيل ارشاد الانسان انزل الكتب وبعث الرسل فعلى أى اساس يفرق المؤمن بين رسول ورسول ، ان الذين يفرقون قد ضلوا السبيل ، فراح بعضهم يهذى «كاليهود » فيعتبرون انفسهم شعب الله المختار وانهم وحدهم الناس ومن عداهم فليسوا ناسا .

فشل عمليات التبشير وسط المسلمين :

وقد فشل المبشرون بكل ما انتهى اليهم من حول وسلطان ، حيث كان أبسط مسلم من عامة المسلمين ينظر لاعلم علماء المبشرين باعتباره جاهلا ، فسيدنا عيسى عليه السلام بكل مايقال عنه ، هو نبى مرسل من رب العالمين . والمسلم يؤمن بتكريمه وبانجيله ، وانه الذى ارسله قد ارسل سيدنا محمدا عليه الصلاة والسلام . وكما ارسل الإنجيل فقد ارسل من بعده القران ، فاذا أنكر مسيحى أن يكون سيدنا محمد رسولا وان يكون القرآن كتابا منزلا ، يكون قد أهدر الايمان بالله وأنه ينزل الكتب ويبعث الرسل ، وهذا ما يرى ـ يمان المسلم ان يتردى فيه ، فالمسلم يؤمن بأنه اله واحد ، وان جوهر الكتب والرسالات واحدة ، ويبقى بعد ذلك ان القران هو اخر الكتب والذى سلم باعتراف غير المسلمين من التغيير والتحريف بعكس ما أصاب ما سبقه من كتب .

ولقد شرحنا من قبل باستفاضة ، أن عدم التفريق بين الرسل هو من حيث طبيعتهم ووظيفتهم ، فقد اختارهم الله لهداية البشر ، وذلك لا يتعارض مع سنة الله فى خلقه وهو أن يفاضل بين أصحاب الدرجة الواحدة .

وقالوا سمعنا وأطعنا .

وهذه هى السمة الثانية والتطبيق المادى للايمان الذى هو جوهر معنوى روحى ، انه الاقرار بالسمع والطاعة وما يؤدى اليه ذلك من القيام بالاعمال الصالحة ولذلك ما ذكر الايمان الا وذكرت على الفور الاعمال الصالحة « **الذين آمنوا وعملوا الصالحات** » ذلك أن مؤدى الايمان بالله وأنه يبعث بالكتب على لسان الرسل بالاوامر والنواهى ، أن يسمع المؤمن لكل ما أمر به ونهى عنه الا أن يطيع والا لم يكن مؤمنا .

غفرانك ربنا واليك المصير .

ولكن أيا كان عزم المؤمن وارادته على الطاعة فهو فى نهاية الامر يتكون من جسد ركبت فيه غرائز وشهوات ، وقد توعد الشيطان الانسان أن يترصد به كل مرصد ليوقعه فى الخطيئة ، ومن هنا فان المؤمن السامع المطيع يعلم أنه فى نهاية الامر قد يخطىء فهو يسأل الله المغفرة فى يوم الحساب « **واليك المصير** » .

لا يكلف الله نفسا الا وسعها .

ويبادر الله سبحانه وتعالى وهو الرحمن الرحيم فيطمئن عباده المؤمنين أنه لن يحاسبهم الا على ما يقدرون على فعله ايجابا وسلبا حسب امكاناتهم واستعدادهم .

والتكليف : هو الالزام بما فيه كلفة أى جهد وعمل .

والوسع : ما تسعه قدرة الانسان من غير حرج ولا عسر .

لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت .

يقول اللغويون : ان كسب واكتسب بمعنى واحد ولكنا نقول دائما ان الاستعمال القرآنى هو الذى يحكم اللغة وليس العكس ، وما دام القرآن الكريم قد استعمل فعل الكسب مقترنا « بلها » أى فى جانب الحسنات واستعمل فعل الاكتساب مع « عليها » أى فى جانب السيئات فعلينا أن نفرق بين اللفظين فاحدهما وهو « الكسب » يستعمل مع « الخير » والاخر ، « الاكتساب » يستعمل مع «الشر» .

والمعنى أن كل انسان مجزى بعمله ان خيرا فخير وان شرا فشر .

ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا .

ويعلمنا سبحانه وتعالى وهو يلقننا كيف ندعوه ، أنه وهو الذى خلقنا يعلم من أمرنا بعض ما يرد على عقولنا من آفات طبيعية أخصها ظاهرة النسيان ، ولقد سبق آدم جميع أبنائه بالنسيان « **ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما** » . ومع ذلك فقد تاب الله على آدم وغفر له ، فهو يعلم سبحانه أن النسيان

« البقية صفحة ٢٨ »

إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون

جرائم بني إسرائيل كما قصها القرآن الكريم

فضيلة الشيخ عبدالجليل عيسى

قبل ان نغادر ما اشتملت عليه سورة البقرة من جرائم بنى اسرائيل التى بلغ عددها ٤٦ جريمه ثم ننتقل الى ما اشتملت عليه سورة ال عمران منها نقول : قبل كل ذلك نمر بالسيد القارىء على بعض من دقائق القرآن فى قصصه الذى امتاز بأسلوبه على كل قصص آخر . فسنرى انه مع جزالة عبارته ، وعمق معانيه ودقة تصويره للحوادث واحوال اصحابها فان من خواصه التى امتاز بها أنه ينبه الاذهان الى مهمات هذا القصص . فيقول فيه تعالى مخاطبا نبيه صلى الله عليه وسلم « نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين » آية ٣ من سورة يوسف .

ثم أخذ سبحانه يبين أن قصص هذه السوره كله يدور حول ما حصل ليوسف من أخوته وارادتهم به السوء ، وطرحه فى الجب ، والفتنة الشنعاء التى صادفت يوسف عليه السلام فى بيت عزيز مصر . ثم سجنه ظلما ، ثم مع كونه فى ظلمات السجن لم ينس ان ينصح المشركين الذين معه فى السجن بتوحيد الله فقال « انى تركت ملة قوم لايؤمنون بالله وهم بالاخرة هم كافرون ، واتبعت ملة ابائى ابراهيم واسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شىء .. الخ » من أول آية ٣٧ من سورة يوسف الى آخر آية ٤٠ » ثم انظر كيف دبر سبحانه مقدمات اخراج يوسف من السجن ظلما فأرى الملك رؤياه المعروفه وكيف تحير الجمع فى تفسيرها ، وكيف تعين لتفسيرها يوسف ، وكيف كان ذلك منشأ عظمة يوسف ، وكيف كان هو عزيز مصر وكيف جمع الله بينه وبين ابويه واخوته جميعا ، ثم ختم سبحانه كل هذا القصص بقوله مخاطبا نبيه صلى الله عليه وسلم « **ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون** » الاية ١٠٢ من السورة .

ومن هذا النوع من القصص ما نراه فى سورة الكهف ، بدأ سبحانه بقصة أصحاب الكهف وانهم فتية آمنوا بربهم فى وسط اغلبية مشركة طاغية ففروا الى الكهف يختفون فيه ثم أيقظهم بعد أكثر من ثلاثمائة سنة ليعلم الناس أن البعث حق ، اقرأ من اول آية « ٩ » من سورة الكهف الى قوله فى آية « ٢١ » **وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا ان وعد الله حق وان الساعة لاريب فيها** » ثم انتقل سبحانه الى قصة رجلين احدهما غنى وعنده جنتان ولكنه كافر ينكر اليوم الاخر ، وثانيهما فقير لكنه مؤمن ثم يقص سبحانه كيف نصح هذا المؤمن صاحبه الكافر . ولما لم يسمع نصحه اهلك الله هاتين الجنتين حتى اصبحتا صعيدا زلقا . واصبح ماؤهما غائرا فندم ولات ساعة مندم . « اقرأ من آية ٣٢ الى آية ٤٤ من الكهف » .

ثم انتقل سبحانه فى السورة نفسها الى قصة أخرى حصلت بين موسى والرجل الصالح « من اول آية ٦٥ الى آية ٨٢ » فضع أيها القارىء المصحف أمامك واقرأ متأملا كيف أرشدك سبحانه وتعالى الى أن تفعل الخير لمن لا يعرفك ولا يشعر بك كما فعل

صاحب موسى مع اصحاب السفينة الايتام الذين كانت ستغتصب منهم ، وينضب مورد رزقهم ، ومن ذلك ما فعله فى جدار الغلامين اليتيمين من حفظ مالهما حتى يتمتعا به بعد بلوغهما سن الرشد بعد ان كان معرضا للضياع ، وكيف انقذ الابوين من غلام لهما كان فاسد الطبع يخشى عليهما منه طغيانا وكفرا ، وان يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما . ثم قص علينا سبحانه فى السورة نفسها ما حصل من الرجل الصالح « ذى القرنين » وكيف استعمل ما مكنه الله سبحانه من قوة فى سعادة الناس وانقاذهم من الكفر وظلم الطغاة والبغاه ، ولم يقبل على ذلك اجرا . اقرأ من اول آية ٨٣ الى ٩٨ . فسترى فى بناء السد بقطع الحديد ، وتغطيته بالنحاس المذاب ما لا يقدر عليه الا من اعانه الله بالمعجزات ، ولذلك نرى البخارى ذكره مع الانبياء ولعلك تدرك أن فى هذه القصة فضلا عظيما من الله سبحانه أرشد به كل مؤمن الى ان يكون مصلحا لا مفسدا ومعمرا لا مدمرا ومرشدا لا مضللا ، فاللهم لك الحمد والشكر يا رحيم بخلقك يا صاحب الفضل العظيم . وخوف التطويل راينا ان نجتزىء اليوم بهذا القدر ونرجع الى بيان العبر التى فى ايات المقال السابق من اول قوله تعالى « **الم تر الى الملا من بنى اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبى لهم ... الخ** » من آية ٢٤٦ الى آية ٢٥٢ من سورة البقرة والاحسن أن نضع ايها القارىء الكريم المصحف الشريف أمامك ، وانت تقرأ هذه الايات الست فسترى كيف استنتج منها صاحب المنار رحمه الله خمس عشرة عبره « سماها سننا من سنن الله » وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم قال رحمه الله تعالى وهذا ما ظهر لى من السنن والاحكام الاجتماعية فى آيات هذه القصة مفصلة معدودة لعلها توعى وتحفظ فلا تنسى ان شاء الله تعالى :

«**السنة الاولى** : ان الامم اذا اعتدى على استقلالها واوقع الاعداء بها فهضموا حقوقها تتنبه مشاعرها لدفع الضيم وتفكر فى سبيله فتعلم انها الوحدة التى يمثلها الزعيم العادل ، والقائد الباسل ، فتتوجه الى طلبه حتى تجده كما وقع من بنى اسرائيل بعد التنكيل بهم .

الثانية : ان شعور الامة بوجوب حفظ حقوقها وصيانه استقلالها انما يكون على حقيقته وكماله فى خواصها فمتى كثر هؤلاء الخواص فى امه فانهم هم الذين يطلبون الرئيس الذى يملك عليهم كما علمت من اسناد طلب الملك الى الملا من بنى اسرائيل وهم شيوخهم واهل الفضل فيهم .

«**الثالثة** : متى عظم الشعور فى نفوس خواص الامة بوجوب حفظ استقلالها ودفع ضيم الاعداء عنها فانه لا يلبث ان يسرى الى عامتها فيظن الناقص ان عنده من النعره والحميه للامة ما عند الكامل حتى اذا حرجت من طور الفكر والشعور ، الى طور العمل والظهور ، انكشف عجز الادعاء المدعين ، ولم ينفع الا صدق الصادقين ، كما علم من قوله تعالى « **فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم والله عليم بالظالمين** » .

الرابعة : ان شأن الامم الاختلاف فى اختيار الرئيس الذى يكون له الملك عليها والاختلاف مدعاة التفرق فيجب ان يكون هناك مرجع يقبله الجمهور من الامة . لذلك لجأ الملا من بنى اسرائيل الى نبيهم وطلبوا منه ان يختار لهم رجلا ملكا عليهم ، وقد جعل الاسلام المرجع لاختيار امام المسلمين مبايعة أولى الامر لمن يختارونه وهم اهل الحل والعقد والمكانة فى الامة الذين هم عون السلطان وقوته باحترام الامة لهم وثقتها فيهم ولذلك لم ينصب النبى صلى الله عليه وسلم اماما للمسلمين فى أمر الزعامة والحكم ولكن استنبط بعض العظماء من الصاحبة رضاء النبى صلى الله عليه وسلم بأمامة ابى بكر الدنيوية بأنابته عنه فى الامانة الدينية وهى امامة الصلاة .

الخامسة : ان الناس لا يتفقون على التقليد أو الاتباع فيما يرونه مخالفا لمصلحتهم الاجتماعية ولذلك اختلف بنو اسرائيل على نبيهم فى جعل طالوت ملكا عليهم واحتجوا على ذلك بما لا ينهض حجه الا فى ظن المنكرين ، ومن عجيب امر الناس أن كلا منهم يحسب انه يعرف الصواب فى السياسة ونظام الاجتماع فى الامم والدول فلا تعرض مسألة على عامى الا ويبدى فيها رايا يقيم عليه دليلا على ان هذا العلم هو أعلى من سائر العلوم التى يعترف الجاهلون بها بجهلهم فلا يحكمون فيها كما يحكمون فى علم السياسة والاجتماع وما يعقله الا الافراد من الناس . ومن فروع هذه القاعدة ان عامة المسلمين لهذا العهد يرون ان الدعوة الى جعل الخلافة موافقة للقواعد الشرعية التى يعتقدونها مخالفة لمصلحتهم وكثير منهم يعد الداعى الى ذلك عدوا لهم بل للاسلام نفسه .

السادسة : ان الامم فى طور الجهل ترى ان احق الناس بالملك والزعامة أصحاب الثروة الواسعة - كما علم من قول المنكرين على ملك طالوت فى تأييد انكارهم « **ولم يؤت سعة من المال** » . واصحاب الانساب الشريفة كما علم مما فسر به العلماء قوله «**ونحن احق بالملك منه**» فهذا الاعتقاد من السنن العامة فى الامم الجاهلة خاصة ، فانها هى التى تخضع لاصحاب العظمة الوهمية وهى التى ليست صفة لنفس صاحبها كالمال والانتساب الى بعض العظماء فى عرفهم سواء كانت عظمتهم بحق أو بغير حق . هذا موضع الخطا فى تعظيم ذى النسب والقرآن لم يصرح بأن ذلك هو وجه قولهم انهم احق بالملك وفى المسألة نظر لا محل هنا لبسطه ولكن نقول بالاجمال ان الانتساب الى اهل الشرف الحقيقى وهم أصحاب المعارف الصحيحة والاخلاق الفاضلة والنفوس الكريمة العزيزة له اثر فى النفس عظيم فان سليل الشرف جدير بأن يحافظ على كرامة نفسه فلا يدنسها بالخيانة ثم انه لابد ان يرث شيئا من فضائلهم النفسية فيكون استعداده للخير أعظم فى الغالب . وانك لتجد الامم الراقية فى العلم والاجتماع تختار

ملوكها من سلالة الملوك والامراء وتحافظ على قوانين الوراثة فى ذلك . وما ارتقى عن هذا الا اصحاب الحكومة الجمهورية . وقد جاء حكم الاسلام فى هذه المسألة وسطا فلم يغفل أمر النسب بالمرة لئلا تتسع دائرة الخلاف بطمع كل قبيلة فى الامامة الكبرى ولم يجعل الامر فى بيت معين لما فى ذلك من الغوائل بل جعله فى قبيلة عظيمة كثيره العدد لا تخلو ممن هو أهل للامامة وهى محترمة فى نفسها كانت محترمة فى العصر الاول ويرجى أن يدوم احترامها مدام الاسلام الذى ظهر على يد نبى منها وهى قريش .

السابعة : أن الشروط التى تعتبر فى اختيار الرجل فى الملك هى ما استفدناه من قوله تعالى « **ان الله أصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم** » الاية كما تقدم .

الثامنة : هى ما أفاده قوله تعالى « **والله يؤتى ملكه من يشاء** » كما بينه معززا بالشواهد من الكتاب العزيز على أن مشيئته تعالى انما تنفذ بمقتضى سننته العامة فى تغيير أحوال الامم بتغييرهم ما فى أنفسهم ، وفى سلب ملك الظالمين ، وايراث الارض للصالحين وتاويل هذه الايات وأمثالها مشاهد فى كل زمان واين المبصرون ؟ « **أفلا يرون انا ناتى الارض ننقصها من أطرافها افهم الغالبون** » ٤٤ الانبياء . او لم يسمعوا دعوة الانبياء بقوله تعالى فى سورة الشعراء ١٥٠ - ١٥٢ « **فاتقوا الله وأطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين الذين يفسدون فى الارض ولا يصلحون** » .

ايظن المسلم الغافل أن مشيئة الله تعالى فى قوله تعالى فى سورة آل عمران ٢٦ « **قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء** » هى عبارة عن مخالفة سننته التى بينتها الايات التى ذكرناها وما فى معناها مما لم نذكره ؟ بل أقول ولا أخشى فى الحق لومة لائم ايظن المسلمون أن تنازع الامم والدول على ممالكهم وسلبها من ايديهم مخالف لعدل الله العام ، وسننه الحكيمة التى جاء بها القرآن ؟ كلا انه تعالى ما فرط فى الكتاب من شئ ولكنهم هم الذين فرطوا فذاقوا جزاءتفريطهم فان تابوا وأصلحوا تاب الله عليهم والا فقد مضت سنة الاولين .

التاسعة : ان طاعةالجنود للقائد فى كلما يأمر به وينهى عنه شرف فى الظفر واستقامة الامر ، وقوانين الجندية فى هذا الزمان مبنية على طاعة الجيش لقواده فى المنشط والمكره والمعقول وغير المعقول ، فاذا امر القائد بتسليم الديار او الاموال او الانفس للاعداء وجب تسليمها فى قانون كل دولة . نعم انهم قرنوا بهذا الحق للقائد ايجابهم عليه ان يبرم الامور باستشارة أهل الرأى فى فنون الحرب وهم الذين يسمونهم أركان الحرب .

العاشرة : ان الفئة القليلة قدتغلب بالصبر والثبات وطاعة القواد الفئة الكثيرة التى اعوزها الصبر والاتحاد ، مع طاعة القواد ، لان نصر الله مع الصابرين اى جرت سننته بان يكون النصر اثرا للثبات والصبر ، وان أهل الجزع والجبن هم اعوان لعدوهم على انفسهم . وهذا شاهد فى كل زمان ، وهو كثير لا مطرد كما جاء فى الاية الكريمة .

الحادية عشر : ان الايمان بالله تعالى والتصديق بلقائه من أعظم اسباب الصبر والثبات فى مواقف الجلاد . فان الذى يؤمن بان له الها غالبا على امره يمده بمعونته الالهية ، كما أمده بالقوى الروحية والجسدية ، فاذا ظفر بأذنه كان مصلحا فى الارض مستعمرا لها ، واذا قبضه اليه بانتهاء اجله المسمى كان فى رحمته ناعما فيها ، لهو جدير بان يستخف بالاهوال ، ويثبت فى القتال ثبات الجبال وقد وافقنا كتاب الافرنج فى هذه المسألة فصرحوا بان من اسباب ثبات « البوير » وبلائهم فى حربهم للانجليز كونهم اقوى ايمانا وارسخ عقيدة . وجميع الامم تشهد بان الجيش العثمانى اثبت جيوش العالم واصبرها واشجعها وقد تمنى قائد يعد من اشهر قواد الارض لو ان له مائة الف من هذا الجيش ليملك بها العالم . ذلك بانه جيش يؤمن بلقاء الله تعالى ايمانا قويا يقل فى قواده من يساويه فيه .

الثانية عشر : ان التوجه الى الله تعالى بالدعاء مفيد فى القتال كما يدل عليه قوله تعالى « **فهزموهم باذن الله** » اذ عطفها بالفاء على اية الدعاء . وذلك معقول المعنى فان الدعاء هو اية ذلك الايمان الذى بينا فائدته انفا ولذلك قال عز وجل فى سورة الانفال اية ٤٨ « **ياأيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون** » .

الثالثة عشرة : دفع الله الناس بعضهم ببعض من السنن العامه وهو ما يعبر عنه علماء الحكمة فى هذا العصر بتنازع البقاء ويقولون ان الحرب طبيعيه فى البشر لانها من مشرع سنة تنازع البقاء العامة . وانت ترى ان قوله تعالى « **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض** » ليس نصا فيما يكون بالحرب والقتال خاصة بل هو عام لكل نوع من انواع التنازع بين الناس الذى يقتضى المدافعة والمغالبة ويظن بعض المتطفلين على علم السنن فى الاجتماع البشرى ان تنازع البقاء الذى يقولون انه سنة عامه هو من اثره الماديين فى هذا العصر وانه جور وظلم سم الواضعون له والحاكمون به اه مخالف لهدى الدين ولو عرف من يقولون هذا معنى الانسان او لو عرفوا انفسهم لما قالوا ماقالوا .

الرابعة عشر : قولهتعالى « **لفسدتالارض** » يؤيد السنه التى يعبر عنها علماء الاجتماع بالانتخاب الطبيعى او بقاء الامثل ووجه ذلك جعل هذا من لوازم ماقبله فانه تعالى يقول مافطر عليه الناس من مدافعة بعضهم بعضا عن الحق والمصلحه هو المانع من فساد الارض اى هو سبب بقاء الحق وبقاء الصلاح ويعزز ذلك قوله تعالى فى بيان حكمة الاذن للمسلمين بالقتال فى سورة الحج اية ٣٩ « **اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع** »

« البقية ص ٧٨ »

خصائص القصة القرآنية

الأستاذ فتحي رضوان

ان منهج القرآن الكريم ، فى تجريد الاسماء التى تدور حولها الانباء والاخبار ، والاحاديث، فى آياته البينات ، من الزمان والمكان ، ومن الصفات والنعوت ، يستوقف نظر الباحث طويلا ، وهو يزداد وضوحا ، حينما يفطن القارىء المتدبر ، الى أن القرآن ، يغفل - كما سبق القول - فى كثير من مواضعه ، الاسماء تماما ، فيأتى الكلام ، والفاعل فيه، ضمير من الضمائر ، أو اسم من أسماء الاشارة ، أو من أدوات الوصل .

فالاقتصاد فى استعمال الاسماء ، بلغ اقصى الغاية فى كتاب الله العزيز . ولعلنا لا نجد أبلغ فى بيان هذا المنهج ، من ان نذكر ان اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذى انزل عليه هذا الكتاب المبين ، لم يرد فى هذا الكتاب ذاته ، الا أربع مرات ، ومن ثم تكون أجزاء كاملة ، بل يكون ست وعشرون جزءا من أجزاء القرآن الثلاثين ، قد خلت تماما من اسم خاتم النبيين الذى بشر بهذا الكتاب العزيز ، واستظل برايته ، وحارب فى سبيل دعوته .

ويكمل هذا المعنى ، ان كتاب الاسلام الاعظم ، الذى تعقب دعاوى وافتراءات الكفار والمشركين ، وخصومه الالداء المعاندين ، من أهل الكتاب ، والذى سجل الوقائع الكبرى ، التى انطوى عليها تاريخ هذا الدين الحنيف ، فى الحرب والسلم ، لم يرد فيه من أسماء ابطال هذا الدين الصناديد الذين ابلوا احسن البلاء فى الدفاع عنه ، ورفع رايته ، واعزاز كلمته ، الا اسم واحد ، ولم يكن صاحب هذا الاسم ، من اهل الصدارة فى الجهاد فى سبيل نصرة هذه العقيدة . فلست واجدا فيه اسم ابى بكر ولاعمر ولاعثمان ولا على، رضى الله عنهم وهم خلفاء رسول الله الراشدين ،ولا اسم أحد العشرة المبشرين بالجنة ، ولا اسم أحد كبار قادة المسلمين فى وقائعه الكبرى كخالد سيف الله المسلول ، رضى الله عنه .

بل ان كتاب الله الكريم ، التزم هذا المنهج الثابت ، وهو يورد احداثا هى فى القمة من الخطر وعظم الاثر فى حياة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وحياة الدين ، الذين بعث بالدعوة له ، خذ مثلا ماجاء فى سورة « التوبة » عما جرى بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه ابى بكر الصديق فى لحظة من أشد اللحظات حرجا ، واشدها اتصالا بالخطر وبواعث الخوف ، تلك لحظة وصول المشركين الى باب الغار ، الذى لجأ اليه رسول الله وابو بكر ، بحيث لو نظر احد هؤلاء المشركين الى قدميه ، لعرف أن فى الغار ، الرسول ، الذى خرجوا ليتعقبوه ، وليردوه عن الهجرة الى المدينة ، ثم ليسلموه لزعماء قريش، ينفذون فيه ، ما عقدوا العزم عليه من الاشتراك جميعا فى قتله ، بحيث يتفرق دمه بين القبائل ، ويعجز بنو هاشم أن يقفوا فى وجه قبائل العرب جميعا » .

هذه اللحظة الفذة فى تاريخ الامم والشعوب ، بكل معيار اردت ان تقيسها به ، يوردها كتاب الله العزيز على النحو التالى :

« ألا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لاتحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم »

ولست أريد أن تقف معى ، لتتأمل كيف أحاطت هذه الالفاظ القليلة بهذه الواقعة الجليلة ، وكيف أوردت فى سطورها ، عناصر تلك الواقعة المادية والروحية ، وكيف استظهرت دلالاتها . وكشفت عن نتائجها ، فلهذا كله موضع تال فى الكلام باذن الله ، وانما أريد أن ترى كيف شاءت ارادة خير القائلين ، واصدقهم ، ان توصف بهذا الاسلوب هذه الواقعة التى وقف التاريخ الانسانى كله أمامها وكأنه يحبس انفاسه ليرى ، هل تبعث هذه الامة المتفرقة الجاهلة الفقيرة لتكون خير امة اخرجت للناس ، ام انها ستبقى كما كانت على هامش الامم قبل ذلك اليوم المشهود ، فى صحرائها المجدبة ، وقفارها الممحلة ، وعزلتها الطويلة .

فقد خلى هذا النص الموجز من اسمى اللذين صنعا هذه اللحظة بكل احتمالاتها غير المتناهية ، لانها لاتزال توجه حياة الناس الى اليوم ، وعلى الاقل ، حياة ثلث البشر ، باعتبار أن المسلمين قد بلغت عدتهم ألف مليون ، وهم والامم التى تعيش معهم كأقليات ، أو هم مع الامم التى يعيشون هم بين ظرهانيها كأقليه .

ولا اريد أن أضيف هنا أن خلو النص من الاسمين لم ينقص من معانى النص ومضمونه وتأثيره قليل او كثير ، فذلك أيضا موضع مناسب فى بقية البحث بمشيئة الرحمن وانما اريد أن أضع تحت نظرك ، نصوصا أخرى ، تحكى للناس ، حديث امور وقعت للمسلمين فى جهادهم ضد الشرك والمشركين . كانت من الوقائع الفاصلة . فى تاريخ هذا الجهاد ، وقد خلت هذه النصوص جميعا من الاسماء قاطبة ..

من ذلك ما جاء فى سورة الانفال عن واقعة « بدر الكبرى :

« واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله ان يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ، ليحق الحق ويبطل الباطل ، ولو كره المجرمون اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم انى ممدكم بالف من الملائكة مردفين ، وماجعله الله الا بشرى ، ولتطمئن به قلوبكم ، وما النصر الا من عند الله ، ان الله عزيز حكيم . اذ يغشيكم النعاس امنة منه . وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام » .

كما قال الله تعالى فى نفس السورة :

« .. يوم التقى الجمعان والله على كل شىء قدير ، اذ أنتم بالعدوة الدنيا ، وهم بالعدوة القصوى والركب اسفل منكم ، ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد ، ولكن ليقضى الله أمرا كان مفعولا ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة وان الله لسميع عليم ، اذ يريكهم الله فى منامك قليلا ، ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ، ولتنازعتم فى الامر ، ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور ، واذ يريكموهم اذ التقيتم فى أعينكم قليلا ، ويقللكم فى اعينهم ، ليقضى الله امرا كان مفعولا . والى الله ترجع الامور »

وعن واقعة « حنين » التى كاد المسلمون على كثرتهم يهلكون فيها ، لولا ثبات الرسول ، فى مكانه ، ودعوته للمسلمين ، وهو فى أخراهم ، ليثوبوا الى مواقعهم ، وليستأنفوا القتال ، عن هذه الواقعة قال الله تعالى :

« لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة . ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا ، وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ، ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ، وأنزل جنودا لم تروها ، وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين »

وعن واقعة « أحد » التى كانت فى مثل خطر الواقعتين الاخريين ، نزلت آيات ، منها ما يلى فى سورة ال عمران :

« واذ غدوت من أهلك تبوىء المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم ، اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا ، والله وليهما ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون ، ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة ، فاتقوا الله لعلكم تشكرون » .

ثم قال الله تعالى فى الموضع نفسه : « **وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم ، ليقطع طرفا من الذين كفروا او يكبتهم فينقلبوا خائبين** » وفى السورة نفسها قال الله تعالى :

اذ تصعدون ولا تلوون على احد والرسول يدعوكم فى اخراكم فأثابكم غما بغم ، لكيلا تحزنوا على مافاتكم ولا ما اصابكم ، والله خبير بما تعملون . ثم انزل عليكم من بعد الغم أمنة . نعاسا ، يغشى طائفة منكم ، وطائفة قد أهمتهم أنفسهم . يظنون بالله غير الحق ، ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الامر من شىء ، قل ان الامر كله لله يخفون فى أنفسهم ما لايبدون لك .. » ..

ثم قال تعالى :

« ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان ، انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ، ولقد عفا الله عنهم ، ان الله غفور حليم » .

وفى موضع آخر من السورة ، جاءت آيات ، فى صدد بعض ما جرى بين المسلمين بعضهم البعض ، وما جرى بينهم وبين الكفار والمنافقين :

« أو لما اصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم : انى هذا . قل : هو من عند أنفسكم ، أن الله على كل شىء قدير ، وما اصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله ، وليعلم المؤمنين ، وليعلم الذين نافقوا ، وقيل لهم تعالوا قاتلوا فى سبيل الله أو ادفعوا ، قالوا : لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان ، يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم والله أعلم بما يكتمون ، الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا ، لو اطاعونا ماقتلوا ، قل فادرءوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين » .

فاذا انتقلنا الى سورة الفتح ، ألفيناها تروى وقائع « الحديبية » ، اكبر الوقائع السياسية فى حياة المسلمين فى عهد الرسول قاطبة ، لانها مهدت لفتح مكة عاصمة الشرك ، ولدخول المسلمين فيها فى العام التالى لهذا الصلح ، وأنف الكفار راغم ، وقلوبهم تفيض بالغيظ المكتوم ، ونفوسهم تتمزق حرجا ، وضيقا بهذا النصر الذى لم يكلف محمدا عليه الصلاة والسلام ومن معه قطرة دم ، رأيت القرآن الكريم ، يروى تفاصيل هذه الموقعة الحاسمة ، واقعة فى أثر واقعة لايدع منها شيئا ، ومع ذلك يبقى كما تعهدنا بكتاب الله الكريم ، خاليا من الاسم والتاريخ ومن الوصف للرجال والاماكن ، ومن كل التفاصيل التى يعنى بها المؤرخ البشرى ، ويفرح بها ، ويطيل الوقوف امامها ويختلف فى شأنها مع زملائه وانه ادق قال الله تعالى فى أول سورة « الفتح »

« انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر ويتم نعمته ، عليك ، ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ، ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ، ولله جنود السموات والارض ، وكان الله عليما حكيما ».

ثم انتقل كتاب الله العزيز الى واقعة من أكبر وقائع هذا اليوم الباقى على الزمن كمعلم من معالم طريق دين المسلمين فقال :

« ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم ، فمن نكث فانما ينكث على نفسه ، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما ، سيقول لك المخلفون من الاعراب ، شغلتنا أموالنا وأهلونا ، فاستغفر لنا ، يقولون بالسنتهم ماليس فى قلوبهم ، قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان اراد بكم ضرا أو اراد بكم نفعا ، بل كان الله بما تعملون خبيرا بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم ابدا ، وزين ذلك فى قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا » .

ثم اورد الله بيانا للخطة التى كاد يفلت فيها زمام المسلمين من ايديهم ، ضيقا بلجاجة مشركى مكة ، وسوء مسلكهم، لولا ان الرسول عليه الصلاة والسلام، الزمهم كلمة التقوى وكبح جماح غضبهم ، قال تعالى :

« وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن اظفركم عليهم ، وكان الله بما تعملون بصيرا ، هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوفا ان يبلغ محله ، ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم ان تطئوهم ، فتصيبكم منهم معرة ، بغير علم ليدخل الله فى رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما ، اذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية ، حمية الجاهلية ، فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ، والزمهم كلمة التقوى ، وكانوا احق بها واهلها ، وكان الله بكل شئ عليما » .

لقد اكثرت نوعا ما من سوق الشواهد ، ليتضح بجلاء اسلوب القرآن الكريم ، وهو يروى التاريخ الذى رأى المسلمون ، واعداؤهم معا ، وقائعه **وتطوراته** : او سمعوا عنها ، من أهلهم وذويهم ، واصدقائهم وجيرانهم ، وليتضح أيضا ان هذا الاسلوب ذاته ، هو اسلوب الرواية القرآنية ، لانباء الغيب ، وتاريخ ما اندثر وزال من الامم والاقوام ، أو لاخبار الرسل ، واخبار ما عانوه ، وتجشموه فى الدعوة الى الحق ، والى مناهضة الباطل ، من عهد آدم عليه السلام ، الى أيام محمد خاتم النبين ، صلى الله عليه وسلم .

فالعناصر التى تتضمنها القصة أو الرواية القرآنية ، فى جميع الاحوال هى هى لا تتغير ولا تتبدل . فكل ما يخدم القصة او النبأ واظهار جوهرهما ، وارد فى القصة ، لا يحذف منه شئ ، ولا ينتقص فى قليل أو كثير ، وكل ما يخرج عن هذا الجوهر ، أو يعطل تأثيره أو ينتقص منه ، أو ينقله من مكانه ، بحيث يظهر عليه سواه ، أو بحيث يشاركه فى الظهور والوضوح غيره من العناصر ، لا تجده فى انباء واخبار القرآن الكريم ، سواء كان هذا النبأ طويلا ، متعدد الحلقات ، يمتد لزمن غير قصير ، وتتداخل فى تطوراته شخصيات كثيرة ، كقصة يوسف عليه السلام التى استأثرت بسورة كاملة او كاد من آيتين او ثلاث او عشرة كالانباء والاحاديث العديدة التى انتشرت فى سور القرآن .

وهذا المنهج القرآنى القويم ، يحقق غايات كثيرة ، قد نقف نحن الان على بعضها ، ولكن لا شك ان المتأملين والدارسين الذين سيأتون بعدنا ، سيرون فيها اكثر مما رأينا ، او غير ما رأينا .

ولكن الذى لا تخطوه البديهة او الفطرة ، أن تجريد اشخاص القصة القرآنية ، من ملابسات الزمان والمكان ، ومن الاسم والوصف والنعت ، تجعل هؤلاء الاشخاص ممثلين للانسان المطلق فى كل زمان ومكان : الانسان فى الموقف الذى تحكى الايات القرآنية وقائعه ، فلا يكون عربيا ولا اعجميا ، ولا يكون قديما ولا معاصرا ، اذ ان الثابت ، أن عواطف الانسان ومخاوفه ، وآلامه وأحلامه ، لا تتأثر كثيرا بالاقليم الذى يعيش فيه ، ولا بالعصر الذى يحيا خلاله ، فما يتغير فى الانسان بتغير الزمان والمكان ، هو المظاهر التى يتبدى فيها : الثوب الذى يرتديه ، والزى الذى يصطنعه ، واللغة التى يتكلم بها ، والمواصفات والتقاليد التى يلتزم بها ، أما ما يتصل بقلبه ووجدانه ، فثابت حتى نرى انفسنا ، فيما احس به ابونا ادم وامنا حواء ، فى الايام الاولى من فجر حياة البشر ، قبل ان يدب على سطح الكرة الارضية ، من ابناء ادم ، لا ولد ولا أنثى .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، فثبت ان كل ما يرد فى القصص من تعاريف واوصاف وتفاصيل ، هو قيود على خيال القارئ وتصوره ، بل ان مجرد الاسم الذى يطلق على بطل الرواية او بطلتها ، يقف حائلا فى انطلاق خيال القارئ او السامع فى حين ان

تقديم البطل ، بوقائع القصة التى اشترك فيها ، طلق أمامهما مجال التصور ، فيزداد القارئ او السامعة استمتاعا بالقصة او النبأ الذى يسمعه او يقرؤه ، وتزداد حريته فى استنباط المعانى منه ، واستخراج المدلولات والمفاهيم . ولما كانت الغاية لما أورده الله تعالى فى كتابه الكريم من الانباء والاحاديث هو شهية نفوس البشر ، لما يريده الخالق العظيم سبحانه لهم من السمو والارتقاء عن سبيل التأمل والاحساس ، والتلقى والاسترشاد ، فتجريد الاسماء من ملابسات الموقع والتاريخ ، أمعن فى تحقيق هذه الغاية ، وأفعل فى تحريك قوى النفس الانسانية ، المتخيلة والمدركة .

ولما كان هذا القرآن هو كتاب البشرية ، حينما نزل على النبى العربى صلى الله عليه وسلم وبعد ان يلحق بالرفيق الاعلى ، ثم بعد ذلك من أجيال وأحقاب وعهود ، وقد أصبح اليق بما فى هذا الكتاب من نبأ وقصة وحديث وذكر ، الا يحمل طابع أمة ولاعصر .

ولقد قرأت أخيرا بحثا قام به العالم الهندى المسلم مولانا أبو الكلام آزاد ، وزير المعارف فى حكومة الهند عقب استقلالها ، اداره واضعه حول ذى القرنين الذى ورد اسمه فى سورة « الكهف » ، وقد بذل مولانا ابو الكلام رحمه الله ، جهدا مشكورا فى اثبات ان المقصود « بذى القرنين هو الملك الفارسى قورش ، ولما فرغت من قراءة هذا البحث ، تساءلت هل ازداد ماجاء فى القران عن ذى القرنين بعد هذا المبحث الجليل ، تاثيرا أو وضوحا ، أم أن النص القرانى ، مع خلوه من البيان المحدد لشخصية وعصر وصفة « ذى القرنين المحكى عنه،مؤثر بالفاظه وبالاسلوب الذى سيقت به وقائع الجانب الذى رواه القرآن الكريم من حياة هذا الملك العظيم، وقد انتهيت بغير عناء الى النص القرآنى الذى يجهل شخص ذى القرنين ، فلا يضفى عليه وصفا ، ولايحدد له تاريخا ، ولايعين السامع على تبين المناطق التى كانت مجال نشاطه فى أرض الله الواسعة ، أفعل فى نفس الانسان ، من هذا المبحث وامثاله الذى تصرف ذهن القارئ عن جوهر كلام الله تعالى الى تفاصيل لاتقدم ولاتؤخر وهذا فى ذاته جانب من جوانب الله سبحانه فى الاسلوب الذى اصطنعه القرآن الكريم فى ايراد الانباء والاخبار

وقد عنون مولانا أبو الكلام آزاد بحثه بقوله : شخصية ذى القرنين فى القرآن » وبعد ان اورد الايات الواردة فى سورة البقرة والتى جاء فيها قول الله تعالى :

« ويسألونك عن ذى القرنين ، قل سأتلو عليكم منه ذكرا ، انا مكنا له فى الارض وآتيناه من كل شئ سببا » .

ثم قال ما مجمله :

ان ما ذكر فى الايات من خصائص « ذى القرنين » يتلخص فيما يأتى :

١ ـ ان الذين سألوا النبى عليه الصلاة والسلام عن ذى القرنين هم يهود المدينة وكانوا يسمونه « بذى القرنين » فهذا الاسم أطلقه السائلون ولم يطلقه القرآن الكريم .

٢ ـ انه كان ملكا هيأ الله له أسباب القوة ، وأنه خاض ثلاثة مهام حربية كبرى ، كانت احداها الى الغرب من بلاده ، والثانية شرقية ، والثالثة وصلت به الى مكان به مضيق جبلى يشن من ورائه قوم الغارات على أهل هذا المكان ، فأقام لهم سدا . يقيه غارات المغيرين ، وقد رفض أن يتقاضى منهم عن هذا العمل الفذ أجرا .

٣ ـ انه كان مؤمنا بالله وبالاخرة ، وكان لذلك عادلا رحيما .

ثم انتقل الى أقوال المفسرين المسلمين فى صدر الاسلام فقال ان اول ماشغل هؤلاء المفسرين اسم الرجل ولقبه ، اذ لم يعرف أن يكون لانسان قرن دع عنك أن يكون له قرنان ، فقال بعضهم ان القرن كان رمزا على طول حكم هذا الملك الذى امتد من نهاية قرن الى قرن تال ، وأقول ان القرآن الكريم يستعمل لفظ « قرن بمعنى الجيل « **الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من القرون** » « **ثم انشأنا من بعدهم قرنا آخرين** » المؤمنون « **ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا** » يونس .

ولما بدأ عهد جديد للبحث اتجهت اذهان بعض المؤرخين الى ملوك اليمن فظنوا أن ذا القرنين واحد منهم ، كما ان بعضهم كانوا يسمون«ذى الاذار» وقد ذهب الى هذا الرأى البيرونى وتابعه عليه ابن خلدون .

ثم جاءت طبقة يصفها العلامة أبو الكلام بانها أصحاب النظر فقال ان ذا القرنين هو الاسكندر الاكبر وقد كان ابن سينا أول من قال بهذا ، وأيده فى هذا القول الرازى وقد رفض العالم الهندى المسلم هذا الراى لانه لم يثبت فى التاريخ ان الاسكندر بنى سدا كالسد الذى جاء ذكره فى القرآن .

وانتهى الى القول بان ذا القرنين هو بذاته وشخصه «قوروش » الملك الفارسى الذى هزم بابل وأطلق سراح اليهود المأسورين فيها بعد أن هزمهم وسباهم بختنصر . وأيد هذا الرأى بأن السائلين كانوا من اليهود ، فلابد أن يكون ذا القرنين المسئول عنه على صلة ما بهم وبتاريخهم القومى . ولما كان « قوروش » هو الذى حررهم من الاسر ، وأعادهم الى الوطن ، فهو أقرب الملوك » لان يكون ذا القرنين فاذا أضفنا الى ذلك أن من أسفار التوراة المتداولة فى ايدى اليهود سفر دانيال ، وان دانيال النبى كانت له رؤى رأى فى احداها « كبشا واقفا على شاطئ النهر له قرنان عاليان ، وكان أحدهما منحرفا الى ظهره ، ورأيت الكبش ينطح بقرنيه شرقا وغربا وجنوبا لا قبل لحيوان بالوقوف أمامه » .

ولما سئل دانيال عن تفسير رؤياه قال ان الكبش ذا القرنين يمثل اتحاد جزئى مملكة فارس : ميديا وفارس .

وقد جاءت بعد ذلك نبوءات من أسفار التوراة منها نبوءات يشعياه ويرميا ، وقد ذكر فيهما اسم قوروش

باللفظ العبرى « خوروش » باعتباره المنقذ الذى سيخلص اليهود .

وقد ثبت عقيدة مولانا «أبو الكلام» على صحة استنتاجه ، كشف اثرى هام ، هو تمثال لقوروش بعينه وجدوه منصوبا فى مكان يبعد عن عاصمة ايران القديمة «اصطخر» نحو خمسين ميلا على شاطىء نهر « الرغاب » وقد سبق العالم الاثرى جيمس موريير وأخبر بوجوده ، ثم جاء بعد سنوات السير روبرت كير بورتو ونشر رسما للتمثال بقلم الرصاص ، وهذا التمثال فى طول القامة الانسانية ظهر فيه قوروش وعلى جانبيه جناحان كجناحى العقاب وعلى رأسه قرنان كقرنى الكبش . وقد ثبت ان لقوروش ثلاث هجمات واحدة فى الغرب ضد كروس ملك اليونان وكانت مملكته تدعى ليديا وموقعها الاناضول الحالى وكان هجومه التالى فى الشرق ضد قبائل همجية فى ولايتى جيدو ردبيا ، ويكتريا ، وهى تقع بين ايران والسند وهى التى تسمى الان بمكران وبلوخستان اما الهجمة التى بنوا فيها السد فقد كانت نحو الشمال اذ ذهب ليحصن حدود مملكته الشمالية مادا وهى منطقة ايران فى الشمال ، وهذه المنطقة تتاخم الجبال الفاصلة بين بحر الخزر وقزوين البحر الاسود ، وقد سميت فيما بعد هذه المنطقة بالقوقاز . وقد نزل توروش على نهر هناك يسمى

« البقية صفحة ٧٨ »

بقية مقال « تفسير سورة البقرة »

طبيعة انسانية فهو يعلمنا ان ندعوه ان لايحاسبنا على ما نسيناه ، وهو اذ يعلمنا ذلك فهو يبشرنا بقبول الدعاء ، شريطة أن لا يكون النسيان نتيجة الاهمال أو القصد فالانسان قد ينسى ما يرغب فى نسيانه ولذلك لا يكون النسيان هنا عذرا بل هو ذنب بلاجدال،أوشبهة وذلك شأن **الخطأ** ، فالانسان قد يبتغى بعمل ما ، صوابا ، ولكنه لا يأتيه على الوجه الصحيح فيقع خطأ فهذا هو الخطأ الذى يسامح الله فيه ، أما أن يخطىء الانسان اهمالا كأن يجهل عمل شىء وبقدرته أن يتعلم كيف يحسن صنعه ، فليس هذا هو الخطأ الذى لا يؤاخذ عليه .

فشرط عدم المؤاخذة عن النسيان والخطأ أن لا يكون التقصير اساسا أى منهما التقصير ، بمعنى ان لا يقع من الاعمال ايجابا أو سلبا ما يمكن أن يؤدى الى أى منهما ، وسيظل الاساس فى ذلك كله نية الانسان .

ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا .

الاصر : العبء الثقيل ، والاصر فى اللغة يعنى العهد ، جاء فى القرآن الكريم : « **وأخذتم على ذلكم اصرى** » ولكنها هنا فى هذا الموقع وفى سياق ما قبلها وما بعدها ، تعنى الشدة والثقل والضيق والغلظة ، وقد مر بنا خلال عرض السورة الكريمة ، تعنت اليهود ولجاجتهم وعنادهم مما كان يجعل الله سبحانه وتعالى يشدد عليهم ، وهكذا يوعز الله للمسلمين أن لا يكونوا كمن سبقهم فى الامم من حيث تشديد الله عليهم ، واذ كان الله سبحانه وتعالى قد حدث المؤمنين بماذا استحق بنو اسرائيل أن يشدد عليهم ، فعندما يعلم الله المؤمنين أن يضرعوا اليه أن لا يعاملهم معاملة من سبقهم فهو يعلمهم فى ذات الوقت أن يتجنبوا أخطاءهم التى أدت الى ما أدت اليه .

ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به .

ويمضى سبحانه فى توضيح أسس الدين ، على صورة الدعاء يتوجه به اليه المؤمنون ليكون ذلك أدعى الى تعميق المعنى فى نفوسهم ، فقد قام الاسلام على عكس مختلف الشرائع على عدم تكليف البشر ما لا يطيقون « يريد الله ليجعل عليكم من حرج وكل تعاليم الاسلام ميسرة ، حتى استخلص الفقهاء مبادىء عامة تطبق فى سائر الاحوال ، من مثل « **الضرورات تبيح المحظورات** » .

واعف عنا واغفر لنا وارحمنا .

واعف عنا : أى ارفع عنا عقاب ما نكون قد أذنبنا فيه مما لا نستطيع أن ندفعه عن أنفسنا بمقولة النسيان أو الخطأ أو أنه كان فوق الطاقة ، وهكذا يفتح الله الباب واسعا أمام العصاة الطامعين فى عفوه ورحمته ، والله سبحانه لا يغلق باب عفوه ورحمته أبدا فى وجه من يطلبها أيا كان ذنبه شريطة ان يتوب ، وأول شروط التوبة أن لا يعود الى المعصية .

جاء فى القرآن الكريم : **قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا** » .

أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين .

أنت مولانا : وهى هنا وفى خاتمة الدعاء تعنى منتهى الاستسلام والاحساس بالعبودية أى أن المؤمن بعد ان يبذل آخر ما عنده من الطاعات ثم يستغفر ربه عما يكون قد فرط فيه فهو يستسلم بعد ذلك لارادة مولاه وسيده يفعل فيه ما يشاء وهذا هو ذروة الايمان .

دنيا ودين :

وتنتهى السورة – أطول سورة فى القرآن – بما يكشف عن سر أعظم حضارة بشرية وهى الحضارة الاسلامية ، حيث يقوم الدين الاسلامى على صلاح الدين والدنيا معا ، فهو يعلمهم هنا ، أن يكونوا هم الاعلون « **وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين** » وأن يكونوا أعزة « **العزة لله ولرسوله وللمؤمنين** » بان تكون لهم الغلبة والنصرة على اعدائهم واعداء المسلمين فى الدرجة الاولى هم من يكفرون ويجحدون وينكرون الله « **فانصرنا على القوم الكافرين** » .

ثم بعون الله ونعمته تفسير سورة البقرة فالى اللقاء فى سورة آل عمران يوم أن يشاء الله ويرضى ويكون فى العمر بقية .

من دعاء الأنبياء

« ٥ » لوط

كان قوم لوط عليه السلام يرتكبون الفاحشة ، ويقترفون الخبائث ، وقد حذرهم لوط عقاب الله فعصوه وسخروا منه .

فلما يئس من طاعتهم دعا الله سبحانه وتعالى أن ينجيه من شرهم ومن العقاب النازل بهم ، فاستجاب الله دعاءه ، ودمر العصاة بحجارة من سجيل احدثت زلزالا عنيفا قلب أعالى القرية أسافلها . قال تعالى على لسان لوط : « قال انى لعملكم من القالين رب نجنى وأهلى مما يعملون . فنجيناه وأهله أجمعيـن الا عجوزا فى الغابرين . ثم دمرنا الاخرين » « ١ » . وقال سبحانه : « فأخذتهم الصيحة مشرقين . فجعلنا عاليها سافلها ، وامطرنا عليهم حجارة من سجيل ، ان فى ذلك لايات للمتوسمين ، وانها لبسبيل مقيم . ان فى ذلك لاية للمؤمنين » « ٢ » .

الدكتور أحمد الحوفى

« ٦ » أيوب

مرض أيوب عليه السلام ، واشتد مرضه وطال ، فضاق بما يجد ، فاستغاث ربه ان يشفيه ، ولم ينسب ما به الى ربه تأدبا ، بل نسب الى الشيطان ما يوسوس له من الجزع والضيق وتضخيم الالم ، فاستجاب الله استغاثته ، وأوحى اليه أن يضرب الارض برجله ، فضربها ، فنبعت عين ، فقيل له : هذا ماء تغتسل به وتشرب منه فتبرأ أو نبعت له عينان ، فاغتسل من احداهما ، وشرب من الاخرى فشفاه الله .

وبعد هذا وهب الله له أهله الذين كانوا تخلوا عنه أيام محنته ، ووهب له مثلهم معهم ، رحمة به ، وعظة للعقلاء الذين يعرفون ما كان قد ابتلىبه ، لكنه صبر ، وكان الخير عقباه .

قال تعالى : « واذكر عبدنا أيوب اذ نادى ربه أنى مسنى الشيطان بنصب وعذاب . اركض برجلك ، هذا مغتسل بارد وشراب . ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لاولى الالباب »سورةص ٤١ ـ ٤٢

وقال سبحانه : « وأيوب اذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين . فاستجبنا له ، فكشفنا ما به من ضر ، وآتيناه أهله ومثلهم معهم ، رحمة من عندنا وذكرى للعابدين » سورة الانبياء ٨٣ ـ ٨٤

« ٧ » يونس

بعث الله تعالى يونس عليه السلام الى أهل نينوى ، فكذبوه ، فضاق بهم ، فتركهم ، وركب سفينة مكتظة بالناس ، فلما سارت فى البحر اضطربت وأشرفت على الغرق ، وكانت الوسيلة الوحيدة لنجاة الركاب أن يخففوا ما تحمل السفينة فرموا أمتعتهم فى البحر ، ولكن ذلك لم يكفل سلامة السفينة ، فلم يكن بد من القاء بعض الركاب فى البحرليسلم الاخرون ، فاقترعوا على من يلقى ، فكان يونس ممن أصابتهم القرعة ، فألقى فى البحر ، فالتقمه الحوت .

وان يونس للوم على فراره من ميدان الدعوة الى توحيد الله ، وملوم على ركوبه سفينة مكتظة وتعريض نفسه للهلاك . لكن يونس استغاث بالله وهو فى بطن الحوت ، وسبح به ، واعتمد عليه ، فاستجاب الله استغاثته ، ولفظه الحوت سليما بقدرة الله تعالى وارادته وحكمته ولطفه « ٣ »

قال تعالى : « وذا النون اذ ذهب مغاضبا ، فظن ان لن نقدر عليه . فنادى فى الظلمات أن لا اله الا أنت ، سبحانك ، انى كنت من الظالمين . فاستجبنا له ، ونجيناه من الغم ، وكذلك ننجى المؤمنين » « ٤ » .

وقال سبحانه : « وان يونس لمن المرسلين اذ أبق الى الفلك المشحون . فساهم فكان من المدحضين فالتقمه الحوت وهو مليم . فلولا انه كان من المسبحين للبث فى بطنه الى يوم يبعثون . فنبذناه بالعراء وهو سقيم . وأنبتنا عليه شجرة من يقطين . وأرسلناه الى مئة ألف أو يزيدون » « ٥ » .

وقال تعالى للنبى عليه الصلاة والسلام : « فاصبر لحكم ربك ، ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم . لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم . فاجتباه ربه فجعله من الصالحين » « ٦ » .

« ٨ » شعيب

بعثه الله تعالى الى أهل مدين بشمالى الحجاز وجنوبى الشام ، وكانوا يعبدون غير الله ، ويطففون

الكيل والميزان ، ويبخسون الناس سلعهم . ولكنهم كذبوا شعيبا عليه السلام ، وعصوه ، وهددوه هو ومن صدقوه بالطرد من المدينة .

فدعا شعيب ربه أن يفصل بينه وبين قومه ، وأن ينصره عليهم ، فاستجاب الله دعاءه ، وأهلكهم بزلزال شديد أبادهم ، ونجى شعيبا وأتباعه .

قال تعالى : « **قال الملأ الذين استكبروا من قومه : لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا ، أو لتعودن فى ملتنا ، قال : أو لو كنا كارهين ؟ قد افترينا على الله كذبا ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا الله منها ، وما يكون لنا أن نعود فيها الا أن يشاء الله ربنا ، وسع ربنا كل شئ علما ، على الله توكلنا ، ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق ، وأنت خير الفاتحين ، وقال الملأ الذين كفروا من قومه : لئن اتبعتم شعيبا انكم اذن لخاسرون . فأخذتهم الرجفة ، فأصبحوا فى دارهم جاثمين . الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها . الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين** » «٧»

« ٩ » **موسى**

اختاره الله تعالى رسولا ، فدعا ربه أن يشرح له صدره ويسهل عليه النهوض بواجبه ، ويهب له طلاقة فى اللسان ومقدرة على البيان ، وأن يؤيده بأخيه هارون ، ليكون وزيرا له ينصره ويشاركه فى الدعوة الى وحدانية الله تعالى ، فآتاه الله كل ما سأل ..

قال تعالى فى قصة موسى عليه السلام : « **قال : رب اشرح لى صدرى ، ويسر لى أمرى ، واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى ، واجعل لى وزيرا من أهلى هارون أخى ، أشدد به أزرى ، وأشركه فى أمرى ، كى نسبحك كثيرا ، ونذكرك كثيرا ، انك كنت بنا بصيرا . قال : قد أوتيت سؤلك يا موسى** » سورة طه ٢٥ ــ ٣٦

وبعثه الله الى فرعون ليدعوه الى عبادة الله تعالى ، وأيده بمعجزات ، ولكن فرعون استكبر وطغى ، فابتلى الله فرعون وقومه بألوان من العذاب والنذر ، فكانوا فى كل مرة يلجأون الى موسى ليدعو ربه أن يكشف عنهم ما ابتلاهم به ، ويعدونه أن يؤمنوا بالله ، ثم لا يلبثون أن ينكثوا عهدهم ، ويعودوا الى كفرهم .

قال تعالى : « **ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون . فاذا جاءتهم الحسنة قالوا : لنا هذه ، وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ، الا انما طائرهم عند الله ، ولكن اكثرهم لا يعلمون . وقالوا : مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها ، فما نحن لك بمؤمنين . فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ، آيات مفصلات ، فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين . ولما وقع عليهم الرجز قالوا : يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك ، لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ، ولنرسلن معك بنى اسرائيل . فلما كشفنا عنهم الرجز الى أجل هم بالغوه اذا هم ينكثون** » «٨»

وكانت عقوبتهم استجابة لدعاء موسى عليه السلام فى قوله : « **ربنا اطمس على أموالهم ، واشدد على قلوبهم ، فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم . قال : قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون** » سوره يونس ٨٨ ــ ٨٩

---

(١) سورة الشعراء ١٦٨ ــ ١٧٢ القالين : الهاجرين الكارهين ــ الغابرين : الهالكين . العجوز : امرأة لوط

(٢) سورة الحجر ٧٣ ــ ٧٧ ــ مشرقين : مغتربين من شروق الشمس أو هم نيام . سجيل : طين متحجر ــ المتوسمين : المتعرفين سبيل مقيم : طريق ثابت يمر به الناس فى كل وقت .

(٣) ربما كان هذا الحوت مثل حوت العنبر الذى يبلغ طوله نحو عشرين مترا ويمكنه ان يبتلع حيوانات ضخمة قد يزيد طولها على ثلاثة أمتار وقد شوهد مرارا فى البحر الابيض المتوسط . وربما كان من الهركولات الضخام ومنها الهركول الذى يرتاد البحر الابيض المتوسط وقد يبلغ طوله عشرين مترا فبقى يونس فى فمه الواسع بين صفائح البالين المتدلية فى سقفه الى ان لفظه لان حلقه لا يتسع لابتلاع رجل

(٤) سورة الانبياء ٨٧ ــ ٨٨ . النون : الحوت

(٥) سورة الصافات ١٣٩ ــ ١٤٧ . المدحضين : الذين لم يفوزوا فى القرعة

(٦) سورة القلم ٤٨ ــ ٥٠ . اجتباه : اختاره

(٧) سورة الاعراف ٨٨ ــ ٩٠ . الرجفة : الزلزال الشديد . لم يغنوا فيها : لم يقيموا فيها

(٨) سورة الاعراف ١٣٠ ــ ١٣٥ . ابتلاهم الله بالجدب بان فاض النيل فقلت ثمراتهم لعلهم يتوبون الى ربهم لان الناس فى الشدائد الين نفوسا واخشع قلوبا وابتلاهم الله بفيضان عال يغرق أو بمطر مدرار وقت النضج وبعث عليهم الجراد فأكل زرعهم وسلط عليهم القمل وهو السوس أو حشرة تشبهها فأكل حصادهم وعاقبهم بالضفادع التى ملأت بيوتهم وأصابهم بالدم رعافا من انوفهم وعذبهم باهلاك أموالهم .

إيّاك نعبد وإيّاك نستعين

قلت فى المقال السابق : ان مقام السالكين ينتهى عند [اياك نعبد] ثم بعد ذلك يطلبون التمكين ...

وذلك أن الحمد مبادى حركة المريد ، فان نفس السالك اذا تزكت ومرآة قلبه اذا انجلت فلاحت فيها أنوار العنايه الموجبه للولاية — تجردت النفس الزكية للطلب ، فرأت آثار نعم الله تعالى عليها سابغة ، وألطافه غير متناهيه فحمدت على ذلك وأخذت فى الذكر فكشف لها الحجاب من وراء أستار العزة عن معنى رب العالمين فشاهدت ما سوى الله سبحانه على سرف الفناء مفتقرا الى المبقى ، محتاجا الى المربى فترقت لطلب الخلاص من وحشة الادبار ، وظلمة السكون الى الاغيار ، فهبت لها من نفحات جنات القدس نسائم ألطاف الرحمن الرحيم ، فعرجت للمعان بوارق الجلال من وراء سجاف الجمال الى الملك الحقيقى ، فنادت بلسان الاضطرار فى مقام [لمن الملك اليوم ؟ لله الواحد القهار] .

الدكتور محمد عبد المنعم القيعى

أسلمت نفسى اليك ، واقبلت بكليتى عليك ، وهناك خاضت لجة الوصول وانتهت الى مقام العين فحققت نسبة العبودية فقال : (اياك نعبد) وهنا ينتهى مقام السالك .. ثم بعد ذلك يطلب التمكين بمعونة الله ..

ولما شرح الله تعالى صدر عبده وأفاض على قلبه نور الايمان والاسلام من عنده ، ترقى بذريعة الحمد المستجلب لمزيد النعم الى رتبة الاحسان وهو (ان تعبد الله تعالى كانك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك) .

وايضا حقيقه العبادة انقياد النفس الامارة لاحكام الله تعالى ، وصورته وقالبه الاسلام ، ومعناه ، وروحه الايمان ، ونوره الاحسان ..

وفى (نعبد) والالتفات الى الخطاب — تتم الامور الثلاثة ..

ولما تبين أنه ملك فى الازل ما فى أحايين الابد ، علم ان الشاهد والغائب ،والماضى والمستقبل ،بالنسبة اليه على حد سواء — فلذلك عدل عن الغيبة الى الخطاب ..

والايات السابقه فى الثناء ، وهو فى الغيبة أولى ، والايات الباقية فى الدعاء وهو أولى بالخطاب ..

وفى النظم الكريم اشارة الى ان من لزم جادة الادب والانكسار ورأى نفسه بعيدا عن ساحة القرب لكمال الاحتقار فهو حقيقى ان تدركه رحمة الهية ، وتلحقه عناية ازلية تجذبه الى حظائر القدس ، وتطلعه على سرائر الانس ، فيصير واطئا على بساط الاقتراب ، فائزا بعز الحضور وسعادة الخطاب ..

ومن أدب المحب تحمل المشاق العظيمة فى حضور المحبوب — قرن سبحانه العبادة بما يشعر بحضوره ، ليأتى بها العابد خالية عن الكلال ، عارية عن الفتور والملال ، مقرونه بكمال النشاط ، موجبة لتمام الانبساط

واذا آل أمر العبد الى ملازمة الاذكار ، ارتفعت الحجب والاستار ، واضمحلت جميع الاغيار ، واصبح لم يبق فى نظره سوى المعبود الحق والجمال المطلق ، يناجيه : (اياك نعبد) ..

واذا قامت القيامة على ساق ،وكان الى ربك يومئذ المساق ، فهنالك يفوز المؤمن بلذة الحضور ، ويتبلج جبينه بانوار الفرح والسرور ويخلو به الديان وليس بينه وبينه ترجمان ، ويكشف الحجاب ، وتدور بين الاحباب كؤوس الخطاب : (اياك اياك) ..

فاللهم اغرقنا فى بحار مشاهدتك ، ومن علينا بخندريس وحدتك ، حتى لا نحدث الا عنك ، ولا نسمع الا منك ولا نرى الا اياك ..

اليك والا لا تشد الركائب
ومنك والا فالمؤمل خائب
وفيك والا فالغرام مضيع
وعنك والا فالمحدث كاذب

ثم قوله : (نعبد) يحتمل ان يكون من العبادة ومن العبودة ، والعبادة وهى العابدية .. والعبودية هى العبدية ..

ومن العبادة : الصلاة بلا غفلة ، والصوم بلا غيبة ، والصدقة بلا منه ، والحج بلا اراءة ، والغزو بلا سمعة ، والعتق بلا اذية ، والذكر بلا ملالة ، وسائر الطاعات بلا آفة .

ومن العبودة : الرضا بلا خصومة ، والصبر بلا شكاية ، واليقين بلا شبهة ، والشهود بلا غيبة ، والاقبال بلا رجعه ، والايصال بلا قطيعة ..

وهذه العبادة او العبودة لا تقبل ، بل ولا تصح الا بعد اليقين باحقية المعبود لكل من العبادة التى يدعى صاحبها بالعابد ، والعبودية التى يدعى صاحبها بالمتعبد ، والعبودة التى يدعى صاحبها بالعبد ..

واقسام العبادة عشرة ، كما ان الاعتقادات السابقة على العبادة عشرة . فالمعتقدات :

١ — الذات الازلية الابدية المنعوتة بصفات الجلال والاكرام ، فهو الاول ، والاخر ، والظاهر ، والباطن .. أى الاول بوجوده ، والاخر بصفاته وافعاله ،والظاهر بشهادته ومكوناته ، والباطن بغيبه ومعلوماته ..

٢ — التقديس عما لا يليق بكماله ، او يشين بجماله من النقائص والرذائل

٣ — القدرة الشاملة للممكنات .

٤ — العلم المحيط بجميع المعلومات حتى بدبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء ، وما هو أخفى منه ، كهواجس الضمائر

« البقية ص ٣٦ »

أصحاب الكهف والرقيم

الدكتور عبد الغني الراجحي

كهف أصحاب الكهف والرقيم ، دارت حوله في الايام الاخيرة عدة بيانات ومقالات متتابعة على صفحات بعض الجرائد اليومية ، كان أولها ما أذاعته ادارة الاثار الاردنية من عثورها على هذا الكهف بالاردن ، جنوب شرقي عمان بسبعة كيلو مترات . بدعوى ان الجماجم التي عثروا عليها هي هذا المكان سبعة ، وان معها جمجمة كلب ، وان الكهف قريب من بلدة قسمى الرقيم ، ثم كان فى آخريات تلك المقالات عدة تحفظات من بعض الباحثين وعلماء الاثار فى مصر تتلخص فى أنه لا يمكن الحكم اليقيني على هذه الجماجم ونسبتها الى أهل الكهف الا بعد استعمال الكربون الاشعاعى لمعرفة من أى عصر وتاريخ هذه الجماجم .

واحب اليوم ومى هذا المقام والمقال ان اعزز هذه التحفظات وأضيف اليها مناقشات وتحفظات اخرى فى اصل الموضوع من الوجهة القرآنية والتفسيرية« فعلماء اثار الاردن يعززون رايهم مستدلين على صحته بوجود هذا الكهف بجوار قرية تسمى الرقيم ، وقد جاء فى القرآن أنهم أصحاب الكهف والرقيم ». وأحب أن أقرر ان الرقيم فى الاية الكريمة لا يتحتم ان يكون هو القرية . ولا أن يكون اسما لقرية لانه قيلت فيه أقوال اخرى كثيرة كالقول بأنه اسم للكلب الذى كان معهم ، لانه كان مرقما ببقعتين من اللون الابيض ، والقول بأنه اسم للوح كتبت فيه اسماؤهم ، والقول بانه اسم للجبل لان ميه رقمتين اى بقعتين من اللون الابيض ، والمادة كلها ترجع الى معنى الرقم والترقيم والرقم والمرقوم وذلك كله يمكن صرفه الى غير البلدة ». وعلى ذلك فلا دلالة فى هذه النقطة على أن هذه الجماجم لاصحاب انكهف الحقيقيين . ثم يقول علماء آثار الاردن ان الجماجم سبعة معها جمجمة كلب وهذا فى نظرهم يدل على أنهم أصحاب الكهف .

ولكنه فى نظرى دليل على أنهم ليسوا أصحاب الكهف لان القرآن صريح فى أن الكلب لم يكن معهم فى الكهف ولكنه كان بالوصيد . كما قال تعالى « **وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد** » والوصيد كما يقول العلماء هو المدخل الى الكهف . أو هو باب الكهف او عتبة باب الكهف ، وكل ذلك يعيد عن اجسادهم وجماجمهم ثم ان الذى يراجع كتب التفسير لهذه القصة ، يجد شبه اجماع من المفسرين على أن هذا الكهف لابد أن يكون قريبا من البلدة التى هربوا منها وهى بلدة طرسوس بين سورية وتركيا شمالى الاولى وجنوبى الثانية وكان ذلك أيام دقيانوس الملك الرومانى الضال ، الذى كان يحكم هذه النواحى . ومن يتعمق فهم الكلمات القرآنية التى تصف كهفهم وتقول فيه « **وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم فى فجوة منه** » فانه لابد أن يحكم بأن الاقرب الى الصواب على ضوء هذا الوصف ان يكون هذا الكهف قرب طرسوس لا قرب عمان فى

الاردن ، فان طرسوس تقع على الخط الاربعين تقريبا من خطوط العرض الجغرافية ومعلوم ان الشمس لا تتعدى شمالا مدار السرطان الذى هو خط ٢٢ فلابد ان يكون تسلطها على الخط اربعين مائلا يمينا عند الشروق وشمالا عند الغروب فلا تصل الشمس اطلاقا لا صيفا ولا شتاء الى باب الكهف المفتوح الى جهة الشمال ، والمحاذى لبنات نعش كما يقول المفسرون . بخلاف ما لو كان الكهف جنوب عمان فأن الشمس تستطيع ان تطوق الكهف وتدخل بابه لانها عليه لا سيما فى الصيف قريبة من العمودية . فلا تزاور عنه ، كما نطق القرآن . ثم ان كثيرا من كتب التفسير قد حذرت من الانخداع فى أقوال كثير من الناس فى كثير من النواحى والبلدان تزعم ان الـكهف فى حوزتهم ويعرضون على انظار الناس جثثا محنطة فى كهوف ومغارات يجعلونها مزارات ربما درت عليهم الارزاق . وكذلك روت كتب التفسير ان معاوية اثناء الفتح الاسلامى فى بلاد الروم ، قيل له ان هذا هو كهف أصحاب الكهف ، فقال الا نستطيع ان ننظر الى من فيه فقال له ابن عباس ان الله قد قال لمن هو خير منك « **لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا** » كأنما لله ارادة فى أن تظل جثثهم فى قبرهم بمنأى عن أن تصل اليهم الايدى اوتعبث بهم عيون الناس ، وهذا من تعظيم الله لاقدارهم العلية ، الامر الذى قد يؤخذ من القصة فى قوله تعالى **وكذلك اعثرنا عليهم ليعلموا ان وعد الله حق . وان الساعة لا ريب فيها اذ يتنازعون بينهم امرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم ، قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا** فقد أعثر الله الناس على كهفهم . ليعلم الناس انهم بعد ثلاثمائة سنين وتسعا احياء يرزقون ، يشترون الطعام ويمشون فى الاسواق ، فوعد الله حق ، وكذلك تكون الساعة يوم القيامة والحياة فيها مهما طال المدى على الاموات فى قبورهم وقد أخذ الناس يختلفون فى شأنهم عقب العثور عليهم ولم يقل احد نقتحم كهفهم او نخرج جثثهم ، بل قال بعضهم نبنى عليهم بنيانا فلا يصل اليهم احد ، وقال آخرون نبنى عليهم مسجدا يؤدى هذا الغرض ويعبد فيه الله الذى أكرمهم ، واذا كان ذلك كذلك فلنترك نحن المتاخرين أهل الكهف وما هم فيه من غموض وهيبة وجلال فربما كان فى استخراج جثثهم وعظامهم وجماجمهم نوع من المهانة . والذى يراجع قصتهم فى سورة الكهف ويعطيها مزيدا من التامل ، فانه لا محالة واجد ان كثيرا من الغموض والابهام ورد العلم فى شأنهم الى الله يسود القصة من ألفها الى يائها فالله يقول فيهم « **وتحسبهم ايقاظا وهم رقود** » ثم يقول « **لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا** » لماذا ؟ . هيبة وجلال ، وميزة تصرف الناس عنهم وهم نيام ، صيانة لهم واكراما ، وحفظا ، ثم هم بعد يقظتهم فى كهفهم فى غموض واختلاف كم بعثوا ؟ يوما او بعض يوم ، قالوا ربكم أعلم بما لبثتم ، والناس بعد العثور عليهم يتنازعون أمرهم بينهم أيجعلون عليهم بنيانا أم مسجدا ؟ والناس فى عددهم مختلفون ثلاثة رابعهم كلبهم ، ام خمسة سادسهم كلبهم ام سبعة وثامنهم كلبهم لا ويعقب القرآن على ذلك بقوله تعالى « **قل ربى أعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل فلا تمار فيهم الامراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا** » وفى مدة لبسهم فى الكهف يقول سبحانه « **قل الله اعلم بما لبثوا ، له غيب السموات والارض ابصر به واسمع ما لهم من دونه من ولى ، ولا يشرك فى حكمه احدا** » ومن اجل هذه الغموضات والابهامات التى تموج بها هذه القصة العجيبة « بدأها الله بقوله تعالى » **أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا** » ومن اجل ذلك أيضا اختارها اليهود لتكون موضع سؤال واختبار لرسول الله فى صدقه فى رسالته فان قريشا والنبى ما زال فى مكة قبل الهجرة سالوا يهود يترب عنه صلى الله عليه وسلم اصادق هو ام كاذب باعتبار ان اليهود أعلم بشئون الديانات من العرب ، فأشارت عليه اليهود ان يسألوه عن ثلاثة أشياء ان أجاب عنها كلها فليس بنبى او سكت عنها كلها فليس بنبى ، أو أجاب عن بعضها وسكت عن البعض فهو نبى ، سلوه عن الروح وما هى ، وعن فتية مضوا فى الدهر الاول وكان شانهم عجبا ، وعن ملك طواف بلغ مشارق الارض ومغاربها فسألوه فقال اجيبكم غدا ولم يقل ان شاء الله ، فابطأ عليه الوحى اياما كثيرة حتى شمت فيه اعداؤه ثم نزلت هذه القصة وفى ثناياها وبين آياتها قوله تعالى لحبيبه صلى الله عليه وسلم « **ولا تقولن لشىء انى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت ، وقل عسى أن يهدين ربى لاقرب من هذا رشدا** » ونزلت قصة ذو القرنين فى نفس السورة « **ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا** » ونزل فى الروح قوله تعالى « **ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى ، وما أوتيتم من العلم الا قليلا** » .

فى هذا المقام وبهذه المناسبة من البحث عن مكان ورد ذكره فى القصة القرآنية نستطيع أن نقول أن الظاهرة القرآنية فيما يتعلق بالمكان فى القصة القرآنية هى ان القصة محافظة منها على اعجازها وبلاغتها واصابة اهدافها ومؤثراتها الوجدانية من أقرب طريق . تبتعد بنفسها عن طبيعة عمل المؤرخ وثرثرته والتغلغل والتعمق فى وصف الامكنة وتحديد الازمنة ووصف الشخصيات بأمور جزئية وصغيرة . فالامكنة تذكر فى القصة القرآنية مجملة ، وعلى من اراد التعمق . والجرى وراء الحقائق الجغرافية الدقيقة ، مليفعل ، وأن القصة القرآنية تأتى بأمكنة واشياء غيبيـة مجملـة وتترك للعقل البشرى مجالا واسعا وخصبا ليعمل فيه ويتكامل العقل مع ما ورد فى النقل ، والواقع أن الدراسات القرآنيـة لا سيما ما يتعلق بالقصة القرآنية فى مزيد حاجة الى مزيد دراسة وبحث وتدقيق وتحقيق لما أجملته القصة من

« **البقية ص ٤٢** »

العلم في القرآن

وفي السماء رزقكم وما توعدون

● الدكتور أحمد حسين القفل ●

يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم ؟

● هل تعلم أن رزقك بل حياتك معلقة بقطرة ماء ؟ هي بدورها معلقة بين السماء والارض ؟ يملكها الله ولا تملكها أنت ؟

● ثم هل تعلم أن رزق حيواناتك بل وحياتها معلقة بقطرة ماء ؟ هي بدورها معلقة بين السماء والارض ؟ يملكها الله ولا تملكها أنت ؟

● ثم هل تعلم ان حياة مزروعاتك ومنها رزقك ورزق حيواناتك معلقة بقطرة ماء هي بدورها معلقة بين السماء والارض

● ثم هل تعلم ان هذه القطرة من الماء : التى فيها حياتك وحياة كل الاحياء من حولك ، تنزل من السماء بقدر ، انت لا تملكها ، ولكن يملكها الذى خلق السموات والارض وما بينهما ان شاء انزلها مباركة تحيى زروعا ونفوسا : وان شاء انزلها فيضانا يغرق ، وان شاء امسكها فكان الجفاف الذى تشرق ويحرق .

ايها لانسان « أم من هذا الذى يرزقكم ان امسك رزقه بل لجوا فى عتو ونفور » .

● اذا لم تكن قد علمت فاعلم ان هذه القطرة من الماء هى فى الاغلب الاعم نعمه سابغة من الله . بل انها اجل نعمة ، فالانهار التى تجرى بما ينفع الناس ، والحياة بكل صنوفها من حيوان ونبات وناس ، والابار والعيون التى تنضح ماء لمنفعة البشر ، كل هذا مرتبط بهذه القطرة من الماء التى تنزل من السماء الى الارض .

● وقد تكون هذه القطرة نقمة ، يريدها الله فيضانا متلفا مغرقا ، تضيع فى خضمه الزروع والانفس ، أو يمسكها رب السماء عن أن تنزل : فاذا بالجفاف يدمر فيموت الزرع ويجف الضرع وتهلك الانفس الا من عصم الله .

وقد ضمن الله الرزق والامن ، لمن يتبعون منهجه ، ولايحيدون عن صراطه المستقيم وسبيله القويم كما توعد المنحرفين الحائدين عن الجادة والمتجاوزين لحدود الله ، توعدهم بالجوع والخوف بدلا من سعة فى الرزق والاطمئنان فى الامن . يقول تعالى :

« فليعبدوا رب هذا البيت ، الذى أطعمهم من جوع ، وآمنهم من خوف » .

● ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا . لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ، ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون » .

● « وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان . فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون » .

● « وكيف أخاف ما أشركتم ، ولا تخافون انكم اشركتم بالله ، ما لم ينزل به عليكم سلطانا ، فأى الفريقين أحق بالامن ان كنتم تعلمون . الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الامن وهم

مهتدون » .

ويتراءى لبعض الجاهلين والغافلين ، أن الله يبسط الرزق لقوم لا يستحقونه . فهم يكفرون بأنعم الله ، ويكفرون بمنهجه ومع ذلك يغدق عليهم ، ويفتح لهم أبواب الرزق المغلقة ، ويضربون الامثال بتقدم وحضارة ويسر فى غرب وشرق ، وضيق وعسر فى بلاد مسلمة . والاجابة على ذلك سهلة ميسورة :

ا - اما الذين يبسط الله لهم فى الرزق وهم له غير مطيعين ولمنهجه سبحانه غير مطبقين فان الله بذلك يمتحنهم ويلزمهم الحجة يمهلهم ولا يهملهم حتى اذا ان الاوان اخذهم اخذ عزيز مقتدر . يقول سبحانه:

● **« فلما نسوا ما ذكروا به ، فتحنا عليهم ابواب كل شيء ، حتى اذا فرحوا بما اوتوا ، أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون . فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين » .**

● **« حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت ، وظن اهلها انهم قادرون عليها اتاها امرنا ليلا أو نهارا ، فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالامس » .**

● **« واملى لهم أن كيدى متين » .**

● **« ولولا أن يكون الناس امة واحدة ، لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون . ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون . وزخرفا . وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والاخرة عند ربك للمتقين » ..**

● **« انما اموالكم واولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم » .**

ب - اما الضيق والعسر فى بلاد مسلمة . فلان الاغلبية فيها حادت عن الطريق المستقيم ، اتخذوا الههم هواهم . جرفهم تيار المدنية . واغراهم الشيطان ببعض أعمال غيرهم فقلدوها تقليدا اعمى ، أغمضوا عيونهم عن ذكر الله وعن الصلاة ولم ينتهوا ، فأخذهم الله بذنوبهم وسلط عليهم غيرهم . فنزلت بهم النقمة نعم الصالح والطالح . يقول المولى جل وعلا :

● **« يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ، واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تحشرون . واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ، واعلموا أن الله شديد العقاب » .**

● **« ولقد أرسلنا الى امم من قبلك . فأخذناهم بالبأساء والضراء . لعلهم يتضرعون فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ماكانوا يعملون » . « وما أرسلنا فى قرية من نبى الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون . ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا . وقالوا قد مس اباءنا الضراء والسراء . فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون » .**

ويؤخذ من السياق السابق للقران الكريم ان المسلمين لو رجعوا الى خالقهم ، وعرفوا الا ملجأ من الله الا اليه ، وتمسكوا باوامره ، وانتهوا عما نهى الله عنه ، لو فعل المسلمون ذلك ، لبدل الله حالهم الى احسن حال ، ولعادت اليهم هيبتهم ومكانتهم وعزهم وغناهم وأمنهم . ولوسع الله عليهم فى الرزق ، وفتح لهم بركات من السماء والارض . مصداقا لقوله تعالى :

● **« ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، واذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له ، وما لهم من دونه من وال » ..**

ولكن كيف يكون الرزق فى السماء؟ وما تفسير ذلك علميا ؟

ولد النبى الامى فى القرن السادس الميلادى ٥٧١ م وبعث نبيا ورسولا فى سن الاربعين وارسل اول ما ارسل فى بيئة صحراوية وفى واد غير ذى زرع ، وقد بعث للناس كافة . وانزل عليه بعد ذلك قرانا عربيا غير ذى عوج ، أنزل منجما حسب مقتضيات الاحوال والظروف وعلى قوم من البدو ان كانوا فى أكثريتهم يجيدون اللغة العربية فصاحة وبلاغة ، فان علوم الدنيا لم يكن لهم منها نصيب يذكر ، شأنهم فى ذلك شأن بقية الناس المعاصرين لهم ابان القرون الوسطى .

الناس كل الناس فى هذا الوقت يحصلون على الماء الفرات العذب يغترفونه من نهر او نحوه ، او من عين ماء او بئر . لا يعرفون له مصدرا الا الارض التى تحمله على سطحها أو فى باطنها . انهم يشاهدون الماء هكذا . هذه هى كل معلوماتهم عن مصدر الماء . أما المطر الذى يهطل عليهم احيانا، ولمدة تطول او تقصر ، فانه بالنسبة لهم شيء عارض . يضيع اثره وتمحى معالمه - فى نظرهم - ربما بعد توقف هطوله او بعد حين . البعض يزرع على المطر شيئا من النبت . نحن الكثير بل الجميع يجهل ان المطر هو مصدر الانهار التى تجرى وقد تفيض . ومصدر المياه الجوفية فى الارض . ذلك لان منابع الانهار لم تكن قد اكتشفت بعد ، والعلم لم يتوصل بعد الى معرفة دورة الماء فى الطبيعة .

لم تكن دورة المياه فى الطبيعة قد عرفت أو اكتشفت بعد . فالعلماء فى عصر بداية الاسلام وبعده بعشرات السنين لم يكونوا قد توصلوا الى معرفة هذه الدورة فى الكون . وليس أمام أعين الناس الا ماء أجاج « مالح » تعج به البحار والمحيطات أما الماء العذب فهم يجدونه هكذا فى الانهار والابار والينابيع . يهرعون اليه حين يجدون حاجتهم ماسة لسقيا انفسهم او حيواناتهم او مزروعاتهم ، فالارض هى التى تمدهم به حسبما يشاهدون ، وظل ذلك اعتقادهم ردحا كبيرا من الزمان .

وظل الحال على هذا المنوال ملايين السنين قبل نزول القران وعشرات من السنين بعد نزوله . وحين اكتشف العلماء وتوصلوا الى معرفة دورة المياه فى الطبيعة هللوا وكبروا . وحق لهم ان يفعلوا . ولكنهم ما دروا ان القران الكريم ، قد سجل قبلهم هذه الدورة تسجيلا واضحا جليا ودقيقا ، سجلها قبل أن يتوصل الى معرفتها هؤلاء العلماء بزمن طويل . يقول الحق تبارك وتعالى :

● « **أفرأيتم الماء الذى تشربون ؟ أأنتم انزلتموه من المزن أم نحن المنزلون ؟ لو نشاء جعلناه أجاجا ، فلولا تشكرون** » .

أيها الانسان : هل فكرت قليلا حين ترفع كوبا من ماء الى فيك ، تطفىء بها غلتك وتذهب بها ظمأك ، هل فكرت ان هذا الماء قد انزله الله من السماء قطرات من مطر ، حملها سحاب المزن ، وهكذا سخر الله لك ما يحمل الماء الفرات اليك ، ولو شاء الله لمنعه عنك ، أو أبقاه على حاله ماءا أجاجا ، لا تستطيع شربه . الا تقابل هذه النعمة الكبيرة ، التى لا نظير لها بالشكران يا أيها الانسان ؟

وتقرر الايات الكريمة السابقة ان الماء الذى يشربه الناس - وغيرهم - قد صعد بخارا من أسطح المياه المالحة فى البحار والمحيطات ، ثم حمله سحاب مسخر بين السماء والارض لينزل بعد ذلك مطرا ، ينزله الله فيحيى به الارض بعد موتها ، ويسقيه مما خلق زروعا وحيوانات واناس ، منه تتكون الانهار حيث يشاء لها الله ، ومنه ما يسلكه الله ينابيع فى الارض .

ترى ، لو لم تنزل هذه القطرات من الماء على هذا النحو ، ماذا عساه يكون ؟ هل كان يمكن أن يتواجد زرع وبالتالى حيوانات وانسان ؟ ترى لو أن الله قد حجب هذا الماء عن أن ينزل فى الارض مائة عام فقط ؟ ماذا عساه يحدث ؟ يحدث تدمير للحياة على الارض بكل صورها ، لا نبات ولا حيوان ولا انسان . ذلك لان الماء هو قوام الحياة كلها ، فلا حياة بدون الماء ، يقول سبحانه :

● « **وجعلنا من الماء كل شىء حى** »

● « **والله خلق كل دابه من ماء** »

● « **او لم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه انعامهم وانفسهم ، افلا يبصرون ؟** »

هذا وقد اثبت العلم قديمه وحديثه ، ان الماء لا يحتاج اليه الانسان أو الحيوان او النبات لمشربه فقط ، وانما ترتبط الحياة بكل صورها ارتباطا وثيقا كاملا بالماء ، فهو يكون النسبة الاكبر فى بناء الانسجة الحية ، كما أن جميع العمليات والانشطة الحيوية ، الطبيعية والكيماوية التى تتم داخل جسم اى كائن حى ، لا يمكنها أن تتم بدون الماء . والماء فوق هذا كله أحسن مذيب . وافضل مشروب .

وللحديث بقية فى العدد القادم ان شاء الله

بقية مقال « اياك نعبد وإياك نستعين » ..

وحركات الخواطر وخفيات السرائر .

٥ - الارادة بجميع الكائنات فلا يجرى فى الملك والملكوت قليل او كثير الا بقضائه ومشيئته ، مريد فى الازل لوجود الاشياء فى اوقاتها المعينه ، فوجدت كما أرادها .

٦ - السمع والبصر لا يحجب سمعه بعد ، ولا رؤيته ظلام ، فيسمع من غير أصمخة وآذان . ويبصر من غير حدقة واجفان .

٧ - الكلام الازلى القائم بذاته لا بصوت ككلام الخلق ، وان القرآن مقروء ومكتوب ومحفوظ ، ومع ذلك قديم قائم بذات الله تعالى ، وان موسى سمع كلام الله بغير صوت ولا حرف ، كما يرى الابرار ذات الله من غير شكل ولا لون .

٨ - الافعال الموصوفة بالعدل المحض ، فلا موجود الا وهو حادث بفعله ، وفائض من عدله ، اذ لا يضاف لغيره ملك فلا يتصور منه ظلم ، ولا يحجب عليه فعل ، فكل نعمة من فضله ، وكل نقمة من عدله .

٩ - اليوم الاخر .

١٠ - النبوة المشتملة على ارسال الملائكة وانزال الكتب وبعث الرسل .

وهذه المعتقدات يجمعها لفظ (اياك)

فهو الواحد فى ذاته وصفاته وافعاله ، منزه عن النقائص ، موصوف بكل كمال يليق بذاته المقدسة ، خلق الملائكة وغيرهم ، وانزل الكتب وارسل الرسل وحدد يوم الحساب وهو واقع لامحالة

وأما العبادات العشرة : فالصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، وقراءة القران ، وذكر الله فى كل حال ، وطلب الحلال ، والقيام بحقوق المسلمين وحقوق الصحبة ، والامر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، ثم اتباع السنه وهو مفتاح السعادة وأمارة محبة الله

والانسان اذا فعل برا ان قصد به أمرا ما غير الحق - كان من الاحرار لا من العبيد .

وان لم يقصد امرا بعينه ، بل يفعله لكونه خيرا فقط ، أو لكونه مأمورا به لا مطلقا ، بل من حيث الحضور منه مع الامر - فهو المأمور المنفذ . فان ارتقى بحيث لا يقصد بعمله غير الحق - فهو المسئول ..

فان كان بحيث لا يفعل شيئا الا بالحق كما ورد فى قرب النوافل - صار عارفا . وان أنضم الى ماسبق حضوره مع الحق فى فعله بحيث يشهد بعين الحق لا بنفسه من حيث اضافة الشهود الى الله ، والفعل والاضافة اليه لا الى نفسه - فهو العبد المخلص عمله ..

فان ظهرت عليه غلبة أحكام هذا المقام والذى قبله وهو مقام - فبى - يسمع غير متقيد بشىء منها ولا - بمجموعها ، مع سريان حكم شهوده الاحدى فى كل مرتبة ونسبة دون الثبات على أمر بعينه ، بل ثابتا فى سعته ، وقبوله كل وصف وحكم عن علم صحيح منه بما اتصف به وما انسلخ عنه فى كل وقت وحال دون غفلة وحجاب - فهو الكامل فى العبدية الذى ينسب الى الله بغلبة تلك الصفة على ما عداها ..

وليس بين المملوك ومالكه الا حجاب ملك نفس المملوك فاذا عبر من حجاب ملك النفس وصل الى مشاهدة مالك النفس .. وللنفس أربع صفات :-

أمارة ، ولوامه ، وملهمة ، ومطمئنة ..

فأمر سبحانه العبد المملوك بأن يذكر مالكه باربع صفات : بالصفة الالهية ، والربوبية ، والرحمانية والرحيمية ..

فيعبر بعد مدح الالوهية ، وشكر الربوبية ، وثناء الرحمانية ، وتمجيد الرحيمية ، بقوة جذبات هذه الصفات الاربع من حجاب ممالك الصفات الاربع للنفس فيتخلص من ظلمات ليله رين نفسه بطلوع صبح صادق مالك يوم الدين فيبقى العبد عبدا مملوكا لا يقدر على شىء فيرحمه مالكه ويذكره بلسان كرم على قضيته وعده . (فاذكرونى اذكركم) .. ويناديه ويخاطبه : (يا أيتها النفس المطمئنة) .. ثم يجذبه من غيبة نفسه الى شهود مالكية ربه بجذبه (ارجعى الى ربك راضية مرضية) فاللهم ارزقنا حبك وحب من أحبك ، وعلمنا ما ينفعنا ، وأنفعنا بما علمتنا ، وزدنا علما ...

من أخلاق القرآن

القسط

الدكتور أحمد الشرباصي

مادة « القسط » تدل على معنيين متضادين ، فالقسط - بكسر القاف هو العدل ، والقسط - بفتح القاف - هو الجور . وقال الاصفهانى ان القسط هو أن يأخذ قسط غيره ، وذلك جور ، والاقساط ان يعطى قسط غيره ، وذلك انصاف . والقسط هو النصيب المستحق بالعدل ، وهو القسم من الرزق الذى يصيب كل مخلوق : وفى الحديث : « ان الله لا ينام ، ولا ينبغى له أن ينام . يخفض القسط ويرفعه » . أى يقلل النصيب من الرزق أو يكثره حسب حكمته ومن هنا يظهر فرق دقيق بين القسط والعدل ، فالمقسط هو الذى ينتصف للمظلوم من الظالم ، وكمال الاقساط هو أن يضيف المقسط الى ارضاء المظلوم ارضاء الظالم ، وذلك غاية العدل والانصاف ولا يقدر عليه الا الله تعالى وأما العدالة فهى لفظ يقتضى معنى المساواة . ويظهر الاقساط غالبا عند القسمة ، ولذلك جاء فى مسند ابن حنبل « واذا قسموا أقسطوا » .

وقد سبق أن كتبت عن العدل فى سلسلة « أخلاق القرآن » ومعنى العدل قريب من معنى القسط ، وان كنا قد لحظنا ان هناك فرقا بينهما ، لان العدل هو المساواة ، والقسط هو النصيب الذى يعطى بالحق ، ومن هنا لا ضير فى أن نعود الى تتبع مواطن القسط فى القرآن الكريم ، والازدياد من رحيقه خير وبركة .

وأعظم تشريف لهذه الفضيلة القرآنية انها صفة من صفات الله عز وجل ، فالقرآن يقول فى سورة يونس : « ولكل أمة رسول فاذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون » . والقاضى بالقسط هو الله . ومن أسماء الله الحسنى اسم « المقسط » . ومعناه كما سبق أن ينتصف للمظلوم من الظالم مع ارضائهما معا .

ومثاله كما روى الغزالى فى « المقصد الاسنى » انه قال :

بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ، اذ ضحك حتى بدت ثناياه ، فقال عمر : بأبى أنت وأمى يارسول الله ، ما الذى أضحكك ؟

قال :رجلان من أمتى جثيا بين يدى رب العزة :
فقال احدهما . يارب خذ مظلمتى من هذا .
فقال الله عز وجل : رد على أخيك مظلمته .
فقال : يارب لم يبق من حسناتى شىء .
فقال عز وجل للطالب كيف تصنع بأخيك ؟ لم يبق من حسناته شىء .
فقال : يارب ، ليحمل عنى من أوزارى .

ثم فاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء ، وقال . ان ذلك ليوم عظيم ، يوم يحتاج الناس الى أن يحمل عنهم من أوزارهم قال : فيقول الله عز وجل - أى للمتظلم - ارفع بصرك فانظر فى الجنان .

فقال : يارب ، أرى مدائن من فضة ، وقصورا من ذهب مكللة باللؤلؤ ، لاى صديق ، أو لاى شهيد هذا ؟
قال الله عز وجل : لمن أعطى الثمن .

فقال : يارب ومن يملك ذلك ؟
قال أنت تملكه .
قال : بماذا ياربى ؟
قال : بعفوك عن أخيك .
قال : يارب عفوت عنه .
قال الله عز وجل : خذ بيد أخيك فأدخله الجنة .
ثم قال صلى الله عليه وسلم : اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم ، فان الله تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيامة .

فهذا سبيل الانتصاف والانصاف ، ولا يقدر عليه الا رب الارباب ، وأوفر الناس حظا من هذا الاسم من ينتصف أولا من نفسه ، ثم لغيره لغيره ، ولا ينتصف لنفسه من غيره » .

ويقول الله تعالى فى سورة يونس : « **اليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا انه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط** » أى يعطى كل عامل حقه من الثواب الذى جعله الله لعمله ، لا يظلم منه شيئا .

ويقول التنزيل المجيد فى سورة آل عمران : « **شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم** » . فالله جل جلاله يقوم باجراء الامور وتدابير الخلق وجزاء الاعمال بالعدل .

وقد جاء فى « تفسير المنار » أن المعنى انه تعالى شهد هذه الشهادة قائما بالقسط وهو العدل فى الدين والشريعة وفى الكون والطبيعة ، فمن الاول تقرير العدل فى الاعتقاد ، كالتوحيد الذى هو وسط بين التعطيل والشرك ، ومن الثانى جعل سنن الخليقة فى الاكوان والانسان الدالة على حقية الاعتقاد قائمة على أساس العدل ، فمن نظر فى هذه السنن ونظامها الدقيق يتجلى له عدل الله العام ، فالقيام بالقسط على هذا من قبيل التنبيه الى البرهان على صدق شهادته تعالى فى الافاق والانفس ، لان وحدة النظام فى هذا العدل تدل على وحدة واضعة .

كذلك أحكامه تعالى فى العبادات والاداب والاعمال مبنية على أساس العدل بين القوى الروحية والبدنية، وبين الناس بعضهم مع بعض .

واذ قد تجلى لك صدق الشهاده ، فمن واجبك أن تقربها مرددا « **لا اله الا هو العزيز الحكيم** » تفرد بالالوهية وكمال العزة والحكمة ، فلا يغلبه أحد على ما قام به من سنن القسط ، ولا يخرج منها شىء عن مقتضى الحكمة البالغة .

والرسول صلى الله عليه وسلم مأمور من ربه بأن يكون خير الناس فى التحلى بفضيلة القسط ، فيقول الحق جل جلاله فى سورة المائدة : « **وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين** » : والمقسطون هم المقيمون للقسط بالحكم به أو الشهادة أو غير ذلك .

وقد روى الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان قريظه وبنى النضير ، وكان النضير أشرف من قريظة ، وكان اذا قتل رجل من النضير رجلا من قريظة ودى مائة وسق من تمر . فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل رجل من النضير رجلا من قريظة فقالوا : ادفعوه الينا لنقتله ، فقالوا : بيننا وبينكم النبى صلى الله عليه وسلم . فنزل قوله تعالى : « **وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط** » .

والله جل جلاله قد دعا الى القسط وحث عليه ، فقال القرآن فى سورة الاعراف : « **قل أمر ربى بالقسط** » أى بالاعتدال فى الامور كلها ، وهو الوسط بين الافراط والتفريط .

وقال الحق سبحانه فى سورة النساء : « **يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين أن يكن غنيا أو فقيرا فالله اولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وان تلووا او تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا** » .

يذكر « تفسير المنار » أن القوامين بالقسط هم الذين يقيمون العدل بالاتيان به على أكمل الوجوه وأدومها ، وذلك لان القوام هو المبالغ فى القيام بالشيىء ، والقيام بالشىء هو الاتيان به مستويا تماما بلا نقص ولا عوج ، ومن بنى جدارا لا يقال انه أقامه مهما أطاله . والقرآن يقول : « **فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض فأقامه** » ، وانما احتاج الجدار الى الاقامه لانه كان مائلا متداعيا للسقوط .

وكونوا قوامين بالقسط : أى لتكن المبالغة والعناية باقامة القسط على وجهه صفة من صفاتكم ، بأن تتحروه بالدقة التامة ، حتى يكون ملكة راسخة فى نفوسكم . والقسط يكون فى العمل كالقيام بما يجب من العدل بين الزوجات والاولاد ، ويكون فى الحكم بين الناس ممن يوليه السلطان ، أو يحكمه الناس فيما بينهم . وكان ينبغى – كما يقول صاحب المنار – ان يكون المسلمون بمثل هذه الهدايه أعدل الامم وأقومهم بالقسط ، وكذلك كانوا مهتدين بالقرآن ، وصدق على سلفهم قوله تعالى : « **وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون** » ثم خلف من بعد أولئك السلف خلف نبذوا هداية القرآن وراء ظهورهم . حتى صارت جميع الامم تضرب المثل بظلم حكامهم وسوء حالهم وتفخر عليهم بالعدل .

ويقول التنزيل المجيد فى سورة المائدة : « **يأيها الذين امنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله أن الله خبير بما تعملون** » . كونوا قوامين بحق الله عليكم ، واشهدوا بالحق من غير ميل الى أقاربكم ، او حيف على أعدائكم ، ولا يحملنكم البعض على الدخول فى جريمة الظلم ، لان كراهيتكم لبعض الناس قد تؤدى بكم الى ترك العدل ، مع أن كفر الكافر لا يمنع العدل معه . والرسول عليه الصلاة والسلام يقول : « **أد الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك** » .

ويعود « تفسير المنار » ليبين أن الشهادة بالقسط معروفة ، وهى أن تكون بالعدل ، دون محاباة مشهود له ، ولامشهود عليه ، لا لقرابته وولائه ، ولا لماله وجاهه . ولا لفقره ومسكنته ، فالشهادة هنا عبارة عن اظهار الحق للحاكم ليحكم به ، او اظهاره هو اياه بالحكم به ، أو الاقرار به لصاحبه .

والقسط هو ميزان الحقوق ، متى وقعت فيه المحاباة والجور لاى سبب أو علة من العلل ، زالت الثقة من الناس ، وانتشرت المفاسد وضروب العدوان بينهم ، وتقطعت روابطهم الاجتماعية ، وصار بأسهم بينهم شديدا ، فلا يلبثون ان يسلط الله عليهم بعض عباده الذين هم أقرب الى اقامة العدل والشهادة بالقسط منهم ، فيزيلون استقلالهم ، ويذيقونهم وبالهم ، وتلك سنة الله التى شهدناها فى الامم الحاضرة ، وشهد بها تاريخ الامم الغابرة ، ولكن الجاهلين الغافلين لايسمعون ولايبصرون ، فانى يعتبرون ويتعظون .

ويقول الله عز شأنه فى سورة النساء : « **ياأيها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم أو الوالدين الاقربين** » .

أى ليتكرر منكم القيام بالقسط ، فى شهادتكم على أنفسكم ، ثم ذكر الوالدين لوجوب برهما وعظم قدرهما . ثم ثنى بالاقربين اذ هم مظنة المودة والتعصب ، فكان الاجنبى من الناس أحرى أن يقام عليه بالقسط ويشهد عليه . وقوله شهداء لله ، أى لذات الله ولوجهه ، ولمرضاته وثوابه ، دون ميل أو اتباع لهوى فانه مهلك .

ويقول القرآن الحكيم فى سورة الانعام « **وأوفوا المكيال والميزان بالقسط** » .

بينت كلمة القسط ان الايفاء يجب أن يكون من الجانبين ، أى اوفوا متسطين أو ملابسين للقسط وهذا يقتضى طرفين يقسط بينهما ، فدل على أن الانسان يجب عليه أن يرضى لغيره ما يرضاه لنفسه .

ويذكر القرطبى ان الايفاء يكون بالاعتدال فى الاخذ والعطاء ، عند البيع والشراء ، فى حدود الطاقة وقدرة البشر ، وما لا يمكن التحرز عنه من تفاوت بين الكيلين ، ولا يدخل تحت قدرة البشر فمعفو عنه .

وقال بعض العلماء : لما علم الله سبحانه من عباده أن كثيرا منهم تضيق نفسه عن ان تطيب للغير بما لا يجب عليها أمر المعطى بايفاء رب الحق حقه الذى هوله ، ولم يكلفه الزيادة عليه من ضيق نفسه بها ، وأمر صاحب الحق باخذ حقه ، ولم يكلفه الرضى باقل منه ، لما فى النقصان من ضيق نفسه .

وفى موطأ مالك عن يحيى بن سعيد أنه بلغه عن عبد الله بن عباس أنه قال : ما ظهر الغلول فى قوم قط الا القى الله فى قلوبهم الرعب ، ولا فشا الزنى فى قوم الاكثر فيهم الموت ، ولا نقص قوم المكيال والميزان الا قطع عنهم الرزق ، ولاحكم قوم بغير الحق الا فشا فيهم الدم ، ولا خفر قوم بالعهد الا سلطعليهم الله العدو .

وقد أكد رسول الله شعيب هده الدعوة الى قومه أهل مدين ، فقال القرآن المجيد على لسانه فى سورة هو : « **وياقوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط** » .

ويقول الله تعالى فى سورة آل عمران : « **ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم** » .

ذكر بعض المفسرين ان ناسا من بنى اسرائيل جاءهم النبيون يدعونهم الى الله عز وجل فقتلوهم ، فقام أناس من بعدهم من المؤمنين يأمرونهم بالاسلام فقتلوهم ، فنزلت الاية

وقد روى عن ابن مسعود قال قال النبى صلى الله عليه وسلم : « **بئس القوم قوم يقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس بئس القوم قوم لايأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر . بئس القوم قوم يمشى المؤمن بينهم بالتقية** »

ويذكر تفسير المنار أن الذين يأمرون بالقسط هم الحكماء الذين يرشدون الناس الى العدالة العامة فى كل شىء ، ويجعلونها روح الفضائل وقوامها ، ومرتبتهم فى الهدايه والارشاد تلى مرتبه الانبياء واثرهم فى ذلك يلى اثرهم ، ذلك ان جميع طبقات الناس تنتفع بهدى الانبياء ، كل صنف بقدر استعداده وأما الحكماء فلا ينتفع بهم الا بعض الخواص المستعدين لتلقى الفلسفة .

الم تر كيف اصطلم التوحيد وثنية العرب فى مدة قليلة بدعوة النبى عليه الصلاة والسلام ، وكيف عجزت دعوة فلاسفة اليونان الى التوحيد عن مثل ذلك او مايقاربه ، فلم يستجب لهم فيها فى الزمن الطويل الا قليل من طلاب الفلسفة .

ذلك بأن دعوة النبى على ماتختص به من التأييد الالهى ، وتأثير روح الوحى لها ثلاثة مظاهر بينها الله تعالى فى قوله : « **ادع الى سبيل ربك بالحكمة ، والموعظه الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن** » فالحكمة ما يدعى به العقلاء وأهل النظر من البراهين والحجج . والموعظة الحسنة ما يدعى به العوام السذج ، والجدل بالتى هى أحسن للمتوسطين الذين لم يرتقوا الى الاستعداد لطلب الحكمة ولا ينقادون الى الموعظة بسهولة ، بل يبحثون بحثا ناقصا ، فلابد من الحسنى حى مجادلتهم ومخاطبتهم على قدر عقولهم .

واما الحكماء فان لهم طريقة واحدة فى الدعوة الى الحق والفضيلة مبنية على طلب العدل فى الافكار والاخلاق . وقد يكون الحكيم الذى يدعو الى ذلك متدينا ، ويجرى فى الاقناع بالدين على الطريقة المذكورة آنفا ، وقد يكون غير متدين . وهو مع ذلك يدعو الى القسط والعدل عن طريق العقل ، بحسب ما وصل اليه علمه مع الصدق والاخلاص .

والاقدام على قتل هؤلاء دليل على غمط العقل ومقت العدل ، واقبح بذلك حرما ، وكفى به اثما .

« **البقية صفحة ٦٤** »

تأملات في البيان القرآني

الصورة القرآنية

● الدكتور ابراهيم عوضين ●

في مقالنا السابق وجهنا تأملاتنا الى قول الله عز وجل في سورة الاعراف :

« وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم : ألست بربكم ؟

« قالوا : بلى شهدنا

« أن تقولوا يوم القيامة : انا كنا عن هذا غافلين . او تقولوا : انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم . أفتهلكنا بما فعل المبطلون ؟ ! .

« وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون .

« واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين .

« ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الارض واتبع هواه . فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث .

« ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون » .

ومن خلال هذه التأملات وقفنا على المشهد الاول من الصورة التى ترسمها تلكم الآيات .

أما المشهد الثانى من مشاهد الصورة فيقدمه قول الحق جل وعلا عقيب آيات المشهد الاول :

« واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين .

« ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الارض واتبع هواه .

« فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث » .

يلاحظ المتأمل في تلك الآيات الكريمة انها تقدم المشهد العناد البشرى، فترينا شخص المعاند تلاحقه آيات ربه الدالة على ربوبيته وتلتصق به التصاقا ، تدعوه الى الايمان ، فتصبح الدعوة الى الايمان تملأ عليه كل أقطاره ، تأتيه من داخل نفسه حيث الفطرة التى فطره الله عليها ، وتأتيه من خارجه حيث يسمعها في كل ما يحيط به ، لكنه يجتذب نفسه بعيدا عنها ، وينسلخ منها ، فيصبح هدفا سهلا للشيطان ، يجد فيه طلبته ، ويحقق فيه مطمعه ، فيتبعه الشيطان بما يبعده عن الحق ، ويوسع الفجوة بينه وبين الايمان ، ليحوله تماما الى الغواية والفساد فيكون من الغاوين .

« واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين » .

انشأناه على فطرة الايمان ،وقدمنا له اسباب الايمان ودلائله ، وتركنا له حريه الاختيار ، فحاد عن الجادة، وانحرف بعيدا عن الصواب ، فأطلق

الشيطان خلفه اعوانه حتى لا يتراجع فى مسلكه · ولو شئنا ان يكون فى ايمانه مجبرا غير مختار – كما هو شان الملائكة – لاقمناه على الايمان كما اقمنا غيره من الكائنات ، فحققنا له الرفعة وعلو الشان ·

لكنه – من مصد الاختيار – رفض ما هو متفق معفطرته وتكوينه ،وتابى على الاستجابة للايات الدامغة ، والادلة الواضحة ، فابعد نفسه عنها، فتملكتهالشياطين ، فاستسلم للهبوط ، وارتاح الى الانحطاط ، واخلد الى الارض واتبع هواه ·

هذا الفرد من ابناء ادم الذى يرفض كيانه ، ويابى سلطان نفسه ، ولا يسعده ام ان يخضع لسلطان أجنبى عليه ، خارج عنه ، يتحكمفيه ويوجهه ··· هذا الفرد مثله كمثل الكلب ، لا يعيش الا تابعا ، واذا لم لم يكن له سيد يخضعه يصنع لنفسه سيدا ثم يخضع نفسه لهذا السيد المصنوع·

بل ان هذا الفرد من ابناء ادم لايشبه هذا النوع الذليل فى كل احواله اذله بعض الاحوال المحمودة – بل هو يشبهه فى حال واحدة ··· حينما يكون ذلك الكلب واقعا تحت تاثير الخلل العقلى ، فهو على وشك الاصابة بالجنون او السعار ، دائم اللهث والنباح : « ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث » ·

هذا الكلب فى تلك الحال مثله القوم الذين كذبوا باياتنا بعد ان اتيناهم اياتنا · وهو – كما ترون – مثل مذموم ، تنفر منه النفوس ، لا يقبله عاقل ، ولا يرضاه انسان على صلة بفطرته التى اقيم عليها كيانه ·

لا يرضاه لنفسه الاسفيه ، وجه لنفسه ظلم نفسه ، وقصره عليها ·

« ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الارض واتبع هواه ·

« فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث ·

« ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا ·

«فاقصص القصص لعلهم يتفكرون»

« ساء مثلا القوم الذين كذبوا باياتنا وانفسهم كانوا يظلمون » ·

ويعيد المتامل نظره فى تلك الايات ليتمعن فى خطوط ذلك المشهد ، فيشد انتباهه للوهلة الاولى تلك الوسيلة التى ربط بها البيان القرانى بين مشهد العناد ، حيث يعتمد فى ذلك على قوله تعالى : « وكذلك نفصل الايات ولعلم يرجعون » ·

ونتامل فى تلك الرابطه فنجدها تتضمن امرين :

١ – فهى تتضمن اجمالا لمشهد الفطرة البشرية الذى سبقها ، وتعليلا لتقديمه مصورا ··· « وكذلك نفصل الايات » ·

٢ – وتتضمنرجاء بان يثوب هؤلاء المنحلون من فطرتهم ويرجعوا · « ·· ولعلهم يرجعون » ·

ومن ثم ياتى مشهد من اتيناه تلك الايات المفصلة الواضحة فلم يستجب لها ، وخرج عليها ،واوغل فىخروجه وشذوذه · فاذا نظرنا فيما بين المشهدين من وشائج وصلات وجدناها ماثلة فى رحمة الله ربنا وعنايته بالانسان ، وتقديمه كل اسباب النجاة له ·

فالرابطة بين المشهدين – كما ترى – ليست عبارات جامدة ، ولكنها تحرك حى ، يمد المشهد الاول بالحياة وينميه ، كما يمد المشهد الثانى – كذلك – بالحياة وينميه ، فالرابطة جزء من الصورة ، وان بدت من خلال وظيفتها ذات استقلال وتميز ·

هذا ويلاحظ المتامل ان المشهد الثانى – مشهد العناد البشرى – لا يقدم مباشرة ، وانما يقدم بواسطة راوية يستنطقه البيان القرانى بالكلمات التى تصنه خطوط المشهد ، وتبرز ماينطوى عليه من احداث ومواقف **« واتل عليهم نبا الذى اتيناه اياتنا ··· »**

فهو بما قد صدر عنه وما قد اصابه بارز للعيان ، مشاهد يراه الراءون ، فليس الشان فيه كالشان فى الفطرة وبناء الكيان البشرى ، فما يصح فى تصوير هذا المشهد لا يصح فى تصوير ذلك من الوسائل والاساليب ، اذ لكل خصائصه التى تفرض اللون التعبيرى الذى يناسبه· وما كان شىء من ذلك ليغيب عن اللطيف الخبير ·

وعلى ذلك المنهج تسير الايات فى رسم الصورة كلها ·

ففى المشهد الاول – مشهد الفطرة – نجد البيان القرانى يستخدم الالفاظ الدالة على التسلط والقهر · (اخذ – ربك – ذريه – اشهدهم على انفسهم – الست بربكم) · الى اخر تلك الكلمات والعبارات التى توحى بسطوة الخالق ، وخضوع المخلوق ·

أما فى المشهد الثانى – مشهد العناد – فنجد البيان القرانى يستخدم الالفاظ الدالة على اللطف والترفق من الخالق ، والدالة على العنف والصلف من المخلوق ·· تلمس لطف الله ورحمته فى التعبير بـ (اتيناه اياتنا)، فايتاء الايات يقدم لنا الانسان حر التفكير والحركة والارادة ، تنساب من حوله الايات والبراهين دون ان تفرض عليه او يكره عليها ، ودون ان تحجب عنه اسباب الخير او يصعب عليه الوصول اليها ، فهو كائن محبوب من خالقه ، يعيش فى عالمه تتوالى عليه آيات ربه الدالة على الحقائق الاصيلة ، والانسان يأخذ منها مايشاء ويتابى منها على ما يشاء – فهو كائن مسئول – ولكن الايات تلاحقه على الرغم من تابيه عليها ، لعل لحظة تعقل تصادفه فيرجع ويثوب ·

ونلمس صلف المخلوق واغتراره فى التعبير بـ (فانسلخ منها) ،والانسلاخ من اسباب الرحمةووسائل الخير دليل الاغترار والتكبر الجاهل الاحمق ، فضلا عن ان الانسلاخ والسلخ فى عمومه يوحى بالغلظة وقساوة القلب، فاذا ضم الى ذلك انه ينسلخ من اسباب الخير ، ضم الحمق والجهل الى الغلظة والقسوة ·

هذا الى ان (انسلخ) فعل مطارع، والتعبير به يفيد ان هذا الذى اتيناه واقع تحت تاثير خارجى هو الذى يسلخه عن الايات ، فيطاوعه هذا وينسلخ منها ، فهو الى ما قدمنا من صفات ضعيف لا يملك من أمر نفسه امام ذلك التاثير الخارجى شيئا ·

وهكذا تاخذ صورة هذا الفرد من ابناء آدم فى الوضوح ، من خلال تلك الايحاءات ·

ولكن المتامل لا يستطيع ان يقف امام هذا الادمى بصفاته النفسية طويلا ، اذ تدفعه المواقف والاحداث المتوالية الصادرة منه والواقعة عليه الى ان ينتقل من صورة الى صورة· لكنها جميعا تعطى شخصا واحدا هو ذلك الذى اتيناه آياتنا فانسلخ منها·

ولا تكاد صورة الاحمق الجاهل الضعيف تتراءى لعيان المتامل حتى يظهر الشيطان على مسرح الاحداث يؤدى دوره ، ويحقق ذاته ، وينعم بفريسته ، ويبادر بجنوده واعوانه قبل ان ترجع ·

« واتل عليهم نبا الذى اتيناه اياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان » ·

ولا يكاد الشيطان يتحرك ويحرك اتباعه من خلف تلك الفريسة حتى ترى النتيجة باسرع مما نتصور ·

« ··· فكان من الغاوين » ·

ونعيد النظر والتامل باحثين عن السر البيانى الذى اضفى على احداث الموقف هذا التوالى فنلاحظ وجود الفاء التى تفيد تعاقب الاحداث وتواليها ،فهى علىحد تعبير النحويين تفيد ترتيب وتعقيب ما بعدها على ما قبلها ·

ومن ثم نجد السر البيانىفى تكرار الفاء ثلاث مرات متوالية فى هذه الاية ·· **« اتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين »** ·

فانسلاخه من الايات حدث نتيجة الايات وعقبها ، من غير ترو منه وتدبر فى موقفه وفيما يفيد ومالا يفيد ، وبسبب انسلاخه هذا السريع من آياتنا اصبح من الغاوين الواقعين

تحت سلطان الهوى تماما ، الفاقدين لنعمة العقل .

وهكذا يتكامل المشهد بتضام مواقفه ، فنرى فى هذا الجزء من الصورة حقيقة الحقائق مقررة مبسطة لا يجد العقل فى استساغتها أى صعوبة ، فتعجب لصنيع الفلاسفة من ابناء البشر الذين حاولوا عرض هذه الفكرة فضلوا واضلوا ، ومازالوا فى تيههم يتخبطون ، يحاولون ان يوضحوا موقف الانسان من الايمان ، دون ان يصلوا فى ذلك الى ما يقطع التساؤل: أمختار هو أم مكره مجبر .

ولكنا هنا مع مواقف ذلك المشهد نرى الله ربنا يحيطنا بآيات الايمان وعلاماته ، ويترك لنا الاختيار ، فمنا من يركبه غروره ، ويندفع وراء حمقه وطيشه فيبعد نفسه بالعنف من تلك الايات ، فيتيح الفرصه للشيطان واتباعه ليتحركوا فى مامن واطمئنان وثقة ، فيحققوا معه ما توعد به ابليس بنى آدم « لاقعدن لهم صراطك المستقيم . ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد اكثرهم شاكرين » .

ومن ثم تمهد الايات لتقديم المشهد الثالث بما يربط المشهد الثانى والثالث « ولو شئنا لرفعناه بها ، ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه » ..

استمرار فى تقرير اختيار الانسان المحاط بكل اسباب المعرفة ليختار سبيله الذى يرتضيه ، فتحول الانسان عن الصراط المستقيم انما هو وليد اختياره . ولو شاء ربه ان يتدخل ويجعله كائنا ملائكيا مسلوب الاختيار لرفعه بواسطة تلك الايات والبراهين ، ولكنه سبحانه ترك له الاختيار ليكون تميزه على الكائنات الاخرى قائما على سبب .

هذا الانسان بما أتيح له من اسباب التفوق والتميز والسيادة .. تنكب الطريق الواضح ، اختار له سبيلا ماديا صرفا انخدع بمظاهره البراقة فاستسلم له واخلد اليه ، فتحول به عن السمو والترقى .

وواضح للمتامل ان وسيلة الربط بين هذين المشهدين هنا تسير على المنهج الذى سارت عليه فى المرة السابقة ، فهى تتضمن اجمالا لما جاء فى المشهد السابق ، وهذا الاجمال ممزوج بقطاع من المشهد الثانى بحيث لا يحس المتامل بان هناك بين المشهدين فجوة ، ولكنه يلمس التتابع والترابط ، حتى يخيل اليه انه امام مشهد واحد

ومن ثم كانت الغاء صلة بين وسيلة الربط والمشهد الثالث ...

« ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث » .

ومن ثم تتراءى خطوط المشهد الثالث طبيعية دون افتعال او اثقال ، اذ هو مؤسس على اخلاده الى الارض .

ويلاحظ المتامل ان هذا المشهد الثالث مقدم بوسيلة اخرى تختلف عن الوسيلتين اللتين قدم بهما المشهدان الاولان فالمشهد الاول قدم من خلال العبارات الوصفيه ، والمشهد الثانى اعتمد على الرواية القصصية ، أما المشهد الثالث فيقوم على التمثيل .

ويلاحظ المتامل كذلك ان تمثيل المنحرف عن فطرته بالكلب ليس تمثيلا مطلقا ، ولكنه مقيد بحالة خاصة للكلب ... « ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث » .

وهو من غير شك تمثيل غريب بالغ الغرابة ، رقيق عميق الدقة ، بحيث يرينا ذلك النفر الشاذ من ابناء آدم فى حالة تضيف بها النفوس السوية ، وتنفر منها الطباع الصحيحة .

ومن ثم حرص البيان القرانى على ان ينبه الى ذلك فى لمحة معجزة يختم بها المشهد ، ويلفت بها الانظار ، فقال « ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا » .. واشار الى المثل المضروب بما يشار به الى البعيد (ذلك) ، لينبه الى تلك الغرابه وما فيها من بعد عن ادراك التعبير البشرى ، وفى الوقت ذاته لينبه الى غرابة مافعل هؤلاء بانفسهم .

وهكذا تقدم لنا تلك الايات الكريمة صورة مترابطة المشاهد ، نرى فيها الفطرة البشرية كما خلقها ربها خالصة من كل اعوجاج ، ونرى فيها مايطرا على الكيان البشرى فينحرف به ويميل مبتعدا عن الطريق السوى ، فاذا به ينحط الى أسوأ المثل .

نرى هذا كله فى آيات معدودات ، كل حركة فيها او سكنة تضيف الى الصورة ما تتكامل به وتنمو ، بحيث لا تجد فى التعبير حرفا زائدا ، ولا تجد فى الصورة همسة ناقصة ، فلا تملك الا تردد :

« لئن اجتمعت الانسن والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا »

بقية مقال « أصحاب الكهف والرقيم »

الامكنة والمواطن التى تشير اليها اجمالا ، كما أشارت قصة هود الى الاحقاف مساكن عاد وما كان فيها من حضارة ومظاهر قوة وبسطة فى العيش ، ومباهج الحياة كما أشارت كذلك قصة صالح الى الحجر وديار ثمود وقصة شعيب الى مدين والايكة وقصة بلقيس وسليمان الى سبأ ، والحضارة السبأية وقصة ابراهيم واسماعيل الى مكة والبيت الحرام ، وقصة موسى الى مكان العبور للخروج من مصر الى الشام ، ومكان تلقى الرسالة بالوادى المقدس طور والجبل الذى كلم عليه ربه ومجمع البحرين فى قصته مع الخضر ، وبين السدين ، وعين حمئة . فى قصة ذى القرنين ، وكثير من المدن والقرى التى اشارت اليها آيات كثيرة فى قصص القرآن الكريم . ولم يكن حال الزمان فى القصة القرآنية لا كحال المكان فيها ، اجمالا واشارات عابرة ، تتناسب مع الاسلوب القصصى . من أراد الزيادة فليلجا الى الاسلوب التاريخى المعتمد على الاسلوب العلمى والنظر العقلى ، والدراسة التى يحث عليها القرآن نفسه ، فلابد من دراسات واسعة المدى حول القرآن ، وما جاء فيه من حقائق وارشادات ، ربما تكون السنة النبوية قد تكفلت بأشياء كثيرة من هذه التفصيلات ، وهناك مادة دراسية تاريخية تسمى تاريخ الانبياء ذات أسلوب تاريخى .

لقد سمعت عن بعض مؤلفات من هذا القبيل لكنى لم أرها ، مؤلفات تعتنى بجغرافية الامكنة الوارد ذكرها فى القرآن ، ومؤلفات تعتنى بدراسة وتحديد ما جاء فيه من أزمنة مجيئا اجماليا ، يا حبذا لو تمادى هذا الصنيع حتى نراه فى يوم من الايام موسوعة علمية كبرى تحت عنوان « الزمكان فى القرآن » .

ان هذه الاتجاهات الحديثة فى الدراسات القرآنية تعتبر من أجل الخدمات الدراسية التى تسدى الى كتاب الله فى مجال شرحه وتفسيره وبيان اعجازه اشتمال قصصه على عنصرى الزمان والمكان .

التشريع الإسلامى

من أحكام الشريعة الإسلامية وآدابها

العدة

فضيلة الشيخ محمد خاطر

كنا قد انتهينا فى مقالنا السابق الى بيان آراء بعض الفقهاء فى ابتداء العدة ، كما أوضحنا ما ذهب اليه مشايخ بخارى وسمرقند من فقهاء الحنفية من أن العدة لا تبتدىء من وقت الفرقة فى النكاح الصحيح الا اذا ثبتت بحجة متعدية ، أما اذا ثبت باقرار من الزوج سواء صادقته المرأة على ذلك أو لم تصادقه فانها لا تثبت الا من وقت الاقرار . وذلك بعدا عن التهمة . وقد خالفوا فى ذلك ما ذهب اليه ائمة المذهب ، وعلق الكمال بن الهمام على ذلك ورأى عدم أخذ المسالة على اطلاقها . بل لابد من التحرى عن محل التهمة والناس الذين هم مظنتها ، حتى يمكن الحكم بأن العدة تبدأ من وقت الاقرار أو من الوقت الذى أسند اليه الطلاق .

ولهذا فقد فصل فقهاء الحنفية الامر فى ذلك . فقالوا ان العدة تبتدىء من وقت الطلاق اذا كان الزوجان متفرقين ، أما اذا كانا مجتمعين فلا يصدقان فى الاسناد للتهمة — وهذا لا يعارض ما نقل عن ائمة المذهب من أن الزوج اذا كان غائبا فوصل الى زوجته خبر وفاته أو طلاقه لمدة تنتهى فيها العدة ، فلا عدة عليها من جديد لانتهاء عدتها .

هذا وما أوضحناه من آراء للفقهاء بالنسبة لمبدأ العدة ونهايتها كان بالنسبة للنكاح الصحيح والفرقة منه — أما اذا كانت الفرقة من نكاح فاسد بعد الدخول . فان العدة لا تبتدىء الا عقب المفارقة التى تتحقق بتفريق القاضى أو بعزم الزوج على مفارقتها وتصريحه بما يفيد المفارقة باخبارها بذلك . وهذا عند أبى حنيفة وصاحبيه . وذهب نفر من فقهاء الحنفية الى ان العدة فى الفرقة من النكاح الفاسد الذى حصل فيه الدخول تبدأ من آخر وطء . لان ذلك هو السبب الموجب للعدة . أما المشاركة فى النكاح الفاسد الذى ليس فيه دخول فيكفى فيها العزم على المفارقة مع التفرق الفعلى بالابدان ، ولا يلزم فيها التصريح بعبارة المفارقة . وهذه الحالة ليس فيها عدة كما هو واضح مما بيناه سابقا لانه لم يحصل دخول اما فى الوطء بشبهة فان العدة فيه تبتدىء من آخر وطء عند جميع الفقهاء — اذ لا عقد فى هذه الحالة وليس سوى الوطء —

وقد ذهب فقهاء الزيدية الى أن من طلقها زوجها او مات عنها او فسخ نكاحها لزمتها العدة من وقت العلم بذلك لا من وقت الوقوع . وهذا فى الزوجة العاقلة الحائل « اى التى ليست بحامل » . اما الحامل . فان كانت الفرقة بوفاة اعتدت بوضع حملها « مع مضى اربعة اشهر وعشرا » من يوم علمها بالوفاة . ولا عدة بما قبل العلم من زمن .

اما ان كانت الفرقة بطلاق أو فسخ بالنسبة للحامل . فان عدتها تنتهى بوضع حملها بعد الفرقة .

والفرق بين الحامل وغير الحامل . هو أن المطلقة غير الحامل أمرت بالتربص والانتظار بعد سبب الفرقة ولا يتحقق فيها تربص وانتظار الا مع علمها بالفرقة ، أما قبل علمها فلا يتصور منها انتظار ولا تربص . وهذا بخلاف الوضع فانه أمر يقع ولم تؤمر به فاعتبر وقوعه نهاية العدة متى كان بعد الفرقة .

وكذلك الصغيرة والمجنونة فان عدتهما تبتدىء من وقت الوقوع لان كل منهما غير مأمورة بالتربص لعدم تكليفها .

ويرد الجمهور على ذلك بأن العدة لتعرف براءة الرحم لا للتعبد . بدليل انتهائها بالوضع لدى الجميع . ولو لم تعلم الزوجة بالفرقة ، وما دامت العدة لتعرف براءة الرحم لم يكن لعلم الزوجة بالوفاة مدخل فى ذلك فلا يعتبر العلم بداية لها .

اما فقهاء الشيعة الجعفرية فقد ذهبوا الى أن المطلقة تعتبر من حين الطلاق اذا ثبت بحجة شرعية سواء أكان الزوج حاضرا أم غائبا . أما اذا لم يثبت وانما علمت به فانها تعتبر من وقت بلوغ الخبر اليها .

هذا ـ واذا كانت العدة بالاشهر ، فان جميع الايام التى تلى الفرقة تعد منها من غير خلاف فى ذلك بين الفقهاء . أما اذا كانت العدة بالقروء . وقد أوضحنا سابقا أن الفقهاء قد اختلفوا فى القروء اهى الاطهار . أم هى الحيض .

فعلى القول بالاطهار ـ اذا وقع الطلاق فى أثناء الحيض فان أيام الحيض لا تحتسب من العدة . ووجب مضى ثلاثة اطهار كاملة لانتهاء العدة . واذا وقع الطلاق فى طهر فكذلك الحكم . اذا لم يكن بين الفرقة والحيض مدة ما . أما اذا كان بينهما مدة ولو قصيرة ففى اعتبار تلك المدة قرءا من الاطهار الثلاثة خلاف بين الفقهاء يتجلى فى ثلاثة آراء .

الرأى الاول : ان هذه المدة تعتبر فلا يجب بعدها الا مضى قرءين فقط . وهذا الرأى هو رأى جمهور الفقهاء القائلين بأن القروء هى الاطهار . واليه ذهب الشيعة الجعفرية .

الرأى الثانى : ان هذه المدة لا تعتبر كما لا يعتبر جزء الحيضة قرءا من الاقراء الثلاثة على رأى من ذهب من الفقهاء الى أن المراد من القرء هو الحيض . والى هذا الرأى ذهب الزهرى .

الرأى الثالث : ان المدة المذكورة تحتسب قرءا اذا لم يكن قد حدث فى ذلك الطهر وقاع . فان حدث فيه وقاع لم تحتسب . وهو رأى أبى عبيد .

اما على رأى الفقهاء الذين يقولون ان المراد بالقروء فى الاية الحيض ـ فان الحيض الذى يقع فيه الطلاق او الفرقة لا يحتسب قرءا عندهم باتفاق بل لابد من ثلاث حيض كوامل بعد حدوث الفرقة .

ويبين مما أوضحناه آراء الفقهاء بشأن ابتداء العده ومتى تبتدىء . وفيما يلى نبين آراء الفقهاء كذلك بشأن انتهاء العدة .

اذا كانت العدة بالاشهر . فانها تنتهى بمضى مدتها على نحو ما أوضحناه سابقا من خلاف بين الفقهاء فى اعتبارها بالاهلة أو بالايام اذا ما وقعت الفرقة فى أثناء الشهر .

أما اذا كانت العدة بالقروء . فاما أن يكون المراد بالقروء الاطهار أو الحيض . فعلى القول بأن المراد بالقروء الاطهار . ذهب أصحاب هذا القول فى بيان انتهاء العدة الى رأيين .

الرأى الاول : ان العدة تنقضى برؤية دم الحيضة الثالثة ان حدثت الفرقة فى طهر . والا برؤية الدم من الحيضه الرابعة ان حدثت الفرقة فى حيض . وهذا قول زيد بن ثابت وابن عمر وعائشة وهو ظاهر مذهب الشافعى .

الرأى الثانى : ان العدة لا تنقضى حتى تحيض يوما وليلة من الحيضة الثالثة او الرابعة حسب حدوث الفرقة فى طهر او حيض على النحو المبين بالرأى الاول . واشتراط اليوم والليلة فى هذه الحالة لكى يتحقق ان هذا الدم دم حيض لا دم علة من العلل . وهذا قول عند الشافعية .

اما من يرى من الفقهاء أن المراد بالقروء الحيض وأن العدة ثلاث حيض . فان انقضاء العدة على أساس هذا القول فيه آراء متعددة .

الرأى الاول : ان العدة لا تنقضى بانتهاء الحيضة الثالثة ما لم تغتسل . فلابد لانقضاء العدة ان تغتسل المطلقة من الحيضة الثالثة . فاذا لم تغتسل يباح لزوجها ارجاعها فى حالة الرجعى ولا يحل لغيره تزوجها .

وقد روى عن أبى بكر وعثمان وعمر وابن مسعود وابى موسى وعبادة بن الصامت وهو قول لاحمد كما روى عن شريح انه قال لزوجها الرجعة وان فرطت فى الغسل سنين .

الرأى الثانى : ان عدتها تنقضى بمجرد انقطاع دم الحيضة الثالثة . ولا يتوقف انقضاؤها على الغسل ـ والى هذا ذهب سعيد بن جبير والاوزاعى وهى احدى الروايات عن احمد ـ كما ذهب الى هذا الشيعة الجعفرية ـ ووجه هذا القول ان الله سبحانه وتعالى يقول ـ « والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء » . وقد تمت القروء بدليل وجوب الغسل عليها ووجوب الصلاة .

الرأى الثالث : انها فى العدة بعد انقطاع دم الحيضه الثالثة . ولزوجها مراجعتها حتى تغتسل أو يمضى عليها وقت صلاة كامل وذلك اذا انقطع الدم لما دون اقل مدة الحيض ـ أما اذا انقطع لاكثرها فان عدتها تنتهى بمجرد انقطاعه . والى هذا ذهب ابو حنيفة .

وذهب فقهاء الزيدية . الى أن المطلقة تظل فى العدة بعد انقطاع دم الحيضة الثالثة حتى تغتسل أو يمضى عليها وقت صلاة اضطرارى ، كأن لا يبقى من الوقت الا ما يسع الفريضة بعد زمن الاغتسال فان لم يمض عليها هذا الوقت ولم تغتسل فهى فى العدة سواء انقطع دم الحيض لاقل مدته أم لاكثره .

ونبين فى حديثنا المقبل ان شاء الله آراء الفقهاء فى أقل مدة للعدة . كما نعرض لبيان أحكام عدد من المسائل تطبيقا لما أوردناه من أقوال للفقهاء بشأن مبدأ العده ونهايتها وايضاح ما يجب على المعتدة فى فترة العدة وما يجب لها من حقوق .

الإعجاز العلمي للسنة النبوية

الضبط والربط

تقرر الدراسات الحديثة فى العلوم العسكرية فيما يخص فنون الحرب الدفاعية والهجومية أن من اهم مايجب مراعاته فى التنظيمات العسكرية ويجب توافره فى افراد القوات المسلحة ما يسمى بالضبط والربط .. حتى أن هذا الاصطلاح أصبح من البديهيات المسلم بها فى النظام العسكرى ومن اوليات مايلقن به من يلتحق فى صفوف المقاتلين أيا كانت درجته .. بل ان التركيز على الانضباط يعادل ان لم يزد على الاهتمام بالسلاح ونوعيته والتدرب عليه حيث لا يتحقق الهدف من السلاح الااذا اتصف حامله بصفة الانضباط .. وهكذا أصبح الضبط والربط الصفة الاساسية السائدة لكل أفراد الجيش قاطبة ..

الدكتور عبد الرزاق نوفل

وأول درجات الانضباط وأساس الضبط والربط الطاعة .. لذلك فان القيادات العسكرية حاليا تحرص على خلق الطاعة فى نفوس الجنود وتتعهدها وترعاها .. حرصا منها على تنميتها وتعميقها .. وحفاظا عليها من أية هزة .. أو نكوص وما ذلك الا تنفيذا لما توصى به أساليب الحرب الحديثة .. بل ان من أهم اختبارات اللياقة للجنود سرعة استجابة الفرد للامر .. وحرصه على الطاعة التامة المطلقة .. فالفرد يؤمر بأن يلقى بنفسه الى الماء من ارتفاع شاهق والفرد يؤمر فيخوض نارا متأججة . وتقاس درجة طاعته وسرعة استجابته للامر .. وعليها يتقرر امره ويتحدد مصيره . بل ان من الامور التى يحرص القائد فى عصورنا الحديثة على تكرارها لجنوده يوميا اذا ما سمحت له الظروف .. امرهم بما لا تظهر له فى تصورهم أى هدف واضح وذلك ليتعودوا الطاعة .. والطاعة العمياء دون نقاش أو جدال .. أو تفكر فى سبب أو ارتقاب لنتيجة .. وأصبح من صفات القائد الناجح ان يولى وبصفة مستمرة ما يحافظ به على روح الطاعة بين جنوده ويعمق مفهومها وينمى من طاقاتها ويكرر صورها .. وكثيرا من الاوامر التى تصدر انما تهدف أساسا الى بث روح الطاعة والحفاظ عليها ..

وقبل أن يصل العلم الحديث الى هذه الصفة الاساسية الواجب الحفاظ عليها لدى الجنود نجد ان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد باشر بنفسه غرس هذه الصفات وتعهدها وتنميتها والحفاظ عليها بما علمه به ربه . فى جنوده الذين باشر بهم الدعوة الى دين الله .. درء كل عدوان يقع على المسلمين .

وسبق سيدنا الرسول صلى الله عليه وسلم كل الاصول العلمية الحديثة حيث باشر بنفسه خلق الطاعه فى نفوس جنوده بوسائل ايجابية . لم يصل اليها العلم العسكرى الحديث .. فعلاوة على أنه صلى الله عليه وسلم .. هو الرسول النبى الذى ارسله الله سبحانه وتعالى للخلق أجمعين ومن ثم وجبت طاعته .. بل امر القرآن الكريم فى معظم سوره « بطاعته » فانه صلى الله عليه وسلم عمد الى الوسائل الايجابية لغرس وتنمية الطاعة فى نفوس جند المسلمين .. فلقد أمر بخروج السرايا .. وهى وحدات خفيفة تقطع الوديان وتعتلى الجبال .. تخترق الصحراء وتدخل المدن .. تسير فى برد ليالى الشتاء الطويلة .. وفى ظهيرة ايام الحر اللافحة .. وقد يكون لهذه السرايا عدة أهداف .. كالاستطلاع .. أو التدريب .. ولكن من ضمن اهدافها .. ان لم يكن اولها .. الطاعة . والطاعه العمياء .. بلا نقاش أو حتى تفكير فكان صلى الله عليه وسلم .. يأمر الجماعة ان تخرج الى مكان يحدده .. لتنظر ما به وتعود .. وقد يأمرها دون أن يحدد لها مكانا .. الا بعد ان تصل الى بعيد فى الطريق .. فتفتح مكتوبا

« البقية ص ٤٨ »

البيع بأفضل [بزيادة]

الدكتور محمد عبد المنعم خميس

يحرم كتابا وسنة واجماعا بيع عين أو طعام بافضل أى بزيادة ولو مناجزة ان اتحد الجنس فيهما – فلا يجوز بيع درهم بدرهمين ولا دينار بدينارين ولا صاع من قمح بصاعين ولايدا بيد . فذلك من الربا .

اما اذا اختلف الجنس جازت المفاضلة ان كانت يدا بيد كدينار بوزن من الفضه وكأردب من قمح بأردب من فول مناجزة – وحرم فيهما ربانسىء « تأخير » مطلقا اتحد الجنس أو اختلف . كان طعاما ربويا أم لا . فلا يجوز دفع دينار فى مثله أو فى دراهم لوقت كذا ولا طعام ربوى أو غيره فى طعام آخر لكذا . ويستثنى من ذلك القرض اذا علمت ذلك .

ويجوز صرف ذهب بفضة قلت عن صرف الوقت أو كثرت عند الرضاء بذلك مناجزة يدا بيد لاختلاف الجنس . ولا يجوز ذهب وفضة من جانب بمثلهما من جانب آخر ولو تساويا كدينار ودرهم بديسار ودرهم أو أحدهما مع عرض من جانب كدينار وثوب بمثلهما أو فالفضل المتوهم كالفضل المحقق وتوهم الربا كتحققه درهم وشاه بمثلهما . وسبب التحريم هو سد الذرائع فلا يجوز أن يكون مع أحد النقدين أو مع كل منهما غير نوعه . أو سلعة لان ذلك يوهم القصد الى التفاضل اذ ربما يكون أحد الثوبين اقل قيمة من الدينار الاخر أو أكثر فتأتى المفاضلة .

ولا يجوز صرف مؤخر لما فيه النسىء ولو كان التأخير غلبة كأن يحول بينهما عدو أو يفصل بينهما سيل أو نار أو نحو ذلك . أو قرب التأخير مع فرقة فى مجلس آخر . فالمشهور المنع على الاطلاق وقيل بالجواز فيما قرب . واما دخول الصيرفى « الصراف » حانوته مثلا ليخرج منه الدراهم او مشى بقدر مسافة ما بين حانوتين لتقليب الدراهم فقيل بالكراهية وقيل بالجواز – أو عقد ووكل غيره فى القبض فيمنع الا بحضرة موكله . أو غاب نقد احدهما وطال بلا تفريق فى المجلس فيمنع ويفسد الصرف . أو غاب نقداهما معا عن مجلس العقد ولو لم يطل لانه مظنة الطول ومعناه أن تعقد الصرف مع غيرك وليس معكما شىء ثم تقترض الدينار من الرجل بجانبك وهو يقترض الدراهم من رجل بجانبه فدفعت له الدينار ودفع لك الدراهم فلا خير فيه أى يحرم ولو لم يحصل طول . ولو كانت الدراهم معه واقترضت أنت الدينار فان كان أمرا قريبا كحل كيس النقود ولم تقم ولم تبعث له فذلك جائز . فان وقع الصرف بدين من الجانبين

كأن يكون له على شخص دراهم وله عليك دنانير فتسقط الدنانير فى الدراهم فيمتنع ان تأجل الدين من كل بل وان تأجل من أحدهما لان من عجل المؤجل عد مقلسا . فاذا جاء الاجل اقتضى من نفسه لنفسه فكان القبض انما وقع عند الاجل .. واذا وقع الصرف لرهن عند المرتهن او وديعة عند المودع أو وقع على مستأجر أو عارية غائب كل من الرهن وما بعده عن مجلس الصرف فان حضر فى مجلسه جاز فى الجميع . كما يمتنع صرف مصوغ من ذهب او فضة غصب وغاب عن مجلس الصرف . واما المسكوك ونحوه مما يصرف بعينه كالتبر فيجوز صرفه ولو غائبا لتعلقه بالذمة كالدين الحال الا اذا تلف المصوغ او عدم عند غاصبه فيضمن قيمته أى يترتب عليه ضمان القيمة لانه بالصفة صار من المقومات فيجوز الصرف فى الذمة كالدين الحال . فاذا قوم بدينار جاز أن يدفع عنه دراهم والعكس بشرط التعجيل عند العقد .

ولا يجوز تصديق فى الصرف لا فى عدده ولا وزنه ولا جودته بل يجب العد والوزن والنقد ولو كان الدافع مشهورا بالامانة والصدق اذ ربما كان ناقصا عددا أو وزنا او كان زائفا فيرجع به فيؤدى الى الصرف المؤخر - وشبه منع التصديق فروع اربعة :

الاول - المبادلة فى النقد : أى ذهب وفضة كأن يبدل دينارا بمثله أو درهم بمثله او طعام ولو اختلف الجنس كأن تبدل صاعا من قمح بمثله أو بفول . ويجوز التصديق فيه . ولابد من معرفة العدد والكيل والوزن فيما يوزن منه .

الثانى - القرض : فلا يجوز التصديق فيه فمن اقترض نقدا أو طعاما أو غيرهما لا يجوز له أن يصدق المقترض فيما أخذه منه لاحتمال وجود نقص أو رداءة فيتغاضى عنه آخذه لحاجته أو فى نظير المعروف الذى أسدى اليه .

الثالث - المبيع لاجل : سواء كان المبيع طعاما أو غيره فلا يجوز التصديق فيه لجواز وجود نقص فيغتفر لاجل التأخير او الحاجة فيؤدى لاكل اموال الناس بالباطل .

الرابع : المعجل من الديون قبل أجله : لا يجوز فيه التصديق لان ما عجل قبل أجله سلف فيحتمل أن يكون ناقصا فيغتفر للتعجيل فيكون سلفا جر نفعا .

ولايجوز صرف مع بيع - اى لايجوز اجتماعهما فى عقد واحد كأن يشترى ثوبا بدينار على أن يدفع فيه دينارين ويأخذ صرف دينار دراهم لتنافى أحكامهما لجواز الاجل والخيار فى البيع دون الصرف . كذلك لا يجوز اجتماع البيع والصرف مع جعل أو مساقاة أو شركة او قراض أو نكاح ولا اجتماع اثنين منهما فى عقد . وقد نظم البعض ذلك بقوله :

عقود منفذا منهـــا بعقدة
لكون معانيهـــا معا تتفرق

جعل وصرف والمساقاة شركة
نكاح قـراض ثم بيـع محقق

ولك ان تزيد عليهمـا فهـذى
عقود سبعـة قد علمتهـــا

بقية مقال « الاعجاز العلمى للسنة النبوية »

قد أمر أن يحدد لهم فيه مكان الوصول .. ولعل ذلك كله انما من سبل التدريب الايجابى على الطاعة .. على الانضباط .. على الضبط والربط .

ولقد شاء الله .. فأراد أن يكون للمسلمين من الدروس ما يجعلهم يحرصون على الطاعة العمياء الكاملة .. فى غزوة احد فلقد اصدر سيدنا الرسول امره القيادى حيث قال لفرقة : **احموا لنا ظهورنا فاننا نخاف أن يجيئوا من ورائنا والزموا مكانكم لا تبرحوا منه وأن رأيتمونا نقتل فلا تعينونا ولا تدفعوا عنا وانما عليكم أن ترشقوا خيلهم بالنبل فان الخيل لا تقدم على النبل !** .

ورأت هذه الفرقة أن أصحابهم قد انتصروا وانهم يجمعون الغنائم فقال بعضهم لبعض لم تقيمون ها هنا فى غير شىء وقد هزم الله عدوكم وهؤلاء اخوانكم ينتهبون عسكرهم » .. وانطلقت الاغلبية .. نحو ميدان القتال تأخذ نصيبها من الغنائم .. وانتهز الاعداء هذه الفرصة .. والتفوا حول جيش المسلمين وشددوا عليهم الضرب .. وكان هذا درسا عمليا .. لعاقبة عدم التمسك بالامر وطاعته والالتزام به .. حتى النهاية .

ان سيدنا الرسول قد سبق كل ما وصل اليه العلم الحديث عندما حرص على خلق الانضباط فى نفوس جنده .. وانه ما دخل معركة . الا وكان الضبط والربط بين الجنود . ضمن ما يتميز به هؤلاء الجند .. الذين أبلوا أحسن البلاء .. فى أشرف المعارك .. وأنبل الغايات .. أليسوا جند الله .. وقائدهم رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .

التطبيق المعاصر
لزكاة المال

الزكاة
والهيكل الضريبي الإسلامي
في عالمنا المعاصر

الدكتور شوقي إسماعيل شحاته

يقرر الاسلام حقوقا واجبة ثابتة وحقوقا مندوبة فى المال المملوك ملكية فردية . أما الحقوق الواجبة فى المال فمتنوعة الى :

١ ـ زكاة المال .
٢ ـ الفيء ـ الخراج والجزية ـ والخمس
٣ ـ الانفاق على الوالدين والولد والزوجة الذين يلزم الرجل عولهم
٤ ـ الانفاق على من أرهقته الحاجة ونحو ذلك من حقوق الضرورة
٥ ـ صدقة الفطر والكفارات والنذور
٦ ـ ما يحكم به الحاكم عند الحاجة الى المال مادام قائما بالعدل .

هذه ونحوها حقوق ثابتة واجبة فى المال . أما الحقوق المندوبة فكثيرة واسعة فى وجوه البر والخير فى محيط الاسرة وفي محيط المجتمع على وجه التطوع لا الفرض . يقول أبو عبيد : « قال ابن جريج : وسأل المؤمنون رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا ينفقون ؟ فنزلت « يسئلونك ماذا ينفقون . قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل » قال : فتلك التطوع والزكاة سوى ذلك »

واذا بلغت الحاجة حد الضرورة فان الانفاق فيها على ذوى الحاجات يصير من الحقوق الواجبة فى المال فمن حق المسلم على المسلم أنه يجب على الموسر مهما وجد محتاجا أن يزيل حاجته فضلا عن مال الزكاة . والحقوق المندوبة فى المال تبقى على الندب والتطوع اذا لم تبلغ حد الضرورة فاذا بلغت حد الضرورة كانت ازالة الحاجة فرض كفاية فضلا عن مال الزكاة أو لا يجوز فيضيع المسلم ولذلك يجوز فرض ضرائب أخرى بجانب الزكاة عند الحاجة الى المال مادامت المصلحة تستوجب ذلك ومادام الحاكم قائما بالعدل .

أبو عبيد وأن فى المال حقا سوى الزكاة

ويقول أبو عبيد : حدثنا معاذ بن معاذ عن حاتم بن أبى صغيرة عن رباح بن عبيدة عن قزعة قال : قال لى ابن عمر « فى مالك حق سوى الزكاة »

قال : وحدثنا حفص بن غياث عن مجمع بن جارية عن فلان عن ابن عمر قال : « من أدى الزكاة وقرى الضيف وأعطى فى النائبة فقد برىء من الشح »

وقال : حدثنا حجاج عن حماد بن سلمة عن أبى حمزة قال : قلت للشعبى : اذا أديت زكاة مالى ، أيطيب لى مالى ؟ قال : مقرأ على هذه الاية « ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الاخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب واقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون » .

وقال : حدثنا هشيم قال : اخبرنا اسماعيل بن سالم عن الشعبى بمثل ذلك

قال ابو عبيد : يريد الشعبى ان هذه حقوق لازمة للمرء فى ماله سوى الزكاة .

وقد كان بعضهم يرى هذه الاية منسوخة . قال : حدثنا مروان بن معاوية عن سلمة بن نبيط عن الضحاك بن مزاحم قال : نسخت الزكاة كل صدقة فى القرآن .

قال ابو عبيد : فهذا غير مذهب ابن عمر وابى هريرة . وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم بتاويل القرآن واولى بالاتباع . وهو مذهب طاووس ، والشعبى ، أن فى المال حقوقا سوى الزكاة مثل بر الوالدين ، وصلة الرحم ، وقرى الضيف ، مع ما جاء فى المواشى من الحقوق .

وقال : حدثنا حجاج عن ابن جريج قال : قال ابن عباس – فى قوله تبارك وتعالى : « وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب – الاية قال : نزلت بالمدينة حين نزلت الفرائض وحدت الحدود وأمروا بالعمل .

ويقول ابو عبيد : قال ابن جريج : وسأل المؤمنون رسول الله صلى الله عليه وسلم : ماذا ينفقون ؟ فنزلت « يسئلونك ماذا ينفقون ؟ قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل » قال : فتلك التطوع والزكاة سوى ذلك .

جواز الاقتراض على بيت المال :

والى جانب الحقوق الواجبة فى المال فقد اجاز الفقهاء الاقتراض على بيت المال بشروط معينة لمد الدولة بالموارد المالية اللازمة وسد العجز فى التمويل فى حالة عدم وفاء حصيلة الزكاة وحصيلة الفىء من الجزية والخراج وحصيلة الضرائب الاخرى التى يفرضها الحاكم وغيرها من الايرادات السيادية للدولة مادام ولى الامر قائما بالعدل .

يقول الماوردى : « ان كل مال استحقه المسلمون ولم يتعين مالكه منهم فهو من حقوق بيت المال وكل حق وجب صرفه فى مصالح المسلمين فهو حق على بيت المال .

والمستحق على بيت المال ضربان :

١ – أحدهما ما كان ببيت المال فيه حرزا فاستحقاقه معتبر بالوجود فان كان موجودا فيه كان صرفه فى جهات مستحقا وعدمه مسقط لاستحقاقه .

٢ – والضرب الثانى أن يكون بيت المال له مستحقا على وجه البدل كارزاق الجند واثمان الكراع والسلاح فاستحقاقه غير معتبر بالوجود وهو من الحقوق اللازمة مع الوجود والعدم ، وان كان مصرفه مستحقا على وجه المصلحة والارفاق دون البدل فاستحقاقه معتبر بالوجود دون العدم . فان كان موجودا فى بيت المال وجب فيه وسقط فرضه على المسلمين وان كان معدوما سقط وجوبه عن بيت المال وكان ان عم ضرره من فروض الكفاية على كافة المسلمين حتى يقوم به منهم من فيه كفاية كالجهاد .

ويقول الماوردى : ولو اجتمع على بيت المال حقان ضاق عنهما واتسع لاحدهما صرف فيما يصير منهما دينا فيه . فلو ضاق عن كل واحد منهما جاز لولى الامر اذا خاف الفساد أن يقترض على بيت المال ما يصرفه فى الديون دون الارتفاق وكان من حدث بعده من الولاة ماخوذا بقضائه اذا اتسع له بيت المال .

التخريج الفقهى الشرعى لاحقية الدولة فى فرض ضرائب بجانب الزكاة يتأسس عليها الهيكل الضريبى الاسلامى

أجمع الفقهاء المحدثون على جواز الجمع بين الزكاة والضرائب وان كانوا قد اختلفوا فى التخريج الفقهى الشرعى الذى استندوا اليه وفيما يلى بعض هذه الاراء :

١ – رأى مجمع البحوث الاسلامية بالقاهرة :

٢ – رأى شيخ الازهر الاستاذ الدكتور عبد الحليم محمود :

ويرى شيخ الازهر الدكتور الشيخ عبد الحليم محمود ان على المجتمع أن يكفل المحتاج وأن يسد حاجته وأن يرعى حقه المعلوم فى أموال الزكاة ، فان لم يكن فى الزكاة وفاء فرض المجتمع فى أموال الاغنياء ما يدفع احتياج الفقراء .

وفى آية البر فى سورة البقرة دليل على ذلك فقد عطف فيها ايتاء الزكاة على ايتاء المال والعطف يقتضى المغايرة . قال سبحانه وتعالى « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الاخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة »

٣ – رأى الاستاذ الشيخ محمد أبو زهرة :

ويرى الاستاذ الشيخ محمد أبو زهرة جواز فرض ضرائب أخرى بجوار الزكاة مستندا فى ذلك الى الاسانيد الفقهية الشرعية التالية :

ا – « زعم بعض العلماء أن الضرائب قائمة فى الدول الاسلامية تقوم مقام الزكاة وتغنى غناءها ،

وذلك زعم لا يتفق مع أصل شرعة الزكاة ، لان هذه الفريضة كانت لعلاج الفقر والفقراء وسد حاجة المحتاجين ، والصرف على الجيش المجاهد فى سبيل الدعوة الاسلامية ، وليست هذه هى مصارف الضرائب التى تعرض الان ، فليس للفقير ولا للمحتاجين ما يقرب عشر حقهم فى الزكاة ، وان انفق عليهم شىء فبالتبع لا بالقصد الاول ، ولذلك تجب الزكاة بجوار هذه الضرائب لانها الاصل ولا تغنى عنها ضريبة سواها لم توضع على الاسس التى قامت عليها تلك الفريضة المحكمة ..

وان النبى صلى الله عليه وسلم لم يفرض ضرائب مقدره غير الزكاة والجزيه وذلك لان الحاجه لم تدع الى ذلك فى عصره صلى الله عليه وسلم اذ ان الدولة الاسلاميه فى اول عهدها كانت الامور فيها غير معقدة وكان تعاون المؤمنين فيما بينهم ثابتا قائما ، يحتاج جيش للنفقة فيتقدم عثمان لاعداده كله ، ثم يتصدق أبو بكر احيانا بكل ما يملك ، ثم هذا الاخاء بين المهاجرين والانصار لا يجعل فقيرا : وان المؤمن ليؤثر على نفسه ولو كان به خصاصة ، ولما فرض الله الجهاد فى سبيل الله أفاء الله عليهم من الغنائم الشىء الكثير ، والنبى وزعها بالقسطاس المستقيم ، ولما دانت البلاد العربيه للاسلام وكان منهم نصارى فرضت عليهم الجزية ، وضرب عليهم الخراج فى السنة التاسعة للهجرة المحمدية – أدر الله سبحانه الدر المناسب للدولة الاسلامية . **فلم يكن ثمة حاجة الى فرض ضرائب غير الزكاة والجزيه والخراج .**

والان بعد تعقد الاجتماع واستبحار العمران ، وحاجه الدولة الاسلامية الى المال الكثير ، والزكاة لا تكفى ، أيصح فرض ضرائب غيرها ؟ **وهنا نجد الفقه الاسلامى قد تعرض للجواب عن هذا بالدراسة والفحص ، وذلك أنه قرر أنه اذا كانت هناك حاجة شديده فى بيت المال ، وكان القائمون عدولا ، تفرض ضرائب ، وقد اتفق العلماء على أنه اذا نزلت بالمسلمين حاجه بعد اداء الزكاة فانه يجب صرف المال اليها . وقال مالك رحمه الله : يجب على المسلمين فداء أسراهم وان أستغرق ذلك أموالهم ، وهذا اجماع أيضا »**

ب – ويقرر المذهب المالكى بناء على أصل **المصالح المرسلة الذى أخذ به أنه اذا خلا بيت المال أو ارتفعت حاجات الجند وليس فيه ما يكفيهم ، فللامام ان يوظف على الاغنياء ما يراه كافيا لهم فى الحال ، الى أن يظهر مال فى بيت المال أو يكون فيه ما يكفى .** وقد نص فى هذا المذهب الجليل على أن الامام العادل يجعل هذه الوظيفة فى أوقات حصاد الغلات وجنى الثمار لكيلا يؤدى تخصيص الاغنياء الى ايحاش قلوبهم » .

ونرى من هذا أن الفقهاء يجمعون على أنه يجوز فرض ضرائب عند الحاجة الشديدة الى المال وخلو بيت المال وأن الامام مالكا يبنى على أصل المصالح المرسلة جواز وضع ضرائب منتظمة على الاغنياء خاصة ، أو جعل حصتهم فيها أكبر نسبة من حصة غيرهم مادامت المصلحة توجب ذلك ، ومادام ولى الامر قائما بالعدل والقسطاس . وبهذا يتبين جواز فرض ضرائب غير الزكاة »

جـ – كما يرى جمهور الفقهاء جواز الجمع بين زكاة الزروع والثمار وهى زكاة وبين الخراج وهو بمثابة ضريبة عقارية .

على أن ارادة المسلم هنــــا ليست مطلقة فى كل الظروف على السواء فقد فرض الاسلام الانفاق فى سبيل الله لمصلحه المجتمع الاسلامى . وولى الامر هو الذى يمثل المجتمع وينوب عنه فى تنفيذ هذه التعاليم الخلقيه بمقتضى سلطة الحكم التى فوضها اليه المجتمع . فاذا أغفل الناس أداء فريضة الانفاق فى سبيل الله ، أو أدوها بحصة لا تفى بمطالب المجتمع ، **كان لولى الامر أن يحدد حصة الانفاق من مال كل مسلم على قدر يساره وعلى ضوء ما تمليه ضرورات المجتمع . وهذا سند الضرائب التى لولى الامر أن يفرضها ويجبيها الى جانب ما يجبيه من زكاة ! .**

واذا كان الانفاق فى سبيل الله فى صدر الاسلام يجرى سماحة وتطوعا حتى كان الغنى كعبد الرحمن ابن عوف أو عثمان بن عفان يخرج عن أكثر من نصف ماله واكرم ماله فى سبيل الله ، وكانت حصيلة الزكاة فى عصور أخرى تفيض عن حاجة المستحقين لها ، وقد لا تجد فى موطن جبايتها من تنطبق عليه شروط استحقاقها ، فان ظروف العصر الحاضر تختلف عن ظروف تلك العصور . واذا كان ولى الامر يومئذ لم يجد حاجة لتدخل فى ملكية الافراد لانقطاع حصة المجتمع من اموالهم « فى سبيل الله » فانه فى هذا العصر يصير مفروضا عليه أن يتبع نهجا آخر تطبيقا لقاعدة « تغير الاحكام بتغير الازمان » فهذا تكليف مشروع على مال الفرد فى المجتمع الاسلامى ، وتكليف غير محدود الا بما توجبه مصلحة المجتمع .

وأرشد نهج يتبعه ولى الامر هو وضع نظام ضريبى عادل يلتزم خطة التصاعد بحيث يرتفع سعر الضريبة كلما عظم دخل المكلف ولا تسرى الضريبة على وعائها من مال الفرد الا بعدا ن تطرح منه حصة الزكاة .

ويقول القرطبى : « **واتفق العلماء انه اذا نزلت بالمسلمين حاجة بعد أداء الزكاة يجب صرف المال اليها . قال مالك رحمه الله : « يجب على الناس فداء أسراهم وان استغرق ذلك أموالهم »** وهذا اجماع أيضا .

وقال الشــاطبى : « انا اذا قــررنا أماما مطاعا ، مفتقرا الى تكثير الجنود لسد حاجة الثغور وحماية الملك المتسع الاقطار ، وخلا بيت المــال ، وارتفعت حاجات الجند الى ما لا يكفيهم فللامام اذا كان عدلا أن يوظف على الاغنياء ما يراه كافيا لهم – أى الجيش – فى المال الى أن يظهر مال فى بيت المال »

ثم اليه النظر فى توظيف ذلك على الغلات والثمار وغير ذلك . وانما لم ينقل مثل هذا عن الاولين أى فى العصور الاسلامية الاولى - لاتساع بيت المال فى زمانهم بخلاف زماننا ، فان القضية فيها أخرى ، ووجه المصلحة هنا ظاهر ، فانه لو لم يفعل الامام ذلك بطلت شوكة الامام وصارت دياره عرضة لاستيلاء الكفار .

يقــول أبو محـمد على بن حـزم الاندلسى فى كتابه « المحلى » : وفرض على الاغنياء من أهل كل بلد ان يقوموا بفقرائهم ويجبرهم السلطان على ذلك ان لم تقم الزكوات بهم ولا فى سائر أموال المسلمين بهم . فيقام لهم بما يأكلون من القوت الذى لابد منه ومن اللباس للشتاء والصيف بمثل ذلك وبمسكن يكنهم من المطر والصيف والشمس وعيون المارة ».

برهان ذلك قوله الله تعالى « **وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل** »

وقال تعالى « **وبالوالدين احسـانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم** » فاوجب تعالى حق المساكين وابن السبيل وما ملكت اليمين مع حق ذى القربى وافترض الاحسان الى الابوين وذى القربى والمساكين والجار وما ملكت اليمين والاحسان يقتضى كل ما ذكرنا ومنعه اساءة بلا شك وقال تعالى **ما سلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين** فقرن الله تعالى اطعام المسكين بوجوب الصلاة .

وعن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : **من لا يرحم الناس لا يرحمه الله**

قال أبو محمد : ومن كان على فضلـه ورأى المسلم أخاه جائعا عريانا ضائعا فلم يغثه فما رحمه بلا شك .

ومن طريق الليث بن سعد عن عقيل بن خالد الزهرى : ان سالم بن عبد الله بن عمر أخبره ان عبد الله بن عمر أخبره **أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه !** .

قال أبو محمد : من تركه يجوع ويعرى - وهو قادر على اطعامه وكسوته فقد أسلمه .

حدثنا عبد الله بن يوسف أن احمد بن فتح ثنا عبد الوهاب بن عيسى ثنا أحمد بن محمد ثنا احمد بن على ثنا مسلم بن الحجاج ثنا شيبان بن فروخ ثنا أبو الاشهب عن أبى نضرة عن أبى سعيد الخدرى أن **رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له وقال . فذكر من اصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لاحد منا فى فضل »** .

قال أبو محمد : وهذا اجماع الصحابة رضى الله عنهم يخبر بذلك أبو سعيد وبكل ما فى هذا الخبر تقول .

ومن طريق أبى موسى عن النبى صلى الله عليه وسلم « **أطعموا الجائع وفكوا العانى** » والنصوص من القرآن والاحاديث الصحاح فى هذا تكثر جدا وروينا عن طريق عبد الرحمن بن مهدى عن سفيان الثورى عن حبيب بن أبى ثابت عن أبى وائل شقيق ابن سلمه قال قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لاخذت فضول أموال الاغنياء فقسمتها على فقراء المهاجرين

« وهذا اسناد فى غاية الصحة والجلالة

وصح عن الشعبى ومجاهد وطاوس وغيرهم كلهم يقول . فى المال حق سوى الزكاة » .

قال أبو محمد

وما نعلم عن أحد منهم خلاف هذا الا عن الضحاك ابن مزاحم فانه قال نسخت الزكاة كل حق فى المال

قال أبو محمد وما رأى الضحاك حجة « فى نسخة أخـرى بحجـه » فكيف رأيه والعجب أن المحتج بهذا أول مخالف له فيرى فى المال حقوقا سوى الزكاة منها النفقات على الابوين المحتاجين وعلى الزوجة وعلى الجيران والديون والاروش تظهر تناقضهم فان قيل قد رويتم عن طريق ابن أبى شيبه ثنا أبو الاحوص عن عكرمه عن ابن عباس قال من أدى زكاة ماله فليس عليه جناح أن لا يتصدق .

فهذا يعنى أن لا يتصدق تطوعا وهذا صحيح .

قال أبو محمد ولا يحل لمسلم اضطر ان يأكل ميتة أو لحم خنزير وهو يجد طعاما فيه فضل عن صاحبه لمسلم او لذمى لانه فرض على صاحب الطعام اطعام الجائع فاذا كان ذلك كذلك فليس بمضطر الى الميتة ولا الى لحم الخنزير وبالله تعالى التوفيق وله ان يقاتل عن ذلك فان قتل فعلى قاتله القود لانه منع حقا وهو طائفة باغية .

قال تعالى « **فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله** »

ومانع الحق باغ على أخيه الذى له الحق وبهذا قاتل أبو بكر الصديق رضى الله عنه مانع الزكاة وبالله تعالى التوفيق » .

وقد ناقش أحد الباحثين نظرية ابن حزم وانتهى الى أن ابن حزم يقدم لنا اطارا عاما لهيكل الضريبى الاسلامى فى ضوء المفاهيم والمبادىء الاتية :

١ - أن حق الفقـراء فى أموال الاغنيـاء حق مطلق ، محدود بحدود معينة هى : مدى حاجة الفقراء ، وليس بحدود الزكاة .

٢ - يحدد ابن حزم مستوى معين لحاجات الفقراء المطلوب تغطيتها من أموال الاغنياء وهى المأكل والملبس والمسكن .

٣ - ان هذه الحاجات تتطور بتطور الظروف والبيئة .

٤ - ان كفاية هذه الحاجات موكولة الى الدولة تقتضيها من أموال الاغنياء اذا لم تف حصيلة الزكاة المفروضة بحدودها المعينة ، بل وحصيلة الفىء

أيضا ، وذلك عن طريق الضرائب التى تفرضها الدولة لتسد بها هذه الحاجات .

٥ ـ أن هذا المورد الاضافى الذى ينادى به ابن خرم مورد مرن .

٦ ـ ان ابن حزم أطلق يد الدولة فى فرض الضرائب ولم يقسها على الزكاة ،وبناء عليه لا يمكن القول بأنها يجب أن تكون على رأس المال وانما بهذا الاطلاق يمكن أن تفرض على رأس المال ، أو على رأس المال والايراد العام . أو على الايراد فقط كضرائب الدخل المعاصرة .

كما يرى الباحث أن لونى الامر ان يطور الحاجات التى حدها ابن حزم بالمأكل والملبس والمسكن فى ضوء ظروف عصره الى ضوء ظروف عصرنا الذى نعيشه اليوم بحيث تشمل الصحة ، والتعليم ، والرعاية الاجتماعية ، والتدريب المهنى ، والامعان الاستثمارى الذى يمكن هؤلاء الفقراء من الاستغناء فيما بعد ، وخلافه من أوجه الانفاق العامة للدولة فى العصر الحديث . وفى ضوء هده الحاجات المتطوره يكون فرض الضرائب الاخرى بجوار الزكاة ، ويرى أن اراء ابن حرم هذه هى أساس الضرائب التوزيعية الحديثة ، ويخلص الى انه يتعين أن **نستوفى الزكاة الاصلية بمقاديرها المحددة شرعا ، ثم بعد ذلك تفرض من الضرائب ما يكفى لحاجات الدوله** ، والزكاة هى الحد الادنى الذى لابد من تحصيله واذا لم تف حصيله الزكاة فانه يفرض بجانبها من الضرائب ما يساندها فى مهمتها الكبرى من ضرائب الدخل وخلافه .

نظام مقترح لهيكل ضريبى اسلامى .

وانطلاقا من هذه المفاهيم والمبادىء اقترح الباحث نظاما لهيكل ضريبى اسلامى وفقا لاسلوب الضرائب التوزيعية فى الاطار الاتى :

١ ـ المواجهة الاولى : بموارد الزامية تمثل فى الزكاة .

٢ ـ المواجهة الثانية : بفرض ضرائب اخرى بجوار الزكاة وهى عمل اسلامى مشروع يشكل المرحلة التالية للزكاة .

٣ ـ هذه الضرائب الاخرى ان فرضت وحدها لا تغنى عن الزكاة ، ذلك ان الزكاة بفرض من الله ولا ينبغى ان تبدل كلمات الله ، بينما تغنى الزكاة عن الضرائب ان اتضحت لها قدرة المواجهة .

ويقترح الخطوات الاتية لاقامة هيكل ضريبى اسلامى متكامل :

١ ـ تقوم الدولة اخذا بأسلوب التخطيط فى المجالات الاقتصادية والاجتماعية والادارية بتقدير نفقاتها المختلفة بحصر جميع احتياجاتها المنتظرة خلال كل سنة من سنوات الخطة آخذة فى اعتبارها ، ما يحتمل من ظروف خلال الخطة وكل سنة من سنواتها ، مع اتخاذ كافة الاحتياطيات لمنع المغالاة فى تقدير تلك المصروفات من جانب القطاعات المختلفة مع الاسترشاد بالمصروفات الفعلية للسنوات السابقة معدلة باحتمالات ظروف المستقبل بالنسبة للفترة المقبلة .

٢ ـ وفى ضوء هذا التقدير للمصروفات يتم حصر جميع موارد الدولة ـ عدا المورد الخاص بالضرائب ـ المنتظر تحصيلها فى ضوء القوانين والاسعار المعمول بها ، والعوامل التى يحتمل أن تجد خلال الفترة المقبلة ما يدعو الى تغير الحصيلة وكل هذا بالنسبة للخطة فى مجموعها بما فى ذلك أيضا فائض قطاع الاعمال المخطط خلال نفس الخطه .

٣ ـ من البندين ١ ، ٢ تكون قد تحددت النفقات اللازمة خلال الخطة وبالتالى خلال كل سنة من سنواتها . وبفرض أن ذلك قد بلغ فى سنة ما ٢٠. مليون جنيها ، ويكون قد تحددت لدينا أيضا جملة الايرادات المنتظر تحصيلها فى ظل القوانين السائدة وفى ضوء العوامل المحتمل حدوثها خلال الخطة وبالتالى خلال كل سنة من سنواتها كل هذا ما عدا مورد الضرائب ـ ولنفرض أن ذلك قدبلغ خلال نفس السنه ١٥٠. مليون جنيها فتكون حصيله الضرائب المطلوبه خلال السنه مبلغ ٥٠. مليون جنيها .

٤ ـ ثم يجرى بعد ذلك حصر شامل لما ستكون عليه أوعيه الزكاة المحددة بنص من القرآن والسنة ، وكذلك بالنسبه لكل مال استحدث فى زماننا تحقق فيه وصف النماء ومن ثم وجبت فيه الزكاة بشروطها ، **وحصيلة الزكاه هذه تمثل الضرائب التحديدية** فاذا كانت حصيلة الزكاة بالنسبة لتلك الاوعية تفوق الـ ٥٠. مليون جنيه اكتفينا بذلك .

٥ ـ وهذا الفرض الجدلى وهو وفاء حصيلة الزكاة بهذا المبلغ قد لا يحدث ، ولنفرض مثلا انه مبلغ ٣٠. مليون جنيها فنقوم باستقطاع تلك الحصيلة من جملة المطلوب وقدره ٥٠. مليون جنيها ويكون الباقى ٢٠. مليون جنيها مطلوب فى صورة ضرائب .

٦ ـ **بالنسبة للمبلغ الباقى المطلوب فى صورة ضرائب وقدره ٢٠٠ مليون جنيها يتبع اسلوب الضرائب التوزيعية** بحيث يحدد لها أسعار معينة خلال مدة الخطة على أن تفرض هذه الضرائب على باقى الاوعية فى المجتمع ـ أى بعد استنزال أوعية الزكاة والتى أنتجت حصيلة الزكاة بمبلغ ٣٠ مليون جنيها ـ ان وجدت ، والا فعلى أوعية الزكاة نفسها سواء فرضت هذه الضرائب على الايرادفقط أم على الايراد ورأس المال .

٧ ـ وبهذا يكون قد تم **الجمع بين أسلوب فرض الضرائب : ضرائب تحديدية متمثلة فى الزكاة بمقاديرها الشرعية ، وضرائب توزيعية متمثلة فى الضرائب الاخرى .**

الزكاة وميزانية الدولة

وقد اختلف الفقهاء المعاصرون فى مدى علاقة الزكاة بميزانية الدولة على قولين :

١ ـ الرأى الاول ينادى بالاخذ بقاعدة وحدة الميزانية بوضع جميع النفقات العامة والايرادات

« البقية صفحة ٥٨ »

التجارة فى الاسلام

المستشار عبد الستار آدم

« ١ »

يعرف بعض فقهاء المسلمين التجارة بأنها تقليب المال بالبيع والشراء بقصد الربح فيه .

ويعرفها البعض الاخر بأنها كسب المال ببدل هو المال .

ويقول آخرون ان عقد التجارة هو كسب المال بالمال بعقد شراء أو اجارة أو استعواض

ويقول ابن خلدون ان معنى التجارة تنميه المال بشراء البضائع ومحاولة بيعها باغلى من ثمن الشراء اما بانتظار حدائه الاسواق أو نقلها الى بلد آخر هى فيه أنفع واغلى أو بيعها بالغلاء على الاجال .. كما يقول رحمه الله ان البيع لغة مبادلة شىء بشىء ، والبيع شرعا مبادلة المال بالمال .

ويقول الامام الغزالى ان الامة قد أجمعت على ان **البيع سبب لافادة الملك .**

والتجارة فى الاسلام من مصادر الكسب المشروع كالزراعة والصناعة والميراث والهبة .. الخ ، بل هى من أفضل هذه المصادر ، فهى عمل من أشرف الاعمال ، والربح الناتج عنها مال حلال .

قال تبارك وتعالى فى سورة البقرة :

« الذين ياكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربا ، وأحل الله البيع وحرم الربا » آية ٢٧٥

ويقول الامام الطبرى فى تفسير هذه الاية الكريمة : ان الله تبارك وتعالى احل الارباح فى التجارة والشراء والبيع وحرم الربا .

وقال فى سورة النساء :

« لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن قراض منكم » آية ٢٩

ويقول الاستاذ الكبير الشيخ عبد الجليل عيسى فى تفسير هذه الاية الكريمة بأنه لا يأخذ احد منكم مال أحد بطريق غير مشروع كالسرقة ومنع الارث مثلا . لكن بكم أخذ أموال غيركم اذا كانت عن تراض بتجارة او نحرها .

وقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم :

« أفضل الكسب بيع مبرور وعمل الرجل بيده »

ويجمع هذا الحديث الشريف ـ على ايجازة العبارة ـ بيان طرق الكسب التى يقرها الاسلام ، ذلك أنه لا يجيز أن ينمو رأس المال بذاته دون عمل أوجهدمطلقاكما هو الحال فى الكسب الربوى ، وانما يجوز نماء المال حين يختلط بالعمل والجهد الانسانى كما فى التجارة

وقال ، صلوات الله وسلامه عليه :

« عليكم بالتجارة ففيها تسعة اعشار الرزق » رواه الترمذى .

وللتجارة مكانة عظيمة عند الله ، عز وجل ، فقد جعلها **ابتغاء من فضله** ، وأمر بها عقب الصلاة المفروضة ، وقرن بها ذكره ، وعلق عليها رجاء الخير والفلاح حيث قال سبحانه فى سورة الجمعة :

« فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » اية ١٠

الشرح :

انتشروا « اى تفرقوا

ابتغوا : أى اطلبوا

من فضل الله : اى بعض فضل الله مما كان ممنوعا بعد الاذان وقبل الصلاة .

وقال ، جل ثناؤه وعلا شانه فى سورة المزمل :

« وآخرون يضربون فى الارض يبتغون من فضل الله » ، اية ٢٠

المراد بقوله تبارك وتعالى يضربون فى الارض اى يسافرون للتجارة .

ويروى عن أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب ، رضى الله تعالى عنه ، أنه قال :

« يا أيها الناس كتب عليكم ان ياخذ احدكم ماله » فيبتغى فيه من فضل الله ، عز وجل ، فان فيه العبادة والتصديق ، وأيم الله لان اموت فى شعبتى رحلى وأنا أبتغى بما فى الارض من شعبتى الله ، احب الى من ان اموت على فراشى ، ولو قلت انها شهادة لرأيت انها شهادة »

وعنه ، رضوان الله عليه أنه قال : **« ما من موضع ياتينى الموت فيه ، أحب الى من موطن أتسوق فيه لاهلى أبيع وأشترى »**

الصفات التى ينبغى أن يتحلى بها التاجر المسلم

الاسلام يحتم على التاجر أن يكون صادقا ، أمينا ، لا يخلف الوعد ، سمحا اذا باع واذا اشترى ٠

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ان أطيب الكسب كسب التجار الذين اذا حدثوا لم يكذبوا ، واذا ائتمنوا لم يخونوا ، واذا باعوا لم يمدحوا ، واذا كان عليهم لم يمطلوا ، وان كان لهم لم يعسروا »

« ما أملق تاجر صدوق »

« رحم الله رجلا سمحا اذا باع ، واذا اشترى واذا اقتضى »

« البيعان بالخيار ما لم يفترقا ، فان صدقا وبينا بورك لهما فى بيعهما ، وان كتما وكذبا محقت البركة من بينهما » .

وفى رواية أخرى

« البيعان بالخيار ما لم يفترقا ، فان صدق البيعان وبينا بورك لهما فى بيعهما ، وان كتما وكذبا فعسى ان يربحا ويمحقا بركة بيعهما ، اليمين الفاجرة منفعة للسلعة ممحقة للكسب » .

وهذا الحديث الاخير يشير الى أن البائع والمشترى أحرار فى تنفيذ بيعهما وشرائهما مدة عدم تفرقهما من مجلس البيع ٠ فان كان البائع صادقا فى بيعه مبينا للمشترى قيمة السلعة الحقيقية ، ومظهرا له ما قد يكون بها من عيوب بما يرضى الله عز وجل ، وضع الله تعالى لهما البركة فى بيعهما وشرائهما ٠

ويظهر لنا الحديث المذكور أن من صدق فى البيع بارك له الله سبحانه فى بيعه ، ولكن اذا كتم الحقيقة وكذب على المشترى واقسم كاذبا يبغى الربح وترويج السلعة فالله جل وعلا يمحق بركة هذا البيع ويزيل الخير منه ٠

كما روى أن رسول الله ، صلوات الله وسلامه عليه قال :

« ان التجار يبعثون يوم القيامة فجارا ، الا من اتقى الله وبر وصدق » ٠

« التاجر الصدوق تحت ظل العرش يوم القيامة » ٠

كما ينبغى على التاجر المسلم ألا يغش فى تجارته عن ابى هريرة ، رضى الله تعالى عنه ، أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، مر على صبرة طعام ، فأدخل فيها يده فنالت أصابعه بللا فقال :

« ما هذا يا صاحب الطعام ؟ » ٠

فقال : أصابته السماء يا رسول الله ٠

قال رسول الله : « أفلا جعلته فوق الطعام كى يراه الناس ؟ من غش أمتى فليس منى » ٠

وعن عبد الله بن عمر ، رضى الله تعالى عنهما ، قال : مر رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بطعام وقد حسنه صاحبه فادخل يده فيه فاذا طعام ردىء فقال :

« بع هذا على حدة ، وهذا على حدة ، فمن غشنا فليس منا » ٠

كذلك يجب على التاجر المسلم أن يوفى الكيل والميزان والا يبخس الناس أشياءهم ٠

روى أن النبى ، صلوات الله وسلامه عليه ، لما قدم المدينة رأى أن التجار فيها كانوا من اخبث الناس كيلا فأنزل الله عز وجل ، « ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون ، الا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم ، يوم يقوم الناس لرب العالمين » سورة المطففين الايات من ١ الى ٦ ٠

وبعد نزول هذه الايات الكريمة احسن تجار المدينة الكيل وقال ، جلت قدرته وتعالت حكمته ، فى سورة الشعراء : « أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين ، وزنوا بالقسطاس المستقيم ، ولا تبخسوا الناس أشياءهم » الايات ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ٠

والاسلام يحتم على التاجر المسلم كذلك أن يتمسك باهداب القناعة فيكتفى بالربح القليل ٠ وأن يبيع سلعته بالسعر المناسب ، والا يحتكر السلع والاقوات ٠

قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم :

« من جلب طعاما فباعه بسعر يومه فكأنما تصدق به » ٠

« من دخل فى شىء من أسعار المسلمين ليغليه عليهم كان حقا على الله أن يقعده بعظم من النار يوم القيامة » ٠

والعظم ، بضم العين وسكون الظاء : أى مكان عظيم من النار

« الجالب مرزوق والمحتكر ملعون » ٠

والجالب : هو من يجلب السلع التى تفتقر اليها الاسواق ليبيعها للمستهلكين بالاسعار الملائمة

والمحتكر : هو من يجمع السلع والبضائع التى يحتاجها الناس ويحبسها عنهم ، وذلك بقصد رفع سعرها ٠

ومفهوم الاحتكار فى الفقه الاسلامى يتفق مع مفهومه فى الاقتصاد الوضعى والذى يعنى السيطرة على عرض أو طلب السلعة بقصد تحقيق أقصى قدر من الربح ٠

وهناك احاديث نبوية شريفة أخرى تنهى عن الاحتكار منها :

« من احتكر طعاما فهو خاطىء » ٠

« لا يحتكر الا خاطىء » ٠

« من احتكر حكرة يريد أن يغلى بها على المسلمين فهو خاطىء » ٠

والخاطىء : هو العاصى الاثم ٠

« من احتكر طعاما أربعين يوما فقد برىء من الله وبرىء الله منه » ٠

« من احتكر طعاما أربعين يوما فقد برىء منه الله ورسوله » ٠

« من احتكر على المسلمين طعامهم ضرب الله ماله بالافلاس » ٠

وروى أن أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب ، رضى الله تعالى عنه ، رأى طعاما خارج المسجد فقال :

ما هذا الطعام ؟

قالوا : طعام جلب الينا او علينا ٠

فقال : بارك الله فيه وفيمن جلبه الينا أو علينا ٠

فقال له بعض الذين معه : يا أمير المؤمنين ، قد احتكر ٠

قال : ومن احتكره ؟

قالوا : احتكره فروخ ومولى عمر بن الخطاب ٠

فارسل اليهما ، فأتياه ، فقال : ما حملكما على احتكاركما طعام المسلمين ٠

قالوا : يا أمير المؤمنين نشترى باموالنا ونبيع ٠

فقال عمر ، رضى الله تعالى عنه : سمعت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يقول :

« من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجذام والافلاس » ٠

فقال فروخ يا أمير المؤمنين ، فانى أعاهد الله وأعاهدك ان لا أعود فى احتكار طعام أبدا ٠

أما مولى عمر فقال : نشترى باموالنا ونبيع ولم يستمع لقول رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، الذى ردده عمر على سمعه ٠

فقيل انهم رأوا مولى عمر مقطع الاطراف من الجذام ، مكسر الاضلاع ٠

وفى الاعداد التالية من هذه المجلة الغراء سنتحدث - ان شاء الله تعالى وكان فى العمر بقية - عن بعض البيوع التى نهى عنها الاسلام ، وعن التجارة المحرمة شرعا ، ثم عن أثر التجارة فى انتشار الدعوة الاسلامية ٠

والله ، جل ثناؤه وعلا شانه ، ولى التوفيق والسداد ٠

الأئمـة .... الأربعـة

حمل الائمة الاربعة لواء الاجتهاد فى الفترة من أول القرن الثانى الهجرى الى منتصف القرن الرابع. وقد كان الاجتهاد فى هذا العصر حرا طليقا ، لم تغلق أبوابه ولم يكن ثمة تقليد الامن العامة يقلدون من يستفتونه . أما الفقهاء فكانوا فى حرية يظلها القرآن الكريم وتنيرها السنة النبوية ويهديها المأثور عن الصحابة والتابعين الى محجة الصواب ؟

ونعرض فيما يلى كلمة موجزة عن كل امام من الائمة الاربعة :

أبو حنيفة : اسمه النعمان وكنيته أبو حنيفة وابوه ثابت . فارسى . وقيل ان ثابتا هذا قد استرق لبنى يتم ، ولذا قيل أبو حنيفة اليتمى ، لان اباه من مواليهم . ويستبعد المتعصبون له أن يكون قد جرى الرق على أبى حنيفة أو أبيه ، ويحكمون بأنه حر من أبناء الاحرار فى فارس لم يجر رق فى نسبه قط . وان صح الرق على أبيه او عليه فليس ذلك بضائره لانه ما علا بنسب أو حسب ، ولكن بعلم وفضل وتقى ، وانه لجليل خالد الذكر بعيد الاثر ، مهما يكن أبوه . ولقد ثبت عند أكثر المؤرخين أنه ولد فى العام المتمم للثمانين بعد الهجرة فى عهد عبد الملك بن مروان

وعاش الجزء الاكبر من حياته فى عصر الامويين ، فأدرك تلك الدولة فى عزها وعنفوانها وطغيان بعض ولاتها ، رفسوتها وشدتها على آل البيت وكان فيه كأبناء قبيلة تشيع لهم ، ثم أدرك اض‌راب الامور عليها ، وقص الارض من أطرافها واستيلاء بنى العباس ، فصهرت تلك الاحداث نفسه وانضجتها تلك التجارب وانه لمرهف الحس قوى الادراك سريع الملاحظة . ولد ونشا بالكوفة وفى العراق علم وفلسفة وحكمة ، واتجه فى أولى حياته الى علم الكلام ثم تحول الى علم الفقه ، بعد أن شدا ونما فيه وقيل ان له مؤلفا فيه سماه الفقه الاكبر . ولقد روى عنه تلميذه زفر بن الهزيل انه قال « كنت انظر فى الكلام حتى بلغت فيه مبلغا يشار اليه فيه بالاصابع » ويروى عنه أنه قال « كنت قد نازعت الخوارج من الاباضية والصفرية وغيرهم .. وكنت اعد الكلام أفضل العلوم ، ثم علمت أنه لو كان فيه خير لتعطاه السلف الصالح فهجرته » ، هجره الى الفقه فأخصب فيه ، وقد تلقى الفقه على حماد بن أبى سليمان الاشعرى فقيه الكوفة ، ولازمه وحماد هذا كان شيخ مدرسة الرأى ، ومن انتهى اليه علمها فتخرج عليه أبو حنيفة ووجد الرأى يوائم ما عنده من نزعة منطقية فكرية ، فسار فيه حتى صار شيخا لهذه المدرسة ومن انتهت اليه علومها فى الفقه ، ولقد تلقى أبو حنيفة مع تلقيه عن شيخه حماد عن كثيرين سواه ، جلهم من أهل الرأى والقياس .

ومع اتجاه ابى حنيفة للفقه ، كان يأكل من تجارة الخز . وقد أفاد من ذلك علما كثيرا بالصفق فى الاسواق وعرف التجار فى عصره ، وكان ذا ثروة عظيمة وعاش فكها فى حياته الى أن مات فى حبس المنصور سنة ١٥٠ هجرية .

ولقد عرض على أبى حنيفة القضاء مرتين ، فامتنع وعذب فيهما . انتهى عذابه فى الثانية بالموت فى محبسه . عرض عليه أول مرة فى عهد بنى أمية فرفض فعذب لهذا الرفض وعرضه عليه المنصور فرفضه يحرر الرفض بعد تهديده قائلا « لو هددتنى ان تغرقنى فى الفرات او أن ألى الحكم لاخترت ان اغرق . فلك حاشية يحتاجون الى من يكرمهم لك فلا أصلح لذلك » غير أنه يظهر أنه اتخذ الرفض دليلا على تشيعه لآل على . ويروى أنه كان يذكر هذا فى دروسه ويجاهر به حتى قال له تلميذه زفر بن الهزيل « والله ما أنت بمنته حتى توضع الحبال فى أعناقنا » .

وطريقة ابى حنيفة فى الاجتهاد تتلخص فى جمل رويت عنه ، فقد قال عن نفسه « انى آخذ بكتاب الله اذا وجدته ، فما لم أجده فيه اخذت بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والاثار الصحاح عنه التى فشت فى ايدى الثقاة ، فاذا لم اجد فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذت بقول أصحابه من شئت وأدع قول من شئت ، ثم لا أخرج من قولهم الى قول غيرهم ، فاذا انتهى الامر الى ابراهيم والشعبى والحسن وابن سيرين وسعيد بن المسيب ... فلى أن اجتهد كما اجتهدوا » .

المستشار أحمد محمود خليل

ومات أبو حنيفة بعد أن ترك آراءه في صدور تلاميذه فقاموا عليها خير قيام ورعوها حق رعايتها ثم ورثوها من بعدهم ودونوها في الكتب .

وتلاميذه كثيرون نذكر منهم ثلاثة لان كتب الفقه الحنفي تذكرهم دائما . وهم أبو يوسف ومحمد وزفر .

أما أبو يوسف (١١٣ – ١٨٢ هجريه) فهو يعقوب بن ابراهيم وجده الاكبر من الانصار فهو عربي وقد نشأ فقيرا ، فكان ابو حنيفة يمده بالمال ، وقد لازمه واخذ عنه ، وكان أحب تلاميذه اليه . ولقد ولي القضاء للمهدي والهادي وللرشيد ، وكان ذا خطوة عند الرشيد ، وكان أول من رحل من أهل الحديث من أصحاب ابي حنيفة . وقد أفاد منه المذهب فوائد كثيرة ، فقد ابتدأ بتدوينه ، ودون كثيرا منه ، وأيده بالسنة بعد أن اتصل بالمحدثين ونشر المذهب بما له من جاه القضاء وصقل المذهب صقلا قضائيا ، ولم يتفق مع أبي حنيفة في كثير من المسائل ورأيه أنضج الاراء فيما يتعلق بالاقضية .

ومحمد هو ابن الحسن الشيباني ، وهو من الموالي ، ونسبته الى بني شيبان بالولاء . ولد في سنة ١٣٢ وتوفي سنة ١٨٩ هجرية تتلمذ لابي حنيفة في آخر حياته ، ولم يلازمه طويلا ، لان أبا حنيفة مات وهو في الثامنة عشرة من عمره . وقد أخذ فقه العراقيين ، وتلاقى بالمحدثين وكان فيه ذكاء وفطنة . وله أثر في فقه أبي حنيفة لانه هو الذي دونه في كتبه . ومن أشهرها كتبه الستة وهي المبسوط والزيادات والجامع الصغير والسير الصغير والجامع الكبير والسير الكبير ، وفيها رويت آراء أبي حنيفة ودون مذهبه ، وتسمى هذه الكتب ظاهر الرواية .

وزفر (١١٠ – ١٥٨ هجرية) وكان أمهر أصحاب أبي حنيفة في القياس ، واشدهم أخذا بطريقته ، ولم يتلق عن أهل الحديث كالصاحبين . ويروى عن المزني وهو من أصحاب الشافعي أنه جاءه رجل فسأله عن فقهاء العراق قال : ما تقول في أبي حنيفة ؟ قال : سيدهم ، قال فأبو يوسف ؟ قال اتبعهم للحديث . قال فمحمد ؟ قال أكثرهم تفريعا . قال فزفر ، قال أحدهم قياسا .

مالك (٩٣ – ١٧٩ هجرية) هو امام دار الهجرة . مالك بن انس . عربي . ينتهي الى قبيلة يمنية . ولد بالمدينة وعاش بها ولم يرحل عنها الى غيرها من البلدان . تلقى الفقه على كبار التابعين وتابعيهم بالمدينة ، فأخذ عن نافع مولى عبد الله بن عمر ، وعن ربيعة بن عبد الرحمن المعروف بربيعة الرأي وغيرهما . وقد أخذ أكثر دروسه عن أهل الحديث ، وتلقى على أهل الرأي ، فأخذ عن ربيعة الرأي . ولما شهد له شيوخه بالحديث والفقه جلس لرواية الحديث والافتاء . فكان من جهة راوية للحديث وحافظا متصدرا فيه ، وكان من جهة اخرى فقيها مستنبطا ، ولقد روى عنه الحديث كثيرون من العلماء . منهم أبو يوسف صاحب أبي حنيفة ومحمد بن ادريس الشافعي ، وتخرج عليه في الفتيا والاستنباط مجتهدون اجلاء . ولقد كان مجلس علمه مجلس وقار ومهابة «كان مجلس مالك مجلس وقار وحلم ، وكان رجلا مهيبا نبيلا ، ليس في مجلسه شيء من المراء واللغط ولا رفع صوت . اذا سئل عن شيء فأجاب سائله لم يقل له من أين رأيت هذا » .

ولقد انزل ولاة بني العباس بذلك الامام الجليل محنة شديدة ، فقد ضربه والي المنصور بالسياط وقد اتفقت الروايات على ايذائه ، واختلفت في سببه ، فقيل انه كان لا يرى يمين المكره وان من حلف مكرها فلا يمين له . وكان يروي الحديث « وليس على مستكره طلاق » فقيل لبني العباس ان هذا يستتبع ان من بايع مكرها فله التحلل من بيعتهم بهذا الحديث . فنهي عن التحديث به . فحدث به على رؤوس الاشهاد . وروى ان السبب انه سئل عن البغاة الخارجين على الخلفاء ، أيجوز قتالهم فقال : ان خرجوا على مثل عمر بن عبد العزيز . فقال السائل فان لم يكن مثله ، فقال دعهم ينتقم الله من ظالم بظالم ، ثم ينتقم من كليهما ، ومهما يكن من أمر هذا الخلاف فمن المؤكد ان السبب رأى له قد ارتآه او وشاية نمام أثيم . ولقد نتج عنه أن مالكا ضرب بالسياط ومدت يده حتى انخلعت كتفه ، قالوا فما زال مالك بعد هذا الضرب في رفعة من الناس وعلو من أمره حتى كأنما كانت تلك السياط حليا حلي بها .

وطريقة مالك في الاستنباط ان يأخذ من الكتاب ثم من السنة ، وكان لا يشدد فيشترط للاخذ بالحديث ان يكون مشهورا كما كان يفعل ابو حنيفة ، بل كان يأخذ بالسنة وان لم تكن مشهورة ، ولكنه مع ذلك شديد التحرى عن صدق الراوي . ولقد كان يقول « لا يؤخذ العلم من أربعة ، ويؤخذ من سواهم : لا يؤخذ من سفيه ، ولا يؤخذ من صاحب هوى يدعو الى بدعته ، ولا من كذاب يكذب في أحاديث الناس وان كان لا يتهم على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا من شيخ له فضل وصلاح وعبادة اذا كان لا يعرف ما يحمل وما يحدث به .

وقد كان يأخذ بالقياس ، ولكن بقدر قليل . وقد اشتهر عنه الاخذ بامرين : **أحدهما** عمل أهل المدينة ، فكان ما عليه عمل أهل المدينة يجب الاخذ به لانها كانت اليها الهجرة وبها نزل القرآن . فان اتفق أهل المدينة على أمر قدم على القياس ، بل على الحديث الصحيح وان كان العمل عليه أكثرهم قدم على القياس وعلى خبر الواحد . **ثانيهما** الاخذ بالمصالح المرسلة ، وهي المصالح التي لم يشهد لها من الشرع بالبطلان أو الاعتبار دليل . فانه يأخذ بها اذا لم يكن ثمة نص في موضع النزاع . وقد فتح ذلك الاصل بابا متسعا لحرية الاستنباط ، فكان مذهب مالك مع أنه في جملته من المذاهب التي تتمسك بالاثر قبل كل شيء من أوسع المذاهب وأرحبها وأقبلها للنمو ومسايرة الازمان بسبب الاخذ بأصل المصالح المرسلة .

الشافعي : (١٥٠ – ٢٠٤ هجرية) . هو ابو عبد الله محمد بن ادريس الشافعي . ينتهي في نسبه الى عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم . فهو عربي قرشي . وقد ولد بغزة ورحلت به أمه وهو ابن سنتين الى مكة ، وفيها ترعرع ونما ، وتفصح في بني الهذيل بالبادية . وأخذ يتصل في مكة برجال الفتيا والحديث ، ثم رحل الى المدينة ولازم مالكا رضي الله عنه ، وقرأ عليه الموطأ ، واستمر ملازما له حتى مات .

ولقد ولي بعض الاعمال باليمن ، ثم اتهم بالتشيع لآل علي ، ولكن نفى هذه التهمة عن نفسه أمام الرشيد ، فبرأ ساحته وقد التقى بعدئذ بمحمد ابن الحسن الشيباني وأخذ عنه فقه العراق واطلع على كتبهم ، ثم أخذ في الطواف في الاقاليم حتى استقر ببغداد سنة ١٩٥ هجرية وفيها دون مذهبه الاول . وكان ثمرة لدراسته طريقة أهل الحديث بالحجاز ، ولطريقة العراقيين ، ولتجاربه في الولاية والطواف في الاقاليم واطلاعه على معاملات الناس المختلفة ، ثم سافر الى مصر وفيها انفتق ذهنه الى أمور لم يرها أولا . فأنشأ مذهبه الثاني ، وفي هذا المذهب اختلفت عن الاول نتيجة الاجتهاد قليلا وكثيرا في مسائل كثيرة . وفي الحق ان مذهبه قد جمع خير ما عند أهل الحديث من طرق الاستنباط ، وأوسط ما في مذهب أهل الرأي . « ان الناس كانوا قبل الشافعي فريقين : أصحاب الحديث وأصحاب الرأي . أما أصحاب الحديث فكانوا عاجزين

عن المناظرة والمجادلة عاجزين عن تزييف طريق أهل الرأى ، فما كان يعمل بسببهم قوة فى الدين ، ونصره فى الكتاب والسنة . وأما أصحاب الرأى فكان سعيهم وجهدهم مصروفا الى تقرير ما استنبطوه برأيهم ورتبوه بفكرهم .. فجاء الشافعى . وكان عارفا بالنصوص من القرآن والاخبار وكان عارفا بأصول الفقه وشرائط الاستدلال .. وكان قويا فى المناظرة والجدل .. فرجع عن قول أصحاب الرأى أكثر أنصارهم وأتباعهم .

وطريقه الشافعى فى الاستنباط مدونة فى رسالته فى الاصول يحتج بظواهر القرآن حتى يقوم الدليل على ان المراد بها غير ظاهرها ، وبعد ذلك السنة ، ويأخذ برواية الواحد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مادام ثقة ضابطا ويأخذ كالامامين السابقين بالاجماع ، ويرفض الاخذ بالمصالح المرسلة ، والاستحسان ، ولا يأخذ من أبواب الرأى الا بالقياس .وقد دافع عن آرائه بفصاحة ولباقة وحضور بديهة وقوة .

احمد بن جنبل (١٦٤ ـ٢٤١ هجرية) هو أحمد بن حنبل الشيبانى . نشأ ببغداد وعاش بها وتلقى العلم عن أهل الحديث ، ودارس الشافعى الذى قال فيه « خرجت من بغداد ، فما خلفت فيها رجلا أفضل ولا أعلم ولا أفقه من احمد بن حنبل » .ولقد كان احمد زاهدا ورعا تقيا . نزلت به محنة استمرت طويلا . فهو ممن امتنعوا من ان يقولوا ان القرآن مخلوق فى عهد المأمون ، فقيد وسيق فى الاصفاد الى المأمون ، ولما مات المأمون لم ينقطع بلاء احمد بل استمر البلاء به ومزق جسمه بالسياط ، وهو راض غير مستهين بعقيدته ، واستمر فى الحبس ثمانية وعشرين شهرا ، حتى يئسوا منه ، وعلموا انه لا يجيب دعاءهم ، ويؤثر بالاجابة دعاء النفس والوجدان وما يراه واجب الاعتقاد وجزءا من الايمان ، فأطلق سراحه ، فعاد الى ما كان عليه من الافتاء والتحديث الى ان مات المعتصم ، ولما آل الامر للواثق سار على سنة أبيه وعمه فى هذه المسألة ، وانزل المحنة بمن لا يراها ، ولكنه لم يرد ان ينزل بأحمد أكثر مما نزل به فقال لا تجمعن اليك أحدا ولا تساكنى فى بلد أنا فيه . فأقام احمد مختفيا لا يخرج الى صلاة ولا غيرها ، حتى مات الواثق .

والامام احمد يعده كثيرون من العلماء محدثا ولا يعدونه فقيها ، فان جرير الطبرى يقول فيه « انه رجل حديث لا رجل فقه » .

وفى الحقيقة ان فقهه يبنى على الحديث ، فاذا وجد حديثا صحيحا أفتى به ، واذا وجد فتوى صحابى عمل بها ، واذا وجد فتاوى للصحابة تخير أقربها الى الكتاب والسنة . واذا صحت عنده روايتان مختلفتان فى أمر من فتاوى الصحابة يروى عن احمد روايتان أيضا فى الفقه ، ولا يأخذ بالقياس الا فى الضرورة القصوى ويرجح عليه الحديث ، ولو كان ضعيفا . وكان يكره الفتيا فيما ليس فيه أثر .

رضوان الله عليهم أجمعين .

بقية مقال « التطبيق المعاصر للزكاة »

العامة للدولة بما فيها الزكاة ـ ايرادا ونفقة ـ فى ميزانية واحدة ومواجهة النفقات فى مجموعها بالايرادات فى مجموعها ، ويستند أصحاب هذا الرأى الى انه لا تباين بين المصارف المالية التى ذكرت فى القرآن الكريم للزكاة والفىء ـ والجزية والخراج والخمس ـ اذ أن مفهوم مصرف « فى سبيل الله » فى نظرهم مفهوم واسع عام يشمل جميع وجوه الخير وكل مصالح الامة وحاجاتها مع مراعاة البدء بالاهم وعدم التفريط فى نوع مما خصه الله سبحانه وتعالى .

٢ ـ أما الرأى الثانى فينادى أصحابه بعمل ميزانية مستقلة للزكاة ـ ايرادا وصرفا ـ عن ميزانية الدولة العامة مما يمكن معه تخصص أموال الزكاة لمصارفها المنصوص عليها اذ أن مفهوم مصرف « فى سبيل الله » عند جمهور الفقهاء المراد به الصرف على الجهاد والمرابطة لحماية الثغور أى الانفاق على الجيش والقوات المسلحة وكل ما يتصل بها مادامت تجاهد فى سبيل الله تعالى . ويرى أصحاب هذا الرأى أنا لو عممنا ذلك النعيم فى تفسير « فى سبيل الله » ماكان لتخصيص كل صنف بالذكر معنى ، اذ كلمة فى سبيل الله تشمل بعمومها الذى ذكروه كل الاصناف المذكورة وغيرها فلابد من التخصيص لتميز الاقسام ويستقيم المعنى ، ولان ذلك ينافى المقصود من الزكاة وهو سد حاجة المحتاجين وحماية الدولة ، ولانا لو فسرنا ذلك التفسير لكانت مصارفها هى مصارف الدولة عموما ، وهذا ينافى أن تكون لها ميزانية قائمة بذاتها .

والاية الكريمة فى مصارف الزكاة « انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » تقر أن الزكاة يجب ان يكون لها ميزانية قائمة بذاتها ، لانها تقرر ان العاملين عليها يأخذون مرتباتهم منها ، فهى بهذا توجب أن تكون لها ادارة قائمة بذاتها وينفق عليها منها . يقول الاستاذ الشيخ محمد أبو زهرة : وذلك ما فهمه المسلمون من أقدم العصور فقد جعلوا للزكاة بيت مال قائم بذاته .

وتمشيا مع المبررات القوية والاسباب الوجيهة التى نادى بها أصحاب الرأى الثانى أرى أن نتمسك بقاعدة وحدة الميزانية ـ ولكن مع الاخذ بقاعدة التخصيص ، بمعنى تخصيص هذا النوع من الايرادات أى حصيلة زكاة المال ـ لخدمة مرافق معينة بالذات هى مصارف الزكاة الثمانية مع تطبيق تفسير مفهوم « فى سبيل الله » وعدم التوسع فيه .

وسوف نناقش باذن الله فى البحث القادم عدم اشتراط التكليف الدينى ممن تجب الزكاة فى ماله عند جمهور الفقهاء وأن الزكاة تكليف متعلق بالمال نفسه .

والله الموفق والمستعان .

استصحاب الحال في الشريعة الاسلامية

استصحاب الحال : هو الحكم بثبوت أمر فى الزمن الثانى لثبوته فى الزمن الاول لعدم ما يصلح للتغيير . وتحقيق ذلك معناه ان يقال هو اعتقاد كون الشىء فى الماضى أو الحاضر يوجب ظن ثبوته فى الحال أو الاستقبال . فالاستصحاب استفعال من الصحبة وهى استدامة اثبات ما كان ثابتا أو نفى ما كان أول الكلام منفيا . ومعنى ذلك كله أن الحكم يظل معمولا به نفيا أو اثباتا حتى يقوم دليل آخر يثبت نقيض ذلك الحكم . وذلك كاستصحاب حكم الطهارة وحكم الحدث . واستصحاب بقاء النكاح وبقاء الملك وشغل الذمة بما تشغل به حتى يثبت خلاف ذلك .

الدكتور عبد العزيز محمد عزام

وقد دل الشارع على تعلق الحكم به فى الصيد حيث قال : «ان وجدته أى الصيد غريقا فلا تأكله ، فانك لا تدرى الماء قتله أو سهمك . وقوله «وان خالطها كلاب من غيرها فلا تأكل ، فانك انما سميت على كلبك ولم تسم على غيره . وذلك لان الاصل فى الذبائح التحريم ووجود الشرط المبيح للاكل مشكوك فيه فبقى الصيد على أصله فى التحريم ، ولما كان الماء طاهر ، فالاصيل بقاؤه على طهارته ، ولم يزلها بالشك . ولما كان الاصل بقاء المتطهر على طهارته لم يأمره بالوضوء ابقاء لما كان على ما كان .

ثم ان الاستصحاب ليس بحجة الا فيما دل الدليل على ثبوته ودوامه بشرط عدم المغير كما دل العقل على البراءة . ومن هذا القبيل الحكم بتكرر اللزوم والوجوب اذا تكررت أسبابها . كتكرر الحاجات . لان الشارع قصد الى نصيب هذه الامور أسبابا ، ولهذا أوجب استصحابها والخضوع لمقتضياتها اذا لم يمنع مانع ، فلولا دلالة على كونها أسبابا لم يجز استصحابها .

تلك هى حقيقة الاستصحاب ، وبيان معناه فى عرف بعض الفقهاء . والان نتجه الى بيان موقف الفقهاء منه ومدى أخذهم بهذا الاصل الفقهى . والحقيقة أن الائمة قد اتفقوا فيما بينهم على الاخذ به ولكنهم اختلفوا فى مقدار ذلك ومداه ، فأكثر الفقهاء أخذا به هم الحنابلة ثم الشافعية ثم المالكية ثم الحنفية .

ولعل ذلك يرجع الى مقدار الاخذ بالقياس والعرف والاستحسان ، فمن توسع من الفقهاء فى الاعتماد على تلك المصادر الثلاثة كان قليل الاعتماد على الاستصحاب فى المسائل التى لم ينص على حكمها ، لان لهم فى المصلحة المرسلة ما يغنيهم عن ذلك الاصل . وهؤلاء هم الحنفية ومعهم المالكية ، وان كان المالكية أقل منهم أخذا بالاستصحاب .

أما فقهاء الحنابلة والشافعية : فقد اعتبروا القياس عند الضرورة ، ومن ثم فقد توسعوا فى طرائق الاستنباط بذلك الاصل . فاعتبروا أن غلبة الظن باستمرار حكم من الاحكام قرينة لاستمرار ذلك الحكم ، وذلك يفيد أن الاستصحاب لا يعد دليلا قويا ، ولذلك فلا يلجأ اليه المجتهد الا فى آخر الامر ، لانه اذا عارضه أضعف أدلة الاستنباط الاخرى فانه يقدم عليه .

ويقرر ذلك الخوارزمى بقوله : « هو آخر مدار الفتوى فان المفتى اذا سئل عن حكم حادثة رجع أولا الى الكتاب أو السنة أو الاجماع أو القياس ، فان لم يجد أخذ حكمها من استصحاب الحال فى النفى أو الاثبات ، فان كان التردد فى ثبوته فالاصل عدم ثبوته » وقد أومأ الامام أحمد الى ذلك فى رواية أبى طالب وقد سأله عن قطع النخل فقال : لا بأس به ، لم نسمع فى قطع النخل شيئا ، قيل له : فالنبق ، قال : ليس فيه حديث صحيح وما يعجبنى قطعه ، قلت له : اذا لم يكن فيه حديث صحيح فلم لا يعجبك ؟ قال : لانه على كل حال قد جاء فيه كراهة ، والنخل لم يجىء فيه شىء قال القاضى: فقد استخدم احمد الاستصحاب للاباحة فى قطع النخل لانه لم يرد شرع يحظره .

وعلى ذلك فانه اذا كان الاصل فى شىء الاباحة فانها تستمر حتى يقوم الدليل على الحظر . واذا كان الاصل فى شىء الحظر ، فانه يستمر الحظر حتى يقوم دليل على الاباحة ، واذا كان الاصل فى أمر الوجوب استمر الوجوب حتى يقوم دليل على عدمه .

فاذا كان الاصل فى العقود والشروط وجوب الوفاء بها أخذا من عموم النصوص الموجبة لها ، فان ذلك الوفاء ثابت لكل عقد وشرط ، مهما يكن ، حتى يقوم الدليل على خلاف ذلك . واذا ثبت أن الاصل فى المصالح والمنافع الاباحة ، فان كل أمر فيه منفعة يصح تناولها حتى يقوم الدليل على حظرها .

وهذا الاصل هو المصدر الوحيد الذى أمد الفقه الحنبلى بطاقات هائلة من المرونة والسعة على الرغم من اتباعه لما كان عليه السلف الصالح وتشدده فى هذا الاتباع ، فانه اذ يتشدد فى قبول الرواية لاثبات حكم من الاحكام ، فانه كذلك يتشدد فى قبول الدليل الذى يبطل حكم الاستصحاب ، ومن ثم فان هذا المذهب يعد من أوسع المذاهب الاسلامية تحقيقا للشروط وأقلها تقييدا وابطالا لها .

بقى أن نقرر أن الحنابلة يثبتون حكم الاستصحاب فى الاثبات والنفى أى فى الايجاب والسلب ما دام لم يقم مانع لاستمراره وعلى ذلك يرث المفقود من غيره ، وتثبت له الوصايا ، ولذلك فهم يقولون : بأن الاستصحاب يصلح دليلا للاثبات

« البقية صفحة ٦٤»

التشريع الجنائى الإسلامى

الشيخ عبد الحميد بلبع

من وقت قريب اطلعت فى أحدى الصحف اليومية على مقال تحت هذا العنوان « التشريع الجنائى الاسلامى » وكاتبه يرى البدء بتطبيق التنظيمات البناءة قبل البدء بتطبيق العقوبات ـ هذه وجهة نظرله ـ ولعل لديه ما يبررها ولكن حبذا لو بدىء بتطبيق المشروعين معا كسبا للوقت • وزيادة فى النفع • فان وجود العقوبات أعون على الامتثال وأقدر على التنفيذ وان ارجاءها مدعاة للنسيان أو التمييع • ثم قال الكاتب مبينا وجهه نظره هذه « أن بدء التطبيق بالعقوبات أمر يثير من الملاحظات ما لا يجوز اخفاؤها وذكر ملاحظات فعلا وعند الاطلاع عليها تبين ان التفكير السليم يرى أن اخفاء هذه الملاحظات خير وأبقى من اعلانها ـ فان اعلانها بمعسول لفظها يحدث بلبلة العامة وان اعلان ما تنطوى عليه من خدش الشريعة ونظم المجتمع يثير قلق الخاصة •

وان واجبى الذى يدفعنى لتسجيل ما تبين لى مما تنطوى عليه هذه الملاحظات من خدوش للشريعة والمجتمع الاسلاميين - خروجا من ربقة كتمان العلم - ورجاء بيان الحقيقة ناصعة مجردة من التقنيع والتزيين منعا للبلبلة ودفعا للقلق مكتفيا بالملاحظتين الاوليين - وبالله القدير التوفيق والسداد والعون

يقول الاستاذ فى اولى ملاحظاته

١ • ان الشريعة الاسلامية كل متكامل وليست العقوبات الا سياجها الاخير - والتفكير الايجابى يقتضى البدء بالتنظيمات البناءة » •

وأقول ان هذا التعبير يفيد أن العقوبات الجنائية الاسلامية ليست من الشريعة الاسلامية لامرين •

الامر الاول : قولك « وليست العقوبات الا سياجها الاخير وأن اللغة العربية التى نتفاهم بها تقول « ان سياج الشىء ما احيط به الشىء » وعليه فان قولك وليست العقوبات الا سياجها الاخير يعنى أنها غير الشريعة وليست منها - هذا هو منطوق التعبير ومدلوله •

الامر الثانى : التعقيب يقولك « والتفكير الايجابى يقتضى البدء بالتنظيمات البناءة بانه يفيد ان العقوبات ليست من التنظيمات البناءة حتى يبتدأ بها - فكيف هذا وذاك مع أن الواقع الذى لا مراء فيه ان العقوبات جزء من هذا الكل المتكامل الذى ذكرت أنفا انه الشريعة الاسلامية وبالتالى أنها كذلك من التنظيمات البناءة والادلة على هذا متضافرة •

أولا - القرآن الكريم ذكر هذه العقوبات أجمالا وتفصيلا فى مواضع متعددة منه •

قال تعالى **انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع ايديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض** وقال « **كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى!** » وقال تعالى «**والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا** » وحث على هذه العقوبات وحذر من تركها ولو للرأفة على المستحق كما قال تعالى فى حد الزنا «**الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولاتاخذكم بهما رأفة فى دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين** » •

ثانيا : الرسول صلوات الله عليه نفذها فى مجتمعه فرجم الزانى وقطع يد السارق ثم قال « **والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها** » • اذن يكون طلب ارجاء البدء بتطبيق هذه الحدود تعويقا مقنعا أو تمييعا ممهدا للقضاء على المشروع فى جملته فى مهده وهذا تصرف يستحق التروى والتأمل الدقيق لمساسه بالعقيدة •

ثم يقول الاستاذ تدليلا على صدق نظريته فى البدء بتطبيق التنظيمات البناءة قبل مشروع العقوبات : يقول

« أن مجتمعنا فى كثير من معاملاته لا يمكن أن يوصف بانه مجتمع اسلامى والبدء بتطبيق العقوبات يعنى أننا نحمى مجتمعا غير اسلامى بحدود اسلامية » ونقول هنا وصفت الحدود بانها اسلامية وفى الملاحظة الاولى يفيد كلامه أنها غير الشريعة بالله - الست معى يا سيادة الاستاذ فى أن سلب وصف الاسلام من مجتمعنا حكم قاس وتهمة خطيرة ليس فى محيط مجتمعنا ما يبررها - فان كل ما بنيت على هذا الحكم فى كلامك هو معاملات المجتمع وبديهى انك تقصد المعاملات الخارجة عن اطار الشريعة الاسلامية من الرذائل والمفاسد والاثام وحتى هذه لا تبرر هذا الحكم فانها معاملات ليست جماعيه بل هى معاملات فردية بين طائف من المجتمع لا تعبر فى مجموعها عن كل المجتمع بل ولا عن نصفه - ومثل هذه المعاملات لا يخلو منها اى مجتمع فهذا المجتمع فى عهد الرسول صلوات الله وسلامه عليه كان يشمل المسلم الكامل والمسلم المنحرف وغير المسلم ومع ذلك كان معروفا بالمجتمع الاسلامى على أن أركان الاسلام كلها قائمة فى مجتمعنا الان وقبل الان وتؤدى فى طبقات المجتمع فرادى وجماعات فى مواقيتها المحددةفالصلاة والزكاة والصيام والحج كل يؤدىعلنا وعلىرءوس الاشهاد منغير انقطاعفكيف يسلب وصف الاسلام عن مجتمعنا مع قيامه بهذه الاركان وهى قوام الاسلام •

٢ - يرى الاستاذ فى ملاحظته الثانية ارجاء تطبيق مشروع العقوبات الجنائية الاسلامية الان لان مجتمعنا يعانى شدة فى شئون الحياة والشدة تقتضى وقف العمل بحد قطع يد السارق كما عطله سيدنا عمر فى مجتمعه فى الشدة - وهذا نص ملاحظته الثانية •

« أن الخليفة الجليل عمر بن الخطاب عطل حد قطع يد السارق فى عام من اعوام الشدة رغم وروده بنص صريح فى القرآن الكريم رحمة بالناس ومراعاة للظروف » ثم استنكر التفكير فى اعادة تطبيق هذا الحد الان فيقول « وانه لمن سوء الاتفاق ان لا نفكر فى تطبيق هذا الحد الا فى ايام شدة وعناء » ونقول أنه بالتأمل فى حال مجتمعنا الان - يعنى فى وقت الشدة وفى حال مجتمع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب نرى فرقا شاسعا بين الحالين - فأن مجتمع عمر آنذاك كان فى عام الرمادة ومعروف أنه عام المجاعة العامة مات فيه ناس كثيرون من تاثير شدة الجوع عليهم حتى كان عمر يطلب الغوث من الاقاليم وكان يشرف بنفسه على اطعام الناس وهو يبكى حزنا على ما أصاب الناس من هول هذه الشدة الخانقة التى ما تركت بيتا الا ذاق منها ما اشرف به على الموت • فهؤلاء لو سرقوا او سرق احدهم فانما سرق لعذر او شبهة والمبدا العام فى الاسلام بينه الرسول صلوات الله عليه بقوله « **ادرءوا الحدود بالشبهات** » وعلى ضوء هذا المبدأ تصرف عمر بمجتمعه فلم يأخذ أحدا فيه بحد السرقة لان له عذرا أو شبهة ولكن لو فرض ووجد عمر بين هؤلاء الناس الذين اغتالتهم المجاعة أفرادا أو فردا لم تنل منه الشدة مثل ما نالت من هؤلاء الناس ولكنهم يعايشونهم وسرق فرد او اكثر من هؤلاء الافراد فهل يعطل عمر الحد معه لانه يعيش فى مجتمع الشدة التى لم تنل منه ما نالت من غيره - لايتصوران يعطل الحد مع هذا السارق لانه مكفى بحاجته وليس عذر ولا شبهة - اذن مجرد الشدة ليس سببا فى وقف العمل بالحد وانما السبب هو عدم كفاية الفرد حاجته وعجزه عن سدها - ولاشك ان الشدة التى فى مجتمعنا لم تبلغ حد الحاجة كما حدث فى مجتمع عمر فانا لم نسمع قط أن فردا من مجتمعنا نزلت به الشدة حتى أفقدته الاستطاعة على تحصيل حاجته فيضطر لسرقتها كما حدث فى عهد عمر بل كل ما نسمعه أو نراه أن كثيرا وكثيرا من أفراد المجتمع تشملهم الشدة وأنهم يجدون فى سبيل الحصول على حاجتهم صعوبة وعناء شديدين ولكن فى النهاية يحصلون على حاجتهم نفسها أو على من ينقذهم من عنائهم بطعام و مال ومع ذلك يسرقون فهل وجود هذه الشدة فى هؤلاء يعفيهم من اقامة الحد اذا سرقوا - لا - لا تعفيهم بل أرى أنها تفرضه تنفيذا لصريح النصوص - ونكرر **أن الشدة التى يعيشها مجتمعنا الان لا تقف أمام تنفيذ العقوبات بل أن هذه الشدة تستدعى وجود العقوبات حفاظا على كيان المجتمع من التفكك والانحلال وعلى نظامه من الفوضى والانهيار - والله أعلم وهو ولى التوفيق** •

الشيخ الشرقاوي يعلن

الحجة الشرعية بحقوق الشعب

الأستاذ محمد فهمي عبد اللطيف

فى التاريخ الحديث للشعب المصرى أكثر من ثورة لها مكانتها التاريخية ، ومن أسبق تلك الثورات وأبعدها الثورة التى أعلنها الشيخ عبد الله الشرقاوى على المماليك وفساد حكمهم ، حتى جاهرهم بالدعوة الى خلع طاعتهم ، وأجبرهم على توقيع الحجه الشرعية بحقوق الشعب ، وتحديد الحدود فى حكم الحاكمين للمحكومين .

كان الشيخ الشرقاوى شخصيه مرموقة فى العلم والورع والجاه والمهابة . وكانت له الصدارة بين صفوة من العلماء الشيوخ يقدر فيهم عامة المسلمين كرامة العلم وشرف الدين : ويعتبرونهم ملتمس بركه ومثوبه عند الله : ومظهر جاه عند الحكام فى قضاء حوائجهم : ودفع المظالم عنهم : فكان لهؤلاء العلماء من الشيوخ سلطه على النفوس فى غير انشغال عن الدنيا .

وما كان الناس يحتلون منهم فى هذا كله الا نفوسا متواضعة خاشعة ومظهرا لا شموخ فيه ولاكبرياء ، وتلك كانت مكانتهم عند الناس ومظهر قوتهم عند الحاكمين والمحكومين .

وفى يوم حضر الى الشيخ الشرقاوى فى القاهرة الفلاحون من أبناء احدى القرى فى الشرقية ، وهى موطنه ، وشكوا اليه من أن اتباع محمد بك الالفى أمير المماليك فرضوا عليهم المظالم والمغارم بغيروجه من الحق . واستباحوا أموالهم ووسائل معايشهم فى سبيل اغراضهم ، وفزع الشيخ لشكواهم ، فسعى الى كل من مراد بك وابراهيم بك ليطلبا من الالفى ان يكف اتباعه عن هده المظالم ، وان يمتنعوا عن هذه المغارم التى يفرضونها عليهم ظلما وليس لها ما يبررها من امانة الحكم وحق الشرع ، فوعداه خيرا ولكن انقضى زمن دون أن يظهر اى أثر لهذا الخير ، وعاد أبناء تلك القرية فى الشرقية يشكون الى الشيخ بأن الظلم على حاله ، بل انه صار اقسى وافحش ، فغضب الشيخ لهذا الظلم فى ذاته ، ولان كلمته قد أهدرت عند اولئك المماليك الذين تجاوزوا حدود الشرع فى حكم الشعب ، وانطلق الشيخ من فوره الى الازهر ، ودعا العلماء والشيوخ الى الاجتماع ، ووقف الشيخ الوقور المتكامل ورعا وخشوعا وقد التهبت نظراته بنار الغضب ، واستوت قامته انفعالا بروح الثورة ، وبدا وكأنه زوبعة نفسية جائحة ، او صاعقة روحية مدمرة ، وفى لهجه متفجره بالسخط والغضب شرح الشيخ للعلماء والشيوخ ما كان من المظالم التى وقعت على الفلاحين . وما كان من سعيه لدى اولئك الحكام من المماليك على غير جدوى ، وقال الشيخ أما وقد تجاوز الامر كل حدود الشرع ، ولم يعد عند اولئك الحكام وازع ولا رادع فان اثم ذلك علينا ، والويل لنا ان رضينا بذلك ، والناس يعانون الضيق والظلم فى حياتهم ومعاشهم .

واستجاب العلماء والشيوخ لدعوة الشيخ وقرروا اعلان الثورة وانذار الامراء جهرة بالمقاومة ، واتفقوا على اغلاق أبواب الجامع الازهر ، ودعوا التجار وأصحاب الاعمال الى اغلاق حوانيتهم وتعطيل اعمالهم ففعلوا ، وباتت القاهرة وهى تتاجج بالثورة والانتقاض على الظلم والحكم الذى يقوم على الظلم ، وفى اليوم التالى ركب الشيخ الشرقاوى وركب معه العلماء واندفعت وراءهم جموع الشعب فى مظاهرة صاخبة ثائرة حتى انتهوا الى دار شيخ السادات ، وكانت له مكانته الصوفية المرموقة فدعوه الى ان يكون هو واتباعه معهم فى مقاومة المماليك وخلع طاعتهم الا اذا اذعنوا بحق الشرع ، وحكموا الرعية بالعدل وما تفرضه حدود الدين .

وكان لابراهيم بك احد هؤلاء الحكام من المماليك قصر بجوار دار الشيخ السادات فرأى العلماء وجموع الشعب تتدافع ثائرة غاضبة ، ومدد الجموع المتدفق لا ينقطع وكأن القاهرة كلها قد انتقلت الى هذا المكان ، وهاله أمر هذه الجموع المحتشدة وعلى رأسهم العلماء والشيوخ فأرسل يتعرف السبب فى ذلك ، فلما علم السبب خشى مغبة الامر ، وأوجس من الذهاب بنفسه الى مكان الاجتماع فبعث بالدفتردار

أيوب بك نائبا عنه ليستمع لأقوال العلماء ويسعى فى تحقيق مطالبهم ، قال الجبرتى وحضر أيوب الى اجتماع العلماء وسلم عليهم ووقف بين أيديهم وسألهم عن مطالبهم ، فقالوا اننا نريد العدل ورفع الظلم والجور ، واقامة الشرع وابطال ما أخذتموه من الضرائب والمكوس وألا يفرض على الرعية شىء الا برضاهم . فقال ان هذا لا يمكن انجازه لوقته ولا يتحقق دفعة واحدة ، ورجاهم أن يخففوا من مطالبهم ، وقال اننا لو أجبناكم الى كل ما تطلبون ضاقت علينا النفقات والمطالب .

وتكلم الشيخ الشرقاوى فقال : **ان هذا ليس بعذر** : ولا مما يجيزه الدين والشرع ، ان الامير هو الذى يعطى لا الذى يأخذ من الناس ، وانتم تأخذون ما فى أيدى الناس ظلما وتنفقونه على شراء الجوارى والمماليك وما تعيشون فيه من بذخ وترف ، فاما اقامة الشرع واما خلع الطاعة لهؤلاء الامراء واراد الدفتردار أن ينجو بنفسه فقال : **لقد جئت اليكم موفدا** من الامير ابراهيم بك ، وقد سمعت منكم ، ولابد أن أبلغ الامير ، ثم أعود اليكم بالرأى - ولكن الدفتردار خرج ولم يعد برأى ، فخرج الشيوخ فى جمعهم الحافل وتوجهوا الى الجامع الازهر ، وباتوا ليلتهم فيه ، وبيتوا الرأى على أن يخرجوا فى الغداة الى الطرقات والساحات العامة ويعلوا الامراء بخلع الطاعة والاستجابة لحكم الشرع ، واجتمع أهل الاطراف من العامة والرعية فى الجامع الازهر ، ومن حوله ، وباتت القاهرة ليلة صاخبة تنذر بالخطر ، ورأى الامير ابراهيم بك أن الخطر أصبح محدقا به وبالامراء ، فأرسل الى العلماء والشيوخ يعضدهم ، ويقول لهم انا معكم وهذه المظالم التى تقع انما تقع على غير خاطرى ومرادى ، واذا اقتضى الامر سأحارب فى صفوفكم ، ومن جهة ثانية ارسل الى مراد بك يحذره من عاقبته وثورة العلماء والشعب . ويحثه على عمل شىء لتهدئة ثورة العلماء قبل أن ينفجر الشعب كله بالعصيان .

وكان الوالى الاكبر يرقب الحالة لينظر ما يصنعه امراء المماليك لتدرك الخطر ، فلما راهم لم يصنعوا شيئا قصد الى قصر ابراهيم بك وجمع الجند واصحاب الكلمه النافذة فى عساكر المماليك ، وارسل العلماء والشيوخ يدعونهم للمشاورة وابرام الامر على ما يحبون ، فحضر من رؤسائهم الشيخ الشرقاوى والشيخ الامير والشيخ السادات والسيد عمر مكرم والشيخ البكرى وهم الذين لهم الكلمة المسموعة فى الملمات ، وفى المجلس اعلن الشيوخ مطالب الشعب وحرروا بها وثيقة وقعها الامراء والتزموا بها فى حكم الشعب .

أما هذه الوثيقة التى أطلقوا عليها اسم الحجة الشرعية ، فقد تضمنت اعلان الامراء أنهم تابوا ورجعوا والتزموا بما شرطه العلماء عليهم بأن يدفعوا سبعمائة وخمسين كيسا موزعة ، وأن يرسلوا غلال الحرمين ، ويصرفوا غلال الشون وأموال الرزق ويبطلوا المظالم المحدقة والفروض والمكوس ما عدا ديوان بولاق ، وأن يكفوا أتباعهم عن امتداد أيديهم الى أموال الناس وأن يسيروا فى الناس سيرة حسنة ، ادانة الامراء بقضاء المحاكم فى قضايا الحقوق وأن تفرض الضرائب بموافقة الرعية وفقا لاحكام الشرع .

وكان القاضى حاضرا المجلس وهو الذى كتب الوثيقة أو الحجة الشرعية بهذه الحقوق ، وناولها الى الوالى الاكبر فصدق عليها ، كما ختم عليها ابراهيم بك ومراد بك ، وانفض المجلس وخرج الشيوخ وحول كل واحد منهم كما يقول الجبرتى وأمامه وخلفه حشود عظيمة من العامة وهم ينادون حسب ما رسم سادتنا العلماء فان جميع المظالم والمكوس والفروض باطلة من مملكة الديار المصرية وفرح الناس بذلك وفتحت الاسواق وسكنت الحال .

قال الاستاذ العقاد تعليقا على هذه الحجة الشرعية : **ولو أن هذه الحجة كتبت فى بعض البلاد الاوربية لجاء خبرها مع كتب القوم فى علوم** السياسة الحديثة بعنوان من تلك العناوين الكثيرة عن حقوق الشعب أو الدستور الاكبر أو « الماجنا كارتاه » وما اليها من مصطلحاتهم التاريخية ، **ولكن العلماء الذين دعوا أمراء العصر الى توقيع ذلك لم يحسبوا كتاب الله وسنه رسول الله التى نسيها أولئك الامراء : وكتب الموثق عليهم حجة شرعية بشهادة الرعيه وشهادة الامة التى تأمر بالمعروف من عباده العلماء . اما تاريخ تلك الحجة فكان فى شهر ذى الحجة سنة ١٢٠٩ للهجرة و١٧٩٥ للميلاد : وبذلك يكون الشيخ الشرقاوى قد أعلن حقوق الشعب فى ذلك الزمن الذى لم تكن فيه أكثر الامم قد عرفت هذه** الحقوق .

بقية مقال « من أخلاق القرآن »

وهناك أناس اولى بالقسط اكثر من غيرهم ، كاليتامى الذين يستحقون مزيدا من الرعاية والعناية ، ولذلك يقول الحق تبارك وتعالى : « **ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم فى الكتاب فى يتامى النساء اللاتى لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن والمستضعفين من الولدان وان تقوموا لليتامى بالقسط وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما** » .

اى عليكم ان تعنوا عناية خاصة بتحرى القسط مع اليتامى على اتم الوجوه واكملها ، بل ينبغى أن يعامل اليتيم بالفضل لا بمجرد العدل ، ولمعاملة اليتيم ثلاث درجات : الاولى درجة الحرام وهو هضم أى حق من حقوقه ، والثانية القيام له بالقسط ، والا يظلمه أحد فى حقه ، والثالثة الزيادة بالفضل والاكرام .

ويقول الله تعالى فى سورة النساء : « **وان خفتم الا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء** » .

روى مسلم عن عروة عن عائشة فى هذه الاية قالت : يابن اختى . هى اليتيمة تكون فى حجر وليها تشاركه فى ماله . فيعجبه مالها وجمالها ، فيريد وليها ان يتزوجها من غير ان يقسط فى صداقها ، فيعطيها مثل ما يعطيها غيره ، فنهى الله تعالى أن ينكحوهن الا ان يقسطوا لهن ، ويبلغوا بهن اعلى سنتهن من الصداق ، وأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن .

هذا ويقول سيدنا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه: «المقسطون على منابر من نور يوم القيامة !» .

وجاء فى مسند ابن حنبل : « المقسطون فى الدنيا على منابر من لؤلؤ يوم القيامة بين يدى الرحمن عز وجل بما أقسطوا فى الدنيا » .

اللهم اكتب لنا بفضلك وكرمك أن نكون من المقسطين

بقية مقال « استصحاب الحال فى الشريعة الاسلامية »

والدفع . أما الحنفية فيقولون : أنه يصلح للدفع فقط .

ويقرر ابن القيم هذا المعنى **فيقول** : ومعنى ذلك أنه يصلح لان يدفع به من ادعى تغيير الحال لابقاء الامر على ما كان ، فان بقاءه على ما كان انما هو مستند الى موجب الحكم ، لا الى عدم المغير له ، فاذا لم نجد دليلا نافيا ، ولا مثبتا أمسكنا ، لا نثبت الحكم ولا ننفيه . بل ندفع بالاستصحاب دعوى من أثبته فيكون حال المتمسك بالاستصحاب كحال المعترض مع المستدل . فهو يمنعه الدلالة حتى يثبتها ، لا أنه يقيم دليلا على نفى ما ادعاه . وهذا غير حال المعارض فالمعارض لون والمعترض لون آخر . المعترض يمنع دلالة الدليل ، والمعارض يسلم دلالته ويقيم دليلا على نقيضه .

وهذا الكلام يتلاقى مع ما قرره الحنفية من أن الاستصحاب يكون للدفع لا للاثبات . ولذلك كانت حالة حال المعترض على الدليل فمتى قام الدليل سقط الاعتراض . فالمطلق اذا شك فى أنه طلق واحدة أو ثلاثا ، فان أحمد رضى الله عنه مع جمهور الفقهاء خلافا لما قد قرر أنه لا يقع الا طلقة واحدة رجعية وذلك لان الحل ثابت بيقين بمقتضى عقد الزواج المتيقن الخالى عند انشائه من كل مانع شرعى ، فكان الحل هو الحال الثابتة المستمرة فلا تزول بالشك بل لا تزول الا بما يماثلها فى الثبوت والواحدة متيقنة فتثبت ، وهى لا تنافى الحل فتثبت معه .

ولذلك فان الامام أحمد رضى الله عنه ، كان ينبه على القول ، باستصحاب الحال ، لانه كان يسأل عن المسألة التى فيها غموض فيقول : لم ينقل فى ذلك شىء ، أو لم يرو فيه شىء ، وهذا صريح فى القول باستصحاب الحال ، لانه لا يجد حكما فيحمل الذمة على براءتها والساحة على فراغها ، الهمة على خلوها والضمائر على انطلاقها .

وخلاصة القول أن فقهاء الحنابلة يأخذون بالاستصحاب ويتوسعون فيه على النحو الذى سبق ذكره لانهم لا يعملون بالرأى الا فى حالة الضرورة ولذلك رأينا الظاهرية الذين أنكروا القياس أكثر الائمة اعتمادا على الاستصحاب ، فهم قد فاقوا فى ذلك الحنابلة ، وعلى العكس من ذلك فان الحنفية الذين توسعوا فى الرأى وساروا معه الى أبعد مداه قللوا من الاخذ به ، وأما المالكية فهم أقرب الى الحنفية ، والشافعية يتاربون الحنابلة . والله الموفق .

إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً

حسين أمين

أيام الاسبوع	شعبان ١٣٩٦	أغسطس ١٩٧٦	فجر		شروق		ظهر		عصر		مغرب		عشاء	
			ق	ت	ق	ت	ق	ت	ق	ت	ق	ت	ق	ت
الاربعاء	١	٢٨ يوليو	٣١	٣	١١	٥	١	١٢	٣٨	٣	٥١	٦	١٩	٨
الخميس	٢	٢٩ يوليو	٣٢		١١		١		٣٨		٥٠		١٨	
الجمعة	٣	٣٠ يوليو	٣٣		١٢		١		٣٨		٥٠		١٧	
السبت	٤	٣١ يوليو	٣٤		١٣		١		٣٨		٤٩		١٦	
الأحد	٥	أول أغسطس	٣٥		١٣		١		٣٨		٤٨		١٥	
الاثنين	٦	٢	٣٦		١٤		١		٣٨		٤٨		١٤	.
الثلاثاء	٧	٣	٣٧		١٥		١		٣٨		٤٧		١٣	
الاربعاء	٨	٤	٣٧		١٥		١		٣٧		٤٦		١٢	
الخميس	٩	٥	٣٨		١٦		١		٣٧		٤٥		١١	
الجمعة	١٠	٦	٣٩		١٧		١		٣٧		٤٤		١٠	
السبت	١١	٧	٤٠		١٧		١		٣٧		٤٤		٩	
الاحد	١٢	٨	٤١		١٨		١		٣٧		٤٣		٨	
الاثنين	١٣	٩	٤٢		١٨		٠٠	١٢	٣٧		٤٢		٧	
الثلاثاء	١٤	١٠	٤٣		١٩		٠٠		٣٧		٤١		٦	
الاربعاء	١٥	١١	٤٤		٢٠		٠٠		٣٦		٤٠		٤	
الخميس	١٦	١٢	٤٥		٢٠		٠٠		٣٦		٣٩		٣	
الجمعة	١٧	١٣	٤٦		٢١		٠٠		٣٦		٣٨		٢	
السبت	١٨	١٤	٤٦		٢١		٠٠		٣٦		٣٧		١	
الأحد	١٩	١٥	٤٧		٢٢		٥٩	١١	٣٦		٣٦		٠٠	٨
الاثنين	٢٠	١٦	٤٨		٢٣		٥٩		٣٥		٣٥		٥٨	٧
الثلاثاء	٢١	١٧	٤٩		٢٣		٥٩		٣٥		٣٤		٥٧	
الأربعاء	٢٢	١٨	٥٠		٢٤		٥٩		٣٥		٣٣		٥٦	
الخميس	٢٣	١٩	٥١		٢٤		٥٩		٣٥		٣٢		٥٥	
الجمعة	٢٤	٢٠	٥٢		٢٥		٥٨		٣٤		٣١		٥٣	
السبت	٢٥	٢١	٥٢		٢٥		٥٨		٣٤		٣٠		٥٢	
الأحد	٢٦	٢٢	٥٣		٢٦		٥٨		٣٣		٢٩		٥١	
الاثنين	٢٧	٢٣	٥٤		٢٧		٥٨		٣٣		٢٨		٥٠	
الثلاثاء	٢٨	٢٤	٥٥		٢٧		٥٧		٣٣		٢٧		٤٩	
الاربعاء	٢٩	٢٥	٥٦		٢٨		٥٧		٣٢		٢٦		٤٧	
الخميس	٣٠	٢٦	٥٧	٣	٢٨	٥	٥٧	١١	٣٢	٣	٢٥	٦	٤٦	٧

مع
الدعوة
والدعاة
يشرف على تحرير هذا الباب :
منصور الرفاعى عبيد
فؤاد هيبة
على عياد

حديث إلى الأئمة

قال محدثى : تتكلمون على أن الامام رائد من رواد الخير فى بيئته . فهل تستطيعون وضع تعريف محدد للامام ؟ : قلت الامام هو الذى يؤم المصلين فى الصلاة ويلقى عليهم المواعظ الدينية . ويقوم باداء خطبة الجمعة التى هى ركن وشرط أساسى لصحة صلاة الجمعة .

قال محدثى : هذا تعريف عام ولكنى اريد توضيحا يشمل الجوانب العامة لعمل الامام .
قلت مجيبا على هذا السؤال : الامام له أنشطة متعددة فى مسجده يؤديها بانتظام . والغرض منها النهوض بالبيئة ثقافيا واجتماعيا .

فهو – ١ مدرس يقوم بالتدريس يوميا حسب منهج محدد وخطة معينة تشمل جوانب الثقافة رتلم بأطرافها . وفوق ذلك . فهو يخاطب كافة العقول . على مختلف مستوياتها الثقافية والفكرية .

٢ – وهو مصلح اجتماعى حيث يقوم بالصلح بين المتخاصمين ووصول الخير وايصاله الى مستحقيه بما يطلق عليه التكافل الاجتماعى لانه يقوم بارشاد الناس الى اخراج الزكاة التى هى جزء هام للتكافل الاجتماعى بين الناس جميعا فهو حلقة الصلة بين الغنى والفقير وفوق ذلك .

٣ – فهو رائد اجتماعى لانه يشارك فى أفراح الناس وأحزانهم ويبين لهم ما يجب أن يفعلوه فى هذا وذاك

٤ – وهو جهاز اعلام وهو أحد ركائز فى بيئته المحلية حيث يقوم بتوجيه الناس وارشادهم . ومشاركتهم فى الاحداث الجارية وبيان ما يجب ان يفعلوه وما ينتهوا عنه . خاصة وان الذين يستمعون من الامام مرتبطون به عقائديا ويقدرون كلمته التى لها خطورتها . ونحن نعلم أن المسجد عبر التاريخ هو الذى تخرج منه الكلمة النهائية فى أى مشكلة من المشاكل أو راى من الاراء . والامام بما يتمتع به من خلق كريم . وشخصية نبيلة وفكر متسع يستحوذ بكل هذا على قلوب الناس فيؤثر فيهم .

لهذا كان المنبر من أخطر أجهزة الاعلام ، وصوت الامام هو الذى يرتفع بفصل الخطاب : كما ان الدين هو سفينة النجاة للناس يعتصمون به ويلجأون اليه فى السراء والضراء وخاصة فى أوقات المحن واذا تعقدت بهم الامور فيهرعون الى الامام لانه البلسم الشافى والدواء الناجع . ولذلك يقول أحد فلاسفه الغرب عندما رأى سعير الحرب وانهيار المدنية وتشريد الناس تحت وابل الرصاص والخوف يسيطر عليهم والفزع يتملكهم قال لو أن الناس تمسكوا بكتاب الله وسنة محمد بن عبد الله لوصلت الانسانية الشاردة الى بر النجاة والامان : ان صوت الامام الذى يدوى بكلمات الحق هو الذى يفصل فى القضايا . ويعالج المشاكل يزيل الخصومات ، فاذا ما انقاد الناس اليه سعدت دنياهم واستقرت أمورهم وصلح حالهم .

٥ – تعليم الكبار : أو محو الامية : الامام له دور هام فى تعليم الكبار ومحو أميتهم . لان الاسلام يدعو الى العلم والتعليم ، وحلقات العلم فى المسجد هى التى خرجت قادة الفكر وأرباب العلم . وأصحاب الاقلام والنوابغ فى كل فن . فحلقات العلم فى المساجد هى أصل أصيل فى تعليم الكبار ومحو الامية وغرس القيم الاخلاقية وتصحيح العقيدة .

وقد كانت الدولة قد خصصت هيئات معينة لهذا العمل فانه لو أمكن استغلال المسجد استغلالا طيبا لوفرت الدولة الاجهزة الاخرى حيث ينهض المسجد بأداء هذا الدور فى مجتمعنا المعاصر .

٦ – الدروس الخصوصية : التى اصبحت تشكل عبئا على أولياء الامور : فان المسجد

« البقية صفحة ٦٩ »

أضواء على الدعوة الإسلامية

فضيلة الشيخ محمود أحمد هاشم

فى المقال السابق بينا كيف قابل الرسول صلى الله عليه وسلم هو واصحابه من عنت الكفر والكافرين ومن ايذائهم مايتهد منه الجبال ولكن الاسلام الذى خالطت بشاشته قلوب المؤمنين صنع منهم رجالا كانوا أرسى من الجبال الشامخات . لقد احتملوا ما احتملوا **وهم ينظرون الى قائدهم ورسولهم صلوات الله وسلامه عليه ، وهو ينتقل بالمسلمين وبالدعوة الاسلامية .**

فاذا طورد من مكان يمم وجهه شطر مكان آخر ولما كثر ايذاء المشركين للرسول صلى الله عليه وسلم بعد موت عمه ابى طالب ذهب الى الطائف وهى بلدة تقع شرقى مكة يلتمس عند ثقيف العون والمنعه ولكن القوم ردوه جميعا وانكروا دعوته فمكث عشرة أيام يتردد على بيوتهم صابرا على ما يلاقى محتملا كل أذى فى سبيل الله فلما رأى منهم تصميما على انكاره وزيادة فى ايذائه هم بالرحيل وقال لهم : « اذا ابيتم فاكتموا على ذلك خشية ان يطير الخبر الى أهل مكة فيتضاعف بلاؤهم وتزداد شماتتهم ولكنهم لم تكن لديهم مروءة ولا عطف ولا شفقة ولا رحمة بل اعدوا به سفهاءهم وجعلوا يقفون له صفين يسبونه ويقذفونه بالحجارة وكم حاول زيد بن حارثة الذى كان يرافقه فى هذه الشدة الدفاع عنه ولكن لم تجد مع القوم محاولة وشج رأس زيد وسال الدم من اقدام الرسول صلى الله عليه وسلم على الارض فذهب الى حائط لعتبه وشيبه ابنى ربيعة وجلس الى ظل شجرة من عنب حتى اطمأنت انفاسه واخذ يرفع شكايته لربه : « اللهم اليك اشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس يا ارحم الراحمين انت رب المستضعفين وانت ربى الى من تكلنى الى بعيد يتجهمنى او الى عدو ملكته امرى ان لم يكن بك على غضب فلاأبالى ولكن عافيتك أوسع لى اعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه امر الدنيا والاخرة من ان تنزل بى غضبك أو تحل على سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك ، وتحركت عاطفة الرحمة لدى عتبة وشيبة أبنى ربيعة فارسلا غلاما لهما نصرانيا يسمى « عداسا » بقطف من العنب الى الرسول صلى الله عليه وسلم فلما وضع النبى يده فيه قال : باسم الله ثم أكل ونظر عداس قائلا هذا كلام لا يقوله أهل هذه البلاد فسأله الرسول : من أى البلاد انت وما دينك انا نصرانى من « نينوى » فقال الرسول صلى الله عليه وسلم امن قرية الرجل الصالح يونس بن متى ؟ قال له مايدريك ما يونس قال الرسول صلى الله عليه وسلم ورحليه يقبلهما فقال ابنا ربيعه احدهما للاخر اما غلامك فقد افسده عليك فلما جاء عداس قالا له ويحك ما هذا قال ما فى الارض خير من هذا الرجل وقفل الرسول راجعا الى مكة فقال له زيد بن حارثة كيف تدخل عليهم وقد اخرجوا فقال الرسول عليه السلام يازيد ان الله جاعل لما ترى فرجا وذهب الى حراء وبعث زيد بن حارثة الاخنس ليجيره فلم يجره وبعثه الى سهيل فابى فبعثه الى المطعم بن عدى فأجابه الى ما أراد ثم تسلح المطعم واهل بيته وخرجوا حتى أتوا المسجد وطاف بالبيت سبعا وهكذا كانت هذه الفترة القاسية التى قطعتها الدعوة الاسلامية فى جو ملبد بغيوم الاسى فلم تعد هناك اليد الحانية التى كانت اذ الم بالرسول ملمة . او اذا احزبه امر تربت على حياته فيستروح فى جوها الدافىء الحنون ويحس برد الراحة يمسح ما تركته الاضطهادات من آثر على نفسه . لقد فقد الرسول صلى الله عليه وسلم الركنين العظيمين فى عمه أبى طالب وزوجه خديجة . ولقد ذهب الى الطائف فلم يجدهم أقل عنتا أو اضطهادا بل وجد قلوبا غلفا وآذانا صما وعيونا عميا ..

وجد قوما قلوبهم كالحجارة أو أشد قسوة ..

فى ذلك الجو الخانق ، وبين تلك النفوس المضطرمة بالحقد ، المتأججة بالبغضاء

« البقية صفحة ٧٥ »

من أخلاق الإسلام
حسن الجوار

الانسان بفطرته . يحب أن يعيش فى دنياه هادىء النفس . رضى القلب . آمنا على نفسه وعلى كل ما يحيط به . حتى يشعر بأن الحياة من حوله رخاء طيبة . تغمره بالسعادة . وتحوطه بالامن والاستقرار . ومما يحقق ذلك . ان يأمن المرء بوائق جاره . وسوء معاملته . وخروجه عن تعاليم الاسلام حياله . لهذا أمرنا أن نتخير الجار . صاحب الاحساس المرهف . والشعور النبيل . فقديما قيل - سل عن الجار قبل الدار .

فضيلة الشيخ محمد هلال عبد الرسول

وجدير بكل انسان هدى الى الطيب من القول والعمل . أن يرعى حق جاره فيخلص له الود . ويكون سره معه كعلانيته . وظاهره كباطنه ، يحفظ غيبته . ويحبه كنفسه . لا يفشى له سرا . ولا يخدش شعوره بما يسىء اليه . فالمرء لم يأخذ على الله عهدا . أن تلين له مهاد الحياة . فى كل ناحية من نواحيها ولكنه يكون فى دنياه . بين بسط وقبض . وعطاء وحرمان : وصحة ومرض وأمن وخوف . وشقاء وسعادة . وفرح وحزن .

وهنا يكون موقف الجار الذى احسنت اليه وقابل الاحسان بالاحسان فيشاركك سرورك . ويواسيك احزانك . وبذلك تنظر الى الحياة من بابها الواسع المشرق . لا يقعدك هم . ولايبطرك نعمة . ولمنزلة الجار عند قيوم السموات والارض تراه يوجهنا الى الاحسان اليه كما يتضح من قوله .

(واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا . وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا) .

وفى أسلوب كله توجيه وارشاد وتقويم واصلاح وزجر ووعيد . يقسم رسول الله صلوات الله وسلامه عليه . ان الانسان لا يكون متجاوبا مع عقيدته . حتى يرعى حق جاره . وأن يتجنب اساءته . والنيل منه . وذلك فيما يرويه عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(ان الله عز وجل قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم . وان الله عز وجل يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب .ولا يعطى الدين الا من أحب . فمن أعطاه الدين فقد أحبه . والذى نفس بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه . قلت يارسول الله وما بوائقه قال غشمة وظلمه ولا يكسب مالا من حرام فينفق منه فيبارك فيه . ولا يتصدق به فيقبل منه .ولا يتركه خلف ظهره الا كان زاده الى النار ان الله لا يمحو السىء بالسىء ولكن يمحو السىء بالحسن ان الخبيث لا يمحو الخبيث) .

وفى حديث نبوى آخر يؤكد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه حق الجار انطلاقا من وصية مكررة . **هبط بها جبريل عليه السلام الى رسول الله لتكون نبراسا يضىء الطريق أمام الذين يحرصون على أن يعيشوا مع تعاليم الاسلام . ويتجاوبوا مع هذا التوجيه المحمدى .. الذى اعتبر الجار كأنه أحد افراد الاسرة له حق فى الميراث) .**

عن رجل من الانصار قال خرجت مع أهلى أريد النبى صلى الله عليه وسلم واذا به قائم . **واذا رجل مقبل عليه . فظننت أن له حاجة . فجلست فوالله لقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم . حتى جعلت أرثى له من طول القيام . ثم انصرف فقمت اليه فقلت يارسول الله . لقد قام بك هذا الرجل حتى جعلت أرثى لك من طول القيام .**

قال أتدرى من هذا قلت لا قال جبريل مازال يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه أما انك لوسلمت عليه لرد عليك السلام .

ان لجارك عليك حقوقا يجب أن تقف عندها فمن أدب الجوار أن تقابل سيئته بالحسنة وقطيعته بالوصله وجهله بالحلم ..

وتصفح عن زلاته . وأن تتقى الله فى أهله وولده . وأن تواسيه ضراءه . وتشاركه أفراحه . وتفرج عنه كربته . وألا تزهو عليه بما أفاء الله عليك من نعم .

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبى صلى الله عليه وسلم قال(من أغلق بابه دون جاره مخافة على أهله وماله . فليس ذلك بمؤمن . وليس بمؤمن من لم يأمن جاره بوائقه أتدرى ما حق الجار .

اذا استعانك أعنته . واذا استقرضك أقرضته . واذا افتقر عدت عليه واذا مرض عدته . واذا اصابه خير هنأته . واذا اصابته مصيبة عزيته . واذا مات أتبعت جنازته .ولا تستطيل عليه بالبنيان فتحجب عنه الربح الا بأذنه . ولا تؤذه بقتار ريح قدرك الا أن تغرف له منها . وان اشتريت فاكهة فاهد له . فان لم تفعل فأدخلها سرا . ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده) .

وتروى السيرة النبوية العطرة ان رجلا قال يارسول الله . ان فلانة تكثر من صلاتها وصدقتها وصيامها . غير أنها تؤذى جيرانها بلسانها قال هى فى النار

قال يارسول الله فان فلانة . يذكر من قلة صيامها وصلاتها وأنها تتصدق . بالاثوار من الاقط ولا تؤذى جيرانها قال هى فى الجنة .

ولقد بين رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أن دار السلام التى أعدها الله لعباده المصطفين الاخيار . طريقها معبد ميسر لمن تخلق بالخلق الطيب . وتأدب بأدب القرآن مع جاره ولم يعكر صفو حياته . بل كان الجار الامين الصادق الوفى . الذى يرعى حرماته . ويعتبره كنفسه . ويؤمن بأن ما يصيبه فى بناته . انما يصيبه فى عينيه .

عن أنس بن مالك رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه • ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه • ولا يدخل الجنة حتى يأمن جاره بوائقه) •

وكفى بالجار السوء الذى بعد عن رحاب الاستقامة • ونتكب الطريق السوى • أن الله يلعنه ويخرجه من رحمته • جزاء بطشه وغيه • ومجاوزته الحد مع جاره •

عن أبى جحيفة رضى الله عنه قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو جاره • **قال اطرح متاعك على طريق فطرحه • فجعل الناس يمرون عليه ويلعنون فجاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله • لقيت من الناس قال وما لقيت منهم قال يلعنوننى قال قد لعنك الله قبل الناس فقال انى لا أعود فجاء الذى شكاه الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ارفع متاعك فقد كفيت)** •

والسلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين كانوا صورة مشرقة لتعاليم الاسلام فى حسن الجوار الطيب الذى يولد المحبة • ويزرع الرحمة • ويخلق المجتمع المترابط مصلحة الفرد فيه من مصلحة الجماعة • ومصلحة الجماعة من مصلحة الفرد •

عن مجاهد أن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما **ذبحت له شاة فى أهله فلما جاء قال أهديتم لجارنا اليهودى)**

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه) •

ومما يحفظ لسعيد بن العاص رضى الله عنه أنه كان بارا بالمحتاج • يخفف عنه ما يشعر به من قبض فى الرزق ايمانا منه بأنه مستخلف فى ماله من قبل قيوم السموات والارض • وانه ليس له فيه الا ما اكل فأفنى او لبس فابلى او تصدق فابقى • ومن مأثره الطيبة •

ان جاره ابن أبى الجهم أراد ان يبيع داره فأعطاه المشترى ثمنا لها مائة ألف درهم • فقال له ابن أبى الجهم • وبكم تشترى جوار سعيد • فقال المشترى ما رأيت جوارا يباع • فرجع ابن ابى الجهم عن البيع وقال لا أدع جوار رجل يحب معاونتى • ان غبت سأل عنى • وان رآنى رحب بى • وان سألته اعطانى • وان لم أسأله ابتدأنى بالعطاء • فلما بلغ ذلك سعيد بن العاص بعث اليه بالثمن • وأبقاه فى داره وبذلك ضرب أكرم المثل لحسن الجوار •

والامام أبو حنيفة النعمان يضرب أحسن القدوة فى المحافظة على حق الجوار مع الذين لم يراقبوا الله فى جوارهم • وتلك سمة الاسلام الذى يدعو الى التخلق بخلق العفو • حيث تكون المقدرة • والتمكن من القصاص •

يروى عبد الله بن رجاء الفدانى قال — ان ابا حنيفة رضى الله عنه كان له جار يعمل نهاره • فاذا جن عليه الليل • تناول طعام العشاء • ثم شرب • فاذا ما أخذ الشراب بعقله أنشد قائلا •

اضاعونى واى فتى أضاعوا
ليوم كريهة وسداد ثغر

وما يزال يردد هذا البيت حتى يأخذه النوم فينام • كل هذا والامام صاحب مدرسة الرأى • يعيش معه • لانه كان يقوم معظم ليله •

وفجأة انقطع صوت الرجل فلم يردد ما تعود ترديده • فسأل عنه الامام • فقيل له أخذه العسس منذ ليال • وما أن انتهى من صلاة الفجر • حتى ركب الامام بغلته وذهب الى دار الامير •• فأستأذن عليه فقال ائذنوا له •

وما أن جلس بجانب الامير • حتى قال له ما حاجتك • قال جئت أشفع فى جارى • فقال الامير اطلقوه • واطلقوا معه كل من أخذ فى تلك الليلة وبعد أن اطلق سراح هذا الجار قال له الامام أبو حنيفة هل أضعناك فقال بل حفظت ورعيت جزاك الله خيرا • عن حرمة الجوار • ورعاية الحق • وتاب الرجل وحسنت توبته •

وليس الجار كما يتوهم البعض جار السكن — بل مفهوم الجوار الذى دعا الى الحفاظ عليه الدين الحنيف — أوسع وأعم من ذلك • فزميلك فى عملك الوظيفى جار • فلا تحاول أن تقبح عمله • ولا أن تنم عليه •

والصانع مع أخيه فى المصنع جار • فلا تحاول أن تتقرب الى رئيسك على حساب النيل منه • فالمرء لا يكون مؤمنا الا اذا أحب لاخيه ما يحب لنفسه • والطالب فى كل مراحل التعليم • جار لزميله • فحاول ان تعيش معه فى جوار طيب • يعززه الحب الصافى • ويسانده الاخوة الصادقة • ولعظم حق الجار بين رسول الله أن من علامة الايمان باليوم الاخر وما فيه من ثواب لمن اطاع ربه وعقاب لمن عصاه • علامة ذلك ان تحسن الى جوارك عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **(من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يوذ جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الاخر فيلقل خيرا أو ليصمت)** •

فقهنا الله أمور ديننا وهيأ لنا من أمرنا رشدا •

بقية « حديث الى الائمة »

يؤديها بسهولة ويسر دون مقابل وتنفق الوزارة على هذا الكثير والامام هو المشرف على هذا العمل الوطنى الجليل . خدمة للبيئة ومساهمة فى رفع المستوى التعليمى لدى شبابنا وفلذات أكبادنا الذين هم أمل الامه فى مستقبلها وقادة الفكر فى غدها المشرق .

٧ — المحافظة على القرآن الكريم : لما كان القرآن الكريم هو ماضى هذه الامة وحاضرها ومستقبلها ، لما يحويه من تشريع وقيم أخلاقية . ومبادىء فاضلة مان المسجد تعقد به حلقات للمقارىء وحلقات لتحفيظ القرآن الكريم للصغار الاولى ليتجمع حولها الكبار والصغار يسمعون من أفواه المشايخ الكبار قراءة مرتلة والثانية تهتم بالحفظ والتلقين حفاظا على كتاب ربنا . والامام من خلال عمله هو المشرف على هذا والموجه الى الاصلاح والتصحيح .

أرأيت كيف يكون الامام فى مسجده انه شعلة خير تهدى للتى هى أقوم وتقود الانسانية للاصلح ويذشر الامن والرفاهية ان مكن تمكينا قويما فى أداء عمله والنهوض برسالته التى هى رسالة الخير والسلام للبشر فى كافة أنحاء الارض والى لقاء فى حديث آخر •

منهج الإسلام في تربية الشباب

● فضيلة الشيخ منصور الرفاعى عبيد

قلت لمحدثى ان الاسلام يفتح جناحه لكم لانكم : أنتم ياشباب أمل الامة الباسم وغدها المشرق وأنتم فى الحياة بكم آمال عريضة وأهداف منها القريب ومنها ولابد لكم من قوة تسندون ظهركم اليها ولن تجدوا لكم القوة الا فى ظلال العقيدة التى تربطكم بالله وتجعلكم تراقبونه مراقبة القريب الحبيب وقوة العقيدة تجعل الانسان قويا ولو لم يكن فى يده سلاح ملىء قلبه بالرضا والرضا والغنى وان لم يكن فى جيبه مال عزيز ولو لم يكن له أهل ولا عشيرة يستمد قوته من الله الذى يقول « من كان يريد العزة فلله العزة جميعا» وقوله «يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله » وأن أى أمة من الامم لا تسعد الا ببنيها الاقوياء وشبابها الاعزاء الذين يستمدون قوتهم من الله ويعلمون علم اليقين ان ما أصابهم من شىء فبأذن الله : وان الانس والجن لو أجتمعوا على أن ينفعوا الانسان بشىء لم ينفعوه الا بشىء قد كتبه الله له ولو اجتمعوا على أن يضروه بشىء لم يضروه بشىء الا بشىء قد كتبه الله عليه هم يرددون آناء الليل وأطراف النهار ما قاله القرآن تعليما وارشادا للمؤمنين الصادقين وحملة الرسالات من الهادين المهتدين « قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون » .

عند هذا الايمان المطلق والارتباط بالعقيدة الصحيحة والتعلق بالله يعتقد المؤمن ان رزقه مقسوم ولن يستطيع انسان مهما كانت سطوته أن يمنع عنه رزقه لان الحق سبحانه يقول « **وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها** » وكذلك الاجل محدود ونفس الانسان فى الدنيا محدود فلن يستطيع اى انسان أن يقدم أو يؤخر فى اجل انسان وصدق الله تعالى ، « **فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون** » ولقد ضرب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل الاعلى فى فهم هذه الامور فكانوا يتوكلون على الله توكلا ليس فيه استرخاء أو كسل وانما هو التوكل الملىء بالشحنة القوية من الايمان الذى يغمر قلب المؤمن بالسعادة والاطمئنان ويجعله يخوض البحر وهو واثق بنصر الله وقد حدث ان جيشا من المسلمين كان بينه وبين عدوه نهر فأمرهم القائد أن يخوضوه ولبوا الامر وخاضوا النهر والعدو يشهدهم من بعيد دهشا مرتاعا لما رأى وقد كان الرجل يذهب الى الميدان مجاهدا فى سبيل الله فيعترض سبيله المثبطون ويقولون له لمن تترك اولادك فيجيبهم قائلا علينا أن نطيع الله كما أمرنا وعليه أن يرزقنا كما وعدنا فيذهب هؤلاء المعوقون الى زوجة الرجل المسلم ويثيرون مخاوفها على رزقها ورزق عيالها ويقولون لها ذهب زوجك الى الجهاد فمن يسعى عليك وعلى العيال فتجيبهم فى ثقة واطمئنان زوجى عرفته أكالا ولم اعرفه رزاقا فان ذهب الاكال فلن يذهب الرزاق .

بهذه التربية الاصيلة لابد ان يتربى المسلم وان يتعود على الخلق الكريم لان الايمان فى حقيقته ليس مجرد عمل لسانى ولا عمل بدنى وانما هو يحيط بجوانب النفس كلها علاوة على اذعان القلب والانقياد لاوامر الله ولهذا قال الله فى وصف المؤمنين « **انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون** » .

روى ابن الاثير فى تاريخه ان المسلمين فى اثناء فتحهم لديار فارس حال نهر دجلة بينهم وكانت السنة كثيرة المدود ودجلة تقذف بالزبد فجمع سعد بن ابى وقاص القائد العام لهذه المعركة التاريخية وأمير الجيش : الناس فحمد الله واثنى عليه وقال الا انى قد عزمت على قطع هذا البحر اليهم - تعالوا جميعا عزم الله لنا ولك على الرشد فافعل . فهب الناس الى العبور وأذن لهم فى الاقتحام وقال قولوا نستعين بالله ونتوكلوا عليه - حسبنا الله ونعم الوكيل والله لينصرن الله وليه وليظهرن دينه . ليهزمن عدوه ولا حول ولا قوه الا بالله العلى العظيم وتلاحق الناس فى دجلة « اى » مشوا على الماء وهم يتحدثون كما يتحدثون فى البر وطبقوا دجلة حتى ما يرى من الشاطىء شىء ونظر الكافرون الى هذه الروح القوية التى يبديها المسلمون فينازلون العدد الكثير وهم قليل ويتحدون السلاح والاستعداد والقوى المتطورة غير متكافىء وما علم المنافقون والكافرون ان لله جنودا لا يرونها بأعينهم وانما هى تنزل على المؤمنين الصادقين وصدق الله العظيم : « **اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم** » . ان الايمان يجعل المؤمن يستهين بالقوى المادية لان منطق المادة لا يستعبده ولا لغة الارقام تذله لانه موصول القلب بالله لا يخشى الناس قلوا امامه أو كثروا ما دام يتمسك بالحق واليه يدعو وصدق الله العظيم « **كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله** »

لقد تحدثت معكم على أن بعض الامور تتحكم فيها عادة البتة ومفهوم الناس فاذا ما صقل الانسان نفسه بالتربية الحقة وتعلق باسباب السعادة الحقيقية وانتمى الى حزب الله وحزب الله هم المؤمنون الصادقون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمان وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما زرقناهم ينفقون عندئذ يشعر الانسان بسكينة تغمر قلبه ويكتب له التيسير والنجاح والفلاح لقد قرات فى مجلة المختار ان شابا من الشباب وضع لنفسه جدولا لطلبات الحياة المعترف بها وهى الصحة - الحب - الموهبة - القوة - الغنى الشهره - ثم تقدم بهذا الكشف الى رجل شيخ حكيم فنظر فى هذا الكشف ثم قال للشاب جدول بديع وهو موضوع على ترتيب لا بأس به ولكن يبدو لى انك اغفلت العنصر المهم ثم ضرب بالقلم على الجدول وكتب كلمتين « سكينة النفس » وقال هذه هى الهبة التى يدخرها الله لاصفيائه انه يعطى الكثيرين الذكاء والصحة والمال والشهرة .

اما سكينة النفس فانه يمنحها بقدر لاصفيائه واحبابه هذا كلام رجل لا يؤمن بالرسالة السماوية التى نزلت على قلب سيدنا محمد وهى حقيقة واقعة فان اكثر الناس فى الحياه يعيشون فى قلق وضيق واضطراب وحياتهم لا طعم لها ولا مذاق وان ملئت جيوبهم بالمال وحفلت بيوتهم باللذائذ والمرفهات لانهم لا يعرفون لانفسهم هدفا ولا يفقهون لدنياهم سرا .

اما المؤمن فان السكينة فى قلبه ثمرة من ثمار الايمان فهى نفحة من السماء ينزلها الله على قلوب المؤمنين من اهل الارض ليثبتوا اذا اضطرب الناس ويرضوا اذا سخط الناس ويوقنوا اذا شك الناس ويصبروا اذا جزع الناس فى ظل هذه السكينة التى هى من فيض الايمان يسكن الخائف ويطمئن القلق ويستروح المتعب ويقوى الضعيف ويهتدى الحيران وفى هذا يقول ابن القيم فى القلب شعث لا يعلم الا الاقبال على الله وفيه وحشة لا يزيلها الا الانس بالله وفيه حزن لا يذهبه الا السرور بمعرفته وصدق معاملته وفيه قلق لا يسكن الا الاجتماع عليه والفرار اليه وفيه نيران حسرات لا يطفئها الا الرضا بأمره وتهيئة قضائه ومعانقة الصبر على ذلك الى وقت لقائه وفيه فاقه لا يسدها الا محبته والانابة اليه ودوام ذكره وصدق الاخلاص له لو أعطى الدنيا وما فيها لن تسد تلك الفاقه ابدا ويقول احد رجال الصوفية الهى ماذا وجد من تعدك وماذا تعد من وجدك لقد خاب من رضى دونك بدلا وخسر من بغى عنك حولا .

فياشباب محروم من ابتعد عن ربه شقى من ابتعد عنه ونحن نرى ببصيرتنا ويصرنا ان الناس لم يخلقوا من غير شىء ولم يخلقوا هم أنفسهم ولم يخلقوا مما حولهم ذرة فى الارض ولافى السماء وهنا يلفت القرآن نظرهم فيقول : « **أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون أم خلقوا السموات والارض** » ويقول « **ذلكم الله ربكم خالق كل شىء لا اله الا هو فانى تؤفكون كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون** » « **الله الذى جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء وصوركم فاحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين** » ويقول « **يأأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذى جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وأنتم تعلمون** » فليكن الدليل أمامكم واضحا واسلكوا سبل الهدى والتزموا الطريق السوى واضعوا أمام أعينكم نهاية رجل ملحد من المتشككين فى الله عندما حضرته الوفاة حالة وما بعده فقال .

لعمرك ما أدرى وقد أذن البلى :
بعاجل ترحالى الى أين ترحالى
وأين محل الروح بعد خروجه
عن الهيكل المنحل والجسد الفانى

وبلغ ذلك أحد الصالحين فقال اجابة على تساءله

وما علينا من جهله اذا كان لا يدرى الى اين ترحاله فنحن ندرى الى أين ترحالنا وترحاله قال تعالى « **ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم** » . فخذوا حذركم ياشباب وتمسكوا بالعقيدة الصحيحة والله يأخذ بيدنا ويدكم الى طريق الخير .

التعاون الجماعى

رقى للأمة

أخبر الصادق المعصوم صلى الله عليه وسلم بأن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وضرب المثل لذلك بقوله « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى حتى لايصاب المجتمع المسلم بالتفكك أو الانعزالية فيقول عليه السلام « يد الله مع الجماعة » ويقول « خير الناس أنفعهم للناس »

ويزكى روح الحماس الاخوى بين الجماعة المسلمة فيقول « والله فى عون العبد ماكان العبد فى عون أخيه وكل هذه الارشادات النبوية رجاء ان تتوحد كلمة المسلمين وتسلم قلوبهم وتصفو نفوسهم وتتهذب طباعهم فيجتمعون على كلمة سواء طبقا لقوله سبحانه وتعالى فى الاية ٢ - من سورة المائدة « **وتعاونوا على البر والتقوى » ولا تعاونوا على الاثم والعدوان** » لان شأن الاعمال فى الحياة أن تكون عن طريق التعاون الجماعى الذى يكون سببا فى رقى الامة وسعادتها بين الامم الاخرى وقد خلق الله الناس شعوبا وقبائل للتعارف الذى هو سبيل المصلحة وبتبادل المنفعة التامة تعود على المجتمع بالخير العام ، وعن طريق هذا التعارف تنشأ المحبة والمودة اللذان هما الطريق لربط الصلات الاسلامية ولاحياء العلاقات الانسانية الاجتماعية وفى هذا المعنى يقول الرسول عليه السلام « توادوا تحابوا » ويقول الشاعر العربى :

وكل مودة لله تصفو
ولا يصفو على الشر الاخاء

وقد أمر الله عباده بالتعاون فى سبيل الخير والصالحات من الاعمال ونهاهم عن التعاون فى الشر والاعتداء على الناس فالقوى يعين الضعيف والغنى يساعد المحتاج والعالم يعلم الجاهل ، والمبصر يرشد المكفوف الى طريقه الذى يسير فيه وهكذا تقدم كل فرد ما يستطيع حتى تنقضى الامور فى يسر وتسير دفة الحياة بنظام ، وقد بشرهم الرسول عليه السلام بأن الله معهم مادامو متعاونين متحابين فى سبيل اسعاد الجمبع ، ومادام العبد يحب لاخيه مايحب لنفسه فالله معه يبارك له فى ماله وصحته وولده وعمله وكل شىء عنده ، وعلاوة على هذا يكون مكرما ومقربا من الله فى الاخرة كما ورد عن الرسول عليه السلام فى قوله « **من يسر على معسر فى الدنيا يسر الله عليه فى الدنيا والاخرة** ، ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة » ومن صور التعاون الجماعى : السعى فى قضاء حوائج الناس وأوضح الرسول عليه السلام هذا المعنى الهام الذى يحبه الله ورسوله فيقول عليه السلام ردا على سؤال من سأله « من أحب الناس الى الله يارسول الله يقول أحب الناس الى الله أنفعهم للناس وذلك حتى لا ينسى المسلم ذلك ويعيش وحده ولنفسه وتغلبه شهوة الانانية والاثرة التى حاربها بالنصح والتهذيب فى قوله تعالى « **ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** » ونرى الرسول عليه السلام يبين فضل هؤلاء الناس فيقول « ان لله عند أقوام نعما أقرها عندهم ماكانوا فى حوائج الناس مالم يملوهم فاذا ملوهم نقلها الى غيرهم وفى رواية أخرى من الحديث « ان لله اقواما اختصهم بالنعم لمنافع العباد فيقرهم فيها مابذلوها فاذا منعوها نزعها منهم فحولها الى غيرهم » وفى رواية أخرى من طريق ابن عباس عن الرسول عليه السلام أنه قال « مامن عبد أنعم الله نعمة فأسبغها عليه ، ثم جعل من حوائج الناس اليه فتبرم فقد عرض تلك النعمة للزوال » وقد ورد عن سيدنا الحسن بن على بن ابى طالب فى هذا المعنى قوله « **ان من نعم الله عليكم حوائج الناس اليكم فلا تملوها فتعود نقما عليكم** » وقد فهم الانصار كل هذه المعانى السامية فنفذوها طبق الاصل مع اخوانهم المهاجرين وفازوا بالسبق الى الله بخيرى الدنيا والاخرة ، ويسارع القرآن بالثناء على الانصار من أهل المدينة بسبب ماعملوه مع المهاجرين من

أهل مكة عندما آخى الرسول عليه السلام بينهم فضربوا أروع المثل العليا التى لا نظير لها فى التاريخ وقاسموهم المتاع والمال وكل مالديهم مما رزق الله بنفوس سخية وقلوب تقية وقد اشار القرآن لذلك فى الاية من سورة الحشر فى قوله تعالى « **والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** » ونلاحظ أن العطاء الذى أعطاه الانصار للمهاجرين يتمثل فى صفات ثلاثة هى الحب والاخلاص ، والتضحية والفداء ، فالحب كان سبيلا للامان للاقامة فى الدار الجديدة وهى المدينة ، والاخلاص كان دليلا للعمل وطريقا للسعى والكفاح من جديد ، والتضحية والفداء مؤشر صادق لما سبق من حب واخلاص على طريق الدعوة الى الله وامتثالا لمنهج رسول الله فى الاخاء بين أصحابه فى دار الاسلام الجديدة وبهذا الاخاء التقى الكل انصارا ومهاجرين تحت راية صاحب الدعوة متعاونين معه فى صدق واخلاص ووفاء وتفان فى نشر رسالته عليه السلام حتى تبلغ الافاق ، وقد كان ذلك وتم والحمد لله ، وبقى علينا الان نحن المسلمين فى هذه الايام ان نحاول ما استطعنا جاهدين احياء هذه الاخلاق الكريمة ، وبعث هذاالتراث الطيب فى نفوسنا ومعاملاتنا واقوالنا وافعالنا مع جميع اخواننا من نعرف منهم ومن لانعرف اقتداء برسول الله ، وتنفيذا لما جاء به عن الله حيث هذا هو الطريق الوحيد لرضا الله وشفاعة رسول الله **وقد رسم لنا الرسول عليه السلام البرنامج اليومى لتنفيذه كدليل عمل صادق هو من صميم الاسلام فى قوله عليه السلام « كل سلامى من الناس عليه صدقة ، كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين اثنين صدقة ، وتعين الرجل فى دابته فتحمله عليها او ترفع له عليها متاعه صدقة ، والكلمة الطيبة صدقة ، وبكل خطوة تخطوها الى الصلاة صدقة ، وتميط الاذى عن الطريق صدقة » وبانضمام هذه الاشياء لبعضها مجتمعة يوجد مجتمع فاضل نظيف يعمل للصالح العام وينفذ اوامر الله وسنة رسوله الكريم — هذا وبالله التوفيق ..**

على فريج حسنين
وكيل الدعوة بأوقاف كفر الشيخ

إمـــام .. وإمامـــة

قد يظن القارىء لاول وهلة انى أقصد بالعنوان التذكير والتأنيث فمعذرة لان هذا ليس قصدى ، وانما أقصد بلفظ « امامة » نفس العمل الذى يؤديه امام المسجد ، ووظيفة الامامة تشتمل على معان كثيرة يفسرها عمل الامام نفسه . ، فبعض الناس يثنون كل الثناء على الامام الذى يؤم المصلين فى الصلاة ويلقى عليهم درسا بين المغرب والعشاء ويتحفهم بخطبة جمعة واضحة .. ، وهذا هو أقرب تفسير لما ترجوه وزارة الاوقاف من أئمتها.. اما أولو الالباب من المواطنين فانه لايكفيهم من الامام ذلك العمل الروتينى ولكنهم يريدون الامامة بمعنى القدوة الصالحة الرشيدة فى كل الامور دينية كانت أو دنيوية بحيث لو اقتصر عمل الامام على المسجد فقط وعلى الدور التقليدى المعتاد لانفضوا عنه رويدا رويدا ..

وما تقصده الفئة الاخيرة من الامام هو التجديد الدائم فى نشر الدعوة الاسلامية مع عدم الاخلال بالقواعد الاصيلة لها ، فمثلا الامام الذى يعمل فى القرية يستطيع أن يستحوذ على القلوب اذا عرف عن جوانب ما يدور فى القرية من اعمال ، فاذا وجد بعض الاخطاء فى المعاملات فلا يكتفى بتوضيح انها اخطاء فى دروسه وخطبه فقط بل يجب أن يتعامل مع الناس بالطريقة الصحيحة التى يدعو اليها ولو أصابه فى ذلك خسارة مادية لان أعماله محسوبة عليه ، **واذكر أنى فى احدى القرى سئلت عن حكم الشرع فى اضطرار بعض الفلاحين فى فصل الصيف عند حصاد محصول القمح الى بيع جزء من محصول القطن او الارز مقدما بثمن بخس وهو لم ينضج بعد ، وذلك لحاجة الفلاح الى اموال لتغطية تكاليف حصاد ودراس محصول القمح ، وقد يصل الثمن البخس الى نصف الثمن الحقيقى عند نضج المحصول ، فبينت لهم أن هذا نوع من الاستغلال لا يرضاه الدين من مسلم لاخيه المسلم ، فكان جوابهم أن بعض العلماء بالقرية أقروهم على هذا الاستغلال وأنهم — أى العلماء أنفسهم — يقومون بممارسة هذا العمل : ونتيجة لذلك اخذ هذا العمل صفة المشروعية** ، لذا كانت وظيفة الامامة بالدرجة الاولى هى القدوة الحسنة للامام سواء كان فى القرية أو فى المدينة .

ولقد سمعت مرة من أحد العاملين فى سلك

القضاء بانه محظور عليهم - اى القضاة - الجلوس فى الاماكن العامة مع بعض الناس خوفا من أن يصبح هؤلاء الناس أصحاب قضايا في يوم ما ، وبذلك تؤثر الصداقة على العدالة فقلت في ذهني : أن أولى الناس بذلك الحظر من الائمة بسبب وظيفة الامامة . فليس من المستساغ أن يجلس الامام على المقهى الملىء بالرواد الذين يلعبون العابا مسلية وتخرج معها أصواتهم بالفاظ لا يحسبون لها حسابا ، وليس من المقبول ان يرى الامام فى سباق للخيل اوفى حمام للسباحة او جالسا على احد الشواطىء فى فصل الصيف ، وغيرها من الاماكن التى يخدش فيها حياء الفضيلة ولا يستطيع العالم تقويمها ..

ولكن ليس معنى ذلك اننى أحظر على الامام ارتياد الاماكن العامة ، فانا دائما انادى بوجوب انطلاق الامام فى كل مكان يخطر على البال ان فيه تجمعا للمواطنين مثل الاندية الرياضية ومراكز الشباب والهيئات العامة والخاصة كالاتحاد الاشتراكى وجمعيات الشبان المسلمين والمصانع والمستشفيات ومراكز الشرطة والسجون والمدارس بمراحلها المختلفة والجامعات وحتى المعاهد الازهرية رغم ما فيها من علماء فانها تحتاج الى الامام لانشغال علمائها بصفة التدريس حتى طغى على صفة التوجيه الدينى لديهم ..

وكل ما أرجوه من الامام أن يتحسس طريقه وان يحدد مساره وان يخطط للوصول الى هدفه والا يبخل بالجهد أو بالمال فى سبيل تحقيق توجيه اسلامى نافع لأفراد المجتمع ، وبذلك يحصل على ثمرة جهده الذى وعد به المصطفى صلى الله عليه وسلم العاملين فى حقل الدعوة « لئن يهد الله بك رجلا واحدا خير من حمر النعم » .

واخيرا فان تلك المهمة الخطيرة التى وضعتها السماء فى اعناق العلماء ائمة المساجد تحتاج منهم الى كل صفات الانبياء من صبر وصدق وحكمة حتى تحقق اهدافها بين افراد المجتمع ، وعلينا أن نضع امام اعيننا دائما توجيهات المولى سبحانه وتعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم « **فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل** » « **ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة** » **وغيرها من التوجيهات القرآنية على أنها توجيهات لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولعلماء أمته من بعده وأنها باقية وخالدة الى يوم القيامة . وفقنا الله جميعا لاداء رسالته وحقق آمال الدعوة والدعاة انه نعم المولى ونعم النصير .**

فضيلة الشيخ محمد متولى المراكبى
السكرتير العام لجمعية المساجد

من ذكريات شهر شعبان

أولا : ان شهر شعبان له ذكريات عزيزة تستحق العناية والاهتمام ولذا كان المصطفى صلى الله عليه وسلم يختصه بكثير من العبادة والصيام .

فهو بحق شهر بركاته مشهورة . وخيراته موفورة . والتوبة فيه من أعظم القربات الى الله تعالى . ضمن الله تعالى فيه للتائبين الامان والفلاح فى الحياتين .. فعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : شعبان شهرى ورمضان شهر أمتى شعبان هو المكفر . ورمضان هو المطهر ..

وعن أنس رضى الله عنه سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن افضل الصيام ، فقال صيام شعبان تعظيما لرمضان . فما من عبد يصوم ثلاثة أيام من شعبان ثم يصلى على مرارا قبل افطاره الا غفر الله له ما تقدم من ذنبه » .

فالصوم فى هذا الشهر له اثر كبير فى النفس يعلمها المراودة على فعل الخير . والاستعداد لشهر رمضان الكريم . فيقبل عليه بقلب مخلص نقى طاهر فضلا من أن فيه رفع الاعمال لرب العالمين .

عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال : قلت يارسول الله لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان . قال : « ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان . وهو شهر ترفع فيه الاعمال الى رب العالمين . وأحب أن يرفع عملى وأنا صائم » فهذا يلفت النظر الى العناية بطاعة الله فيه والتقرب اليه بالعمل الصالح . والصوم من أجل العبادات .

ثانيا : وفى هذا الشهر حولت القبلة فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم من بيت المقدس الى الكعبة بعد أن ظل المسلمون يستقبلون بيت المقدس شهورا منذ هاجر المصطفى صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة . واذا كان القرآن الكريم لم يقرر صراحة بالتوجه الى بيت المقدس . فقد كان ذلك اجتهادا من النبى صلى الله عليه وسلم لم ينكره الله عز وجل . ولكن اليهود ملاهم الحقد وقالوا : ان محمدا يريد أن يتقرب الينا . فحزن النبى صلى الله

عليه وسلم من هذه الاشاعات الكاذبة وبدأ يتجه الى الله بقلبه ليتوجه الى الكعبة ونزلت الاية الكريمة على النبى صلى الله عليه وسلم تبين مدى تشوقه الى المسجد الحرام قال تعالى : « قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها · فول وجهك شطر المسجد الحرام ··· » ·

ولكن اليهود اختلقوا الاكاذيب وقالوا : توجه المسلمون سبعة عشر شهرا الى قبلتنا فما الذى حولهم الى الكعبة ؟ ان كانت القبلة الاولى حقا والصلاة اليها صحيحة فكيف يتجهون الى المسجد الحرام ؟ وان كانت باطلة فكيف يتجهون الى باطل · وكان رد الله عليهم بأمرين ··

الامر الاول : أنه وصفهم بالسفه فى كل احوالهم ··

قال تعالى « سيقول السفهاء من الناس ماولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها » فاليهود سفهاء فى عقولهم وفى أفكارهم وفى كل ما يقولون ويختلقون وهذا هو ديدنهم فى كل عصر ومصر · فقد قتلوا الانبياء بغير حق واغتصبوا وسفكوا دماء الابرياء فى العالم وهم الذين وضعوا السم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ·

الامر الثانى : بين الله سبحانه وتعالى ان أمر القبله مفوض اليه وليس لاحد فيه شىء قال تعالى « قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء الى صراط مستقيم » فاليهود قديما وحديثا أفجر الناس فى خصومتهم اذا احسوا بقوة واذا احسوا بضعف فيهم اختفوا بأحقادهم المسمومة بل ان الله سبحانه وتعالى وصفهم بانهم شر الدواب قال تعالى « ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة وهم لا يتقون » ·

وهل نرى الان فيهم الا فجرا وفسادا واغتصابا وانتهابا لحقوق شعب فلسطين والاستيلاء على المسجد الاقصى ·

وعلينا ان ناخذ عبرة الامس فقد كانوا بالامس فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدون القضاء على الوحدة الانسانيه والاسلامية التى تؤكد صلة النبى صلى الله عليه وسلم بالانبياء السابقين · ولكن الله جل وعز اراد بتحويل القبلة من المسجد الاقصى الى الكعبة وحدة المسلمين تحت راية التوحيد ·

وهذه لمسة عظيمة ان يتجه المسلمون فى جميع بقاع الارض الى جهة واحدة · بل رأينا فى هذه الايام المؤتمرات الاسلامية التى تعقد فى كل مكان وخاصة المؤتمر المنعقد فى باكستان غرة ربيع الاول عام ١٣٩٦ هـ · وفيه يناشد الحكومات الاسلامية بتوحيد الاعياد والمناسبات الدينية وان يكون يوم الجمعة عطلة رسمية فى كل المصالح ·

ما احرانا فى هذه الايام التى يتجلى الله فيها على عباده بغفر للمستغفرين ويرحم المسترحمين ويؤخر أهل الحقد كما هم عليه ·· ان نعبىء انفسنا بكل ما نستطيع لاسترداد المسجد الاقصى السليب مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم · وان ندعو الله · ولنعلم ان الدعاء ما دعت اليه الحاجة ودفعت اليه الضرورة وانبعث من القلب وحاطة الاخلاص وأرجى الدعاء الى القبول ما كان عند السجود لرب العالمين قال صلى الله عليه وسلم « اقرب مايكون العبد من ربه وهو ساجد ·· »

عبد المؤمن حسن مجاهد
مفتش المساجد بالدقهلية

بقية مقال « اضواء على الدعوة الاسلامية »

والكراهية لم يستطع اليأس ان يشق طريقا الى نفسه أو يأخذ سبيلا الى حياته .

ان أمواج الضغينة والعداوة رغم تلاطمها المزعج ، ورغم عنفوانها المريع لم تستطع ان تطيح بسفينة الدعوة لان ربانها مؤيد من قبل الله ، وقد آلى على نفسه من قبل انه لن يتخلى عنها ولو وضعوا الشمس فى يمينه والقمر فى يساره ولئن فقد النصرة بفقد عمه وفقد الانس بفقد خديجة فانه لن يفقد النصرة والانس من قبل الله ، لذلك دفع للحياة اشجع شعار . حين جاء الى ربه عند ذلك الحائط « ان لم يكن بك غضب على فلا أبالى » واستجابت السماء لضراعته المبرورة لتعلن لا لاهل مكة والطائف فحسب .

بل لاهل الارض جميعا . ان حامل هذه الرسالة وصاحب تلك الدعوة ان شاء ربه اطبق عليهم جبال الارض فلا كانوا ولا كانت دنياهم وان شاء كذلك جعل حياته سماوية ملائكية ولكن من اجل ان تعطى الحياة ومن عليها دروسا تظل خالدة الى ان يرث الله الارض ومن عليها .

اقتضت حكمة الله ذلك فكان ذلك الموقف العظيم من الرسول الذى هو بالمؤمنين رءوف رحيم فتلقى كل صنوف الاذى بصدر رحب ونفس آمنة مطمئنة صابرة محتسبة ، فكان من الله سبحانه وتعالى ان يدعو حبيبه ومصطفاه الى رحلة فيها من آيات الله الكبرى والى لقاء كريم مع اخوانه من الانبياء والمرسلين وتنتهى تلك الرحلة الارضية والسماوية باستشراق المعالم العلوية ، وتختتم برؤية رب البرية سبحانه وتعالى . . قال تعالى : « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير » .

وهكذا تحمل الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وتحمل المسلمون فى سبيل الدعوة ما تحملوا ، ولكنهم واجهوا كل ذلك بصدر رحب ونفس راضيه مطمئنة ، يستعذبون العذاب فى سبيل الدعوة الاسلامية ، صابرين حتى يحق الله الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين .

ولقد استجابوا لنداء ربهم سبحانه وتعالى ، وهو يقول لهم ويأمرهم بالصبر :

« واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » .

والى قوله سبحانه وتعالى :

« يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ! .

وَذَكِّرْهُم بأيَّام الله

لقد شاءت الاقدار أن يمتاز بعض الشهور بل الليالى عن بعضها الاخر بميزات تخلدها على الدهر وتقرن عودتها فى كل عام بالاحداث الضخمة التى توجتها بتاج الابدية كاقتران شهر رجب بالاسراء والمعراج وشهر شعبان بليلة النصف وتحويل القبلة وشهر رمضان بليلة القدر ونزول القرآن الكريم وشهر محرم بالهجرة وشهر ربيع الاول بالميلاد المحمدى الذى غير وجه التاريخ وبدل صورة الدنيا ٠

ولا ريب أن ذكريات هذه الشهور وتلك الليالى هى دعوة صريحة من السماء الى التامل العقلى الذى أصبح فى حياتنا المادية المضطربة القلقة من الندرة بموضع ملحوظ ، ومع ذلك فان التأملات هى وحدها التى تمنحنا السكينة والاطمئنان بل هى التى تحقق وجود انسانيتنا وتعد نفوسنا لتقبل التأثيرات الروحية وتلقى الانوار العلوية ٠ ولهذا يقول الحق جل جلاله « وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين » ٠

والانسان الحريص على ان يعيش فى جو ملىء بالسعد ، عامر بالهناءة يسعى الى التذكير بالخير حتى يتسنى له ذلك الجو الذى يفوز فيه بامتاع الروح وصفاء النفس والراحة التى تصحبها سعادة علوية تكشف فلاح الغد ٠

ومن أجل ذلك أرسل الله الرسل وحثهم على تذكير أقوامهم فقال لموسى عليه السلام « وذكرهم بايام الله ان فى ذلك لايات لكل صبار شكور » وقال لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم « وعظهم وقل لهم فى انفسهم قولا بليغا » ٠

فهيا بنا أيها القارىء الكريم ان نسير معا فى ميدان ذكرى عزيزة على النفوس ، حبيبة الى القلوب ذكرى ليلة النصف من شهر شعبان العظيم ٠ فيا لها من ليلة غراء ، من ليالى الانس بالله واهب النعماء توسطت الاشهر الثلاثة المشهورة بالفضل بين المسلمين «رجب وشعبان ورمضان » انها ليلة النصف من الشهر الذى حبب اليه الرسول صلى الله عليه وسلم أن يصوم فيه نافلة ٠ قال أسامة بن زيد رضى الله عنه يا رسول الله « لم اراك تصوم من شهرمن الشهور ماتصوم من شعبان ، قال : ذاك شهر تغفل الناس فيه عنه بين رجب ورمضان وهو شهر ترفع فيه الاعمال الى رب العالمين وأحب ان يرفع عملى وأنا صائم » ٠

ولقد تعود كثير من المسلمين أن يحتفلوا بليلة النصف من شعبان على انها من المواسم الاسلامية التى يرجى خيرها ٠ ويكثر نفعها ٠ والذى لا شك فيه أن أى اجتماع فى الله ولله يرجى خيره ويعم نفعه ٠ وأن كل اجتماع يتلى فيه قرآن الله ويتدارس فيه كتابه ويذكر فيه اسمه لابد أن يكون مشمولا بنفحات الله ، محفوفا ببركته ورعايته ٠ فاذا كانت هذه الاجتماعات المباركة فى مواسم اسلامية ٠ ومناسبات دينية زاد خيرها وبرها ، وعظم نفعها وبركتها ٠

والمسلمون فى هذه الايام قد تفرقت كلمتهم وانفرط عقدهم ، وانتثر منظومهم وأصبحوا فى أشد الحاجة لان يجتمعوا فى قراهم ومدنهم لله وفى الله وعلى الله ، ولا غرو اذن أن نرحب بالمواسم الاسلامية دائما ونفرح لها ونهش بها ، والله عز وجل يذكر من ذكره فى ملا خير من ملئه ، ويحفهم باجنحة ملائكته وينزل عليهم من فضله ورضوانه « والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما » ٠

فاذا كانت ليلة النصف من هذا الشهر المكرم « شهر شعبان » فقم ليلها وصم نهارها وادع الله فيها بما دعا به رسوله صلى الله عليه وسلم لتطهر قلبك من الخطايا والذنوب وتغسلها من الدنس والعيوب فلقد روى البيهقى عن عائشة رضى الله عنها قالت : « كانت ليلة النصف من شعبان وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم عندى فلما كان فى جوف الليل فقدته فاخذنى ما يأخذ النساء من الغيرة فتلففت بمرطى فطلبته فى حجر نسائه فلم أجده فانصرفت الى حجرتى فاذا أنا به كالثوب الساقط وهو يقول فى سجوده : اللهم سجد لك خيالي وسوادى وأحس بك فؤادى فهذه

يدى وما جنيت به على نفسى يا عظيم يرجى لكل عظيم . يا عظيم أغفر الذنب العظيم سجد وجهى للذى خلقه وشق سمعه وبصره ثم رفع رأسه ثم عاد ساجدا فقال أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ بك منك أنت كما اثنيت على نفسك . ثم رفع راسه فقال : اللهم ارزقنى قلبا نقيا من الشر ، تقيا لا جافيا ولا شقيا .

وروى عن عائشة أيضا رضوان الله عليها أنها قالت ، قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل فصلى فاطال السجود حتى ظننت أنه قد قبض . فلما رايت ذلك قمت حتى حركت ابهامه فتحرك فرجعت فسمعته يقول فى سجوده : أعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ برضاك من سخطك . وأعوذ بك منك اليك لا احصى ثناء عليك انت كما أثنيت على نفسك . فلما رفع رأسه من السجود وفرغ من صلاته قال يا عائشة او ياحميراء اظننت ان النبى قد خاس بك - اى غدر بك - ولم يوفك حقك . وذهب فى ليلتك الى غيرك من زوجاته قلت لا والله يا رسول الله ولكنى ظننت أنك قبضت لطول سجودك فقال : أتدرين أى ليلة هذه ؟ قلت الله ورسوله أعلم فقال : هذه ليلة النصف من شعبان . ان الله عز وجل يطلع على عباده فى ليلة النصف من شعبان فيغفر للمستغفرين ويرحم المسترحمين ويترك أهل الحقد كما هم .

ومن ثم فانه يتضح لنا مدى ما لهذه الليلة من فضائل ومدى حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان يضرع الى الله العلى القدير فيها بالدعاء والرجاء لان الدعاء ركن من أركان الاسلام ودعامة من دعائم الايمان ولانه مخ العبادة ، وراس الطاعة من تمسك به نجا ، ومن دخل فى بابه أمن ، ومن سار على دربه وصل لانه توجه القلب الى علام الغيوب ، ورفع الاكف بالضراعة الى الرب المربوب وبسط الحاجة الى قاضى الحاجة وبث الشكوى الى عالم السر والنجوى ولذلك يقبل الله على من أقبل عليه ويتوجه الى من توجه اليه ويقول له لبيك عبدى لك ما تريد أنا أجيب دعوة الداعين وأحقق رجاء السائلين وأفرج الكرب عن المكروبين يقول سبحانه « واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون » .

ولقد جرت عادة المسلمين فى كل عام ان يجتمعوا بين المغرب والعشاء للدعاء والرغبة الى الله وهذا حسن وجميل ولكن هذا الاجتماع يحتاج الى شىء من التهذيب والتعديل حتى يصيب الهدف المنشود ، فينبغى لامام المسجد أن يقوم بين الناس عقب صلاة المغرب . وأن يجمعهم حوله ثم يامرهم بالتوبة والاستغفار ثم يبدأ فيقول لهم أمنوا على دعائى ويدعو بما يشاء من دعاء الدنيا والاخرة والناس تؤمن على دعائه بقولهم أمين . وبعد أن ينتهى الامام من الدعاء يرشدهم الى آداب الدعاء ويبين لهم أن وقت الدعاء المستحب هو وقت السحر وقبل الفجر حيث نامت العيون وهجعت الجسوم ولم يبق الا الحى القيوم ثم يتوضأ ويتوب الى الله ثم يدخل فى الصلاة ويدعو الله فى سجوده عقب الصلاة ويقرأ ويسبح ويصلى ما شاء الله ان يصلى ولا يزال كذلك حتى مطلع الفجر فان الله عز وجل يتجلى على عباده بالقبول فى الثلث الاخير من الليل فيقول ألا من مستغفر فأغفر له ، ألا من سائل فأعطيه ، ألا من داع فأستجيب له ألا كذا ألا كذا حتى يطلع الفجر .

وطلاب المغفرة والرحمة الذين تابوا واستقبلوا ليلة النصف من شعبان بالانابة الى الرحيم الرحمن ، وقلوبهم كافئدة الطير رحمة وحنانا يستجيب الله تعالى لهم ، ويؤتهم سؤلهم ، وأما المعتمرون لاسوء الذين امتلات قلوبهم بالحقد وتحفزوا للايذاء الذين يكرهون الخير لعباد الله - فاولئك هم المحرومون فى تلك الليلة مع من لا ينظر الله اليهم فيها ولا يشملهم باحسانه فى أوقاتها المباركة .

ومن فضائل هذه الليلة انها تحولت فيها قبلة المسلمين فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السنة الثانية من الهجرة من بيت المقدس الى الكعبة بعد أن ظل المسلمون يستقبلون بيت المقدس شهورا منذ هاجر المصطفى صلوات الله وسلامه عليه من مكة الى المدينة . وقد كان صلى الله عليه وسلم يتطلع الى تحويل القبلة شطر المسجد الحرام وهو أول بيت وضع للناس ، وفى جواره كان مولده ونشأته وبعثته ، وقد كان هذا التحويل مدعاة لتساؤل بعض الناس وقد أجاب الله على تساؤلهم بما يفيد أن المؤمن الصادق لا يهمه جهة العبادة ، وانما يهمه المقصود بها . وفى ذلك يقول الحق تبارك وتعالى « ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله ، ان الله واسع عليم » ويقول سبحانه « سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء الى صراط مستقيم ، وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرءوف رحيم » ، « قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون » .

وجملة القول أن شهر شعبان له ما له عند رسول الله والمسلمين من المزايا والتكريم حيث قد روى أصحاب السير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « أتدرون لما سمى شعبان قالوا الله ورسوله أعلم قال : لانه يتشعب فيه خير كثير » . حقا انه يتشعب فيه خير كثير لانه شهر رسول البشرية ونور الانسانية فلقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « رجب شهر الله وشعبان شهرى ورمضان شهر أمتى » .

ولقد طوى أصحاب السير الكثير من فضائل شهر شعبان حيث قال يحيى بن معاذ « ان فى شعبان خمسة أحرف يعطى بكل حرف هدية للمؤمنين . بالشين الشرف والشفاعة . وبالعين العزة والكرامة وبالباء البر وبالالف الالفة وبالنون النور ولذا قيل رجب لتطهير البدن وشعبان لتطهير القلب ورمضان لتطهير الروح .

هذا بالنسبة لشهر شعبان أما ليلة النصف منه فلها نفحات كثيرة وكرامات عظيمة كما علمت ويضيق المجال عن حصرها فأعمل فى جد واخلاص لتحظى بنتائج هذه الليلة الكريمة واقبل الى الله فى كل وقت واعد نفسك لاستقبال شهر رمضان وأنت طاهر الجسد والروح وأجعل من ليلة النصف مرتعا للعبادة والتسبيح والتهليل فقم ليلها ورتل فيها من القرآن ما شئت واقتصر على ما ورد فى منهاج كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كان يتبعه سلفنا

الصالح فلنا فى رسولنا الاسوة الحسنة والقدوة الطيبة • وما أحوج قلوبنا فى كل لحظة وفى كل ساعة وفى كل يوم أن تفتح نوافذها لكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الصحابة والتابعين •

فليغتنم المسلمون المواسم الدينية ويعقدوا العزم على اسلام صحيح وحب صادق وتوبة نصوح وتحرر من الهوى • انهم ان فعلوا ذلك كانوا مؤمنين صادقين وفى وطنهم أعضاء صالحين •

أحمد مسلم ابراهيم
ادارة الدعوة بوزارة الاوقاف

بقية مقال « انا نحن نزلنا الذكر »

وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا • الاية .

ومما يدل على هذه القاعدة من القرآن المجيد قوله تعالى فى سورة الرعد آية ١٧ « **أنزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض كذلك يضرب الله الامثال** » فهو يفيد ان سيول الحوادث ونيران التنازع تقذف زبد الباطل الضار فى الاجتماع وتدفعه وتبقى ابليز الحق « الابليز هو الطين الذى يأتى به النيل فى فيضانه » النافع الذى ينمو فيه العمران ، وابريز المصلحة التى يتحلى بها الانسان .

وهناك آيات أخرى تدل على أن الحق يزهق الباطل قال تعالى: « **وقل جاء الحق وزهق الباطل أن الباطل كان زهوقا** » « ٨١ سورة الاسراء .

بقية مقال « خصائص القصة القرآنية »

باسمه ولكن باللفظ اليونانى . وان السد الذى بناه هناك ، حمى اهل هذه المنطقة من غزوات القبائل غير المتمدينة الواقعة فى شمال الموقع الذى أقيم فيه السد .

وليس لدينا شك فى قيمة البحث الذى قام به مولانا أبو الكلام رحمه الله رحمة واسعة ، وهو لون من البحث القائم على دراسة النصوص الدينية والتاريخية والنظر فيما كتبه الاجانب ومحاولة مقارنة النتائج والحقائق ، بروح العالم المحص المدقق ، دون الرغبة فى فرض الرأى ، أو اقامته على أى سند ، ولكن ماذا أضاف هذا البحث – كما سبق القول – الى المعانى التى اوردها كتاب الله العظيم ، والتى قصد اليها من نبأ ذى القرنين ومحاولة اليهود اظهار عجز الرسول عليه الصلاة والسلام عن الرد على أسئلتهم ، وقلة علمه بأخبار الامم البائدة ، وانه رد عليهم ، بما اسكتهم بدلالة أنهم لم يماروا فى هذه الاجابة ، فلم نجد فى القرآن عودة اليها ، ولا تعقيبا عليها •

والحديث موصول باذن الله تعالى

دعاء

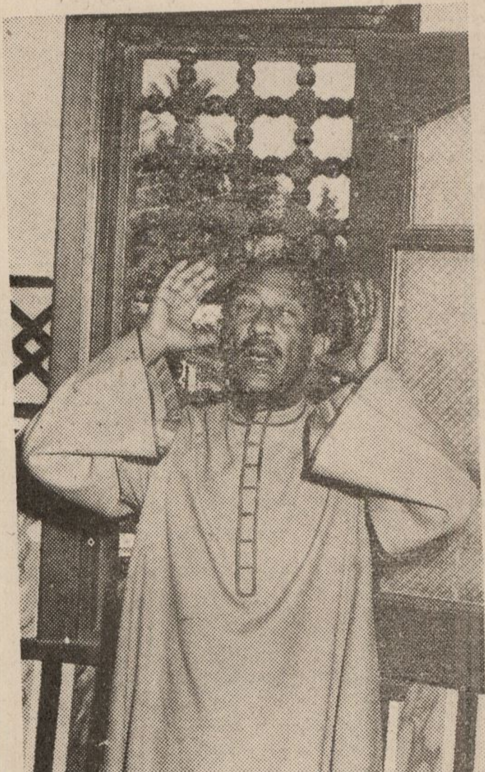

ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا أصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ

فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ

وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ

وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ

شعبان
شهر ترفع فيه الأعمال إلى الله

للغد الذى لابد منه ولحسن الحال ، المعقب بحسن الاستعداد ، لحسن المآل ، استجابة لقول الله تبارك وتعالى : يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون .

فضيلة الشيخ محمد مصطفى أبو العلا

كان سلفنا الصالح ، اذا دخل شهر شعبان انكبوا على المصاحف ، فقرءوها متدبرين تقوية لارواحهم ، وتنويرا لقلوبهم ، واخرجوا زكاة أموالهم ، تقوية للضعيف ، والمسكين ، واعانة لهما على صيام رمضان ، وأكثروا من الصيام لئلا يدخلوا فى صوم رمضان الا على اقبال ، وقوة ، ونشاط كسبا لعظيم فوائده ، ومزاياه ، والمؤمن حريص على ما ينفعه ، ولايضيع فرص الخير ، ويسعى ما استطاع الى ادخار ما يسعده فى غده ، ونصب عينيه - قوله صلى الله عليه وسلم : **«احرص على ما ينفعك واستعن بالله ، ولا تعجز»** رواه مسلم فى صحيحه ، عن أبى هريرة رضى الله عنه ، وقد نبهنا الرسول صلى الله عليه وسلم - الى أن الله تبارك وتعالى - قد أعطانا فرصا كثيرة ، لنتوب اليه ، ونفوز بمغفرته ، فأخبرنا بأن أعمالنا - تعرض عليه يوميا بكرة وعشيا . روى البخارى . ومسلم فى صحيحهما عن أبى هريرة رضى الله عنه - أنه صلى الله عليه وسلم قال : **يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل ، وملائكة بالنهار ، ويجتمعون فى صلاة الفجر وصلاة العصر ، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم ، كيف تركتم عبادى ؟ فيقولون : تركناهم وهم يصلون ، وأتيناهم وهم يصلون** » كذلك اخبرنا صلوات الله وسلامه عليه - بعرض أعمالنا عليه جل وعز - عرضا اسبوعيا . قال عليه الصلاة والسلام : « **تعرض اعمال يوم الاثنين والخميس ، فأحب أن يعرض عملى وأنا صائم** » رواه الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه ، وكذلك - أخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم - بأن أعمالنا - تعرض عليه تعالى عرضا سنويا ، اجماليا ، فى شهر شعبان ، روى النسائى فى سننه - ان اسامة بن زيد رضى الله عنهما - قال يا رسول الله ، لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان ؟ فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « **ذاك شهر يغفل الناس فيه عنه بين رجب ورمضان ، وهو شهر ترفع فيه الاعمال الى رب العالمين ، وأحب أن يرفع عملى وأنا صائم** » .

فمن آمن بأن أعماله - تعرض على الله ، الذى بيده الدنيا ، والاخرة ، وقد خلق الخلق شاهدا على الوهيته وقدرته وقال : « **وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون** » حرص على أن تكون أعماله - صالحة للعرض عليه تعالى ، ومنيلة لرضاه ، وواقية من سخطه ، فاقتدى بالرسول صلى الله عليه وسلم فى عمله ، ومنه - صومه فى شهر شعبان ، فقد أحب عليه الصلاة والسلام - أن يرفع عمله ، وهو صائم ، حتى يكون مصحوبا بالرائحة الزكية ، زيادة فى تمجيد رب البرية ، الذى هو تعالى - طيب لا يقبل الا طيبا ولذلك - كانت السيدة فاطمة الزهراء ، ابنة سيد الانبياء ، عليه صلوات الله وسلامه - تطيب صدقتها بالطيب ، وتقول : انها تقع فى يد العلى الكبير ، قبل أن تقع فى يد الفقير .

وقد طيب الله رائحة الصيام ، لانه سر بين العبد وبين ربه ، فلما أخفاه العبد عن بنى جنسه - أظهره ، أطيب من ريح المسك - المعبود جل شأنه - لنفسه ، وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : **«للصائم فرحتان : فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه ، ولخلوف فيه - أى ولتغير فمه - أطيب عند الله من ريح المسك» رواه مسلم فى صحيحه .**

واذا كان شهر شعبان - موسم خير يتدارك فيه المسلم - ما فاته من خير قبله ، ليزداد خيرا فى

رمضان – فلا أقل مع أداء الفرائض من أن يصوم يومي الاثنين والخميس ، والايام البيض ، التي لياليها – بيض بنور القمر فيها ، وهي الثالث عشر ،والرابع عشر ، والخامس عشر من الشهر الهجري ، وروى الترمذي عن ابى ذر رضى الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم – قال : « **من صام من كل شهر ثلاثة أيام – فذلك صيام الدهر** » فأنزل الله تصديق ذلك فى كتابه : «**من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها**» اليوم بعشرة أيام .

وفى ليلة الخامس عشر من شعبان ، أى ليلة النصف منه – قالت عائشة رضى الله عنها : « **قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل ، فصلى فاطال السجود . حتى ظننت أنه قد قبض ، فلما رأيت ذلك – قمت حتى حركت ابهامه ، فتحرك ، فرجعت ، فسمعته يقول فى سجوده ، اعوذ بعفوك من عقابك ، واعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بك منك اليك لاأحصى ثناء عليك ، انت كما أثنيت على نفسك ، فلما رفع راسه من السجود ، وفرغ من صلاته – قال : يا عائشه أو يا حميراء : أظننت أن النبى صلى الله عليه وسلم قد خاس بك ؛ قلت « لا والله يارسول الله ، ولكنى ظننت أنك قبضت لطول سجودك . فقال اتدرين أى ليلة هذه ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : هذه ليلة النصف من شعبان ، ان الله عز وجل – يطلع على عباده فى ليلة النصف من شعبان ، فيغفر للمستغفرين ويرحم المسترحمين ، ويؤخر اهل الحقد كما هم** » رواه البيهقى من طريق العلاء بن الحارث عن عائشة أم المؤمنين ، رضى الله عنها ، وقد خاس بك ، أى وقد غدرك بك ، ولم يوفك حقك ، وذهب فى ليلتك الى غيرك .

وبما كان من رسول الله عليه الصلاة والسلام ، من مزيد طاعة فى تلك الليلة المباركة ، واطالة السجود له فى صلاته بها ، وتعظيمه الثناء عليه سبحانه وتضرعه صلى الله عليه وسلم ، ودعائه الخاص – لفتنا صلوات الله وسلامه عليه – الى أن ليلة النصف من شعبان موسم ، يحرص المسلم الحريص على الخير فيه على استغلاله ، كسبا للمثوبة على استغلال الطاعة ، وارضاء له تبارك وتعالى ، وحسب العبد – أن يغفر له ذنبه ، ويفوز برحمة الرحمن تبارك وتعالى ، ولينتبه العاقل الى أن الله سبحانه لا يغفر لمن قال أستغفر الله بلسانه ، وهو مصر على ذنوبه فليس الاستغفار كلمة تقال فقط ، ولكنها – مع قول الاستغفار – أعمال تعمل ، فالاستغفار هو الندم على ما مضى من ترك طاعة ، أو فعل سيئة ، والعزم على ترك العودة اليه ، وأن يعمد المرء الى كل فريضة عليه ضيعها ، فيؤديها ، وأن يؤدى للناس حقوقهم ، التى أخذها منهم ، حتى يلقى الله أملس ، ليس عليه تبعة فاذا قال العبد بعد ذلك أستغفر الله – قال الله تعالى « **غفرت لك ، وانا الغفور الرحيم** » ولايرحم سبحانه – من يسأله الرحمة ، وهو قاسى القلب ، شحيح لايطعم جائعا ، ولا يسقى عطشان ، ولا يكسو عريان ، ولا يعين ضعيفا ، ولا ييسر على معسر ، ولا ينفس كربة مؤمن ، وقد روى أبو داود ، والترمذى عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ، « **الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من فى الارض يرحمكم من فى السماء** » .

وحرى بالمسلم – أن يلتفت لقول الرسول صلى الله عليه وسلم ، فى حديث البيهقى السابق لعائشة ، رضى الله عنها ، فى تلك الليلة : **ويؤخر أهل الحقد كما هم » : فالحقد – وهو اضمار السوء : والتحفز** للايذاء – هو الداء الباعث على الداء ، الذى كان به خسران ابليس ، وخلوده فى النار ، الا وهو داء الحسد وتمنى زوال نعمة الغير ، فلا عجب أن يحرم ذو الحقد من رحمة الله ، وغفرانه فى ليلة الرحمة والغفران ، ليلة النصف من شعبان ، ولذلك – ليس المؤمن بحقود ، ويحب الخير لسواه ، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم لاصحابه ثلاثة أيام : **يطلع الان عليكم رجل من أهل الجنة ، فكان الرجل الطالع فى الايام الثلاثة هو سعد بن مالك** ، فاستضافه عبد الله ابن عمرو ثلاث ليال ، لينظر عمله فى الليل ، حيث الخلوة بالله ، فلم ير منه كبير عمل ، فاخبره بالحال وساله عما بلغ به ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له سعد : ما هو الا ما رأيت ، غير أنى لا أجد فى نفسى لاحد من المسلمين غشا ، ولا أحسد احدا على خير أعطاه الله اياه ، فقال عبد الله : هذه هى التى بلغت بك « ، وفى رواية أن سعدا قال : **آخذ مضجعى ، وليس فى قلبى غمر أى حقد على أحد رواه أحمد : والنسائى : وأبو يعلى : والبزار والبيهقى : عن انس بن مالك رضى الله عنه** .

فالقيام بطاعة الله تعالى فى ليلة نصف شعبان ، ولو بختامها بصلاة العشاء ، وافتتاح نهارها بصلاة الصبح ، مع التوبة النصوح فيها ، وصوم نهارها ، وهو الخامس عشر من شعبان ، آخر الايام البيض منه ، مضافا اليه صوم اليومين السابقين عليه ، الثالث عشر ، والرابع عشر من شعبان – كسب لخير عظيم ، وادخار لربح كريم ، وقد قال ابو الدرداء الصحابى رضى الله عنه : **صوموا يوما شديدا حره لحر يوم النشور ، وصلوا ركعتين فى ظلمة الليل لظلمة القبور** » .

وما أربح المؤمن ، الذى يتضرع الى الله فى تلك الليلة المباركة ، وهو خائف فى سره وجهره منه تعالى ، ويدعوه جل شأنه ، وهو ذاكر أنه سبحانه – واهب النعم ، وصاحب الجود ، والكرم ، القائل **يا بن آدم . انك ما دعوتنى ، ورجوتنى – غفرت لك على ما كان منك ، ولا أبالى . يا بن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء . ثم استغفرتنى – غفرت لك ، يا بن آدم لو أتيتنى بقراب الارض خطايا ، ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئا – لاتيتك بقرابها مغفرة** رواه الترمذى عن أنس رضى الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

« البقيه صفحة ٨٤ »

ليلة الغفران

فضيلة الشيخ أحمد كامل الخضري

أخرج الترمذى والامام احمد ، رحمهما الله تعالى ، عن عائشة أم المؤمنين ، رضى الله عنها ، ان النبى صلى الله عليه وسلم قال « أن الله تعالى ينزل ليلة النصف من شعبان الى السماء الدنيا ، فيغفر اكثر من عدد شعر غنم كلب »وكلب »اسم قبيلة من قبائل العرب ، اشتهرت بكثرة عدد اغنامها ، لا يجاريها فى ذلك قبيلة أخرى .

والمراد بنزول الله تبارك وتعالى الى السماء الدنيا نزول الرحمات والتجليات ، والرضوان والبركات لا نزول الذات لانه سبحانه وتعالى منزه عن سائر صفات الحوادث ..

وروى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ، يطلع الله الى جميع خلقه ليلة النصف من شعبان ، فيغفر لجميع خلقه ، الا لمشرك أو مشاحن » والمشاحنة المخاصمة ..

وهذا يدل على شؤم المشاحنة والمخاصمة ، وانه لا يجوز لمسلم ان يشاحن اخاه المسلم ، بل واجبه ان يعامل اخوانه المسلمين على أساس الاخوة والمحبة والمودة ..

والمصطفى صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاث ، يعرض هذا ، ويعرض هذا ، وخيرهما الذى يبدأ بالسلام ...

فانت ترى أن صاحب الشريعة الغراء ، صلوات الله وسلامه عليه ... يقرر أن هجر المسلم لاخيه المسلم ، فوق ثلاثة أيام حرام ، وأن خيرهما وافضلهما عند الله تبارك وتعالى ، هو الذى يصالح اخاه ويبدأه بالتحية والسلام ...

ولقد بلغ من حق المسلم على أخيه المسلم ، انه لا يتحقق ايمانه الابمحبته. يقول صلى الله عليه وسلم لايؤمن احدكم حتى يحب لاخيه مايحب لنفسه » . ويقول ايضا « لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولن تؤمنوا حتى تتحابوا ...

فانظر يا أخى كيف نفى المصطفى صلى الله عليه وسلم الايمان عمن لا يحب أخاه ، وعمن لا يحب له مثل مايحبه لنفسه تماما ! ..

فواجبنا معاشر المسلمين ، أن نستقبل ليلة النصف من شعبان ، تلك الليلة الكريمة ، ذات المنزلة السامية عند الله تعالى - بالمحبة والمودة ، وصفاء النفوس ، والتوبة والانابة الى الله جل وعلا ، رجاء أن يشملنا سبحانه بعفوه وغفرانه ، ورحمته وفضله واحسانه ...

ومما يطلب فيها طلبا مؤكدا .. التوجه الى الله تبارك وتعالى بالدعاء والضراعة - فقد ثبت ان النبى صلى الله عليه وسلم ، خرج فيها الى البقيع - وهو من المواطن الكريمة الطيبة ، التى يستجاب فيها الدعاء - فأخذ يناجى ربه .. ويناشده ويضرع اليه ... ويطلب منه الخير لنفسه ولقومه ولامته ، جاء ذلك فى كثير من الروايات والاحاديث ...

من ذلك . ما روى عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت : - « دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فوضع عنه ثوبيه ثم لم يستتم ان قام فلبسهما . فاخذتني غيرة شديدة . ظننت انه ياتى صويحباتى . فخرجت اتبعه . فادركته بالبقيع . يستغفر للمؤمنين والمؤمنات والشهداء - فقلت . بأبي انت وامي . أنت في حاجة ربك . وانا في حاجة الدنيا . فانصرفت فدخلت حجرتي . ولى نفس عال . ولحقني رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال . ما هذا النفس يا عائشة ؟ فقلت .. بأبى انت وامى . اتيتنى فوضعت عنك ثوبيك . ثم لم تستتم أبد قمت فلبستهما فاخذتنى غيرة شديدة . ظننت انك تأتى بعض صويحباتى حتى رأيتك بالبقيع تصنع ما تصنع . فقال يا عائشة .. أكنت تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله ؟ .. أتانى جبريل عليه السلام فقال . هذه ليلة النصف من شعبان . ولله فيها عتقاء من النار . بعدد شعور غنم بنى كلب . لا ينظر الله فيها الى مشرك . ولا الى مشاحن . ولا الى قاطع رحم . ولا الى مسبل . ولا الى عاق والديه . ولا الى مدمن خمر . ثم وضع عنه ثوبيه فقال لى يا عائشة . تأذنين لى ؟ .. فسجد طويلا حتى ظننت انه قد قبض .. فقمت فوضعت يدى على باطن قدميه فتحرك ففرحت ..

وسمعته يقول فى سجوده . اعوذ برضاك من سخطك . واعوذبك من عقابك . واعوذبك منك . جل وجهك . لا أحصى ثناء عليك . أنت كما أثنيت على نفسك » - فلما أصبح . ذكرتهن له . فقال يا عائشة .. تعلمين وعلميهن . فان جبريل علمنيهن وامرني ان اردهن فى السجود ..

والمراد من قول عائشة « صويحباتى » اى زوجات النبى صلى الله عليه وسلم . « والمسبل » هو الذى يطيل ثوبه خيلاء وتعاليا وتكبرا .. ومعنى « قبض » مات .. ومعنى « يحيف عليك » اى يجور عليك ويظلمك .

وهؤلاء المذكورون فى الحديث . الذين لا ينظر الله اليهم . محرومون فى هذه الليلة الكريمة من العفو والغفران . والرحمة والرضوان .

نسأل الله قوة الايمان . والسلامة والامان ..

ومن أدعيته صلى الله عليه وسلم فى هذه الليلة فى سجوده : -

« اللهم ارزقني قلبا تقيا نقيا . من الشرك بريا . لا جافيا ولا شقيا » وقوله أيضا « سجد لك سوادى وخيالى . وامن بك فؤادى . وهذه يدى وما جنيته على نفسى . يا عظيما يرجى لكل عظيم . أغفر الذنب العظيم . أقول كما قال أخي داود . عليه السلام : - اعفر وجهى فى التراب لسيدى

وحق لوجه سيدى أن يعفرا

ومن الادعية المأثورة . التى دعا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سجوده : - « اللهم انى لك سجدت . وبك آمنت . وعليك توكلت . سجد وجهى للذى خلقه وصوره . وشق سمعه وبصره . بحوله وقوته . تبارك الله أحسن الخالقين » .

ومن الادعية المباركة . الدعاء المعروف . الذى اشتهر بين الناس . واطبقت شهرته الافاق . وتلقاه الناس بالقبول الحسن . وهو دعاء له روحانية خاصة . يحس بها كل من دعا به . فى صدق وضراعة واخلاص . وهو : - اللهم يا ذا المن . ولا يمن عليه . يا ذا الجلال والاكرام . ويا ذا الطول والانعام . لا اله الا أنت . ظهر اللاجين . وجاز المستجيرين . وأمان الخائفين .

اللهم ان كنت كتبتنى عندك فى أم الكتاب . شقيا . او محروما . او مطرودا . أو مقترا على فى الرزق . فامح اللهم بفضلك . شقاوتى . وحرمانى . وطردى . واقتار رزقى . واثبتنى عندك فى أم الكتاب . سعيدا . مرزوقا . موفقا للخيرات . فانك قلت . وقولك الحق . فى كتابك المنزل . على لسان نبيك المرسل « **يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب** » ...

الهى . بالتجلى الاعظم . فى ليلة النصف من شهر شعبان المكرم التى يفرق فيها كل أمر حكيم ويبرم . أن تكشف عنا من البلاء . ما نعلم . وما لا نعلم . وما انت به أعلم . انك أنت الاعز الاكرم . وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين » .

فهذا الدعاء سليم لا اعتراض عليه . ولا مخالفة فيه لامر دينى مجمع عليه بين علماء المسلمين . بناء على ان أم الكتاب . هو اللوح المحفوظ . وهو يقع فيه المحو والاثبات - اما علم الله تعالى . فانه هو الذى لا يقع فيه المحو والاثبات معلمه تعالى ثابت لا يتغير ....

واما كون ليلة النصف من شعبان . ليلة يفرق الله تعالى فيها الامور والاحكام ويبرمها . من العام الى العام . فذلك رأى ذهب اليه كثير من العلماء الاجلاء واستدلوا على رأيهم هذا بأدلة لها وزنها ...

وهذه الليلة .. تسمى أيضا « ليلة البراءة » - ذكر غير واحد من الرواة والمحدثين . أن النبى صلى الله عليه وسلم . سأل ربه فى أمته ليلة الثالث عشر من شعبان . فأعطاه الثلث . ثم سأله ليلة الرابع عشر فأعطاه الثلثين . ثم سأله ليلة الخامس عشر . فأعطاه الجميع . الا من شرد على الله شراد البعير .

ففى هذه الليلة العظيمة .. أعطى الله تبارك وتعالى . للنبى صلى الله عليه وسلم تمام الشفاعة فى امته ..

وتسمى هذه الليلة أيضا « ليلة العرض » لان أعمال العباد تعرض على رب العزة سبحانه وتعالى فيها - اخرج غير واحد من رواة الحديث . قوله صلى الله عليه وسلم « **ان الاعمال تعرض على رب العالمين في ليلة النصف من شعبان . فاحب ان يعرض عملى وانا صائم** » ..

ولهذا يتأكد استحباب صوم هذا اليوم . أى يوم الخامس عشر من شهر شعبان ..

وأخرج الامام ابن ماجة ، رحمه الله ، عن على ابن أبى طالب رضى الله عنه وكرم الله وجهه ، قوله صلى الله عليه وسلم « اذا كانت ليلة النصف من شعبان ، فقوموا ليلها ، وصوموا نهارها ، فان الله تبارك وتعالى ، ينزل فيها لغروب الشمس الى السماء الدنيا فيقول ، ألا من مستغفر فأغفر له ، الا من مسترزق فارزقه ، الا من مبتلى فأعافيه ، ألا كذا ، الا كذا حتى يطلع الفجر ».

والمراد من نزول الحق جل وعلا الى السماء الدنيا ، نزول التجليات والبركات والرحمات ، كما أسلفنا ...

لهذا كله ، ينبغى للمسلمين ، فى سائر أنحاء الدنيا ، ان يحتفلوا بأحياء هذه الليلة الكريمة .. بالعبادة والتوبة والانابة الى الله تعالى .. والصلاة وذكر الله ، وقراءة القرآن ، والدعاء .. والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، والصدقة ، وصلة الارحام ، وسائر أنواع القرب والطاعات .

ومن المظاهر الكريمة الطيبة .. الاجتماع فى بيوت الله تعالى ، فى هذه الليلة المباركة ، فان المساجد محل تنزل الرحمات والبركات .. ومجرد الوجود فيها عبادة مشروعة مطلوبة ، وفيها ترتاح نفس المؤمن .. ويحس بالسعادة والاطمئنان ، وحسبه فضلا ، أن يكون ضيفا على رب العزة سبحانه وتعالى - يقول صلى الله عليه وسلم « ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله ، يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم .. الا نزلت عليهم السكينة .. وغشيتهم الرحمة .. وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده ...

نسأله سبحانه وتعالى .. ان يشملنا بعفوه وغفرانه ، وفضله واحسانه ، وأن يتوب علينا توبة خالصة صادقة ، وان يمنحنا النصر على انفسنا وعلى أعدائنا ، وان يطهر ارضنا من اعدائنا الغادرين ، وان يخلص المسجد الاقصى المبارك من ايديهم .. انه سبحانه وتعالى سميع الدعاء .. وهو نعم المولى ونعم النصير .

بقية مقال «شعبان شهر ترفع فيه الاعمال الى الله »

فيما يرويه عن ربه عز وجل : « وتراب الارض : ملؤها » أو قربه .

والمسلم المؤمن بأخراه ، وان له غدا خالدا فيه ابدا - يتخذ من شهر شعبان ، وبخاصة من اليوم الخامس عشر منه ، واليومين قبله ، مع ليلة نصفه - أوقات عبادة ، يكسب بها الفوز والسعادة ، والحسنى وزيادة ، ويدعو الله تبارك وتعالى لخيره ، وخير المسلمين ، وصلاح الحياة ، ملحا فى الدعاء ، فى ذلة ، وخشوع ، وصدق خضوع قائلا :

لبست ثوب الرجا والناس قد رقدوا
وبت أشكو الى مولاى ما أجد
وقلت يا أملى فى كل نائبة
يامن عليه لكشف الضر اعتمد
أشكو اليك أمورا أنت تعلمها
مالى على حملها صبر ولا جلد
وقد مددت يدى بالذل مفتقرا
اليك يا خير من مدت اليه يد
فلا تردنها يارب خائبة
فبحر جودك يروى كل من يرد

والمسلم ، وقد أقبل الى مولاه راجيا ، راغبا فى رحمته ، وخيره ، وقد أسعد نفسه بالتذلل ، والخضوع لمعبوده ، الذى لا اله سواه ، فى ليلة النصف من شعبان ، وعزمه مصمم على الا يغادر ساحة ربه ، ولا يعود لذنبه - لا شك أنه متوجه لما فيه فلاحه ، وحسن مستقبله ونجاحه ، وهو سبحانه يرى مكانه ، ويسمع كلامه ، ويعلم سره ، وعلانيته ، ولا يخفى عليه شىء من أمره ، قال تعالى : « ان الله لا يخفى عليه شىء فى الارض ولا فى السماء » .

وليجعل المسلم فى مقدمة دعائه - دعوة ذى النون ، سيدنا يونس عليه السلام ، فقد روى الترمذى عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال : دعوة ذى النون اذ دعا ه ، أى دعا ربه ، وهو فى بطن الحوت : لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين ، فانه - لم يدع بها رجل مسلم فى شىء قط الا استجاب الله له » .

وليضع الحريص على كسب رضا الله تعالى ، وقبول دعائه - نصب عينيه - ما روى أنس رضى الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال : « أنا العزيز ، من أراد عز الدارين - فليطع العزيز » رواه الخطيب البغدادى : وأنا العزيز ، أى أنا الغالب الذى لا يغلب ، والذى يقهر ، ولا يقهر ، وفى القرآن الكريم - قال تبارك وتعالى : « من كان يريد العزة فلله العزة جميعا اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » ومن الكلم الطيب ، الذى يصعد اليه تعالى ، ويتقبله ، جل شأنه - الدعاء المقبول ، وقد روى مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله تعالى طيب لا يقبل الا طيبا ، وان الله - أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال تعالى : يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا » وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم » ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه الى السماء : يارب يارب ، ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغذى بالحرام ، فانى يستجاب له ، وأشعث أغبر : أى متفرق شعر الرأس ، مغبر الوجه .

فليستمسك بالكتاب والسنة ، والتأدب بآدابهما - من اراد قبول دعائه ، وليكن متدبرا لقوله تعالى : « انما يتقبل الله من المتقين » .

شهر شعبان

وتكريم الرسول صلى الله عليه وسلم لسمو طاقاته وجلال توجيهاته

• الدكتور حامد محمد شعبان •

اذا غفل الناس عن مورد كريم من موارد الخير والفضل والسمو فان رسولنا الكريم لا يغفل ، وكيف يغفل والحق سبحانه يقول فى تكريمه « يا أيها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا » ؟!! وكيف يغفل ، وماضل وماغوى « ومانيطق عن الهوى ان هو الاوحى يوحى علمه شديد القوى ... ! » وقد غفل الناس عن نفحات طيبة مباركة فى شهر شعبان أما المصطفى صلى الله عليه وسلم فانه كرم شهر النفحات تكريما يدل على مزيد فضله وشرف نهجه وسمو عطائه وفطن لنسقه بين رجب ورمضان وعرف رسالته هى التربيه والاعداد ، وأدرك أن الشهر الكريم ماجاء الا سدا للخير ، ودعما للاستقامة . واعزازا للمستويات التى يجب أن تسود ، والغايات التى يلزم أن توجه اليها الحشود ، وحسبنا فى آيات التكريم قول المصطفى : « رجب شهر الله وشعبان شهرى ورمضان شهر أمتى » وقول عائشة : « مارأيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر قط الا رمضان ومارأيته فى شهر أكثر منه صياما من شعبان »

وفى رواية مسلم :«كان يصوم شعبان الا قليلا»

ورسولنا الهادى كان يدرك النوايا ويعرف المقاصد ويهدى للتى هى أقوم . وهو لا يود أن يفرط أحد فيما يقضى به سمت الاستقامة ، ولا يحب أن يفتر الاعتصام بالنسق الرشيد أو يكون هناك اهدار لطاقات البر والفضل وضياع لثمرات السلوك الامثل . ومسلكه صلوات الله وسلامه عليه فى شهر شعبان يؤكد ذلك كله فحينما وجد هذا الشهر يغفل عنه الناس بين رجب ورمضان وجه المسلمين – بنهجه الذى اعتمد عليه – الى مستوى آخر يعنى بنسق الشهر المذكور ، ويهتم بنمطه فى التربية ، ويقود موكبه الى أسمى مايتمناه الايمان . ولم يكن المستوى الاخر الا هجرة الى الله عز وجل بكثرة الصيام ، ولا يرمى الصوم الا الى الطهر الخالص بالصبر ، والزاد القوى بالامساك عن الشهوات وسد منافذ الهوى والتغلب على خطوات الشيطان والخلاص من أوزار الناس وأقذار الارض والتمسك بمعانى البر والتقوى والايثار والاطمئنان .

واقبال المصطفى عليه الصلاة والسلام على الصوم فى شهر شعبان يدل على أهمية هذا الضرب من التربية والتهذيب ، ويعبر عن عناية الرسول بخير وسائل الفلاح والسبق ، فليس هناك غفلة والصوم يسيطر على حياة المسلم ويتولى قيادته ، وفى حديث عن أسامة بن زيد قال : قلت يارسول الله لم أرك تصوم من الشهور ماتصوم من شعبان قال صلى الله عليه

وسلم : ذاك شهر يغفل عنه الناس بين رجب ورمضان وهو شهر ترفع فيه الاعمال لرب العالمين فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم » ولا ريب أن النزوع الى مسلك الجد يؤثره رسول الانسانية ، ويريد به أن يزيل التفاوت المؤثر ، ويدعم أركان الحياة الفاضلة ، وينبذ جو الخمول والكسل والوهن ، وعملية الانتقال من الطور الذى يمثله شعبان الى الطور الذى يمثله رمضان – تحتاج الى تهيئة واعداد ولا شك أن الصوم الكثير يقوم بنصيبه فى ذلك بقدرة لا نظير لها الى جدب قيامه بشرف تعظيم رمضان وحمل أجدى سبيل فى تحسين استقباله ، وأبرز الايات الصادقة المهيئة لقدومه الموحية بعدم التبرم من صومه .

وأسلوب الرسول أسلوب حكيم فى نصرة النسق الافضل ، وطريقته طريقة تربوية رائعة ظافرة فى الصعود الى معارج الكمال والتقدم الى المراتب العليا دون أن يدرك الانسانية وصب او ونى ودون أن تصاب بشىء لا يتيح لها المنزلة التى ترجوها .

واذا كان المصطفى قد أومأ الى غفلة الناس بين رجب ورمضان فانه يقصد الارشاد الى حرصه على ان يعرف وجه السمو ومناط الفضل ومنبع التقدير الاسنى، ويدعو المسلمين الى موارد الخير، ويبين اساءة الغفلة لما يحبوه من الدرجات الرفيعة والمنازل العالية ، والحق أن نهج النبى المعلم العظيم وموقفه الرشيد سعى الى أشرف الغايات لكى يهنأ المؤمنون بالامل ويقروا بالمنى ويملكوا القدرة على مواجهة الشدائد والعواصف ويفرضوا سلطان الايمان بكل مايتاح لهم من طاقات ، وهو يضرب لنا مثلا ساميا فى حسن استخدام الموارد كما يبرر قيمة الانتفاع بما يهيئه الفضل والسبق ، ولما سئل أى الصوم أفضل بعد رمضان قال شعبان لتعظيم رمضان » فما أجدرنا أن نقتدى ، فى الانفتاح بكل مورد والاستفادة من كل أمر ومواجهة الغفلة بالصوم الذى يقضى على ماتأتى من آثار ، ويرفع راية التقوى وهى خير زاد « وتزودوا فان خير الزاد التقوى ... » « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره » .

وهناك أمور فى شهر شعبان أبرزها قائد الانسانية محمد صلى الله عليه وسلم .

والامر الاول جاء فى حديث أسامة الذى ذكرناه أما الثانى فقد ورد فى قول عائشة رضى الله عنها « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول انه لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم وكان أكثر صيامه فى شعبان فقلت يارسول الله أراك تكثر الصيام فى شعبان فقال انه شهر ينسخ فيه لملك الموت من يقبض وأنا أرجو أن لا ينسخ اسمى الا وأنا صائم » . ورفع

الاعمال والنسخ الذى يتم فى هذا الشهر كما جاء فى الحديث – يحتاج الى المزيد من التقرب الى الله والاسراع الى أبواب الخير تلك التى دلنا عليها الرسول فقال لمعاذ بن جبل : « **ألا أدلك على أبواب الخير ، الصوم جنة والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار وصلاة الرجل فى جوف الليل ثم قرأ تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون » ثم قال الا ادلك على اس الامر وعموده وذروة سنامة قلت بلى يارسول الله** قال اس الامر الاسلام وعموده الصلاة وذروه سنامه الجهاد ... » ومن التطبيق العملى ماتجلى فى شهر شعبان حين قام صلى الله عليه وسلم بالاحتفال بهذه الابواب حتى تكون لدينا الاسوة الحسنة به فى الاشفاق من المولى عز وجل ورجاء رحمته والخشوع له والضراعة اليه والاستغفار من كل زلة والتوبة النصوح وتوخى مرضاته ففى ليلة النصف من شعبان برز اقبال الرسول على باب كريم من أبواب الخير ، **وبنت صورة عظيمة من صور التجافى عن المضاجع والدعاء خوفا وطمعا تكريما لتلك الليلة واعترافا بقدرها تقول السيدة عائشة رضى الله عنها كانت ليلة النصف من شعبان ليلتى وكان رسول الله عندى فلما كان جوف الليل فقدته فأخذنى مايأخذ النساء من الغيرة فتلففت بمرطى فظننته فى حجر نسائه فلم اجده فانصرفت الى حجرتى فاذا انا به كالثوب الساقط على الارض وهو يقول فى سجوده « سجد لك خيالى وسوادى وامن بك فؤادى هذه يدى وماجنيت بها على نفسى ياعظيما يرجى لكل عظيم ، ياعظيم اغفر الذنب العظيم سجد وجهى للذى خلقه وشق سمعه وبصره ثم رفع رأسه ثم عاد ساجدا فقال اعوذ برضاك من سخطك واعوذ بعفوك من عقابك واعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك . اقول كما قال اخى داوود اعفر وجهى فى التراب لسيدى وحق له ان يسجد ثم رفع رأسه فقال : « اللهم ارزقنى قلبا نقيا نقيا لا جافيا ولا شقيا » ثم انصرف فدخل فى الخميلة ولى نفس عال فقال : ماهذا ياحميراء فاخبرته فطفق يمسح على ركبتى ويقول : « ويح هاتين الركبتين مالقيتا الليلة هذه ليلة النصف من شعبان ينزل الله فيها الى سماء الدنيا فيغفر لعباده الا المشرك والمشاحن » .**

والصورة تنطق بأن التوجه الى الله بالدعاء والرجاء أمر مشروع ، والقرآن يدعو الى هذا فيقول المولى عزوجل : « **وقال ربكم ادعونى أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين » ويقول سبحانه : « قل مايعبا بكم ربى لولا دعاؤكم » ويقول ايضا : « واذا سألك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون »** والدعاء فى

الصورة السابقة يحذرنا من الشرك والشحناء وفى روايات أخرى تحدثت عن فضل ليلة النصف من شعبان نجد ان الله لا يغفر فيها لعشار ولاقاطع رحم أو مصر على الزنا أو نمام ، فأمر الاستجابة لايقبل دعاء المشاحن التارك لسنة الرسول الطاعن على امته السافك لدمائهم أو صاحب كل بدعة مذمومة أو من يضمر السوء ويتحفز للايذاء والمخاصمة لهوى فى نفسه من الذنوب المانعة من المغفرة المؤخرة عن الجنة ، ولن يستجب الله لاهل الحقد بل يدعهم بحقدهم حتى يدعوه ولن يفلت الكفار فانه يملى لهم « وأملى لهم ان كيدى متين » ان الذى يصعد الى رب العزة هو الكلم الطيب « **اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه** » . ومعنى تكريم الرسول لمسالة الدعاء أنه يستدعى تطهير النفوس ويتطلب دعوة صادقة للخلاص من صفات مذمومة وأعمال شريرة ويحتم أن تكون صلة العبد بربه صلة نقية منزهة عن الشوائب محاطة بالاخلاص مصانة بالاستقامة ليرتفع الانسان ارتفاعا رشيدا ويظفر بما يأمله .

أما الامر الثالث فى تفسير سبب اللجوء الى المستوى الاكرم فى شهر الرسول الذى احتفى به فهو استجابة الله لدعاء الرسول وتحقيق أمله بتحويل القبلة عن بيت المقدس الى الكعبة ويقال ان ذلك حدث فى ليلة النصف من شعبان كمايذهب بعض المؤرخين وايا ما كان الامر فرب العزة لا يتخلى عمن دعاه خوفا وطمعا ولا ينسى من يحتفل بأبواب الخير ويفرغ الى طاقاتها ويلوذ بصيائها ومصداق ذلك قوله تعالى « **قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ماكنتم فولوا وجوهكم شطره** » وهكذا نازت الصورة التى عبرت أصدق تعبير عن الرجاء وانتصر الوجه الذى يتقلب فى السماء خاشعا لجلال الله يود أن يحوله ربه الى قبلة أبيه ابراهيم ، وتحقق المنى محاطا برضوان مولاه وخيره ورحمته وما حدث هذا الا لاقبال الرسول على الدعاء وتعويله عليه وماكان التحويل الانصرا كريما لان اليهود كانوا يقولون مادرى محمد واصحابه أين قبلتهم حتى هديناهم نحن ثم ينصرفون الى التمويه والخداع والكيد ، ويرددون فى كل مكان قولهم يخالفنا محمد فى ديننا ويتبع قبلتنا ظانين أن هذا الموقف سينال من المصطفى وأصحابه وينجح فى أذكاء الخصومة ونشر الجدال والشك والتأثير فى الجهال وأهل الغباء من المشركين ، ويظهر أنهم فرحوا بتلك الطريقة وارادوا اضعاف النفوس وبث الفتن ، ونسوا أن الامر امر قضاء الله الغالب وقدره الذى لا يرد وحكمته البالغة وارادته الكريمة ، فلله المشرق والمغرب يهدى من يشاء الى صراط مستقيم ، واذا كان محمد وأصحابه قد اتجهوا الى بيت المقدس سبعة عشر شهرا أو ثمانية عشر شهرا فان الاتجاه درس من دروس الوحدة ، وايحاء بوجود رباط وثيق بين المسجد الحرام والمسجد الاقصى ، وطاعة تبرهن على عظمة الايمان فى تأليف القلوب وتوحيد الصفوف وطهر الانتماء لم يفهم منطق السفهاء درس التحويل واستمروا فى اثارة المزيد من البلبلة والاضطراب والاساءة الى الحق حيث يقول قائلهم ماندرى اين يتوجه محمد ان كانت القبلة الاولى حقا فقد تركها وان كانت الثانية هى الحق فقد كان على باطل . ويرى هؤلاء السفهاء ومن اتبعهم من المنافقين أن محمدا فعل مافعل على حساب عقيدته فبيت المقدس هو قبلة الانبياء جميعا وصنيعه يدل على الخروج على شريعة الانبياء جميعا . أما الحق سبحانه وتعالى فانه يحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون يقول فى الرد على منطق السفه ومواقف العداء: « **سيقول السفهاء من الناس ماولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء الى صراط مستقيم** » ثم يبين فى الرد على المشركين – الذين قالوا ان التحويل يؤذن برجوع محمد الى دينهم كما رجع الى قبلتهم – حكمة التحويل وارادة المولى عز وجل يقول لرب العزة : « وماجعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وماكان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرءوف رحيم » والدرس واضح يقرر أن الله لا يضيع عمل عامل ، والصلاة صحيحة مقبولة مادام هناك طاعة واخلاص وصدق ، والتحويل شأن العناية الالهية التى جعلته عبرة تطمئن بها القلوب وحادثا يؤكد أن الله مع المخلصين يهديهم ويصلح بالهم ويحقق رجاءهم بشرط أن يطيعوا الله ويصبروا ويرضوا بقضاء الله ويفوضوا أمورهم اليه ومن يحسب أن هناك اختلالا فى التصرف أو انحرافا فى الاتجاه أو اضطرابا فى السمت – فهو مخطىء فالقضية قضية الطاعة والاخلاص والصدق وصدق قوله تعالى « **ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله** » والفضل يكمن فى استباق الخيرات والنأى عن الاسفاف والجدال والمراء والتفريط والضياع يقول عز وجل « **ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات اينما تكونوا يأت بكم الله جميعا ان الله على كل شىء قدير** » . **وليس البر أن ننشد الفضل بالاكتفاء بالتوجه** الى بيت المقدس أو المسجد الحرام بما هو وقوف عند الظاهر والشكل ، فالقيام على هذا النحو بمثل ذلك لا تعرفه قضية الايمان والطاعة والاخلاص يقول الله سبحانه وتعالى : « **ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب واقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون** » .

من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة

فضيلة الشيخ عبد الرحمن النجار

تمر الايام ، وتتعاقب الشهور ، ويفد علينا شهر شعبان فيتنبه الضمير الغافل ، ويستيقظ العقل الغافي ، ويتهيأ القلب لاستقبال فيوضات ربانية ، تملؤه ايمانا ونورا وهداية . ان شهر شعبان من الاشهر المفضلة، فهو شهر النبى محمد عليه الصلاة والسلام، حيث قال : رجب شهر الله، وشعبان شهرى ، ورمضان شهر أمتى . وهو يقع بين شهرين عظيمين لهما الاثر الاكبر فى تاريخ الاسلام والمسلمين . فشهر رجب من الاشهر الاربعة الحرم ، وقد وقع فيه حادث الاسراء والمعراج . وفرضت فيه الصلاة صلة بين العبد وربه . وعروجا بروحه من الارض الى عالم روحانى ، كله صفاء ونور واشراق : والشهر الثانى شهر رمضان الذى شرف بانزال القرآن فيه . فقد نزل فيه كتاب ذو قدر ، على نبى ذى قدر ، حمله ملك ذو قدر ، على رسول ذى قدر انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون ، لا يمسه الا المطهرون ، تنزيل من رب العالمين .

اذا كان جديرا بأن يخصه رسول الله صلى الله عليه وسلم بمزيد من الصيام والقيام والدعاء والاستغفار ، لا سيما فى ليلة النصف منه التى يطلع الله فيها على عباده ، ويتجلى عليهم بعفوه ورضوانه . وقد ورد عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما انه قال : **قلت يارسول الله ، لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان ، قال : ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان ، وهو شهر ترفع فيه الاعمال الى رب العالمين ، فأحب أن يرفع فيه عملى وانا صائم .**

● ● ●

وقد حدث فى شهر شعبان حدث ، رفع ذكره بين الشهور ، ذلك هو تحويل القبلة من بيت المقدس بفلسطين الى الكعبة المشرفة بمكة المكرمة . لقد هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم من مكه الى المدينه ، وجعل قبلته فى صلاته جهه بيت المقدس . وبيت المقدس كان موطنا لكثير من اخوانه الانبياء السابقين عليه . وكان هذا التوجه عاملا من العوامل التى استمالت كثيرا من اهل الكتاب الى الدخول فى الاسلام ، سواء اكان هذا الدخول عن ايمان وانقياد لله رب العالمين ، أم كان مجرد مظهر يظهرون به الاسلام ويضمرون غيره، الا ان الامر الثابت ان الكتابيين واليهود منهم بخاصة كانوا مغتبطين لاتخاذ المسلمين بيت المقدس قبلتهم ،ومضى على هذا التوجه سبعة عشر شهرا من تاريخ بدء الهجرة ، الرسول ومن معه من الصحابه يصلون جهة بيت المقدس ، ولا غضاضه فى ذلك ، فهو بيت اخوانه من الانبياء والمرسلين . وشاء الله أن يمين الامة الخاتمة ، وان يعهد بالوراثة الى الامة المسلمه ، وقد أبى اهل الكتاب ان يدينوا الى الاسلام ، فيشاركوا فى هذه الوراثة ، والرسول الكريم يشتاق قبله جده الاول ابراهيم عليه السلام . وهى قبلة المسجد الحرام ، فى مكة التى أخرج منها وقلبه معلق

بها . لقد كان يقلب وجهه فى السماء ولا يصدح ، كان يتوجه بقلبه الى ربه ، ولسانه لا يتكلم بما يريد ، فربه يعلم سره ونجواه ، يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور . ان الرسول تأدبا مع ربه ، يكتفى بالتوجه الصامت ، متمنيا ان يسمع له ربه ويجيب .

وقد اجابه الله سبحانه ، ففى ليلة النصف من شعبان من السنة الثانية للهجرة ، ينزل عليه أمر من السماء ، يأمره بتحويل قبلته من بيت المقدس الى البيت الحرام ، وتظل هذه القبلة قبلة للمسلمين منذ ذلك التاريخ الى أن تقوم الساعة ، وينزل قوله تعالى « **قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة نرضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره** » لقد استجاب الله لنبيه وقرر له قبلته وقبلة امته ، حيثما كان وحيثما كانوا ، قبلة ابيهم ابراهيم ، أول المسلمين .

وكيف تلقى الناس خبر تحويل القبلة الى البيت الحرام ؟ ان المؤمنين يسلمون امورهم لله » ويمتثلون لكل تعاليمه ، ففيها خيرهم فى الدنيا والاخرة ، لكن المنافقين قد اكثروا فى اللغو ، وقالوا : لا يدرى محمد أين يتجه الى ربه فى صلاته ، اما اليهود فقد هاجوا وماجوا لتحويل القبلة عن بيت المقدس بعد أن صلى الرسول اليه سبعة عشر شهرا ، وقالوا : ما الذى حول المسلمين عن قبلتهم التى كانوا عليها ؟ لئن كانت القبلة الاولى حقا فالصلاة اليها صحيحة ، فقد تحولوا عنها الى باطل ، وان كانت باطلة لاتصح الصلاة اليها فكيف صلوا اليها سبعة عشر شهرا ؟

وكان رد الله عليهم ممثلا فى أمرين : اولهما أنه وصفهم بالسفه وهو يحكى تساؤلهم حيث قال : **سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها** » والرد الثانى من الله عز وجل لم يجىء مباشرة لهم ، فهم اهون من ان يرد عليهم القرآن مباشرة ، لانهم سفهاء يريدون ان يتخذوا من هذا الموضوع مادة لسخريتهم ، ومثارا لهزلهم ، ولكن الرد بين الحكمة الخاصة بتحويل القبلة بطريق غير مباشر ، ليؤكد قاعدة أساسية : **قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء الى صراط مستقيم** » اذن فلا داعى للعجب من أن يولى الله بعض عبادة قبلة هنا أو هناك ، فلله المشرق والمغرب ، واينما تولوا فثم وجه الله .

وقد جاء الامر باستقبال الكعبة المشرفة فى سورة البقرة من القرآن الكريم فى ثلاثة مواضع :

الموضع الاول : فى قوله تعالى **قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره** .

والموضع الثانى : فى قوله تعالى **ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون** » وهذا النص يدل على أن التوجه هو الحق الذى يريده الله ، وان كان تلبية لرغبة الرسول ورضاه .

الموضع الثالث : فى قوله تعالى « **ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة** » والحكمة فى هذا الموضع هو قطع حجة الناس ، الذين كانوا يرون ان المسلمين يستقبلون قبلة بنى اسرائيل ، بينما هم يدعون الى دين جديد ، وربما دعاهم هذا الى ان يقولوا : اذا كان لهؤلاء القوم دعوة ، أفلا تكون لهم قبلة خاصة ؟ فهذا التوجه الى المسجد الحرام يقطع هذه الحجة ، التى يبدو ظاهرها أنها مقبولة ..

ويقيت هذه القبلة للمسلمين الى قيام الساعة ، وهى توحى الينا بايحاءات علينا أن نتدبرها وأن نفيد منها .

أولا : توحى الينا بأن الامة المسلمة يجب أن تكون لها سماتها المميزة ، فدينها نظام متكامل للحياة ، بجميع جوانبها ، فيجب أن تعيش فى ظلال هذا الهدى السماوى ، وأن تطبق نظمه السياسية والاقتصادية والاجتماعية تطبيقا عمليا ، وتنبذ هذه الانظمة المستوردة ، اذ لا ينبغى ان تكون للامة الاسلامية شخصيتها المتميزة بدينها وقرآنها وهدى نبيها ، وهى تستورد التشريعات من هنا وهناك ، وتقلد غيرها من الامم تقليدا أعمى . ان تحويل القبلة منذ صدر الاسلام ، هتاف لهم من السماء ، الى الا يقلبوا وجوههم نحو المشرق والمغرب يستمدون من اى منهما القيم او النظم أو التشريعات ، انهم بذلك يناقضون وضعهم فى الحياة ، من أنهم الامة المهيمنة ، ومعها الكتاب السماوى الاخير الذى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ، وما فرط الله فيه من شىء ، فكيف اذن تستورد تشريعات من غير هذا الهدى السماوى ؟ ان نداء السماء يرن فى اذاننا وقلوبنا لكى يدعونا الى ان نتعرف ذاتنا ، ونؤكد شخصيتنا ، وأننا أمة قادرة على الاجتياز والتخطى ، متمكنة من الاختبار والتحدى ، واننا قد اعطينا الكثير ، ولاتزال عندنا القدرة على مزيد من البذل والعطاء ، اننا أمة وضعنا الله فى موضع القيادة ، فنحن نقود ولا نقاد ، نوجه الامم ، ولا نوجه منهم ، نرسم لهم المنهج الصالح للحياة ، ولا ترسم لنا مناهجهم ، وبذلك يتحقق لنا قوله تعالى **كنتم خير أمة اخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** ..

ثانيا : القبلة الواحدة للمسلمين جميعا فى سائر بقاع الارض تهتف بنا بأن نتحد قلبا وقالبا ، توجيها وتشريعا ، وان نكون يدا واحدة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، نصادق من يصادقنا ونعادى من يعادينا ، ان المسلم فى المشرق وهو يتجه الى الكعبة ، والمسلم فى المغرب وهو يتجه الى نفس الكعبة فى الصلاة اشعار بالانتماء الواحد للبقعة الواحدة ، فيتوحد الشعور وتتوحد الاهداف وتتوحد الغايات ، بهذه الوحدة يرهبنا الاعداء ، فالذئب لا يأكل الا من الغنم القاصية ، لكن التجمع يرهب عدو الله وعدونا .

ذكريات

تتفاضل الايام والشهور بقدر ما وقع فيها من حوادث ومناسبات . وبمقدار ما يجد فيها من أمور عظيمة الاثر جليلة الخطر كبيرة المعانى والعبر تحفز الهمم وتصقل العقول وتحيى الضمائر وتثير العواطف والميول الكريمة . وتبعث في النفوس الكبيرة المثل العليا مضاعف من قوتها وقدراتها وطاقاتها وتدفع بالانسانية الى مزيد من النظر والفكر والاهتمام بشئون حياتها والدفاع عن دينها وحقوقها . وتلجىء الناس الى الاعتدال والسير فى طريق الله خالق القوى والقدر . فلها من ذلك عظات وعبر « وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين » .

فضائل شعبان وخيبة أمل اليهود

وكلما تجددت الايام بتقلب الحدثان وجاءت هذه الذكريات لتلك الحوادث والمناسبات كلما نشطت أقلام الكتاب وأهل الذكر والبيان ليفصحوا عن حقيقة الاسلام وكيف انطلق نور الايمان والدعوة المحمدية الى افاق بعيدة لا تعوقها ظلمات الشرك ولا تحول دون انطلاقها قوة الكفر والظلم والطغيان ولا يقف فى سبيل انتشارها وذيوعها أشد الناس عداوة وضراوة لمحمد صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين الا وهم اليهود أهل الغدر والخيانة والاثم والاجرام والعناد فان الاسلام دعوة الى الحق ومن الحق جاء بالحرية والاخاء والمساواة للانسانية جمعاء .. وشهر شعبان من الاشهر المفضلة يحتفل به المسلمون ويكرمون ذكريات أيامه . فكم لشهر شعبان من فضائل عظيمة وذكريات ذات الاثر البين فى حياة الدعوة الاسلامية ، فهو شهر محمد عليه الصلاة والسلام يقع بين شهرين عظيمين لهما الاثر الاكبر فى تاريخ الاسلام والمسلمين . شهر رجب وقع فيه حادث الاسراء والمعراج . وشهر رمضان المعظم الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان . فكان شعبان جديرا بأن يخصه محمد صلى الله عليه وسلم بالصيام والقيام والدعاء والاستغفار لاسيما وقد وقع فيه حادث تحويل القبلة . وفى ليلة النصف منه يتجلى الله سبحانه على عباده بالعفو والرضا فهو شهر ترفع

فضيلة الشيخ السيد خليل الجراحى

فيه أعمال العباد والصوم فيه عبادة مضنونه وتدريب وتمرين للقيام بالصيام فى شهر رمضان . فعن أسامة بن زيد أنه قال قلت يا رسول الله « لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان . قال ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان وهو شهر ترفع فيه الاعمال الى رب العالمين فأحب أن يرفع فيه عملى وأنا صائم » .

والجدير بالذكر للتدبر والتفكر بمناسبة الحالة الراهنة بين العرب واسرائيل من دحر اليهود باسرائيل والصهيونيه العالمية أعداء الانسان والسلام والقضاء على بعض اليهود وقادته العسكريين المتغطرسين وتمزيق صفوفهم وقوتهم الغاشمة وخيبة امل من والاهم وأمدهم بالرجال والعتاد . وتحطيم خطوطهم وحصونهم وطردهم من سيناء بقوة العدد والايمان بنصر الله فى العاشر من رمضان والسادس من اكتوبر ١٩٧٣ فخاب أملهم المبنى على قوة الحديد والنار والظلم والطغيان فكم خاب أملهم وانخذلوا مدحورين فى كل زمن عبر التاريخ . فكلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله . لقد خاب أملهم وضاعت امانيهم حينما حولت القبلة من بيت المقدس الى البيت الحرام « الكعبة » فى شهر شعبان فكان أهم حادث وأعظم انتصار أصاب اليهود بنكسة وخيبة أمل أفزعتهم وقضت على أحلامهم وأمانيهم فازدادوا فى عتوهم ونفاقهم وغدرهم وخياناتهم للرسول والمؤمنين ووقفوا فى وجه الدعوة المحمدية ويختلفون الكذب والافتراء للايقاع بالنبى والمؤمنين من المهاجرين والانصار بالمدينة . ويشايعون المشركين والكفار بمكة ومن حولها ..

فانه لما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة مكث ستة عشر شهرا أو تزيد يتوجه الى بيت المقدس ليؤلف بين القلوب ويجمع الانسانية التى أرسل اليها فى اطار الوحدة والوحدانية وفى دائرة واحدة من المحبة والاخاء والمساواة وليوجه الناس جميعا الى الله يعبدونه ولا يشركون به شيئا ولا يتخذ بعضهم بعضا أربابا من دون الله . ولكن اليهود قوم بهت بلغ بهم الحقد والحسد مبلغ الكذب والافتراء على الله وكراهية كل ملة ودين بل هم أعداء الانسانية جمعاء . وقالوا أن محمدا يخالف ملتنا ويتبع قبلتنا . فضاق بذلك صدر النبى والمؤمنين وأخذ يقلب وجهه الى السماء بالدعاء أن يحول الله وجهه فى الصلاة الى الكعبة قبلة أبيه ابراهيم جد الانبياء والرسل فقد بناها ابراهيم مع ولده اسماعيل جد محمد وأبى العرب والاتجاه اليها أدعى للعرب الى الايمان فاستجاب الله دعاءه وحقق له أمنيته ورغبته وفرح بذلك المؤمنون فوافقت أغراضه الشريفة صلى الله عليه وسلم حكمة الله ومشيئته . وفى ذلك يقول تعالى « **قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون** »

وقد حدثنا القرآن الكريم ونبأنا التاريخ المتواتر عن أخبارهم مع أنبيائهم ورسلهم ووقوفهم أمام كل دعوة ودين لا يتفق ورغباتهم وشهواتهم . يقول تعالى « **أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون** » ولقد كان اليهود يستفتحون على الذين كفروا ويخبرونهم بشأن الرسول العربى المبعوث آخر الزمان للناس كافة قد حان وقته وسننتصر به كما هو موجود فى التوراة وكتبهم وكان اليهود يعلقون آمالا كبارا أن يكون منهم . فلما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم بالحق كفروا به وناصروه العداء وفى ذلك يقول تعالى « **ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم . وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا . فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين** ! .

« ملعونين أينما ثقفوا » ..

ومن الحوادث والوقائع التى تميز بها شهر شعبان « **غزوة أحد** » فقد كانت فى شعبان من السنة الثالثة من الهجرة . فقد خرج النبى وأصحابه وفاء بالوعد من أبى سفيان لملاقاة جيش الكافرين على كثرة عددهم وعدته ومساعدة اليهود للمشركين . فأكرمهم الله سبحانه وتراجع العدو وانخذل اليهود وانسحب المشركون خوفا وفزعا . وانقلب المؤمنون الى أهليهم فرحين بنصر الله لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله . وتلا ذلك غزوات وحروب وسرايا توجت كلها بنصر الله وقضى على اليهود بدك حصونهم وطردهم حتى تم نصر الله بفتح مكة ودخل الناس فى دين الله أفواجا وتم مع ذلك نزول القرآن بقواعده ومبادئه ونظمه وأحكامه صالحة لكل زمان ومكان تحفظ للانسانية سعادتها ورفاهيتها فى الدنيا والنعيم المقيم فى الاخرة .

وانطلق المسلمون بعد وفاة الرسول بقوة العلم والايمان وبيدهم الكتاب والسنة حتى قضوا على امبراطوريتى الفرس والروم ودخل الجميع تحت راية الاسلام من جميع الملل والنحل وعاشوا مع المسلمين فى أمن وعدل ورخاء وسلام .

فقد جاهد المسلمون بقوة الايمان وروح العقيدة ، وهدفهم الاسمى الدفاع عن دعوة الحق وعن السلام والحرية للانسان له حقوق وعليه واجبات وله احترامه كانسان لا يذل ولا يستعبد . والمؤمن يجاهد بروح قوية عالية ويدافع عن يقين بنصر الله وعلى علم لا شك فيه بأنه فى سبيل النصر أو الاستشهاد فاما الى حياة طيبة فى الدنيا واما استشهاد ونعيم فى الاخره . شعاره فى الجهاد الايمان بالله واليوم الاخر . يقول تعالى « **قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين . ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا انا معكم متربصون** ! .

« وبعد » فان ليلة النصف من شعبان قد اختصت بمزيد من الفضل وقد وردت أحاديث كثيرة فى فضلها والاعمال فيها . ويرى بعض المحققين أن العناية بليلة النصف من شعبان والحفاوة بها أكثر من غيرها من الليالى لعناية النبى صلى الله عليه وسلم بها بالعبادة والدعاء ولان حادث تحويل القبلة كان فى ليلة النصف من شعبان فتم بذلك مزيد فضلها وعظم قدرها وهذا ما يدعم الاحاديث الواردة فى شأنها وتحرير المقال فى الدعاء منها والاحتفال بها . ان الدعاء مطلقا فى أى وقت من ليل أو نهار لا بخصوص هذه الليلة مطلوب شرعا يقول تعالى « **وقال ربكم ادعونى استجب لكم** ! . وقد كثر الدعاء من الرسل والانبياء والمؤمنين والصالحين وقد نجاهم الله واستجاب لهم وأكرمهم يقول تعالى « **أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض** » . وليس للدعاء صيغة مخصوصة فأينما توجهت فادع بما شئت فلا تكلف فى الدعاء فهو المطلع على قلوب عباده . والممنوع الاجتماع بالمساجد فى هذه الصورة الجماعية فى الدعاء بدعاء لم يشرع فليجتمع المسلمون بالمساجد ويدعون الله ولكن ليس بهذه الصورة والله سبحانه سميع الدعاء ندعو الله سبحانه أن يؤلف بين قلوب المسلمين وأن يكونوا يدا واحدة على أعدائهم وأعداء الانسانية والسلام انه سميع الدعاء .

ليلة البراءة

الأستاذ عبد المعطي اسماعيل عبارة

هى ليلة النصف من « شعبان » تعرض أعمال العباد فيها على الحق تبارك وتعالى .

أخرج « ابن سعد » رحمه الله عن « الامام على » كرم الله وجهه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها ، وصوموا نهارها ،فان الله تبارك وتعالى ينزل فيها لغروب الشمس الى السماء الدنيا فيقول : ألا من مستغفر فأغفر له ؟ ألا من مسترزق فأرزقه ؟ الا من مبتلى فأعافيه ؟ الا كذا . ألا كذا . حتى يطلع الفجر ! . المراد : نزول التجليات والبركات .

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الاعمال تعرض على رب العالمين فى ليلة النصف من شعبان ، فأحب أن يعرض عملى على ربى وأنا صائم » .

وقد اعتاد المسلمون ان يحتفلوا بليلة النصف من شعبان المكرم ، رجاء أن يشملهم الله بعفوه ، وغفرانه ، وفضله ، واحسانه ، وأن يفيض عليهم فيها من تجلياته .

عن « أم سلمة » رضى الله عنها قالت : « ما رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يصوم شهرين متتابعين الا « شعبان » و « رمضان » . رواه « الترمذى » بسند حسن .

وصوم « يوم النصف » وهو يوم الخامس عشر من شهر شعبان من السنة المؤكدة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد تفضل الله على نبيه فى شهر شعبان بانزال قوله : « ان الله وملائكته يصلون على النبى ، ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » من سورة الاحزاب ، تكريما له ، والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم واجبة ، وفضلها عظيم ، فقد اخرج « الترمذى » رحمه الله عن « أنس » رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرا ، وحطت عنه عشر خطيئات ، ورفعت له عشر درجات ! .

وكان العرب قبل الاسلام يعظمون « شعبان » ويحرمون فيه القتال . ويمنعون فيه الاخذ بالثار ، حتى كان الرجل منهم يلقى قاتل أبيه ، أو اخيه ، أو ابنه فلا يتعرض له بسوء ، فلما جاء الاسلام زاد فى تعظيمه ، وحرمته .

وقد اختلف فى تحريم القتال فى الاشهر الحرم : « رجب ، وذى القعدة ، وذى الحجة ، والمحرم » .

فمن قائل : « ان التحريم قد نسخ بقوله تعالى فى « سورة التوبة » : « وقاتلوا المشركين كافة ، كما يقاتلونكم كافة » .

ومن قائل : ان هذا التحريم باق الى اليوم ، الا اذا قوتلنا فيها فيجب ان نرد العدوان .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر المسلمين بمخالفة المشركين ، واليهود ، والمجوس ، وغيرهم .

وتحويل القبلة من صور هذه المخالفة ، فلقد فرضت الصلاة بمكة ، وكان الرسول عليه السلام يصلى تجاه الكعبة فلما هاجر الى المدينة أمر بالاتجاه الى بيت المقدس » فى صلاته ، حتى لا يكون لعصبية الجاهلية وحميتها مكان فى هذه البيئة الطاهرة ، وحتى يحرر المسلمين من نفوسهم . ويكون دليلا على عالمية رسالة الاسلام ، وعلى وحدة الاماكن المقدسة ■

فصلى متجها اليه ستة عشر شهرا ؟ أو سبعة عشر ؟ ونفسه تواقة الى بيت الله الحرام .

ثم نزل قوله تعالى . « **قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام . وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره** » . فاستجاب الله بذلك لرغبة نبيه . ووجهه الى بيته الحرام ، لانه اول بيت وضع للناس ، واليه صلى الانبياء .

وكان ذلك التحويل من بيت المقدس الى الكعبة فى نصف شعبان ، وفى يوم الثلاثاء منه . جزم به محمد بن حبيبة فى الروضة ، وقاله الواقدى .

وفى كتبهم توجه الرسول الى بيت المقدس ، ثم الى الكعبة ، وهم يعلمون أن من صفاته عليه السلام صلاته الى القبلتين .

ونحن اذ نذكر ذلك أن المسجد الاقصى ما يزال تحت سيطرة الصهاينة الغادرين ، متوجهين بالضراعة الى الله جلت قدرته أن يخلصه من أيديهم ، وينصرنا عليهم .

وما تزال ليلة النصف من شعبان موسما للاحتفال كل عام بذكرى هذا التحويل ، وما اعقبه من انتصار المسلمين على حملات التشكيك .

ولذا كان لزاما على الامة الاسلامية ان تفيد من هذه الذكرى الخالدة ، فلا تنقاد وراء الاباطيل والشبهات .

ما حكمة الصوم الكثير فى شهر « شعبان » ؟

اننا لنقف على حكم شتى اشارت اليهـا الاحاديث فى رواياتها المتعددة :

١ – فان شهر « شعبان » يعقبه « شهر رمضان » – شهر الصوم – الذى فرض الله على المؤمنين صيامه ، فصيام ايام كثيرة من « شعبان » تمهيد لصيام « رمضان » وتدريب عليه ، وعون على ضبط النفس ، واخضاعها لاداب الصوم .

٢ – فى نهاية « شعبان » يقدم المؤمن حسابه عن السنة الماضية – وهو صائم – وذلك أرجى لغفران ذنبه ، وقبول طاعته ،

يقول فى هذا الرسول الكريم وهو شهر ترفع فيه الاعمال الى رب العالمين : فاحب ان يرفع عملى وانا صائم » .

٣ – كان نساء النبى صلى الله عليه وسلم يقضين فى «شعبان» ماعليهن من « رمضان » .

فكان الرسول صلوات الله عليه يصوم معهن .

فما الليلة التى تفرق فيها الامور من العام الى العام ؟ **الليلة النصف ام ليلة القدر**

أ – قيل : « انها ليلة القدر » التى يقول الله تعالى فيها : « انا انزلناه فى ليلة القدر » ، وهى التى عناها الله سبحانه بقوله فى سورة الدخان « حم والكتاب المبين ، انا أنزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين : فيها يفرق كل أمر حكيم أمرا من عندنا انا كنا مرسلين ، رحمة من ربك انه هو السميع العليم » .

ويؤيد هذا الرأى ظواهر الايات القرآنية واختاره « قتادة » ولفيف من العلماء والمفسرين .

ب – وقيل : ان ليلة النصف من شهر « شعبان » هى الليلة التى تبرم فيها الامور وتقدر الاقضية .

وقد عناها الله سبحانه فى أول « سورة الدخان » – انا انزلناه فى ليلة مباركة – وهو قول مشهور اختاره « عكرمة » وكثير من العلماء .

ويؤيده ما أخرجه « ابن جرير » و « البيهقى » فى « **شعب الايمان** » .

عن « الزهرى » عن « عثمان بن محمد بن المغيرة ابن الاخنس قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وتقطع الاجال من « شعبان » الى « شعبان » حتى ان الرجل لينفج . ويولد له – وقد خرج اسمه فى الموتى » .

ومن رواة هذا الحديث ايضا « البغوى » بسنده .

واخرج « الديبورى » فى المجالسة عن « راشد بن سعد » ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : « فى ليلة النصف من «شعبان » يوحى الله تعالى الى ملك الموت بقبض كل نفس يريد قبضها فى تلك السنة » .

على أن بعض المفسرين ، ومنهم « الالوسى » يرون ان هاتين الايتين ليستا نصا فى « ليلة القدر » .

ا – لان معنى قوله تعالى « شهر رمضان الذى انزل فيه القران » أنزل فى شأنه القرآن ، **وهو قوله تعالى : «كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون اياما معدودات » فهى تقرر صيام شهر** رمضان

ب – ومعنى قوله تعالى : « انا أنزلناه فى ليلة القدر » « انا أنزلناه فى فضل « ليلة القدر » او فى شأنها

وروى عن « ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال « ان الله تبارك وتعالى يقضى الاقضية كلها ليلة « النصف من شعبان » ويسلمها لاربابها « **ليلة القدر** » .

وقد دعا العلماء الى هذا البحث تضارب الاحاديث الواردة فى هذا الشأن .

مما ذكر يرى ان الدعاء المتعارف بين المسلمين لا مطعن فيه ، ولا اعتراض عليه :

ا – من ناحية ان هذه الليلة ليلة تفرق فيها الامور » وتبرم الاقضية .

ب – وكذلك من ناحية « المحو » و « الاثبات » على ان «ام الكتاب » هو « اللوح المحفوظ » وهو يقع فيه « المحو » و « الاثبات » وفقا لعلم الله الازلى الذى لا يتغير .

وقد دعا « ابن مسعود » و « ابن عمر » وهما من كبار الصحابة – رضوان الله عليهم بهذا الدعاء .

وكان « ابن مسعود » يقول : « ما دعا أحد قط بهذه الكلمات الا وسع له فى رزقه » .

فما أحرى المسلمين ان يجتمعوا فى هذه الليلة المباركة فى بيوت الله ضارعين الى مولاهم .

والله الكريم اسأل ان يتفضل علينا برضوانه ، ويمن علينا باحسانه ، ويكتب لنا النصر المبين .

مقاصد... رفيعة

في

تحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام

باسمك اللهم رب العزة رب الخير والفضل والاحسان نستفتح أعمالنا فى أيامنا هذه المباركه الطيبة ، ان نسألك ياالله يا رجاء السائلين أن تكون نصيرنا ، وان تجيرنا ، وأن تحفظنا بحولك وقوتك فانه لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم . الهنا رب العرش الكريم نتضرع الى ذاتك المقدسة ان تطهر قلوبنا ، وتملأ بحب نبيك نفوسنا ، وتشرح بفضلك صدورنا وتيسر الى ما تحب وترضى أمورنا ، وتثبت بالايمان توحيدك ووحدتنا انك نعم المولى ونعم النصير .

الدكتور زكي مشعل

لا ريب أن قراءنا الاعزاء يدركون بقلوبهم وعقولهم ان لله الملك الحق العزة والكمال المطلق لقوله عز وجل «فان العزة لله جميعا» من سورة النساء .

وقد علمنا أنه سبحانه متصف بأسماء وصفات حسنى لا يجوز لاحد من المخلوقين كأن من كان سلطانه وعزته أن ينعت نفسه بها أو ان يصفه أحد بصفة أوباسم هوللمولى جل وعلى فالله الملك الحق أسماءه وصفاته قديمه بقدم ذاته العليا ، فهو الخلاق الرزاق الوهاب الفتاح العليم ، وهو جل شانه البارىء المصور القوى العزيز الحكيم ، وان ما ثبت للخالق جلت عزته وحكمته من أسماءه الحسنى التاسعة والتسعين قد أحصاها الذكر الحكيم بين اياته المجيدة ، وان أكثر سور القرآن الكريم لهى تفيض بذكر أسماءه سبحانه حسب مقتضيات المقام المطابق للحال . فهذا مثلا أول سورة الجمعة «يسبح لله ما فى السموات وما فى الارض الملك القدوس العزيز الحكيم» ، وهذا أول سورة هود «الر كتاب أحكمت اياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير» ، وهكذا ايها القارىء العزيز لو قرأت اياته فيها من أسماء الحق الحسنى لوجدته جلت قدرته قد جعل ما ذكره من أسماءه الحسنى فى الاية قد دل على معنى متصل أعمق الصلة بأول الاية وآخرها كما يلاحظ أن المعانى المدول عليها من دلالة الاسماء لها مرامى ومقاصد بعيدة وقريبة يستطيع كل ذى فكر وذوق وعلم متمكن أن يستخرج المعانى التى استحوذت عليها دلالة الاسماء أسماء الحق سبحانه ، وقد سطرت هذه المقدمة العلمية المتصلة بمعانى أسماءه العليا سبحانه لاوصل القارىء العزيز لحقيقة شريفة وحق يجب أن يعلمه ويدركه ، ذلك أن ما تم ويتم ووقع او يقع فى الكون كله منذ خلقه الحق الى أن يرثه سبحانه كله فانه فى كل أمر خاضع تحت مدلول اسم من أسماء الحق جلت قدرته ، فالحركات كلها والسكنات تخضع لقدرته وارادته وعلمه ، وما يكون بين الناس من تفاوت فى النعم وحظوظ فانه خاضع لاسمائه الوهاب الرزاق . ولا احب أن أبين بقية معانى الاسماء ومدلولاتها فحسب القارىء ما بينته من امثلة ولكنى اريد أن أعرف قراءنا بعد شرح هذه المقدمة أن العلى القدير قد علم بعلم فى الازل أى قبل أن يخلق أى شىء كل ما سيكون ، وحدد لكل معلوم ومراد ومقدور فرضه ومكانه الذى يقع فيه فلم تخفى عليه خافية ، ولقد علم عز شانه ان المخلوقين مختلفون فى مداركهم وعقولهم وامزجتهم وطبائعهم . فلسوف يكون ادراكهم الخير والحق والجمال والعدل والوفاء والصدق والامانة وما الى ذلك من الفضائل غير قائم على نظام معين أو ميزان صحيح ، فربما يراه قوم خيرا وعدلا يحسبه قوم آخرون ظلما وشرا وذلك فعلا ما حدث ووقع فى تاريخ الامم بخاصة الذين عاشوا بعيدين عن الاديان أو لم تصل اليهم الرسالات السماوية . فأما الذين حالفهم الحظ والتوفيق الالهى منهم كانوا مكرمين فى حياتهم الاجتماعية والعقلية والسياسية وما الى ذلك من شئون الحياة متقدمين على غيرهم لان الحق خالق السماوات والارض قد من عليهم برسول ونبى يهديهم سواء السبيل . وفى هذا يذكر القرآن الحكيم قوله تعالى «ولكل قوم هاد» من سورة الرعد . وقد كانت رسل الحق وانبياءه تبعث فى

ارض معينة لقوم مخصوصين ، وينبغى أن يعلن أن رسل الله جميعا قبل سيدنا محمد عليه صلاة الله وسلامه كانت رسالتهم خاصة تبدأ مع دعوة الرسول وتنتهى مع أجله . وفى ذلك أمثلة كثيرة منها ان ابراهيم ابا الانبياء حينما قال انى رسول الله لقومه وأمرهم بتوحيد المعبود ونبذ عبادة الاصنام ظل مجاهدا فى دعوته من حيث اصطفاه الله ومن حين أيده الله على قومه بالمعجزة ظل كذلك حتى انتهى بأجله مع قومه فى الارض التى بعث اليها فقط . تلك الارض كانت تشمل الشام كلها ومصر وارض مكة لانه قد تنقل وبعث رسالته فيها . وبعد أن توفى الخليل ابراهيم عليه السلام حمل رسالته من جاء من بعده من الرسل والانبياء بخاصة الذين بعثوا فى بنى اسرائيل . وهم كثير . وما من رسول ولا نبى كان مبعوثا الى قومه بعبادة التوحيد والايمان بالله واليوم الاخر الا كانت له معهم صلاة على نحو معين قد أوحاها الله اليه وكانت القبلة التى يستقبلها الرسول مع قومه نحو المسجد الاقصى أو بيت المقدس ، واذن فالمسجد الاقصى هو المكان الذى اختاره الحق ليكون قبلة ومصلى شريف لرسول الله وأنبياءه صلوات الله عليهم أجمعين . ولقد ظل هذا حتى جاءت الدعوة المحمدية خاتمة المتممة للرسالات كلها .

ومعلوم أن رسولنا المصطفى هو وحده ذو رسالة عامة للعالمين لقوله تعالى « وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون » من سورة سبأ ولقوله عز وجل « وما ارسلناك الا رحمة للعالمين » من سورة الانبياء . ومن الثابت فى التاريخ الحق ان المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام فرضت عليه الصلاة فى ليلة المعراج والاسراء ونحب هنا ان نذكر أين كان يصلى النبى العظيم الى قبلة مع أنه كان بمكة المكرمة . لقد ذهب بعض العلماء انه كان يستقبل وهو بمكة ، بيت المقدس ، الا أنه لم يكن يستدبر الكعبة بل كان عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام يجعلها بينه وبين بيت المقدس ، وذلك بأن يقف بين الركنين ، الاسود واليمانى . ويذهب آخرون الى أنه كان يستقبل فى صلاته وهو بمكة المسجد الحرام ، لان المسجد الحرام هو قبلة أبى الانبياء ابراهيم عليه السلام ولانه صلوات الله عليه عربى وقد أرسل بين قومه من العرب وان اعتزاز هؤلاء العرب بالمسجد الحرام أشد اعتزازهم بمسجد آخر . فهذان قولان فى استقبال القبلة قد قال بهما العلماء ومهما يكن فانه صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة من مكة الى المدينة لم يكن يستقبل فى صلاته غير « بيت المقدس » . وهذا العمل مؤيد بالاحاديث الصحيحة . كالحديث الذى أخرجه البخارى فى صحيحه عن البراء بن عازب رضى الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم « صلى الى بيت المقدس ستة عشر شهرا او سبعة عشر شهرا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه أن تكون قبلته نحو قبل البيت وأنه صلى اول صلاة صلاها العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن كان معه فمر على أهل المسجد وهم راكعون فقال : أشهد بالله لقد صليت مع النبى صلى الله عليه وسلم جهة مكة فداروا كم هم قبل البيت وكان اليهود قد أعجبهم اذ كان يصلى قبل بيت المقدس فلما ولى وجهه قبل البيت الحرام انكروا ذلك » .

وينبغى أن يعلم القارىء العزيز هذه الحكم التى ربما غابت عنه فى استقبال المصطفى عليه السلام بيت المقدس فى مكة وفى المدينة ستة عشر شهرا بعد هجرته اليها فمن الحكم أولا أن بيت المقدس كان معظما فهو قبلة الانبياء قبله ثانيا أنه فعل ذلك تأليفا لقلوب اليهود خاصة أنهم كانوا أهل كتاب وفى هذا العمل يكون رمز للوحدة بين الامة . ثالثا من الحكم النبيلة فى هذا المقام فان رسولنا كان يرجو من هؤلاء اليهود أن يجيبوا دعوته . ويسرعوا فى الدخول فى الاسلام . ولكن هؤلاء الملعونين أخذوا يشيعون بين الناس أن محمدا اتجه الى قبلتهم خصوصا بعد هجرته الى المدينة وأن المسلمين يفعلون مثله . وقال هؤلاء الخاسرون أيضا أن محمدا ومن معه سيتركون ملتهم ويتبعون ملتنا . من أجل ذلك الجحود والكذب والتضليل قويت أمنية النبى عليه السلام فى اتجاهه نحو الكعبة الشريفة . فجعل يدعو ويبتهل الى المولى جل وعلى كى يحقق أمنيته بتوجيهه الى الكمية . كان صلوات الله عليه يتوقع تنزيل الوحى عليه مؤيدا ومحققا رجاءه وذلك لما حدث من عنت اليهود وضلالهم ولان صرفه عن بيت المقدس الى البيت الحرام أى الكعبة أقدم القبلتين ولانها كانت أولا قبلة أبيه ابراهيم عليه السلام واذا فانه عندئذ يكون أدعى لدخول العرب فى الاسلام . وقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لجبريل : وددت أن الله صرفنى عن قبلة اليهود الى غيرها ، فقال له جبريل : أنا عبد مثلك وانت كريم على ربك فادع ربك وسله ، ثم ارتفع جبريل ، وجعل الرسول صلوات الله عليه يديم النظر الى السماء أملا أن يأتيه جبريل بما سأل به ربه عز وجل » . ولقد ذكرت الايات القرآنية هذه الوقائع والاحداث التى وقعت وكانت بين اليهود تارة وبين الرسول عليه السلام وذكرت أيضا ما كان يجيش فى صدر النبى من تحقيق أمله وأمنيته كل أولئك جاءت به الايات من سورة البقرة من قوله تعالى « سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء الى صراط مستقيم وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرؤوف رحيم . قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون » لقد حقق المولى جلت قدرته أمنية حبيبه المصطفى فأعطاه وأرضاه وذلك كان على وفق علمه سبحانه وارادته التى كانت ثابتة فى الازل فتطابق الواقع الذى حدث فى السنة الثانية للهجرة فى سبعة عشر من شهر شعبان حيث وقع تحويل القبلة نحو المسجد الحرام . وقد تحقق من المقاصد الرفيعة فى تحويل القبلة الى المسجد الحرام كان سببا وعاملا هاما وأساسا متينا فى بناء الدولة الاسلامية الكبرى فلقد ساعد هذا العمل الالهى الذى ارضى به حبيبه فى تأليف قلوب أهل مكة وسائر القبائل العربية فى أنحاء « الجزيرة العربية » وهم الذين كانوا يعظمون البيت الحرام ويتوارثون تقديسه على مر العصور وتوالى الاجيال فدخل هؤلاء العرب فى الاسلام رويدا رويدا حتى أشرقت الجزيرة العربية ثم انتشر ضياؤه ونفذ بعد ذلك الى ما شاء الله لدينه وعم نوره الدنيا فصار دين العالمين وان من المفاخر والمحامد العليا فى شهر شعبان أنه كان رسول الله صلوات الله عليه يكثر من الصيام فيه . فعن اسامة بن زيد قال : « قلت يا رسول الله لم أراك من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان قال صلى الله عليه وسلم : ذاك شهر يغفل عنه الناس بين رجب ورمضان وهو شهر ترفع فيه الاعمال لرب العالمين فأحب أن يرفع عملى وأنا صائم » أيها المسلمون فى مشارق الارض ومغاربها ان رسولكم العظيم كان خير مجاهد فى سبيل توحيدكم نحو الخالق المعبود وفى سبيل وحدتكم بتوحيد قبلتكم كما جاهد فى ارشادكم لاسباب النصر والتوفيق وذلك بكثرة التقرب الى الحق بمثل الصيام فى هذا الشهر المبارك فصونوا جهاد رسولكم وسيروا على هديه كما سار سلفكم يكن الله مؤيدا وناصرا لنا ولديننا وحافظا علينا ومنجيا ايانا من الفتن ما ظهر منها وما بطن هذه المفاخر الاسلامية هى أعز ما ملكت ايديكم فآثروها على كل شىء وصلوا معى وسلموا على من اعطاه به فأرضاه .

و.. مواقف خالدة في شعبان

الأستاذ صلاح عزام

وكانت ارادة الله ان يعلم عباده بالاحداث .. ويؤدبهم بها أيضا .. وأن يكون لكل شيء سببا ..

فمن ذلك .. أن عام فرضية الصوم .. ومظنة المسلمين في أنه أصبح شهرا يتفرغون فيه للعبادة .. والاعتزال .. اذا بالحق تبارك وتعالى يأذن بأن تقع وفي اول عام لفرضه الصوم .. وفي شهر رمضان موقعة بدر الكبرى .. أي أعلى أنواع العمل .. وأقسى مراحل النضال وذلك حتى يعلم الناس ان مع العبادة جهادا .. وعملا .. ومع السعي الى الاخرة نضالا شاقا من أجل اثراء الحياة وتنقيتها وانمائها .. مع استمرارية كاملة للحياة البشرية في أسمى معانيها من طعام واطعام .. الخ .

و .. ومثل ذلك .. كان الاسراء والمعراج .. ووقع هذا على اكثر الروايات والمشهود والمعمول به .. في السابع والعشرين من رجب .. وفرضية الصلاة يومها ..

وبين رجب .. ورمضان .. يقع شعبان .. واحس المسلمون أن هذا شهر « ميت » .. يستعدون فيه لاستقبال شهر الصوم بعد فرحتهم بمعجزة النبي صلى الله عليه وسلم .. المعلمة في الاسراء والمعراج .

وشاءت ارادة الله أن لا يكون بين الفرحة بالنصر في معجزة الاسراء والمعراج وما تفتح به من معاني عديدة تتجدد عبر السنين عند المسلمين وبين الاستعداد لاستقبال شهر القرآن الكريم .. أن لا يكون شهر شعبان عند المسلمين «شهر منطقة فراغ» ان صح هذا التعبير .. بل هو شهر فيه أيضا من الاحداث ما يجعله كله حركة .. وبركة .. أي أن تكون أيام المسلمين كلها - كعبرة - استمرارا .. للعبادة والعمل .. للجهاد والصلاة ..

ولذلك .. شاءت اراده الله أن يقع في شهر شعبان من الاحداث وفي عهد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الشيء العظيم ..

● **وكان أولها .. تحويل القبلة من المسجد الاقصى الى المسجد الحرام .. حيث الكعبة المشرفة فقد ظل اتباع الاسلام يتجهون في صلاتهم منذ تقررت الى المسجد الاقصى ..**

وقيل عن ذلك أسباب عديدة .. لعل منها ان المسجد الاقصى وما حوله مكان مبارك لدى الاديان السماوية .. ولعل منها ايضا محاولة اخيرة ليدخل في الاسلام بالحجه والمنطق من لم يؤمن من اهل الكتاب .. ولعلها أسباب عديدة أخرى .. ولكن الذى لا شك فيه .. ان نبي الرحمة كان بقلبه يتمنى أن تكون للمسلمين قبلة تميزهم عن سائر الاديان الاخرى فضلا من الله ونعمه .. وانه كان بقلبه الشريف يتمنى أن يكون هذا المكان هو الكعبة المشرفه .. ومن اجل ذلك .. حقق الله سبحانه وتعالى لنبيه ما يرضيه .. فبعد شهور زادت عن السته جاء أثر الله .. وفي النصف من شعبان .. واثناء صلاة الظهر .. حيث كان سيدنا رسول الله يصلى بالمسلمين في المسجد .. فصلى ركعتين كما يقول ابن سعد نحو المسجد الاقصى وفي الثالثة اتجه الى الكعبة .. ولذلك سمى هذا المسجد « مسجد القبلتين » . ولا يزال موجودا بالمدينة .. ومكانه يزار وتظهر فيه مكان القبلتين .. اذ نزل جبريل بقول الله تعالى « **قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره** » .

● وفي شعبان .. من العام الرابع الهجري .. كانت بدر الثانيه حيث خرج المسلمون كموعد للنزال مع المشركين .. وكان المكان حول بدر .. وانتظر اتباع محمد صلى الله عليه وسلم بكل الشوق الى الجهاد والاستشهاد ابو سفيان واعوانه ثمانيه أيام .. ولم يحضر المشركون . لانهم تخوفوا من الظروف الغير ملائمة لملاقاه المسلمين .. وعاد المسلمون بفضل من الله وخلود لموقفهم .. وتسجيل لما فعلوه . « **الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل** » ..

وفي شعبان من العام الخامس .. وقعت غزوة « المصطلق » اذ بلغ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بني المصطلق يجتمعون استعدادا لحرب المسلمين .. فأمر الرسول بالاستعداد لقتالهم .. في مواقعهم .. وخرج المسلمون .. وقاتلوا بني المصطلق . ثم حاصروهم حصارا شديدا .. لم يجدوا امامهم .. الا التسليم .. واخذوا جميعا اسرى .

هذه بعض امجاد شهر شعبان وبركاته الذى كان يستقبله سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خير استقبال حتى ليروى النسائي في حديث اسامه قلت يا رسول الله لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان .

قال : ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان وهو شهر ترفع فيه الاعمال لرب العالمين فأحب ان يرفع عملي وانا صائم

الدعاء المستجاب

الأستاذ محمد كمال الدين

يهل شهر شعبان هذا العام بأمل ورجاء ، أمل أن يوحد المسلمون صفوفهم بعد فرقة أهدرت فيها دماء غزيرة على أرض لبنان . وهي أحداث تبين مدى حاجة المسلمين الى لم الشمل وجمع الكلمة . ورجاء في الله ان يهيء للامة الاسلامية أسباب الوحدة والوفاق . وان تعلو كلمة الحق والعدل على كل صوت ينادي بالفرقة والخلاف .. وما أحوجنا في هذا الشهر الكريم الى الدعاء ، والدعاء الكثير ، فقد ورد في الحديث القدسي عن رب العزة جل جلاله ، عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا كان ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها ، وصوموا نهارها ، فان الله ينزل فيها لغروب الشمس الى سماء الدنيا ، فيقول : ألا من مستغفر فأغفر له؟ ألا من مسترزق فأرزقه ؟ الا من مبتلي فأعافيه ؟ الا كذا ؟ الا كذا ؟ حتى يطلع الفجر »

وقد وعد الله سبحانه وتعالى بالاستجابة والقبول ، ففى حديث قدسى آخر ، عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : قال الله : يا ابن آدم انك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالى ، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ولا أبالى ، يا ابن آدم ، انك لو اتيتنى بقراب الارض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئا لاتيتك بترابها مغفرة » .

واذا كانت ليلة النصف من شعبان قد كرمت بهذا القدر من الله سبحانه وتعالى ، فقد كرمت ليال أخرى وأيام وشهور ، منها مثلا ليلة القدر وهى خير من الف شهر ، من قام ليلها ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ، ومنها يوم عرفة ، وفيه يقول الرسول الكريم : ما من يوم اكثر عتقا من النار من يوم عرفه « رواه البيهقى » ، ومنها شهر رمضان وفيه تفتح أبواب الجنة وتغلق ابواب النار وتصفد مردة الشياطين ، وينادى فيه ملك : يا باغى الخير اقبل ، ويا باغى الشر أقصر ، ولله فيه عتقاء من النار ، ودعاء الصائم فيه مجاب مقبول ، « رواه الترمذى » .

وليست هذه الايام والليالى والشهور فقط هى المجاب فيها الدعاء ، بل ان كل يوم ، وكل لحظة ، هى أيام الله ومن خلقه ، وفيها يقبل الدعاء الخالص لوجهه تعالى ، وفى هذا يقول الحديث القدسى ، عن الرسول صلى الله عليه وسلم : « يتنزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخر ، فيقول : من يدعونى فاستجب له ؟ من يسألنى فاعطيه ؟ من يستغفرنى فاغفر له ؟ » ، أخرجه البخارى فى كتاب الدعوات ، باب الدعاء فى نصف الليل جـ ٨ ص ٧١ . بل ان هناك فى كل يوم أوقات يؤمل فيها اجابة الدعاء ، مثل الوقت بين الاذان والاقامة ، وهو وقت لا يرد فيه الدعاء ، وفيه يقال : « اللهم انى أسألك العفو والعافية فى الدين والدنيا والاخرة » ، ومثل الوقت أثناء السجود فى الصلاة ، وفيه يقال : اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت ، اللهم اغفر لى ذنبى دقه وجله ، واوله وآخره ، وعلانيته وسره » ، ومثل الوقت عند السحر ، وفيه يهجع الناس ويستريحون وفيه يقال :

« اللهم لك الحمد ، انت قيم السموات والارض ومن فيهن ، ولك الحمد ، انت نور السموات والارض ومن فيهن ، ولك الحمد ، انت الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ، ومحمد حق والساعة حق ، اللهم لك اسلمت وبك آمنت وعليك توكلت ، واليك أنبت ، وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفر لى ما قدمت وما اخرت ، وما أسررت وما اعلنت ، أنت المقدم وأنت المؤخر ، لا اله الا أنت : ولا حول ولا قوة الا بالله » . كما أن هناك دعاء مقبول ايضا بعد الاذان ، وعند الوضوء وفى مفتتح الصلاة ، وبعدها ، وهناك دعاء عند المرض ، ويوم الجمعة ، وعند طلب الحاجة ، وفى صلاة التسابيح وصلاة الاستخارة وصلاة التوبة وسجود التلاوة ، كما أن هناك أدعية تقال عند النوم وعند الارق وعند طلب السؤال من الله ، وكل هذا يثبت أن الدعاء مطلوب فى كل وقت ، والله يقبله ويستجيب له ، ما دام يصدر عن نية خالصة ، وقلب خاشع ونفس راضية بقضاء الله وقدره ، وما دام يقصد به وجه الله ، وخير الناس ، فلا يكون فيه اثم ولا قطيعة رحم ، وفى هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم - فيما يرويه أبو سعيد الخدرى : « ما من مسلم يدعو الله عز وجل بدعوة ليس فيها اثم ولا قطيعة رحم الا أعطاه الله بها احدى ثلاث خصال : اما أن يعجل له دعوته ، واما أن يدخرها له فى الاخرى ، واما ان يصرف عنه من السوء مثلها » .

وللدعاء فضائل كثيرة : اهمها انه يجلب الخير على صاحبه وفى هذا يقول الحديث النبوى الشريف : ان الله تعالى يمسك الخير الكثير عن عبده ويقول لا أعطى عبدي حتى يسألنى » . ويقول أيضا : « ان ربكم حيي كريم يستحى من عبيده اذا رفعوا أيديهم اليه أن يردها صفرا » . ومنها أنه يرد البلاء ، وقد روى الترمذى أن رسول الله قال : « لا يرد القضاء الا الدعاء ، ولا يزيد فى العمر الا البر » .

وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله قال : « لا يغنى حذر من قدر ، والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل ، وأن البلاء لينزل فيلقاه الدعاء فيعتلجان أى يتصارعان ويقتتلان » الى يوم القيامة » .

فاذا كنا نوقن بان الدعاء لا يرد ، وأن الله سبحانه وتعالى يستجيب للدعاء الصالح ، فمن الواجب أن نكون فى حالة يرضى عنها الله ورسوله ، حالة من الايمان الخالص ، والطهارة النفسية - والبدنية ، وخلوص النية ، وحضور القلب ، وصفاء النفس ، والعمل بما امر الله به فى كتابه وسنة نبيه ، وهذه آداب ينبغى مراعاتها عند الدعاء ، ومن الاداب الاخرى عدم رفع الصوت وجعله بين المخافتة والجهر ، وأن ترفع اليدان عند الدعاء بحيث لاتجاوزان الرأس ، وان تكون بطن الكفين الى السماء عند السؤال وظهرهما الى السماء عند الدعاء برد البلاء ، وان يفتتح الدعاء باسم الله والتحميد والتمجيد والصلاة على النبى .

ان الدعاء هو مخ العبادة ، وهو الوسيلة الى الله كى يبعد عنا الهم والحزن وأدران الدهر ، وهو التقرب الى الله فى السر والعلن ، وفى الليل والنهار ، وفى كل وقت ، فاللهم أجعلنا من مقبولى الدعاء ، وهىء لنا من امرنا رشدا ، وباعد بيننا وبين معاصيك ، واهد قومنا وامتنا الاسلامية سواء السبيل حتى يكونوا يدا واحدة على عدوهم اللدود ، واجعلهم يعرفون أن لا منجى لهم الا بوحدتهم والحرص على اسلامهم « ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم الكافرين » . . صدق الله العظيم .

التصوّف والفلسفة الإسلامية

الصوفية فى إلهامهم

الأبرار

الابرار « جمع بر او بار » هم حريصون على طاعه ربهم ابتغاء مرضاته سبحانه وتعالى ٠ وهم يراقبون ربهم ويحاسبون أنفسهم فى ليلهم ونهارهم طول حياتهم ويستندون فى ذلك الى ان عمر العبد امانة من الله تعالى عنده يسأله عنه بعد موته وعند بعثه ماذا عمل فيه ويتذكرون على الدوام قوله تعالى : فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ٠ ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ».

الأستاذ حسن كامل الملطاوى

ويقول العارفون : البر هو الذى لا يضمر الشر ولا يؤذى الذر ٠ كما قالوا : الابرار هم الذين سمت همتهم عن المستحقرات ، وظهرت فى قلوبهم ينابيع الحكمة ٠ وقد نوه القرآن الكريم بمنزلة الابرار عند الله تعالى فى عدة مواضع ، فقال تعالى مثلا فى سورة آل عمران (**لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للابرار**) وحكى . جلاله ما قاله أولوا الالباب فى السورة ذاتها فكان فيما قالوا (**ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار**) ٠ وروى عن أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « **انما سماهم الله تعالى الابرار لانهم بروا الاباء والابناء** ! ٠

أقول : ومع ما تحلى به سادتنا الانبياء والمرسلون من مكارم الاخلاق كلها ، فقد خصهم الله تعالى ببر الوالدين والابناء يوجهنا من طريقهم الى ذلك البر ، فقال تعالى مثلا فى شأن سيدنا يحيى عليه الصلاة والسلام (**وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا**) وقال تعالى فى شأن سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام (وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا) وقال تعالى فى شأن سيدنا يعقوب عليه الصلاة والسلام فى بره بسيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام (**يا بنى لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين**) وقال تعالى فى شأن سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام مع أبيه عليه الصلاة والسلام بل وأهله (**اذهبوا بقميصى هذا فألقوه على وجه أبى يأت بصيرا وأتونى بأهلكم أجمعين**) وحكى لنا جل جلاله دعوة سيدنا

ابراهيم عليه الصلاة والسلام (رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء) .

وقد بينت سورة الانسان ما قدم الابرار لانفسهم من خير في الدنيا وكذلك ما أعد الله تعالى لهم من جزاء ونعيم في الاخرة ليترسم خطاهم من اراد أن يتخذ الى ربه سبيلا من المؤمنين فقال تعالى (ان الابرار يشربون من كاس كان مزاجها كافورا . عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا) ثم أردف ذلك ببيان أعمالهم الصالحة التي تقبلها الله تعالى منهم ورضي بها عنهم ، لعلنا نتشبه بهم ونحذو حذوهم ، فقال تعالى (يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا . ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا . انما نطعمكم لوجه الله لا نريد عنكم جزاء ولا شكورا . انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا . فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا . وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا) ثم اتبع ذلك سبحانه بوصف عيشتهم الراضية في الجنة فقال تعالى (متكئين فيها على الارائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا . ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا . ويطاف عليهم بانية من فضة واكواب كانت قواريرا . قوارير من فضة قدروها تقديرا . ويسقون فيها كاسا كان مزاجها زنجبيلا . عينا فيها تسمى سلسبيلا . ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رايتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا . واذا رأيت ثم رايت نعيما وملكا كبيرا . عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا اساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا . ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا) .

أقول : وقد بين الله سبحانه في أول سورة الانسان التي تضمنت تلك الايات الكريمة أن الله تعالى ممتحن عباده في هذه الدنيا ، ولكن شاء فضلا منه سبحانه أن يكون الامتحان بعد البيان لئلا يكون للناس حجة على الله ، فقال جل شانه (انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا) ثم أتبع ذلك بمآل الكافرين الشاكرين ، فأجمل في شأن الكافرين فقال سبحانه (انا اعتدنا للكافرين سلاسل واغلالا وسعيرا) وهو مال مع ايجازه يغني عن الشرح والتفصيل ونعوذ بالله من حال أهل النار . ثم أعقب ذلك بمآل المؤمنين المتقين الشاكرين وهم الابرار ولكنه عز وجل فصل ما كانوا عليه في الدنيا من خصال الخير في ظواهرهم وبواطنهم ، كما فصل ما سيكونون عليه في جنات النعيم (يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا) .

وقد وصفهم سبحانه أولا بأنهم أبرار وهم الاخيار الاطهار في عقيدتهم وايمانهم بالله واليوم الاخر ،فنالوا بذلك شرف الانتساب والاضافة اليه تعالى بالعبادة والعبودية فسماهم « عباد الله » وذلك في قوله الكريم (عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا) فهم يشربون من عين لا مقطوعة ولا ممنوعة ، واعجب معي أيها القارىء العزيز من ذلك الكرم الذي يضفيه تعالى على أولئك الاصفياء فيعطيهم في الاخرة نعيما سرمدا لا ينفد ولا يبيد عن عمل موقوت في عمر محدود لا يتجاوز عشرات السنين وهي مدة حياتهم في هذه الدنيا الفانية .

ثم دقق النظر معي في قوله تعالى (يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا) فقد كانوا ينذرون لله أعمالا صالحة في طاعته سبحانه ، ومن وفى لله تعالى ما أوجبه على نفسه كان فيما أوجبه الله تعالى عليه من الفرائض أوفى . وقد عرفوا النذر فقالوا : هو ايجاب المكلف على نفسه من الطاعات ما لم يوجبه لم يلزمه . وقد ورد في الحديث الشريف عن مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه » .

وقد نذر بعض الصحابة الاجلاء رضي الله عنهم أنهم اذا أدركوا حربا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا ، فوفوا بما عاهدوا الله عليه فأثنى سبحانه عليهم بقوله في سورة الاحزاب (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا . ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم ان الله كان غفورا رحيما) .

وقد قالوا في تفسير قوله تعالى (فمنهم من قضى نحبه) أي وفى بنذره لان النحب هو النذر ، وقد قاتلوا حتى استشهدوا كما شاهدوا الله فيما بينهم وبينه تعالى وفي مقدمتهم سادتنا حزمة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير وأنس بن النضر رضي الله عنهم وعن سائر شهداء الاسلام .

ويقول السادة الصوفية رضي الله عنهم : الصادق لا تراه الا في فرض يؤديه أو فضل يعمل فيه . وهم يعرفون الصدق فيقولون في تعريفه : هو الوفاء لله سبحانه بالعمل . وقال سيدي أبو سعيد القرشي رضي الله عنه : الصادق الذي يتهيأ له أن يموت ولا يستحي من سره لو كشف قال تعالى (فتمنوا الموت ان كنتم صادقين) .

وصدق سيدي وشيخي الشيخ علي عقل في الهامه الشعري الفوري حين قال فيما نقلناه عنه رضي الله عنه :

دعاة الحب اكثر ما تلاقي
وقل الصادقون فما تلاقى
احب الله عن أدب وصدق
ولا أرضى سوى التقوى خلاقي

ومما نقلناه كذلك من الهامه الفوري قوله رضي الله عنه :

ليس التصوف بالكلام وانما
صدق الفعال قرارة المتصوف
كم ظاهر لكنه لا يزدهر
ولكم ترى التقوى مع الادب الخفي
فاذا أردت بأن توازن بينهم
فزن الرجال بحب ربك واصطف
لا تبتغ الدنيا وتبغي غيرها
ضدان ما اجتمعا لصب تصوف
من كانت الدنيا المراد لقلبه
لم يرق دار الاكرمين ولم يف
ان الريا شلل الضعاف وانه
سل النفوس وقل منه من شفي
ياايها السارى لخلاق السما
وفقت جاهد في فؤادك واختف
واذا اقتديت فبالكتاب لك الهدى
حافظ على آياته بتلهف
وانهض بروحك نهضة قدسية
ولسنة المختار في السير اقتف
لا تلتزم دعوى بغير أدلة
دعوى بغير أدلة لم تعرف

ان الدليل هو النجاة وانه هو كاشف الظلمات للمتشوف

أما قوله تعالى (**ويخافون يوما كان شره مستطيرا**) فيكشف عما تجملت به بواطنهم من خوف مقامهم بين يدى ربهم يوم القيامة ، يوم يأخذ الفائز كتابه بيمينه ويأخذ الهالك كتابه بشماله ، ويقول الحق لكل واقف بين يديه (**اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا**) أى حاسب نفسك بنفسك من خلال ما سجله كتابك مما لك ومما عليك فيما حواه ، فانه لم يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ، مصداقا لقوله تعالى (**ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا**) .

وكيف يظلم الرءوف الرحيم والمحسن الكريم الذى يحصى السيئة سيئة واحدة ويضاعف الحسنة أضعافا كثيرة عطفا على عباده ، ليثقل موازين حسناتهم ، ويخفف موازين سيئاتهم ، وهو أحوج لهذا العطف فى ذلك اليوم ، وهو الغنى على الدوام عنهم وعن طاعاتهم ، وانما تعبدهم بالطاعات لاكرامهم واثابتهم عليهابعطاءغير مجذوذ ، ونعيم مستديم ، فمن عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها . وقد كان أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز اذا قرأ قوله تعالى (**اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا**) يقول رضى الله عنه : عدل والله معك من جعلك حسيب نفسك (حسيب أى محاسب كجليس أى مجالس) .

وما أروع ذلك الحال الذى وصف به الله تعالى هؤلاء الابرار ، فانهم أحسنوا العمل وقدموه بين أيديهم حين وفوا بنذورهم فى صدق واخلاص ثم خافوا ربهم كما يخافه الملائكة الاطهار الذين قال تعالى فى وصفهم (**يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون**) والملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ، ويسبحون الليل والنهار لا يفترون ، وبرغم هذه الطاعة الدائمة يخافون ربهم على قدر علمهم به وبجلاله تعالى وهيبته . وكيف لا يخافون ربهم وقد قال تعالى (**انما يخشى الله من عباده العلماء**) فجعل سبحانه الخشية من سمات العظماء بالله تعالى ، ويقول سادتنا العارفون رضى الله عنهم :

على قدر علم المرء يعظم خوفه
فلا عالم الا من الله خائف

والمقصود بالعلماء فى هذا المقام علماء الاخرة ، وليسوا علماء الدنيا الذين حجبتهم دنياهم عن أخراهم ، فوقفوا بعلمهم عند ظواهر الدنيا ، ألست تراه تعالى يقول فى شأنهم فى سورة الروم (... **ولكن أكثر الناس لا يعلمون . يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون**) .

ويقول السادة الصوفية رضى الله عنهم : ان الله تعالى فرض على عباده أن يخافوه فقال سبحانه فى سورة آل عمران : (**انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين**) . وقد قال تعالى فى سورة النحل (**فاياى فارهبون**) وقد كان مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : **والله انى لاتقاكم لله وأخوفكم من الله** .

كما كان عليه أفضل الصلاة والتسليم يقول : « **لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا** » .

ويرشدنا السادة الصوفية الى الخوف الحق بقولهم رضى الله عنهم : ليس الخائف الذى يبكى ويمسح عينيه ، انما الخائف من يترك ما يخاف أن يعذب عليه . كما يقولون : من خاف من شئ هرب منه ، ومن خاف من الله عز وجل هرب اليه . وقد كان سيدى الصحابى الجليل معاذ بن جبل يقول رضى الله عنه : ان المؤمن لا يطمئن قلبه ولا تسكن روعته حتى يخلف جسر جهنم وراءه . وقد كان سيدى الصحابى الجليل صهيب الرومى رضى الله عنه كثير السهر بالليل ، وكان سهره فى طاعة الله تعالى ، فكلمته السيدة زوجته فى سهرة فقال لها : **ان صهيبا اذا ذكر النار طار نومه واذا ذكر الجنة زاد شوقه** .

وجاء فيما وصف به أمامنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه : وكان يستوحش من الدنيا وزهرتها ويأنس بالليل ووحشته ... يقول واصفه : ولقد رأيته ذات ليلة واقفا فى محرابه يبكى بكاء الثكلى ويتململ تململ السليم (أى الملدوغ بالعقرب) ويقول : اليك عنى يا دنيا ، الى تعرضت أم الى تشوقت ، هيهات غيرى غرى وقد طلقتك ثلاثا لا رجعة فيها ، ثم قال : آه من طول السفر وقلة الزاد ووحشة الطريق .

وقد سمع معاوية بن أبى سفيان الوصف بطوله من ضرار رضى الله عنه (**وكان معاوية قد أقسم عليه أن يصفه**) فقال تعقيبا : يرحم الله أبا الحسن كان والله كما ذكرت ، تشوقت ، هيهات غرى غيرى وقد طلقتك ثلاثا لا رجعة حجرها .

ومما تقدم نرى أن أسلافنا الصالحين أحسنوا العمل لله فى هذه الدنيا ، وخافوا ربهم فى دنياهم ليأمنوا عقابه فى أخراهم ، ودعاهم ذلك الخوف أن يحاسبوا أنفسهم قبل أن يحاسبهم ، وتخيلوا القيامة قائمة قبل أن تقوم ، فدل ذلك على علمهم وبعد نظرهم ، فقد خلقنا سبحانه للاخرة ، ولم يخلقنا للدنيا ، والدنيا - كما ورد فى الحديث الشريف ممر والاخرة مقر ، وقد قال صلوات الله وسلامه عليه : ... **اتخذوا من ممركم لمقركم . وصدق سبحانه وتعالى اذ يقول (ومن أراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا)** .

وقد قال رجل لسيدى بشر الحافى رضى الله عنه : أراك تخاف الموت ، فقال : القدوم على الله شديد . وقد دخل سيدى أبو على الدقاق رضى الله عنه على سيدى أبى بكر بن فورك رضى الله عنه ، وكان مريضا فلما رآه دمعت عيناه ، فقال له سيدى الدقاق : ان شاء الله تعالى يعافيك ويشفيك ، فقال سيدى ابن فورك : ترانى أخاف من الموت ؟ وانما أخاف مما وراء الموت .

وعن سيدتنا عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت : قلت : يا رسول الله (الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة) أهو الرجل يسرق ويزنى ويشرب الخمر ؟ قال : لا ، ولكن الرجل يصوم ويصلى ويتصدق ويخاف الا يقبل الله منه .

على أن السادة الصوفية كما يلتزمون الخوف يتحلون بالرجاء اطمئنانا الى فضله تعالى وعفوه . ويقولون : الرجاء ثقة الجود من الكريم الودود ، كما يقولون : الرجاء هو النظر الى سعة رحمة الله تعالى . وعندهم أنه لابد أن يجمع المؤمن فى صلته بربه تعالى بين الخوف والرجاء ويقولون : الخوف والرجاء هما كجناحى الطائر ، اذا استويا استوى الطير ، واذا نقص أحدهما وقع فيه النقص ، واذا ذهبا صار الطائر فى حد الموت . وكان سيدى أبو عثمان المغربى يقول رضى الله عنه : من حمل نفسه على الرجاء تعطل ، ومن حمل نفسه على الخوف قنط ، ولكن من هذه المرة ومن هذه مرة .

وقد وصف سبحانه من جمعوا بين الخوف والرجاء بالعلم والعقل فى قوله تعالى فى سورة الزمر (**أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولو الالباب**) .

والقنوت هو طول القيام فى صلاة النافلة ، وآناء الليل أى ساعات الليل أوله وأوسطه وآخره ، وفيه دليل على ترجيح قيام الليل لانه أستر فيكون أبعد عن الرياء ، وقد قال سيدى عبد الله بن عباس رضى الله عنهما : من أحب أن يهون الله عليه الوقوف يوم القيامة فليره الله فى ظلمة الليل . ويجمع سيدى وشيخى الشيخ على عقل بين الخوف والرجاء فيقول فى الهامه الفورى الذى نقلناه عنه رضى الله عنه :

يـــارب أنت علمتنى
لم تخف منى خافيـــة
انــا مذنب واحسرتى
انــا مانسيت حسابية
بل خائف يات الحسا
ب ومـــا أمنت عذابيـــة
سقمى يـــزيــد وانمـــا
آيـــات عفـــوك شـــافية

كما نقلنا عنه رضى الله قوله :

بينى وبينـــك سر ليس يعلمـــه
سواك فاستر على المسكين ما اجترحا
انى أسأت ولـــكنى التجات لـــكم
من يلتجىء لكم فى القصد ما جنحا
لى فيكمو أمل منه أرى صلتى
يا خير من بفؤادى العمر ما برحا
لو قيل للقلب ماذا أنت مقترح
لم يلق غير حمى الرحمن مقترحا
أو كان كالطود ذنبى فى ضخامته
وقلت يا رب عنى الذنب قد مسحا
فاعلم بأن مقام العفو مغتسل
يسمو به كل من ناجى ومن صلحا
ان نام قلبى من الزلات فى ظلم
فانه بضياء العفو منه صحا
الذنب يحزننى والعفـــو يفـــرحنى
فاعجب لـــكاسب ذنب ينتشى فرحا

ويقول سيدى الامام القشيرى ، **رضى الله عنه** ، فى لطائف الاشارات فى أول سورة النمل : بسم الله ، اسم عزيز قصده العاصى لطلب التخفيف فصار وزره مغفورا ، اسم كريم قصده العابد لطلب التضعيف فصار أجره موفورا ، اسم جليل أمه الولى لطلب التشريف فصار سعيه مشكورا .

والرجاء فى الله تعالى محمود عند السادة الصوفية ، ولكنهم ينهون عن التمنى ويقولون : ان التمنى يورث صاحبه الكسل ويصرفه عن العمل وعن سلوك طريق السعى للآخرة فى جدو اجتهاد . وعلاقة الرجاء عندهم فى حسن الطاعة ، ويؤيدهم فى ذلك ما ورد فى الحديث الشريف : **ولو أحسنوا الظن لاحسنوا العمل** ، كما يؤيدهم قوله تعالى فى مدح رسله الكرام فى سورة الانبياء (**انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين**) .

وعندهم أن الرجاء ثلاثة أنواع : رجل عمل حسنة فهو يرجو قبولها ، ورجل عمل سيئة ثم تاب فهو يرجو المغفرة ، والثالث رجل كاذب يتمادى فى الذنوب ويقول : أرجو المغفرة . ويرشدنا السادة الصوفية بقولهم : من عرف نفسه بالاساءة ينبغى أن يكون خوفه غالبا على رجائه .

وقد رأينا من الايات الكريمة التى جاءت فى وصف الابرار أنهم من النوع الاول فى أهل الرجاء ، فقد عملوا الصالحات فوفوا بنذروهم وأطعموا المحتاجين لوجه الله تعالى ورجوا ان يقبل الله ذلك منهم وأن يعفو عنهم يوم القيامة . وقد بشرهم الله بوقايتهم من شر ذلك اليوم الذى خافوا شره فى دنياهم قبل أن يروه ، كما بشرهم بأنواع النعيم الذى ينتظرهم فى جنة الخلد ، وبما سيقال لهم (**ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا**) .

وسيدى الامام القشيرى رضى الله عنه يقول فى لطائف الاشارات : أهل الجنة ثلاثة أصناف : قوم يحشرون الى الجنة مشاة وهم الذين قال فيهم (**وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا**) وهم عوام المؤمنين ، وقوم يحشرون الى الجنة ركبانا وهم الذين قال فيهم جل وعلا (**يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا**) وهؤلاء هم الخواص ، وأما خواص الخواص فهم الذين قال عنهم (**وأزلفت الجنة للمتقين**) أى تقرب الجنة منهم .

وعند قوله تعالى فى سورة ق (**ادخلوها بسلام آمنين**) يقول سيدى الامام القشيرى فى لطائف اشارته رضى الله عنه : أى يقال لهم : ادخلوها بسلامة من كل آفة ، ووجود رضوان ولا يسقط عليكم الحق أبدا . ويقول رضى الله عنه عند قوله تعالى (**لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد**) . لم يقل (لهم ما يسألون) بل قال (**لهم ما يشاءون**) فكل ما يخطر ببالهم يتحقق لهم فى الوهلة ، واذا كانوا اليوم يقولون : ما يشاء الله فان لهم لهم غدا منه الاحسان ، وهل جزاء الاحسان الا الاحسان ؟ ويستطرد فيقول رضى الله عنه : (**ولدينا مزيد**) اتفق أهل التفسير على أنه الرؤية والنظر الى الله سبحانه ، وقوم يقولون : المزيد على الثواب فى الجنة ، ولا منافاة بينهما .

وعند قوله تعالى فى سورة الذاريات (**ان المتقين فى جنات وعيون . آخذين ما آتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين**) يقول رضى الله عنه : فى عاجلهم فى جنات وصلهم ، وفى آجلهم فى جنات فضلهم ، فغدا درجات ونجاة ، واليوم قربات ومناجاة ، فما هو مؤجل حظ نفسهم ، وما هو معجل حق ربهم ، هم آخذون اليوم ما آتاهم ربهم ، يأخذون نصيبهم منه بيد الحمد والشكر ، وغدا يأخذون ما يعطيهم ربهم فى الجنة من فنون العطاء والرفد .

(**انهم كانوا قبل ذلك محسنين**) وفى الخبر : أعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك .

(**كانوا قليلا من الليل ما يهجعون**) المعنى : كان نومهم بالليل قليلا أو كانوا لا ينامون بالليل قليلا ، (**وبالاسحار هم يستغفرون**) أخبر عنهم أنهم مع تهجدهم ودعائهم ينالون انفسهم فى الاسحار منزلة العاصين فيستغفرون استصغارا لقدرهم واستحقارا لفعلهم ، والليل للاحباب فى انس المناجاة . وللعصاة فى طلب النجاة .

وقد سهر سيدى وشيخى الشيخ على عقل الليل كله فى طاعة ربه قرابة أربعين عاما ومما نقلناه عنه فى شأن ذلك السهر قوله الهاما على الفور رضى الله عنه :

اذا سهرت فما أسهرت عن ملل
لكنه الحب يدعونى وأشهده

ومن تغزلت فى ربى وما ألفت
روحى سواه تجافى الجسم مرقده

اذا مددت يـدى للـه أسأله
مدت الى بمعنى فضله يده

وكذلك نقلنا من الهامه قوله رضى الله عنه :

كل جاه يزول فى روعة الموت
ولكن خالقى أبقى لى

ان ليل المحب لو طال عاما
مـر فى لحظة بغير ملال

رب عين عن الضـياء تعلمت
قـد شفاها التنويع فى الاكحال

واكتحـال العيون ايسر شىء
واكتمال القلوب صعب المنال

هو ذكر ورغبة وشـهود
ووفـاء للخـالق الفعال

وكذلك نقلنا من الهامه قوله رضى الله عنه :

يأايها الاخوانى أين جهادكم
والله اصبحتم من النــوام

خلوا الطريق لعامل لم تلهه
أيامه يقظـان عبد غرام

ياايها الاخوان اين جهادكم
سير المريد الصادق المقدام

ان المريـد اذا تبين قصـده
امن العثار وزلة الاقدام

لولا التامل فى الحياة لما بدأ
نور التأمل لامرىء قـوام

لولا وقود النـار فيما ينبغى
ما كان ينضج بعد اى طعام

ولسيدى الشيخ غير ما تقدم فى السهر كثير نقلناه من الهامه الغزير رضى الله عنه •

اللهم هب لنا همة من همم أسلافنا الصالحين الذين آثروك على كل شىء حين أيقنوا أنك ياربنا الاول والاخر والظاهر والباطن ، وأنك غنى عن عبادك وهم الفقراء اليك ، فقدموا لانفسهم فى دنياهم خيرا بما عملوا من الصالحات ، وما بذلوا فيها من المجاهدات ، تصديقا بوعدك ، واطمئنانا لفضلك ، فكانوا من الصادقين الذين قلت فى وصفهم (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون (آمين ••

العلم والإيمـــان

هذا هو الإسلام قوام البشرية

فضيلة الشيخ محمود ابراهيم طيرة

اذا كان الاسلام هو دين السلام - كما اسلفنا - لانه يدعو الى الحب والانسانية ، والرحمة والحرية ، فبالقطع ليس معنى هذا انه يقبل الاستسلام والخنوع او الاستخذاء والخضوع ، او الضعة او الهوان ، لان الاسلام قوى ابى ، رفيع على ، عزيز كريم ، بيد ان قوته عاقلة رشيدة رزينة : ليست طائشة ولا جامحة ، ولا هوجاء ولا رعناء ، قد تشتط فتنحرف عن الجادة ، بل أنها تلتزم السير معه على النهج الواضح المستقيم ، دون التواء او اعوجاج . على ان قوة الاسلام تنبع من داخله لا من الخارج ، فهى قوة ذاتية جوهرية اصيلة ، لا تعتمد فى وجودها على غيره ، فلا تقوم على اسنة الرماح او صليل السيوف ، وانما تستمد وجودها من مبادىء الاسلام المتينة السامية ، واخلاقه الكريمة العالية ، وشريعته العظيمة ، وتعاليمه الحكيمة . ولعمر الحق - ان دينا هذا شأنه ، لا يختلف فى عظمته اثنان ! أجل - كان الاسلام ، ولا يزال ، وسيبقى دائما ، عظيما فى شدته ، كما هو عظيم فى رخائه ، عظيما فى عداوته ، كما هو عظيم فى محبته ، عظيما فى حربه ، كما هو عظيم فى سلمه ، وهكذا تواكبه العظمة مزهوة تفرح ، وتلازمه لا تنفك عنه ولا تتزحزح ! وفضلا عن ذلك كله ، فان عظمة الاسلام عظيمة فى نوعها ، فريدة فى بابها ، لم يكن للبشرية عهد بمثلها ، حيث انها عظمة وطيدة حقة ، وليست من طراز المنظمات الزائفة المعهودة ، كيف لا ؟ وهى عظمة تثقيف وتهذيب ، عظمة تربية وتعليم ، عظمة هداية وارشاد ، عظمة بناء وتعمير ، عظمة تهيىء للحياة الفاضلة عدتها ، وللمستقبل وسائل النجاح والظفر ، وتحقق للانسانية اسمى ما تصبو اليه : من الذيوع والشيوع ، والانتشار والاستمرار . وللعالم أقصى ما قدر له من النهوض والارتقاء ، والسيادة والسعادة والرخاء . عظمة هامة ، عامة ، كاملة ، شاملة ، هائلة خالدة ، متمثلة فى قول الحق جل جلاله « ان الدين عند الله الاسلام - اليوم أكملت لكم دينكم ، واتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الاسلام دينا » ! .

على ان الاسلام قبل هذا ، وبعد هذا ، ومع هذا يتوج عظمته تلك بالدعوة الى العمل والانتاج يحث ابناءه على المثابرة عليهما من غير ملل ، وينهاهم عن البطالة والكسل ، ويفتح عيونهم على ان العمل خير ونعمة وان من واجب المرء ان يكسب خبزه بكد اليمين وعرق الجبين ، ويضرب فى معترك الحياة بسهم وافر ، حتى يكون عنصرا عاملا ، لا عضوا اشل ، فى المجتمع الذى يعيش فيه ، فانه لا يليق بكرامة الادميين ، الذين ميزهم الله بالعقل واللسان ، وفضلهم على كثير من خلقه تفضيلا ، وخلق لهم ما فى الارض جميعا . ان يعيشوا فيها خاملين متثاقلين متخاذلين ، قد فترت همتهم ، وخارت عزيمتهم ، وتضعضعت ارادتهم ، فركنوا الى الخمول والكسل ، وعزفوا عن الجد والعمل ، ورضوا بأن يعيشوا عالة على غيرهم ، عاطلين فى مجتمعهم ، يأخذون ولا يعطون ، وينالون ولا يؤدون ، فيكونون اقل شأنا من النمل ، مثال الدأب والعمل ، ومن النحل ، مثال النظام والدقة والترتيب ! !

والايات القرآنية الكريمة ، والاحاديث النبوية الشريفة ، تفيض كلها بالحث على السعى والعمل فى شتى مجالات الحياة بهمة عالية . وعزم صادق، فمن ذلك قول الحق تبارك وتعالى « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة ، فينبئكم بما كنتم تعملون» « وقوله جل ثناؤه « هو الذى جعل لكم الارض ذلولا» « فامشوا فى مناكبها ، وكلوا من رزقه ، واليه النشور » وقوله سبحانه « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله ، واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » ويقول المصطفى صلى الله عليه وسلم [لان يأخذ احدكم حبله ثم يأتى الجبل ، فيأتى بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها ، فيكف الله بها وجهه ، خير له من ان يسأل الناس اعطوه أو منعوه» ويقول عليه الصلاة والسلام «ما أكل عبد طعاما قط ، خيرا من ان يأكل من عمل يده] ! وكان عليه السلام يرعى الغنم فى مطلع شبابه على قراريط لاهل مكة ، كما اشتغل بعد ذلك فى اعمال التجارة للسيدة خديجة بنت خويلد ، قبل مبعثه عليه

السلام بوقت طويل . والشواهد فى هذا الباب كثيرة وفيرة لنكتفى منها بهذا القدر .

اجل – ان العمل خير وبركه ، ونشاط وحركة ، ورياضة وصحة ، ومران ودربة ، وتجارب وخبرة ، وصلاح واصلاح ، وانتاج ونجاح ، وكسب ورباح ، وبناء وتعمير ، وتقدم وارتقاء ، وسعاده وهناء ورخاء ! اما الكسل فعدو البشريه ، وبلاء الانسانية، انه خمول وركود وجمود ، وسامة وملال ، وضعف وانحلال ، ثم عجز واضمحلال ، ونقص وخسران ، ثم ضياع وحرمان . واخيرا هو السوس الذى ينخر فى العظام ، ويقضى على كل طاقات الانسان ! !

على انه يبدو ان العمل غريزة من الغرائز التى اودعها الله الطبائع البشريه : ارايت الى الوليد ينحدر من بطن أمه الى الارض ، وعينه لم تتفتح بعد على نورها ؟ وهو يبكى ويصيح ، وتتحرك يداه ورجلاه حركات متتابعة متلاحقة ، كأنها تعلن لاهل الارض ، ان الانسان ما خلق الا ليعمل ، وان له فى هذه الحياة رسالة يؤديها ، ونصيبا لابد له من ان يقوم به فى تسيير دولاب الاعمال – اجل – ان على كل انسان واجبا فى هذه الدنيا لابد له ان يؤديه ، فانه ابن من امرت الملائكة بالسجود له ، لان مشيئة الله اقتضت ان يجعله خليفته فى ارضه ، وأمينه فى ملكه ، وان تكون ذريه من بعده خلفاء امناء ، حتى يرث الله الارض ومن عليها . وقد خلق الله لهم هذه الارض ، واودعها كل ما يحتاجون اليه فى حياتهم ، وجعلها لهم ذلولا طيعه . فصار لزاما عليهم بمقتضى هذه الخلافة ، استكناه كنهها ، ودراسة احوالها ، للوقوف على حقيقتها ، واكتشاف ما اودعه الله فيها ، ثم الغوص فى اعماقها ، واستخراج كنوزها ، ومعادنها وخيراتها . واستغلال كل اولئك فى عمارة هذه الارض ، وانشاء الحضارات المختلفة والمدنيات على ظهرها ، بايجاد الاعمال المتعددة فى جميع مناحى الحياة . من زراعه وصناعة وتجارة وعلوم وفنون ، الى آخر ما يجب ان يتوفر لها من اعمال تنهض بها وتتقدم . حتى تصل الى المستوى اللائق بخلافة الله فى الارض وامانته فى ملكه ، اللتين باهى بهما ملائكته ! ولهذا جعل الاسلام العمل من الزم الواجبات .

فاذا ما نكص المرء فى هذه الدنيا على عقبية ولم يؤد واجبه فى هذه الحياة بالعمل الجاد الدائب ، والعزيمه الصادقه المصممة ، فقد رفض الخلافة ، وخان الامانة ، وفقد هذا الشرف الالهى العظيم ، الذى يعز على من رامه ويطول ! وتردى من درجات الانسانية الرفيعة الى دركات الحيوانية الوضيعة ، وتلك حالة لا يرضاها الا من الغى عقله او سفه نفسه ! ! واعجبا ممن يتجاهل هذه الحقيقة الماثلة فيتقاعس عن الجد والعمل ، ويركن الى البطالة والكسل ، ويأبى الا ان يخرق ناموس الطبيعة ، ويخرج على سنن الكون ، ويعيش عالة على الناس، وعضوا اشل فى المجتمع الانسانى ، بل المجتمع الاسلامى ، ناسيا او متناسيا ان المسلم الحقيقى لسانه دائما بذكر الله رطب ، وفى الدعوة الى الخير مجد ، ويده دائما عاملة فى كسب المعيشة ، ونفع الخليقة ، هذا فضلا عن انه يكون باهمال رسالته فى الحياة على هذا الشكل المزرى قدوة سيئة لغيره من الناس – لاسيما اولاده والاقربون – والنبى عليه السلام يقول « ومن سن فى الاسلام سنة سيئة، فعليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده الى يوم القيامة

والعمل هو العمل ، صغر أم كبر ، جل أم حقر ، ومن أجل ذلك أرانى فى عجب شديد من أمر بعض شباب اليوم ، الذين يأنفون من الاشتغال بأعمال صغيرة ، تعاليا وغرورا ، ويأبون الا العمل فى الوظائف الكبيرة ، وهذا منهم خطأ فاحش فى التقدير ، ذلك أن العمل الصغير هو السبيل الطبعى الى العمل الكبير ، يتقلب المرء فى الاعمال الصغيرة فى بدء حياته العملية ، ثم ينتقل منها الى ما هو اكبر شيئا فشيئا ، حتى يأتى اليوم الذى يلى فيه العمل الكبير ، بعد ان يكون قد دفع الثمن الباهظ ، من العمل الشاق ، والعرق المتصبب ، والكفاح المرير ، وقد أفادته الخبرة ، وصقلته التجارب . اما أن يلى العمل الكبير من أول وهلة ، دون ما خبره سابقة ولا تجارب ، فمعناه الفشل الذريع ، تعقبه الحسرة والالم الدفين !! وان كل شىء يوجد صغيرا ثم يكبر ، والصعود الى قمة المجد لا يكون الا بعد صعود سلمه درجه درجه . أما من يحاول الوصول اليها قفزا وطفرة ، فغالبا ما يسقط ويتحطم !!

هذا والمرء فى هذه الحياة يعيش بالامل ، ويحيا بالرجاء ، والحياة من غير أمل ، هى حياة جامدة فارغة مملة ، لا معنى لها ولا طعم : –

وليست حياة المرء الا امانيا
فان هى ضاعت ، فالحياة على الاثر !

والامل لابد له من عمل ، يحققه ويجسده ، ويخرجه الى عالم الواقع حقيقة ماثلة ، وما احسن ما يقول القائل :

وما طلب المعيشة بالتمنى
ولكن ألق دلوك فى الدلاء
تجئك بملئها يوما ويوما
تجئك بحماة وقليل ماء

فاذا لم يكن وراء الامل عمل ، فهو الاوهام والخيالات والسراب الخادع ! ورد الفعل فى نفس صاحبه ، يأس قاتل ، وعجز أليم ، بل ان صاحبه هو الميت فى صورة الاحياء ! مصداقا لقول الشاعر : –

ليس من مات فاستراح بميت
انما الميت ميت الاحياء
انما الميت من يعيش كئيبا كاسفا باله قليل الرجاء

أيها القراء الكرام – بناء على ما أسلفنا ، يكون العمل جد ضرورى ، لحياة الافراد والجماعات ، والبيوت والعائلات ، والامم والشعوب، فى كل زمان

ومكان . ليت شعرى - هل نهضت أمة من كبوتها ، أو استيقظت من رقدتها . أو تنبهت من غفلتها ، وتبوأت بين الامم مكانا عليا ، بغير جهود أبنائها وجهادهم ، وكفاحهم وجلادهم ، وانصهار نفوسهم فى أتون الحياة ؟ !! هل استطاعت دولة من دول الارض ، أن تحل أزمة من الازمات المستحكمة ، أو تجتاز موقفا من المواقف الدقيقة الرهيبة ، أو تصيب هدفا من الاهداف الكبيرة الخطيرة ، دون أن تكون القوى كلها معباة ، والجهود جميعا مهيأة ، وميادين الانتاج مكتظة بالعزائم الثائرة ، تدفع الى العمل الجاد المخلص المتواصل ، فى غير هوادة ولا استرخاء ؟ بهذا كله تستطيع الدولة أن تغالب الازمة فتغلبها ، وتتخطى على هذا الجسر العريض مزالق الخطر الرهيب ، وتصيب بهذه القوة العظيمة هدفها الكبير البعيد !

ألا وان مما يلفت النظر ويسترعى الانتباه ، ويتصل بحديثنا عن العمل ، أن الايمان لم يرد ذكره فى القرآن الكريم ، الا مقرونا بالعمل الصالح . قال تعالى« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا » وقال جل شأنه « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع أجر من أحسن عملا » وقال سبحانه « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا » وقال جل ثناؤه « والعصر ان الانسان لفى خسر ، الا الذين آمنوا ، وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر »

الى آخر هذه الايات الكريمة فى هذا المجال العظيم فماذا عسى أن يكون السبب فى هذا ؟ السبب أن العمل الصالح هو نتيجة الايمان وثمرته ، بل هو شاهد الاثبات على صدق الايمان وكماله ، فان المرء اذا اكتمل ايمانه بأن الله موجود ، وأنه سبحانه مبدع هذا الكون ومدبر شؤونه ، وأنه ما خلق الجن والانس الا ليعبدوه ، وأن موازين عدالته لا يمكن أن تخطىء التقدير ، فهو يجازى على الخير خيرا ، وعلى الشر شرا ، اذا صح ايمان المرء بذلك وصدق ، يستسهل كل صعب ما دام فى سبيل الله ، وتهون عليه كل تضحية ، ابتغاء مرضاة الله ، وطلبا لمثوبته ، بل انه يشعر فى التضحية بلذة نفسية عظيمة ، لا تعدلها لذائذ المتع والشهوات مجتمعة ، وكيف لا ، وهى لذة الرضا والقبول ، ممن يجزل العطاء ، وينيل كل مأمول ؟ ! فالايمان أشبه ما يكون بشجرة كبيرة ضخمة ، والعمل الصالح ظلها وثمارها، فطالما كانت الشجرة مظلة مثمرة ، كلما وجبت رعايتها وحراستها ، وسقيها وتسميدها ، أما اذا كانت الشجرة غير مظلة ولا مثمرة ، فقطعها خير من بقائها ، تشغل فراغا من الارض على غير طائل وكذلك الايمان : اذا أنتج الخير وأثمر العمل الصالح وجب على صاحبه أن يحرص عليه أشد الحرص . ويحمد ربه على أن من به عليه ويستزيده ، أما اذا كان الايمان لا يثمر ، فهو عقيم غير منتج ، بل هو ايمان مشكوك فيه ، حيث لا يقوم دليل على وجوده ، بل هو ايمان كاذب كالفجر الكاذب ، فأولى به ألا يكون !! وقد يتبادر الى الذهن ، أن العمل الصالح قاصر على العبادات المفروضة ، والطاعات المعروفة ، مثل الصلاة والصوم ، ولكن لا . فان العمل الصالح ساحة رحيبة فسيحة ، تتسع للعديد من أنواع الخير : فرد لهفة الملهوف وقضاء حاجته ، اذ فزع اليك بين يأس يقتله وأمل يحييه،وقولة الحق لا تخشى فيه لومة لائم ، والامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والصدقة والامر بها ، والسعى للصلح بين الناس ، والامر به ، والوقوف بجانب المظلوم ومناصرته ضد ظالمه ، والكلمة الطيبة تشرح الصدور وتزيل الهم ، وجبر العثر فى الخفاء ، بعيدا عن الرياء ، وكل عمل مشروع يعود بالخير والنفع على صاحبه، أو على المجتمع ، أو على الامة كلها ، هذه السلسلة النيرة وما أطولها ، كلها أعمال صالحة ، تشهد بصدق الايمان ، وترضى الملك الديان ، ويرجى بها ثواب الرحيم الرحمن !

واذا كان الاسلام قد أوجب العمل على الناس ، كى يحصلوا أرزاقهم وأقواتهم ، ويعيشوا فى هذه الدنيا عيش الكرامة ، بعد أن يستعيدوا الارض السليبة ، من العدو الغاصب الغاشم ، ويطردوه منها طردا لا رجعة بعده أبدا ، ثم يعملوا جاهدين لانهاض الامة، حتى تأخذ مكانها تحت الشمس ، وبين الامم المتقدمة الراقية ، اذا كان الاسلام قد أوجب العمل ، فانه لم يخص به فردا دون آخر ، ولا طبقة دون طبقة ، فالغنى يعمل ، كما يعمل الفقير ، والصغير يعمل ، كما يعمل الكبير ، والسقيم يعمل ، كما يعمل السليم ، والشيخ العجوز يعمل ، كما يعمل الشاب الفتى ، كل يعمل وينتج ، فى حدود طاقته ، وعلى حسب حالته ، وفى مجال تخصصه ، ولكن فى غير ما عنت ولا ارهاق على أن يوضع الانسان الصالح ، فى المكان الصالح ، مع مراعاة تحقيق العدالة والمساواة بين جميع العاملين ، بعيدا عن التحيز والمحاباة . وليس يعفى من العمل الا من يعجز عن ادائه ، فيكفله ذووه ، والا فالمجتمع كافله ، بحق التكافل الاجتماعى ، فانه مظلة الرحمة للعجزة والمساكين !

ولنا فى قصة مريم ابنة عمران ، كما حكاها لنا القرآن ، عظة بالغة ، وعبرة نافعة ، فان مريم النفساء ، الضعيفة ، المحزونة، المكروبة ، من هول ما رمتها به الاقدار ، تأتيها الاوامر الالهية على لسان وليدها الصغير ، بأن تهز جذع النخلة حتى يتساقط عليه الرطب ، فتأكل مريئا وتشرب هنيئا ، وتقر عينا بوليدها، معجزة الله للعالمين! **« وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا ، فكلى واشربى ، وقرى عينا »** يا سبحان ربى ! - ألم يكن القادر العظيم الذى وهبها عيسى عليه السلام من غير أب ، قادرا بالاولى على أن يسقط الرطب عليها لتأكل منه ؟ لا سيما أنها محزونة مكدودة محطمة النفس والاعصاب ! أجل -

البقية ص ١١٢

تحية للرجال على تعاقب الأجيال

الأستاذ عبد العظيم منصور

لقد كان من فضل الله على البشرية كلها بعد أن ضلت السعى فى الطريق واشتبهت عليها معالم الجهات فتاهت فى بيداء المهالك والضلالات أن تداركها الله على حين فترة من الرسل بمسك ختامهم ولبنة تمامهم محمد بن عبد الله النعمة المسداه والرحمة المهداة والحكمة البالغة ليكون آخر الرسل والانبياء الى أن تقوم الساعة فلا رسول ولا نبى بعده ولتكون شريعته هى الشريعة الخاتمة فلا شريعة بعدها وحقا ما قال جبريل عليه السلام عندما نزل من السماء يستأذن النبى فى قبض روحه فقال للرسول « السلام عليك يا رسول الله ، هذا آخر ما انزل فيه الى الارض ابدا، طوى الوحى ، وطويت الدنيا ، وما كان لى فى الارض حاجة غيرك ، ومالى فيها حاجة الا حضورك ، ثم لزوم موقفى » . ولم يلحق النبى صلى الله عليه وسلم بالرفيق الاعلى الا وترك ظاهرة تاريخية واضحة كل الوضوح شملت ارض الاسلام كلها وتجاوزتها الى أرض البشرية جميعها ، تمثلت تلك الظاهرة فى ذلك الجيل القرآنى المثالى الفذ الذى حمل امانة الدعوة الى الله بعد أن تربى على عين رسول الله فكان هذا الجيل مع الله بعقله وروحه ومع الناس بجسمه ولسانه فخرج من الدنيا وما فيها ومن فيها وهو فيها ، كانت الحياة عليه نعمة والموت فى سبيل الله له كرامه . لقد ظهر رجال هذا الجيل فعزلوا الجاهلية باحمالها ونوزارها واثقالها وصلفها وغرورها وجبروتها وأمسكوا بالزمام والقياد وساروا بالانسانية سيرا حثيثا عادلا متزنا متوازنا فى امور دينها ودنياها فى اطار اسلامى عالمى لبنى الانسان جاءت أحكامه من خارج المحيط الارضى ومن خارج النطاق البشرى ، عاش المسلمون فى ظله موحدين مخلصين ، مصدقين بكل ما جاءت به الرسل وبكل ما نزلت به الكتب . يهدون بالحق وبه يعدلون ، فالحق شريعتهم والعدل سيرتهم والهدى امامهم والتقوى لباسهم والبر شعارهم والعفو والمعروف خلقهم والصدق والوفاء طبيعتهم فلا غرابة أن يصفهم القرآن فى مواضع متفرقة بالرجال ، والرجل هو من استوفى معدلات الرجولة ومعدلات البطولة فى امور الدين والدنيا ، حسن خليقه ونقاء سريرة ، وعفة طعمة وطهارة قلب ، ويقظة ضمير ، وايثار بالنفس والمال ، رهبان بالليل ، فرسان بالنهار ، دائرة السوء على من بغى عليهم او اراد أن ينتقص شيئا من حقهم او يسيطر على مقدراتهم فنزل فيهم قوله تعالى « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا » . وقوله تعالى « رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار »

وحقا ما قال فيهم القاضى بن العربى وهو يصف الصفوة المختارة من هذا الجيل المثالى الفذ « كانوا شموسا طلعت فى سماء الانسانية مرة ولا تطمع الانسانية ان تطلع فى سمائها شموس من طرازهم وعلى شاكلتهم مره اخرى» فاذا كان هذا شانهم وشأن منهجهم الداعى الى العدل الرافض للظلم لذلك كان من الطبيعى ان ينقذ الاسلام برجاله البشرية التائهة والانسانيه المعذبة من مأساتها العامة التى كانت تعيشها ، وأن يخرجها من وراء حواجز القهر والاستعباد لترى نور الحرية الوضاء فى عالم كان يسوده بالامس القريب ليل حالك الظلام ، وان يرفعها من وهدة الشرك وبهم الضلالة لتحلق فى أجواء مشرقه من توحيد الله . ولتعيش أجمل أيام حياتها فى أمن وطمأنينة وسلام . فى ظل نظام من عند الله لا من صنع البشر « صنع الله الذى اتقن كل شىء » . وظل الاسلام ينير للبشرية طريق الدنيا والاخرة يرسل اشعته فى كل اتجاه وينشر ضياءه فى كل ناحية ، ويغزو القلوب والارواح ، ويعيد النماء والازدهار الى الصحارى والقفار ، ويأخذ من الحاكم للمحكوم ومن الغنى للفقير ومن السادة للعبيد ومن الاقوياء للضعفاء ومن العلماء للجهلاء حتى شهدت البشرية اعظم حضارة شهدتها الدنيا حتى الان مستندة الى خطوط من التقدم الانسانى جادت بها العناية الالهية فى التصورات الاعتقادية والشعائر التعبدية والشرائع القانونية والفضائل الاخلاقية والعلاقات الدولية والاعتبارات الانسانية . فاقام الاسلام فى ظل حضارته الخالده التالدة عوج الحياة ورد كل انسان فى المجتمع البشرى الى موضعه لا يقصر عنه ولا يجاوزه الى غيره فيتعداه فاتسعت آفاق النفس الانسانية

وكبرت اهتماماتها فارتقت الى الاستقامة الكاملة وسمت وارتفعت اهداف الانسان وتحرر لاول مرة تحررا كاملا من عبودية القيم المادية ومن العبودية لمن هم مثله من البشر حكاما كانوا أو محكومين ، فتم اعتاق البشر من القيود والاغلال التى سبق ان الغت الوجود الحقيقى لكثير من دول الارض وشعوبها وتغيرت نظرة الناس الى الحياة فلم يعودوا ينظرون اليها كأنها قفص من حديد يسعون الى كسره وتحطيمه ولم يصبحوا يعدونها عذابا فيتخلصون منها ، ولم يعودوا ينظرون الى الدنيا كفرصة لا حياة بعدها فيتهالكون عليها أو ينقضون على ما فيها من خيرات كأنها مال سائب يتقاتلون عليه ، ولم يعودوا ينظرون الى الامم الضعيفة كفريسة يتسابقون فى اقتناصها بل ايقنوا ان الله خلق الشعوب والقبائل للتعارف والتالف وليس للتناكر والتباغض ولا للتخالف والتحاسد فتوارى الاعتزاز بالعصبيات واختفت الوطنية المعتدية والجنسية الغاشمة والقومية القاصرة ليحل محلها فكرة الاخوة الانسانية للبشر جميعهم على اختلاف الالوان والاجناس وعلى اختلاف الاوطان والبلدان وعلى اختلاف اللغات واللهجات ، **وبالجملة فلم تعرف البشرية دورا من أدوار التاريخ كان أجمل واكمل فى كل نواحى الحياة من هذا الدور ، دور الخلافة الاسلامية الراشدة فى تنشئة الانسان الكامل واحياء معدلات الرجولة والبطولة معا** وفى ظهور المدنية الصالحة بمقوماتها المادية والمعنوية فدين متبع استروحت النفوس فى ظلاله برد اليقين وحلاوة الايمان وبه تم صرف النفوس عن شهواتها فاصبح الدين قاهرا للسرائر زاجرا للضمائر رقيبا على النفوس فى خلواتها وخطواتها نصوحا لها فى ملماتها وبجانب الدين حاكم عادل يسوس المحكومين متبعا كتاب الله وسنة نبيه وليس مبتدعا من عنده ، فتألقت برهبته الاهواء المختلفة واجتمعت بهيبته القلوب المتفرقة وانكفت بسطوته الايدى المتغالبه وانقمعت من خوفه النفوس المتعادية فأمن الناس على أموالهم وانفسهم واعراضهم وعقولهم ، وبجانب ذلك خصب دارا تسع للجميع واشترك فيه الحاكم والمحكوم وذووا الاقلال والاكثار فقل فى الناس الحسد وانتفى عنهم التباغض والنكد . وكثرت المواساة والتواصل ، وامل فسيح اتسعت به النفوس ، **فكان الاسلام هو الحضارة وكان المجتمع الاسلامى هو المجتمع المتحضر بالمقاييس الثابتة الخالدة التى وضعها للبشرية .**

ولكن الله بالغ امره قد جعل لكل شىء قدرا وتلك طبيعة الكون وسنة الحياة ، فقد القى المسلمون بكل تراثهم الروحى وبكل مقوماتهم الفكريه بفعلهم وبفعل المتربصين بهم فانسحب الاسلام من ضمير الفرد ومن واقع الامم والجماعات الاسلامية ، فتداعت على المسلمين وعلى ديارهم أمم الارض كما تداعى الاكلة على قصعتها فى موجات متتالية يتبع بعضها بعضا وفق مخطط مرسوم ومنهج مدروس يمزقون أرض الاسلام وينتقصون من ديار المسلمين ، فى حملات مدبرة محمومة ومسعورة حتى كان للمخالفين من حفدة الجاهلية وورثة الوثنية ما ارادوا من كيد للاسلام والمسلمين ونتج عن ذلك ان أصبحت كل دولة من الدول التى اقتسمت العالم الاسلامى عن طريق القهر والغلبه تسيطر على مقاليد الامور فى الدول الاسلامية وتسوقها قهرا الى اعتناق مبادئها والدعاية لها عن طريق التشريع والتقنين وعن طريق الاستمالة مره والتهديد والقهر مرات وعن طريق التشكيك فى ماضى الامم الاسلامية بكل معتقداته وحقائقه وكان هذا هو الهدف الاسمى لكل دول العدوان واولياء الشيطان ، وكانت المحصلة النهائية ان ابتعدت المجتمعات الاسلامية عن ضميرها فى العقائد وفى الشرائع وفى الاخلاق وفى التقاليد والعادات وتكونت فى كل دوله اسلاميه وقعت تحت سيطرة غيرها من الدول المعادية انظمة اجتماعية فى غاية السوء وتكون نمط من العلاقات الاجتماعيه المنافيه والمتنافره مع اصول وأحكام المنهج الالهى بل ومع انظمه الدول التى غلبت على الدول الاسلاميه الامر الذى افقد المسلمين توازنهم والذى لازمهم قرونا من الزمان كانوا بسببه ساده الدنيا واسمه العالم فاصبح لكل فرد ولكل جماعة ولكل دولة اسلامية وجهة هى ابعد ما تكون عن ضميرها وعن سابق ماضيها ومن وراء ذلك محتل غاصب بطريقة سافرة او مستترة ، يعمق الفجوة بين ماضى المسلمين وحاضرهم ويأخذ بيد المسلمين ليضربوا وجوه بعضهم البعض وفق مخطط محكم مرسوم متراخ مع الامس ، قائم مع الحاضر متطاول مع الغد ، وهذا ما يعانى منه المسلمون اليوم وتجعل الواحدة من الدول الاسلامية تتوجس خيفه من أختها المسلمة كما تجعل الواحدة منها توالى الاعداء وتقاطع وتعادى الاشقاء رغم النهى القاطع من الله بعدم اتخاذ اعداء الدين اولياء من دون المسلمين وهذا من أقوى الاسباب فى الفرقة القاتلة التى ربما لم تشهدها البشرية أو مثيلا لها فى ظل أنظمتها الوضعية ، ولكن يشهدها المسلمون بطريقة مخجلة وسلوك مشين رغم انهم اصحاب عقيدة فى الله ثابتة واصحاب كتاب منزل وماض مشرق منير ورغم انهم مطالبون بأن يكونوا امة واحدة وجسدا واحدا كما انهم مطالبون بحكم منهجهم الالهى ان يكونوا سادة الناس واساتذة البشر ، **وعندى ان انسحاب الاسلام من ضمائر الافراد ومن واقع الامم والجماعات الاسلامية يرجع أساسا الى أختفاء الرجال من مسرح الحياة الاسلاميه باعتبارهم القدوه والاسوة فى أمور الدنيا والدين** ، ولكن مع هذا لم تجدب الارض الاسلامية رغم ما صادف المسلمين من أهوال من عينات من هؤلاء الرجال ، اما ظاهر مكشوف واما خائف مقهور ولكنهم كانوا ومازالوا كالنجوم المتناثرة على صفحة السماء لكل منهم بريقه ولمعانه الخاص به حيث لايستطيعون مواجهة الباطل او التصدى لورثة الجاهلية وحفدة

الوثنية ، ومن هنا فان بعث المنهج الاسلامي لن يقوم الا على أيدى رجال مؤمنين يعرفون التضحية ويعشقون الموت فى سبيل شرع ربهم ومنهج خالقهم وبارئهم ، ولن يتوفر هذا الصنف من الرجال الا وفق تربية جادة مخلصة عن طريق تلقى أحكام المنهج الالهى والعمل والتكيف بها واتخاذها مستوى رسميا للتعامل بين المسلمين وللتعامل بينهم وبين غيرهم من أمم الارض وشعوب البشر ، وعندئذ لن يلبث العالم الا يسيرا من الزمن ويشهد من جديد انسان الاسلام اطوع الناس انقيادا للحق واشدهم استمساكا بالفضائل والاخلاق واكثرهم ادراكا لامانة هداية البشرية واستشعارا لمعنى الانسانية وأسرعهم قياما بواجبات العبودية ، فيرى العالم الحاكم العالم العادل ، والعالم الفقيه ، والقاضي المنصف ، والجندى القوى ، والقائد الملهم الشجاع ، وصاحب الولاية العفيف لا يطلع الناس منه على عورة ولا يخاف فى الله لومة لائم ما حفظ من حق وادى من أمانة احتسب به الجنة ، القوى والضعيف والشريف والمشروف عنده فى الحق سواء ، وحينئذ سيتحول تيار العالم من الشر الى الخير ومن الشقاء الى السعادة ومن الاثرة والانانية الى الايثار والتضحية ومن التناكر والتخالف الى التعارف والتآلف وهذه وتلك تعتبر ممهدات للغاية العظمى التى تتحرق البشرية شوقا اليها وهى أن ترى مشرق الاسلام من جديد يأخذ بيديها ويداوى جراحها وآلامها ، ويشفى صدورها ، ويحيى قلوبها بعد ان اجدبت وماتت فى صدور أبنائها ، ويصل بها الى حيث الامن والى حيث الطمأنينة والى حيث الاستقرار والسلام .

ولا يفوتنا أن نشير الى أن المسلمين اليوم هدف لكل الانظمة الوضعية التى تقتسم العالم وتتحكم فى مقدرات اممه وشعوبه سافرة احيانا ومستترة وراء مكرها وخداعها فى أغلب الاحيان ، ولن يهدأ لتلك الانظمة بال الا اذا رأت الاسلام وقد اختفى من فوق مسرح الحياة ورأوا المسلمين صرعى كأعجاز نخل خاوية لم يبق منهم على وجه الارض باقية يستوى فى ذلك الاعداء المعاندون الظاهرون وغيرهم من المدعين بصداقة المسلمين فكلهم فى الكيد للاسلام والمسلمين سواء ومن ظن غير ذلك من المذبذبين والمضطربين من أبناء المسلمين ممن استهوتهم الانظمة الوضعية بشعاراتها المزيفة وأباطيلها الكاذبة وبريقها الخداع فهو تائه يجب ايقاظه وحائر يجب تبصيره بحقائق الماضى التى خاضها الاسلام ضد اعدائه وحقائق الحاضر التى تكشف مجريات الامور والاحداث تباعا ماظهر منها وماخفى واستتر ومآله الى السفور والظهور ان لم يكن اليوم فان غدا لناظره قريب .

واذا كان هذا هو منطق الانظمة الوضعية عموما بالنسبة للاسلام والمسلمين فان اخطر ما يواجه احياء المنهج الاسلامى هو ذلك المحور المادى الخطير الذى يدور حوله رحى الصراع فى القرن العشرين ويحاول أن يبتلع كما ابتلع فى الماضى دول الاسلام اشتاتا مبعثرة وهذا ما سجله الواقع ووعاه التاريخ . وهذا المحور المادى الخطير هو أخطر نوع من أنواع الاستعمار التى عرفها الناس فى التاريخ القديم والحديث اذ يجمع بين كل شرور الاستعمار القديم والحديث ويزيد عليها ذلك المسخ والتشويه الذى يصاب به الانسان فيهبط الى حضيض السوائم والعجماوات ولا يوجد فى أنواع الاستعباد ما هو أشد قسوة من الاستعباد الذى يخضع له المسخرون لهذا الاستعمار بمختلف الاسماء والانظمة والعناوين ، وحسب هذا المحور شرا تمجيده للعنف فى شريعة الثورة واستعداؤه طوائف البشر بعضهم لبعض ، وانكاره لكل فضيلة اخلاقية وسلوك حميد ، وانكاره لوجود الله وللبعث والجزاء ، فهو بحق وصدق كالمرض الذى يسلب المريض به رغبة العلاج أو رغبة الشفاء . ومن هنا يجب تخلية المجتمعات الاسلامية تماما من تيارات هذا المذهب الهدام التى هبت ولا تزال تهب عليها ، تلك التيارات المتمثلة فى التصورات الاعتقادية الملحدة التى قامت على تأليه غير الله على أن تعتمد عملية الاخلاء على منطق القوة فى أعلى صورها ودرجاتها حتى لو وصلت الى حد القتل وقتل الحية الرقطاء ليس جريمة بل هو رحمة ، فليس هناك الا حرارة السيف تردى هذا المحور وانصاره اراحة للمجتمعات الاسلامية من شرور وآثام ومساوىء هذا المذهب ، كما يجب ان تعتمد عملية الاخلاء على اسقاط كل حساب لما يحتمل الشعور به من حساسية تجاه هذا المذهب وانصاره والداعين اليه داخليا وخارجيا ، كما يجب أن تعتمد عملية الاخلاء على عينة من رجال مؤمنين أشداء أقوياء لا تأخذهم فى الله لومة لائم ، والا سيأتى على المسلمين زمان يتسع فيه الخرق على الراقع وتعيث الشرائع الوضعية فسادا فى الارض الاسلامية ثم تبتلعها أشتاتا مبعثرة فلا تقوم لها بعد ذلك قائمة . ولعل مشكلة التواجد العقائدى المادى غير الاسلامى على الارض الاسلامية هو أخطر التحديات التى تواجه المسلمين اليوم ، ويجب ان يواجه هذا التواجد بأقصى درجات الحذر داخليا وخارجيا ، وعلى أيدى رجال أقوياء أشداء يتذكرون دائما مظالم السنين السابقة ومآسى الحاضر الراهنة ، وتحية لكل من يرفع لواء الدعوة الى الله ليكون سبحانه وتعالى كما قال « وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله » وتحية لكل حاكم مسلم يرفع القواعد تمكينا للمنهج الالهى من أجل بعث جديد ، وتحية لكل من يطارد اعداء الله واولياء الشيطان من دعاة هذا المذهب والمخدوعين ببرقية الزائف ، وتحية للرئيس المصرى عندما اعلنها صريحة حاسمة بلا حساسية وبلا تردد مخاطبا دعاة المذاهب الهدامة وعاقدا مسئولية غيره من حكام المسلمين امام الله وأمام الشعوب الاسلامية كلها وأمام ضمائرهم وأمام التاريخ فنراه يقول قول

الدين وقول الحق « انه من المستحيل ان يقوم نظام ماركسى فى ارض عربية » .

انها لمأساة محزنة فى كل جوانبها وظواهرها ان يبدو المسلمون اليوم وفى هذا الوقت بالذات وقد اصبحوا وليسوا حتى مجرد أصدقاء لبعض ، لقد كشفوا انفسهم بأكثر ما يستطيع أعداؤهم أن يكشفوهم به وهزموا بعضهم بعضا بأكثر مما يستطيع الغير أن يهزمهم به والنتيجة معروفة ، انها هزيمة لكل المسلمين فى شتى انحاء الارض . وقد ثبت ذلك على وجه القطع واليقين أمام الازمات التى تواجه المسلمين اليوم بقسوة وعنف وفى مواجهتها ، اذ اكتفت بعض الدول الاسلامية فى مواجهة تلك الازمات برنين الكلمات والدوران حول النفس كنوع من ابراء الذمة لايحسب لها الاعداء أى حساب لانها فى الواقع كدخان فى الهواء وكل دولة من تلك الدول المترددة المتخاذلة بتصرفاتها السلبية تتوهم انها تشترى أمنها وهى فى الواقع تبيع شرفها وكرامتها لان العدو الخارج قد عاهد الشيطان على تمزيق شمل المسلمين وانتقاص أرض الاسلام ان لم يكن اليوم فان غدا لناظره قريب . فهل آن لنا أن نصحو من سباتنا وغفوتنا ونضع أيدينا فى يمين الحق تحقيقا لذلك العهد والميثاق الذى اخذه الله على الارواح فى عالم الاشباح يوم خرجت من صلب آدم عليه السلام فى قوله تعالى « **وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على انفسهم ألست بربكم ؟ قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين** » . **اللهم آمين ، وتحية للرجال على تعاقب الاجيال .**

بقية مقال « هذا هو الاسلام قوام البشرية »

كان المولى على هذا قادرا ، ولكنه سبحانه ربط المسببات بأسبابها ، ورتب النتائج على مقدماتها ، ولئن كانت ولادة عيسى معجزة ، ان قضية الرطب مسألة رزق لا اعجاز فيها ، فيجب أن تسير على السنن الكونية ، وعلى مريم أن تباشر السبب ، حتى يحصل المسبب ، وأن تتذرع بالعمل حتى تجنى ثماره — وان كانت نفساء ضعيفة ، وأما لنبى عظيم كريم — ! لست أدرى — أية حجة بعد هذا للمتخلفين عن العمل ؟ وأى درس ابلغ من هذا الدرس ، يلقيه المولى على جماعة الكسالى الخاملين المتقاعسين عن العمل ، وهم أصحاء أقوياء ، ليس بهم مرض يمنع ، ولا ضعف يشفع ، ولا عجز يقعد بهم عن حلبة العاملين المنتجين؟!

ولقد روى التاريخ، أن الملك كسرى كان يتفقد رعيته يوما ، فرأى شيخا عجوزا واهنا ، لكن وهن قوته ، وضعف صحته ، لم ينالا من عزيمته ، فبقيت ارادته قوية ، ورغبته فى العمل أكيدة ، تتجدد ولا تتبدد ؛ حيث أخذ يحفر الارض ويغرس نخلة فيها ، فسأله الملك — ماذا تعمل أيها الرجل؟ فأجابه العجوز : أغرس هذه النخلة ، فقال الملك ، ولماذا وقد لا تأكل من ثمارها ! فأجابه العجوز اجابة الحكيم ، العميق الفهم ، البعيد النظر، الذى يعمل فى صمت وفى ايمان ، ويؤدى واجبه الاجتماعى ، قال العجوز غرسوا فأكلنا ونغرس فيأكلون ! يا له من حكيم ! ويالها من حكمة ! بل يا لها من قيثارة ، قد وقع العجوز عليها لحنا شجيا ، يشنف الاذان ، ويذهب بالهموم والاحزان ، ويبعث فى النفس الشعور بالرضا والاطمئنان ! فأكبر الملك عمل الرجل ، ومنحه منحة سخية ، فابتسم العجوز وهو يقول: ها هى ذى النخلة قد أثمرت فى الحال ! فتضاعف سرور الملك من اجابته ، ومنحه منحة ثانية ، فقال العجوز — حسنا ، ها هى ذى قد أثمرت فى العام مرتين ! ثم غادره الملك بين أشد الاعجاب به ، و تقدير لعمله ! أما بعد — فانه ليحزننى منظر ذوى السواعد المفتولة ، وهم يعرضون عن العمل الشريف ، ويقبلون على العمل الخسيس ، كالسرقة والغش والاحتيال ! وتملؤها بالغبطة والفخار ، مشاهد العمال الكادحين المنتجين ! انهم أبناء مصر البررة ، وجنود الوطن المخلصون ، فأحييهم من الاعماق ، تحية الاعجاب والاعزاز ، والاكبار والاجلال ! والى هؤلاء وأولئك أقول : —

أعمل لكسب العيش انك واجد
عيشا يسرك فى الحياة كريما
واضرب بسهمك فى معاركها تفز
بالنصر من بعد الجهاد عظيما
انى وجدت العاملين أعزة
وعلى المجادة عزمهم تصميما

والبقية تاتى بعون الله

في المعرفة الانسانية وأزمة الإنسان المعاصر

يقرر كثير من الفلاسفة والمفكرين أن المعرفة الانسانية جميعها مكتسبة ، وأن المرء يدرك الاشياء والمعارف والخبرات عن طريق ما لديه من حواس ، ويدللون بأن الاصم لا يمكن له أن « يعرف » الاصوات التى تتعلق بحاسة السمع . وكذلك الاعمى لايمكنله أن «يعرف» الالوان والاشكال لان ذلك مرتبط بحاسة النظر .. وهكذا .

وتقرر فئة اخرى منهم بأن المعرفة الانسانية فطرية . أى أن المرء يولد ونفسه عارفة بكل شىء . ثم تقف طائفة ثالثة لتقول ان العقل البشرى بطبيعته يحتوى على جزء من المعرفة الفطرية يضاف اليها جزء آخر مكتسب .

الأستاذ طه محمد كسبه

ولقد قسم العلماء المناهج الفكرية والنظريات الفلسفية فى المعرفة والتى سادت المجتمعات البشرية والتى سادت العالم ابتداء من العصور - القدديمة - منذ أيام العصر اليونانى على وجه التحديد الى يومنا هذا - العصر الذى نشأ فيه الجدل حول مسالة وجود « الله » وجعل منها قضية قابلة للاخذ والرد والقبول والرفض - الى اكثر من نظرية لكل منها مذهبها ولكل منها عادتها ومتبعوها .

ويعتمد المنهج الاول - أو النظرية الاولى - على العمليات العقلية النظرية تلك التى تعتمد على الجدل والمناظرة دون استناد حقيقى الى واقع الامور والمرئيات وهذا ماسار عليه « ارسطو » وتلاميذه . فالفلسفة اليونانية والفكر النظرى فى العقيدة والانغلاق الذى ابتدعه « ارسطو » قد جعل مظهرا من مظاهر الحضارة والرقى وكان من نتائج ذلك البحث العقلى النظرى ، البحث فى القيم والمعايير الدينية والخلقية واعتماد ذلك كله على اسلوب الانكار والاثبات والاخذ والرد والجدل والمماراة . كل ذلك كان من نتائجه تسرب الشك وعدم الدقة فى هذه النتيجة التى خرجوا بها . واحدث الفتور والتخاذل فى هذا المذهب الارسطى . ذلك الذى حدا بالفيلسوف الشهير « فرنسيس بيكون » أن يعلن عن اسلوب آخر للمعرفة لا يعتمد على العقل النظرى البحت ولكن يعتمد على التجربة والملاحظة والاستقراء . ومن رجال هذا المذهب التجريبى الفيلسوف الفرنسى الشهير « ديكارت » .

ويعتمد المنهج الثانى على القول بأن المعارف ومهما بلغت من التجريد فانها كغيرها يكتسبها الانسان عن طريق الملاحظة والتجربة . ويعتمد هذا المنهج على البحث العملى ويهتم أساسا بالابعاد المادية لكينونة الاشياء ، ونظرتهم هذه مبنية اساسا على المادية وظواهرها المختلفة وهذا ما سار عليه علماء الغرب .

وتعتبر نظرية « فرنسيس بيكون » او منهجه بداية للفكر الغربى ورايه فى معرفة العقيدة الاسلامية والتعرف على ابعادها الدينية والخلقية والانسانية ، وهذا الاتجاه التجريبى يعتبر تاريخا لبداية عصر النهضة الاوروبية ، وطريق المعرفة عند التجريبيين يتأتى من الخبرة الحسية التى يحصل عليها الانسان بالممارسة والتجربة .

ثم هناك مذهب الصوفية أو المنهج الصوفى ، والذى يرى أصحابه ان المعرفة اليقينية انما تأتى عن طريق الحدس الذى هو الادراك العقلى المباشر ، ويسمى « الحدس » عندهم بالذوق الصوفى او الكشف أو العيان او الوجدان . وهذا المذهب يعتمد على صفاء القلب ومجاهدة النفس حتى تصل الى مرتبة من الصفاء عالية .

وهناك ايضا المذهب النقدى وهو الذى ينادى اصحابه بانه لا ثمة تعارض بين المذهب التجريبى والمذهب العقلى ، بل انه من الممكن الجمع بينهما . وقد أسس «كانت» هذا المذهب مقررا ان المعرفة لا تتم الا بالخبرة الحسية والمبادىء العقلية معا .

ومن هنا فانا نجد :

١ - ان المنهج الارسطى « العقلى » يعتمد أساسا على خيال ولا يعتمد على أساس واضح واقعى يمكن ان تنبنى على احكامه وآرائه اى أمر .

٢ - والمنهج الغربى والذى سار عليه علماء الغرب كذلك . فقد اعتمد على تلك المظاهر المادية بوقائعها المادية وأبعادها واعتبارها مصدرا وحيدا للمعرفة ومنهاجا وحيدا لفهم الكون والطبيعة والانسان .

فالمنهج الفكرى عند العقلانيين على اختلاف مدارسهم ونظرياتهم والماديين العلميين على اختلاف فلسفاتهم وعقائدهم قد جعلوا من الكون والطبيعة والانسان حقائق علمية نظرية او حقائق علمية مادية فحسب ، ووقفوا بذلك كله عند هذا الحد الذى يمكن أن نطلق عليه حد « الحقائق العلمية والعقلية للاشياء » .

ومن هنا نجد أن هذين المنهجين قد فشلا ، ذلك أن الجدل النظرى والمماراة ، والاخذ والرد مهما بلغ شأنهما لن يصلا الى الحقيقة والواقع الانسانى ذلك لانهما لا يتصلان بالواقع الحى للكون والطبيعة والانسان .

وهذا المذهب النقدى الذى مزج ما بين المذهبين التجريبى والعقلى والمذهب الصوفى والذى يعتمد - كما سبق القول - على مجاهدة النفس حتى تصل الى مرتبة من الصفاء تتصل فيها بالقوة اللانهائية المسيطرة على الاكوان اتصالا يبيح لها من المعرف ما لا تصل اليه الحواس والعقل معا ، هاتين النظريتين وسابقتهما انما هى آراء ونظريات ومناهج فكرية توصل اليها التجريبيون والعقليون ، والنقديون والصوفيون ، وغيرهم هى من وضع اناس - بشر - فكروا ، وبحثوا ، ثم وصلوا الى ماهـــداهم اليه - الله - فكرهم وبحثهم وثقافتهم .

ولقد وضع الاسلام - حينما ظهرت دعوته - اسس المعرفة التى تهدى الانسان الى الخير ، وتحيد بجميع جوانب المسالة الانسانية ، وتستوعب جميع الطرق التى توصل الى المعرفة الحقيقية ، وجعل منها كلا غير قابل للتجزئة او التشتت .

وهذا المنهج الاسلامى الذى اعلنه القرآن الكريم ، وجعله منهجا سليما يضع الكون والطبيعة والانسان فى صميم الصورة الحقيقية للخلق . والتوصل الى الخالق جل شأنه ، والى استشعار عظمته ، وعظمة خلقه فى يقين ثابت . ذلك أن هذا المنهج لم يقم كما قام سابقيه على مجرد افتراضات علمية وجدل عقلى لا يستند الى واقع الاشياء ، لكن صحة هذا المنهج تستند اساسا على ما يمكن أن نطلق عليه «التوازن التركيبى للاشياء » وذلك نلمسه حقيقة فى آيات الله البينات حيث يقول الله تعالى :

والارض مددناها والقينا فيها رواسى وانبتنا فيها من كل شيء موزون »

وكذلك قوله تعالى : **« وان من شيء الا عنــدنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم »** .

هنا يحتفظ الاسلام بصفة التوازن فى تركيب الاشياء ، كل شيء بقدر ، وكل شيء موزون ، فالعلاقة بين الرجل والمراة ، وبين الانسان والحيوان ، والنسب التى تربط بين هذا وذاك ، وهذا النظام الفلكى البديع المحكم مثل حى وعظيم على ذلك التوازن التركيبى . وفى هذا جاءت كلمات الله تعالى معبرة حين تقول :

« لا الشمس ينبغى لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار ، وكل فى فلك يسبحون » .

فلو اختل هذا النظام ولو لواحد على البليون لتغيرت الصورة تماما ، لكن حكمة الله شاءت الا ان يكون لكل شيء وزن ، وأن كل شيء يتعامل مع غيره فى توازن وتوافق ، حتى تتحقق واقعة استمرارية الاشياء منذ بدء الخليقة الى يوم القيامة ، فالعلاقة المتوازنة بين الخلايا واجزائها وبين الخلايا وبعضها البعض فى الجسد الواحد ، كذلك الشان بين الاعضاء فى الجهاز الداخلى للانسان وتوافقها وتوازنها البديع والتى ما تزال فى سلوكها التوازنى ظاهرة معجزة امام البحث العلمى . لخير مثال على هذه التعادلية والتوازنية التى لا افراط فيها ولا تفريط ، فيقول الله تعالى :

« وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » .

وهناك مثال آخر لهذا التوازن الذى اشار اليه الاسلام كسبيل نحو دراسة ما جاء به ، ذلك التوازن العجيب بين الجسد والملكات النفسية فى الانسان . ففى الانسان عقل ، وعاطفة ، وللانسان ارادة . ماذا يحدث لو عمل كل منفردا ؟ ماذا يحدث لو راح العقل يعمل وحده ، وكذا العاطفة ، ونحت الارادة نحوا آخر ؟

اليس فى هذا الصراع الذى سيدور نهاية حتمية للانسان ككائن حى ، وكخلق من مخلوقات الله التى كرمها وفضلها على كثير مما خلق . فالعقل لا يستقل بوجود الانسان ولا العاطفة ولا الارادة . ولكن العلاقة التوازنية بين كل هذه الملكات النفسية هى التى تتمثل فيها وحدة السلوك الانسانى .

وعلى ذلك فنحن نتلمس وحدة السلوك الانسانى بارتباط كل من الارادة الالهية والعقل البشرى ، والعاطفة الانسانية ، وتوازنهم الدقيق من ذلك المنهج الاسلامى الذى يقرره القرآن الكريم .

فالاسلام بهذا المنهج قد جمع بين جميع المواهب والملكات سواء منها الحسى او المعنوى ، المادى او الروحى ، ليصل الانسان من خلالها الى الكمال الانسانى المأمول فى ظلال التعاليم القرآنية التى جاء بها الاسلام ليرشد الانسان الى ما فيه السمو بالفكر والعقل والسلوك .

نعرض لهذا بينما الانسانية تجتاز مرحلة هامة من مراحل تطورها عبر العصور .. والانسانية وهى تجتاز هذه المرحلة الخطيرة تتعرض لبلبلة الفكر وقلق الضمير . لا سيما فى بيئات ومجتمعات الغرب حيث يسود الخوف وعدم الثقة ويعلن شبابه غضبه وضيقه ولا مبالاته بالحياة وقيمها .

وما زالت الانسانية تتخبط فى الحادها ونكرانها ، وتتخبط فى ظلام الوثنية ، وما زال طوفان المذاهب الفلسفية والنظريات الجديدة التى يطلع بها الغرب

ولملاسفتهم لملا ذلك الفراغ الروحى الذى دب فى نفوس بنى البشر ، وراح البعض يتشكك فى وجود الله تعالى جلت قدرته ، وتشكك البعض الاخر فى قدرته وعظمته وراح بعضهم الاخر ينكر وجود الله نفسه ، وراح البعض الثالث او الرابع يصورون لانفسهم انهم هداة البشر جميعا ، وان تعاليمهم هى ما يجب ان تسير عليه البشرية لتنجو من هذا الخطر المحدق بها .

فانتشرت النظريات والمذاهب والفلسفات والتعاليم ، واصبح لكل اتباع واشياع . ولكن هذا لن يغير من الحقيقة شيئا . فانسان القرن العشرين يعيش ازمة روحية حقيقية وما زلنا نعبر ذلك المنزلق الخطر ، وما زلنا نتخبط فى الظلمات رغم تلك الانوار - الزائفة - التى ابتدعها ابناء القرن العشرين والتى تؤكد ان الانسان - ومهما بلغت - قدرته وارادته - جزء محدود من ارادة الله وقدرته تعالى الذى خلق هذا الكون كله ، ودبره وسيره بحكمته . وفى هذا يقول القرآن الكريم حيث يصورهم اجل تصوير يعجز عنه البشر حين يقول :

« أفلم يسيروا فى الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها ، فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » .

فعلاج البشرية لا يكمن فى مبدا فيلسوف ولا فى مذهب عالم ، ولا فى راى فقيه ، ولكن اصلاح البشرية يكمن اساسا فى العودة الى الله ، والى ظلال الدين والى استشعار عظمة الله وقدرته ، والى النظر فى ملكوت الله ، فى السموات والارض ، الى التأمل فى مخلوقات الله وتدبر حكمته ، والى الاعتبار والاتعاظ والى السير بهدى الله تعالى والتمسك بحبله المتين .

على الانسان أن يعود بحسه وروحه ، بعقله وعواطفه ، بقلبه وجسده الى الله تعالى ، وعلى الانسان ان يعود بفكره وعقله الى النظر فى هذا الكون ليعرف - ان كان يجهل - أن لهذا الكون من خالق ، وأن لهذه الارض والسماء من باسط ورافع ، وأن لهذه الكائنات والموجودات من موجد . ولينظر الانسان الى نفسه أولا ولينظر من ذلك الى الاشياء والمخلوقات من حوله :

« فلينظر الانسان مم خلق . خلق من ماء دافق . يخرج من بين الصلب والترائب . انه على رجعه لقادر يوم تبلى السرائر . فما له من قوة ولا ناصر » .

بتأمل الانسان هذه المخلوقات ، وهذا الكون العظيم من يسيره ؟ والشمس والقمر ومن جعلهما هكذا ، والنهار والليل ومن جعل من تعاقبهما آية معجزة :

« لا الشمس ينبغى لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون » .

لقد خلق الله الانسان وجعل له عينان يرى بهما ، وأذنان يسمع بهما ، ولسان يتكلم به ، وانعم عليه بنعمة العقل ليفهم ويدرك ما لم تره عيناه ، وما لم تسمع به أذناه وما لا يقدر على النطق به لسانه وحده دون دراسة وتفكير وتأمل وفهم وادراك لما ينطق به . وهذا ما يقوم به العقل .

فلقد وهب الله العقل للانسان ليدرك به تلك القدرة الالهية والعظمة الربانية التى ابتدع بها الله هذا الكون الواسع الفسيح . ففى المثل الدارج يقول العامة « ربنا عرفوه بالعقل » وهم بهذا انما يؤكدون بهذا القول البسيط فى كلماته العميق فى معناه ومدلوله انما يقررون حقيقة علمية وهى ان الله وهب لنا العقل لنصل اليه ولنتلمس قدرته ولنستلهم عظمته .

فانما حقيقة لم نر الله جهرة - حاشى لله - ولكنا عرفناه بصفاته وقدرته ، بالعقل والفهم والادراك ولكن هل ادركنا مفهوم كلمة الله وعرفنا عظمته وتلمسنا قدرته وتوصلنا الى حكمته .. هكذا دون سبب او علة ؟

ان الجواب بنعم فيه مجافاة لحقائق الاشياء والامور ، ومجافاة لطبيعة علاقة الاشياء بعضها البعض .

ان الله موجود يدرك الابصار ، ولا تدركه الابصار . حى يسير هذا الكون . حكيم يدبر الكون بحكمته وقدرته . قادر ومبدع . ولذا فاننا لانرى الله لان قدرتنا محدودة .. ولان ارادتنا محدودة .. فكيف يحيط المحدود بالذى ليس له حدود ؟

لكنا بالعقل يمكن لنا ان نعرف ان هناك الها واحدا . وان هناك خالقا لهذا الكون وان لهذه المخلوقات كلها - التى يستحيل حصرها او الاحاطة بها - ربا . يمكن لنا ان نعرف ولكنا لا نستطيع ان نحيط به احاطة كاملة تامة ، لاننا جزء من هذا الكون الذى خلقه الله ، وكيف لهذا الجزء المتناهى فى الصغر ان يحيط بخالق هذا الكل ؟

كيف اذن يمكن للعقل ان يتوصل الى تلك الحقيقة التى لا يشوبها شىء ولا يطمس معالمها اى شىء كان ؟ كيف يمكن للعقل ان يدرك ان هناك الها وربا وخالقا لكل هذه المخلوقات والموجودات التى اولها الانسان بما انعم عليه من الله ؟

كيف للعقل البشرى ان يصل الى معرفة تلك القدرة ، ومصدر تلك القوة الهائلة والحكمة البالغة فى تيسير هذا الكون على اختلاف مخلوقاته وكثرتهم ، وسعة اركانه وغرابة طبائعه .

كيف وكيف .. سلسلة متناهية من الاسئلة التى طرحها الانسان على نفسه ، تريد الوصول فى النهاية الى منهجية يمكن للانسان ان ينهجها لمعرفة الله تعالى . والتى ارتادها الانسان حينما عرف الله .

سئل الامام على - كرم الله وجهه :

- يا امير المؤمنين . هل رأيت ربك ؟

- قال : أو اعبد ما لا أرى ؟

- قيل : وكيف تراه ؟

- قال : لا تدركه العيون بمشاهدة العيان . ولكن تدركه القلوب بحقائق الايمان .

البقية صفحة ١١٧

شكر النعمة

الأستاذ محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب

فلسفة الشكر

« لئن شكرتم لازيدنكم »
ما ملاء ابن آدم وعاء شرا من بطنه
اكرام الابناء ليس من الكرم فى شىء
الوصية بالجار .
« انطعم من لو يشاء الله اطعمه »
« وقليل من عبادى الشكور »

فلسفة الدعاء

« وقال ربكم ادعونى استجب لكم »
دعوة ابراهيم عليه السلام .
استجابة دعوة ابليس اللعين .
« ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب » الشكر : مفتقر الى شكر
من ذاق طعم الشكر : استحلاه :
الشكر المطلوب : لا يكون الا بالعمل لا باللسان

فلسفة الشكر :

يقول المولى جل وعلا « **لئن شكرتم لازيدنكم** »
والشكر على النعمة : المستوجب للمزيد منها . هو الشكر العملى لا الشكر اللفظى .

فلو شكر انسان بلسانه – طوال حياته – ما لحق خيرا ، ولادفع ضرا .

هذا وفى حياتنا الحاضرة : نجد من تحفل مائدته بأطايب الطعام ، وفاخر الشراب : فيحشو بطنه منها ، حتى لايبقى له متنفس يتنفس منه .

وبعد ذلك يملا الكون جشاء ويضع يده على بطنه التى تكاد أن تنفجر مما فيها ... ويقول على ملا من الناس الحمد لله :

وقد توهم – ذلك المفتون – انه بحمده هذا : قد ادى ماعليه من واجب الشكر حيال ربه ؟

وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : وقد بعثه مولاه ليتمم مكارم الاخلاق : حين راى رجلا يتجشأ « ابعد عنا جشاءك ، فما ملا ابن آدم وعاء شرا من بطنه »

ولم يعلم انه بذلك استوجب مقت الله تعالى وغضبه وعذابه :

وهو فى الوقت نفسه : يضع امام ابنائه وذويه من الطعام والشراب ، ما يزيد عن حاجتهم وكفايتهم ويتسبب فى امراضهم وتعاستهم :

وبجواره من الجيران من لا يجد الخبز القفاز ، ومن يتضور جوعا من الفاقة والفقر ، فلا يحس بهم ، ولا يتوهم أنه مقصر فى حقوقهم :

الوصيه بالجار :

وقد قال سيد الخلق عليه الصلاة والسلام « مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه »

والناس فى عصرنا هذا : صنفان : صنف يأكل حتى يموت تخمة ، وصنف لا يجد القوت حتى يموت جوعا .

وفى هذا الخضم الزاخر بالمتناقضات : نرى من يقول : هكذا اراد الله لعبادم ، ونحن لانستطيع ان نصحح الكون الذى نظمه خالقه

وهذا القائل لم يعلم انه بقالته هذه قد الحق نفسه – من حيث لا يدرى – بالكافرين والمعاندين ، الذين قالوا « **انطعم من لو يشاء الله اطعمه** »

وانه بما آتاه الله تعالى من مال : انما يمتحنه به « **فأما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى . واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى**

فسنيسره للعسرى ومايُغنى عنه ماله اذا تردى » والناس من خشية الفقر فى فقر ..

والمولى جل وعلايقول « وقليل من عبادى الشكور» فكيف يصف القرآن الشاكرين بالقلة : وهم ملء الدنيا ؟ فلا تمرفى طريق الا وتسمع كل من رأيت يحمد الله ، ويشكر فضله ، بالقول لا بالعمل :

فلسفة الدعـاء :

والمولى سبحانه وتعالى يقول « **ادعونى استجب لكم** » فيقول الداعى : انى أدعوه فى كل لحظة فلا يستجيب لى .

فى حين أن هذا الداعى : لم يدع ربه : لان من شرائط الدعاء : تيقن الاجابة .

فلو انه ـ حين يدعو ربه : القادر المقتدر ـ وثق بما عند ربه : وثوقه بما عند نفسه : لما ابطأت اجابته ، ولسعت اليه حاجته : ولكان طلبه رهن اشارته ووفق رغبته :

فانظر أيها المؤمن ـ هداك الله تعالى ورعاك ـ الى ابراهيم عليه السلام وقد وضع اهله فى مهمة قفر، لا زرع فيه ولاضرع ولا كلا ولاماء ولا انس ولا انيس، فيدعو ربه ـ وقد وثق بما عنده ـ « **ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وأرزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون** » فتصعد دعوته الى السماء ، ويستجيب ربه الى هذا الدعاء : فهوت اليهم افئدة كثير من الناس من شتى الاقطار ، وحملت لهم المطعومات والثمار ، من كل صوب وحدب : فطعموها قبل أن يطعمها زارعوها ، وتمتعوا بها قبل ان يتمتع بها حاملوها : اليس هذا من صنع مجيب الدعاء ، واسع العطاء :

هذا وقد كتب المولى سبحانه وتعالى على نفسه : اجابة الداعى ، ولو كان كافرا :

فقد استجاب لابليس ـ وهو شر مخلوقاته جميعا ـ حين دعا « **رب فأنظرنى الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين** » .

وقال الشبلى رضى الله تعالى عنه : ادعونى « بلا غفلة » : « استجب لكم » بلا مهلة ؟

يطلب المخلوق الضعيف . من أخيه العاجز شيئا من حطام الدنيا ، وهو واثق من اجابته : لان طلبه فى مقدوره ، وفى حدود طاقته :

ويدعو ذلك الانسان نفسه : ربه ـ القادر المقتدر ، الغنى المغنى ، الذىخزائنه لا تنفد ـيدعوه وهو واثق من عدم الاجابة : فمرتبه كما هو لم يزد وارضه لم يحن حصادها بعد ،

وكأنه بذلك يطلب من ربه وينسب اليه ـ فى الوقت نفسه ـ العجز عن اجابته :

وقد نسى ذلك المفتون قول العزيز الكريم « **ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب** »

وبعد ذلك يتوهم اجابة الله تعالى له . وقد حالت نيته الفاسدة دون بلوغها وهيهات هيهات أن يستجاب له :

ومعنى قوله تعالى « **لئن شكرتم لازيدنكم** » اى « لئن شكرتم » نعمائى ـ التى لاتعد ولاتحد ـ شكرا بالعمل قبل اللسان « لازيدنكم » برا وخيرا !

وكيف يشكر الانسان ربه على ماأولاه من نعم شتى لا سبيل لحصرها فكيف الى شكرها ؟!

هذا وكل شكر للعبد مفتقر الى شكر الله على توفيقه الى هذا الشكر .

فيجب أن يتوالى شكره لربه : ليزيده من فضله وانعمه .

وما كان الله ليفتح على عبد باب الشكر ويغلق عنه باب الزيادة او يفتح على عبد باب الدعاء ويغلق دونه باب الاجابة :

هذا ومن ذاق طعم الشكر استحلاه وكلماازدادشكره لربه : ازدادت حلاوة الايمان فى قلبه :

ولا يزال العبد شاكرا : حتى يلقى ربه راضيا :

فطوبى لمن شغله الشكر عن الطلب وشغله الحق عن الخلق وشغلته المجاهدات عن طلب الملذات .

فتح الله تعالى علينا أبواب اجابته ، كما فتح علينا ابواب دعائه وفتح لنا ابواب زيادته كما فتح لنا ابواب شكره لنحظى دائما بوافر رزقه وسابغ مغفرته

بقية مقال « فى المعرفة الانسانية »

حسبنا هنا أن نترسم هذه الخطى ، وان نقول لهؤلاء الذين أعمتهم الحياة الدنيا عن ذكر الله ، وان نقول لاولئك الذين راحوا ينكرون وجود الله سبحانه وتعالى والذين يتشككون فى وجوده تعالى .

حسبنا أن نقول لاولئك الذين يقولون كيف السبيل الى الله .. وكيف نعود اليه ؟

حسبنا ان نقول لهم : سيروا على هذا الدرب الذى اوضحه امير المؤمنين على بن ابى طالب ـ كرم الله وجهه ـ وسوف تصلون باذن الله .. حسبنا أن نقول وأن يكون منهجنا حسبما جاء فى قول الله تعالى فى كتابه الحكيم :

« **سنريهم آياتنا فى الافاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أولم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد** » .

بهذا كله .. وبالعودة الى الله ، وبالايمان به ، وبطرح كل ما فى السوق من بضاعة الكافرين والملحدين والمتشككين والمشككين ، يعرف الانسان خلاصه من ازمته ومأساته التى يعيشها كل يوم .. وبهذا يعرف الانسانطريقه الى السعادة الحقيقية .. والايمان الحقيقى ، والمعرفة الحقيقية ..

ويا انسان القرن العشرين .. عد الى الله .. سامحك الله .

من ملامح وأخلاق

مجتمع العلم والايمان

فضيلة الشيخ مصطفى عبد الحليم الجندي

هذا الحديث الذى تسوقه الى كل قارىء معى بمتابعته، والى كل داع مخلص الى مجتمع الايمان المأمول، والذى يجب أن تنشط الدعوة اليه فى هذه الايام، الهدف منه أن يكون بين يدى الجميع على حد سواء » بعض الامثلة والنماذج لملامح مجتمع الايمان وأخلاقه، وسلوكه ومعاملاته على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى عهد أصحابه والتابعين لهم باحسان، أولئك الذين استضاءوا بنور النبوة، وساروا على دربها آمنين راشدين، ذلك أن المبادىء مهما سمت فى نفسها، والشعارات مهما ارتقت فى ذاتها، فلا يمكن لها أن تقوم بنفسها وانما تقوم بمن يتبناها ويحتضنها ويتمثلها، ثم يتجلى بها على الوجود من حوله عملا طيبا، وسلوكا عاطرا، وسمتا جميلا، واسوة حسنة، قد استهواها الخير فاحبته، واخلصت له، ودانت له بالولاء والوفاء، حين جعلت منه واقعا ملموسا يمس كل شىء يرتبط بحياتها، أو يتعلق بأمر من أمورها .

اننا لا نكتم القارىء الكريم حديثا، حين نسر اليه بهذه الحقيقة، وهى أننا حين نسوق اليه بعض هذه الامثلة من النماذج والملامح والصور الاخلاقية والسلوكية، فانما نرجو مخلصين أن تستهوى هذه الصور من قد يتاملها، وينفعل بها، فيحاول من بعد ذلك ان يعيد لامتنا المباركة بعضا من جوانب وجهها المشرق، وملامحها الجميلة، فما قيام هذا المجتمع المؤمن المأمول، واسترداده لطابعه المميز بكل خصائصه، وبعثه الى الوجود من جديد كأسمى وأبهى ما يكون الا بأفراد ممن تجسمت فيهم هذه الاخلاق والملامح، وتجسدت فيهم صورته، واستنبتت فى قلوبهم محبته والولاء والوفاء له .

لقد كانت أبرز ملامح مجتمع الايمان على عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - وسلفه الصالح الطيب من بعده ما سجله القرآن الكريم لهذا المجتمع الراشد المبارك من ملامح فى قوله تعالى « أشداء على الكفار رحماء بينهم » . ولقد أشرنا من قبل، الى بعض صور التراحم التى كانت تسود مجتمع الايمان على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وعهد السلف الصالح لامتنا، الامر الذى يؤكد أن تراحم مجتمع الايمان لم يكن مجرد شعار دعا اليه القرآن الكريم، وردده أهل الايمان به، ولكنه كان حقيقة واضحة تسيطر بوجودها على كل شىء، بل وتترك بصماتها على كل شىء، وتتجلى على الوجود فى ميدان الخلق والسلوك والسيرة والمعاملة، والسمت والحال .

وسنحاول اليوم أن نضيف شيئا جديدا الى ما سبق أن بدانا الله اليه من صور التراحم لا يعتمد على الناحية الخطابية بقدر ما يعتمد على الجانب العملى والواقع السلوكى، والحقيقة التاريخية .

لقد بلغ الامر بهذا المجتمع المتراحم حدا الزمهم العناية باليتامى، والمساكين، والجيران، والتواصى بهم كلما أشرق عليهم صبح، أو طلعت عليهم شمس .

فلقد أخرج الامام البخارى « فى الادب الفرد » عن الحسن البصرى رضى الله عنه - قال : « لقد عهدت المسلمين وان الرجل منهم يصبح فيقول : ياأهلية .. يا اهلية، يتيمكم .. يتيمكم » أى أوصيكم به خيرا، فترحموا ضعفه ويتمه ياأهلية .. ياأهلية .. مسكينكم .. مسكينكم : ياأهلية .. ياأهلية .. جاركم .. جاركم، أى استوصوا به خيرا كما امركم الله ورسوله » .

وبلغ التراحم بهذا المجتمع الميمون المبارك حدا بعيدا قد لا يتصوره بعض الناس : ولكن الواقع العلمى والتاريخى فى أوثق مصادره قد عنى بتسجيله واثباته ليكون مصدر أسوة وقدوة لاهل الايمان أينما ضمهم مجتمع على ظهر الارض الى يوم القيامة .

فلقد مر قوم بابى ذر الغفارى رضى الله عنه حين كان بالربذة فرأوا عليه، حلة وعلى غلامه مثلها تماما .. فلما جلسوا للطعام : نادى أبو ذر غلامه فاجلسه معه فعجبوا من ذلك .. فقال - رضى الله عنه « ؟ انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ان اخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم : فمن كان اخوه تحت يده فليطعمه مما ياكل : وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم : فان كلفتموهم فاعينوهم : رواه الشيخان عن المعرور بن سويد .

وبلغ بهم تراحمهم : ورقة عواطفهم : وشفافية وجدانهم : وحساسية ضمائرهم لا سيما بالضعفاء منهم كالرقيق حد ان كانوا يرون ان لا كفارة لاساءتهم اليهم : وان لا جبر لقسوتهم عليهم الا باعتاقهم والمن عليهم بالحرية .. ذلك ما أكده الواقع التاريخى فى هذه القصة :

؟ عن هلال بن يساف قال : كنا نبيع البز فى دار سويد بن مقرن : فخرجت جارية فقالت لرجل شيئا وما لنا الا خادم : فلطمها ذلك الرجل : فقال له سويد بن مقرن : ألطمت وجهها .. لقد رايتنى سابع سبعة وما لنا الا خادم فلطمها بعضنا فامره النبى صلى الله عليه وسلم ان يعتقها » . أخرجه البخارى فى الادب الفرد » .

وكان من تراحم ذلك المجتمع وتلاحمه أن كان التواصى بالخير، والدعوة الى التزام البر والرشد طابعا وشعارا، وخلقا وسلوكا يتميز به ذلك المجتمع المؤمن الميمون .. لقد كان الرجلان من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا التقيا لم يفترقا حتى يقرأ أحدهما على الاخر هذه السورة المباركة الوجيزة « والعصر . ان الانسان لفى خسر . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » .

ولقد كان رب الاسرة وعائلها ، لا يكاد يخرج من بيته حتى يوصيه أهله بالخير ، ويذكرونه بالبر والرشد لا سيما وهو فى طريقه الى السعى على رزقه ، واكتساب نفقة أهله ..

لقد كانت آخر كلمات يسمعها الرجل ، وهو يتهيأ الى مغادرة بيته ، ومفارقة أهله .. ما يقوله له اهل البيت حينئذ « اتق الله ولا تكسب حراما .. فانا نصبر على الجوع ولا نصبر على حر جهنم » .

وأى تراحم وتلاحم هو أسمى وارقى ، وأزكى وأعظم من ذلك ؟

واذا كانت بعض مجتمعاتنا اليوم ، تعانى من مشكلتين خطيرتين ، بل وتئن منهما ، وتصطلى بنارهما وهما مشكلتا ارتفاع الاسعار ، وأزمة الاسكان ، وذلك قد يكون بسبب مغالاة بعض التجار فى مكاسبهم ، وعدم اكتفائهم بالقليل الحلال من الربح ، أو بسبب تعنت ومغالاة بعض أصحاب المساكن فى ايجاراتهم وشروطهم القاسية لمن يحتاجون الى المسكن .. فان مجتمع الايمان المتراحم على عهد السلف الصالح ، لم يكن يعانى شيئا من ذلك .. الامر الذى يؤكد أن أمثال هذه المشاكل انما تبرزالىالوجودفى وحشية وضراوة وقسوة ، عند غيبة الايمان ، وانطماس ملامحه وسلوكه ، وفى قمة ذلك التراحم والرحمة . وذلك قد يكون وراء ما أشار اليه النبى - صلى الله عليه وسلم - فى قوله « لن تؤمنوا حتى ترحموا .. قالوا يارسول الله كلنا رحيم .. قال : انها ليست برحمة أحدكم صاحبه ، ولكنها رحمة العامة » .

ولقد سجل الامام الشاطبى فى واحد من كتبه بعض ملامح هذا المجتمع المؤمن كما كانت على عهد السلف ، وكما ينبغى أن تكون الى يوم القيامة فقال : « وتجدهم فى الاجارات والتجارات لا يأخذون الا باقل ما يكون من الربح أو الاجر ، حتى يكون ما حاول أحدهم من ذلككسبالغيره لا له .. ؟! ولذلك بالغوا فى النصيحة فوق ما يلزمهم ، لانهم كانوا وكلاء للناس لا لانفسهم بل كانوا يرونالمحاباةلانفسهم وان جازت كالغش لغيرهم » « جـ ٢ ص ١٩٥ من كتاب الموافقات » ، واية رحمة وخلق هو أسمى وأزكى من ذلك ؟

وفى الوقت الذى تطالعنا فيه بعض الصحف والمجلات بانماط شاذة لبعض الملاك الذين يتصرفون فى قسوة وغلظة وجفوة مع من يستأجرون منهم بعض عقاراتهم ، مستغلين فى ذلك بعض ثغرات القانون ، أو ضعف من يطاردونهم من مساكنهم ، يسجل التاريخ شيئا من واقع المجتمع المؤمن المتراحم على عهد السلف نذكر به ليكون لمجتمعنا فيه أسوة حسنة ، لمن كان يرجو الله واليوم الاخر .فنقول: ؟ لقد اشترى الامام الليث بن سعد مرة دارا بيعت « بالمزاد » فلما أرسل المفاتيح ليتسلمها وجد رسوله فى الدار أيتاما وأطفالا صغارا ، سالوه بالله أن يترك لهم الدار ، فلما بلغ ذلك الامام الليث قال لمن أرسله : اذهب اليهم فأخبرهم أن الدار لهم ومعها ما يصلحهم كل يوم . ونذكر أرباب التجارات بهذا الموقف لعثمان بن عفان رضى الله عنه : فى عام المجاعة على عهد عمر رضى الله عنه - لقد جاءت قافلته التجارية من الشام والتى تبلغ ألف بعير محملة بالسمن والقمح وما يحتاجه الناس فهرع اليه التجار ليشتروها منه فجرى بينه وبينهم أعجب حوار وأروعه نسوقه الى كل مسلم ليكون له فيه عبرة وأسوة .

عثمان : بكم تشترون منى هذه القافلة .. ؟

التجار : نعطيك عليك ربحا بالمائة خمسة .

عثمان : انى وجدت من يعطينى أكثر ..

التجار : نعطيك عشرة بالمائة .

عثمان : وجدت من يعطينى أكثر ..

التجار : ها نحن أولاء تجار المدينة ، والقافلة قد وصلت الان . فمن هم الذين أعطوك هذا الربح ؟ .

عثمان : انى وجدت الله يعطينى ربحا على الواحد عشرة الى سبعمائة ضعف ، الى ما شاء الله ، أشهدكم أنى بعتها لله ، وانها صدقة على المسلمين .. ! وتبرع بها للشعب بما فيها من أحمال ، وطعام ، وكسوة !!

ولم تكن الرحمة فى عهد سلف هذه الامة الصالح بوقف على عامة الناس من أفراد ومحكومين ، ولكن الرحمة كانت حظ الحاكمين والقادة للناس كذلك ، بل كانت حظوظ الحكام والقادة من الرحمة أوفر من حظوظ غيرهم منها من عامة الناس وسوادهم . وسنحاول فى السطور القليلة الاتية أن نعرض عدة مواقف تفيض بالرحمة وتقطر بالشفقة لاميز المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

فلقد كان رضى الله عنه - قلب أمته النابض بالامها ومشاكلها ، وما يعانيه أفرادها ، ويكفى من ذلك ما كان منه فى عام المجاعة ، لقد حرم على نفسه اللحم والسمن حتى أسود لونه ، والتصق جلده بعظمه ، من اكله الزيتورديء الطعام .. وحين كان يقال له فى ذلك يقول : لا والله لا آكل اللحم والسمن حتى يأكلمنهماالناس .. !

لقد كان يرى أكله من طيب الطعام .. فى الوقت الذى لا يستطيع أن ينال منه سائر الناس ضربا من الخيانة لله ورسوله وعامة الناس .. ولم يكن يرى فيه جانب الرحمة لهم فحسب .

ولم تكن هذه الرحمة لتقتصر على هذا الموقف فقط .. بل كانت هناك مواقف حاسمة لم تكن تمضى دون أن يكون لها رد فعلها الحاسم ، وقرارها الاكثر حسما الذى يصدر عن الرحمة فى جملتها ويمضى معها الى نهاية الشوط ..

فلقد سجلت سطور التاريخ لعمر الحاكم والقائد : أنه خرج ذات ليلة يعس ، ويتحسس مشاكل الناس وآلامهم فاذا به يسمع بكاء طفل صغير ، واذا امرأة داخل بيتها تقول : الويل لعمر من ربه يوم القيامة ، ولما أشرق الصبح تعرف عمر على ما تعانيه المرأة وولدها ، لقد علم أن الطفل رضيعوان أهلهفقراءهم أعجز من أن يدبروا له نفقات اللبن والغذاء لان عمر كان قد قصر العطاء على كل فطيم .. وهنا عرف عمر رضى الله عنه - حجم المشكلة ،وحجمدوره فيها .. فقال يلوم نفسه ، الويل لعمر ، ولام عمر ، كم قتل من أطفال المسلمين ؟ وأمر بمن ينادى فى الناس : فيقول « ان عمر قد فرض عطاءا لكل مولود فى الاسلام مائة درهم ، فاذا ترعرع زاده الى مائتين ، فاذا بلغ زاده كذلك ! » .

ولم تقتصر رحمة عمر رضى الله عنه على اهل الاسلام من رعيته وانما شملت أهل الذمة وغيرهم ، وذلك ما سجلته وقائع التاريخ فى هذا الباب .. يوم مر عمر بشيخ كبير يسال الناس فاسترعى ذلك انتباهه ، فساله : من انت ياشيخ ؟ قال : ذمى من اليهود ، أسال للجزية ، وأسال للحاجة فقال عمر رضى الله عنه « فى رحمة ورقة » ما انصفناك .. أكلنا شبيبتك ، ثم نضيعك فى شيخوختك ؟ ثم أخذه الى بيته فاعطاه هناك ما وجده ، وأرسل الى خازن بيت المال : انظر الى هذا وضربائه فافرض لهم من بيت المال ما يكفيهم وعيالهم بالمعروف .

ويسجل التاريخ لهذا الحاكم الرحيم ، هذا الموقف الرائع : ، لقد كان عمر يطعم الناس بالمدينة وهو يطوف عليهم بيده عصا فمر برجل يأكل بشماله ، فقال : يا عبد الله كل بيمينك قال : يا عبد الله انها مشغولة ثلاث مرات قال : وما شغلها ؟ قال : اصيبت يوم مؤته ، قال : فجلس عمر عنده يبكى .. فجعل يقول له : من يوضئك ؟ من يغسل رأسك وثيابك ؟من يصنع كذا وكذا ؟ فدعا له بخادم ، وأمر له براحلة وطعام ، وما يصلحه وما ينبغى له ، حتى رفع أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - أصواتهم يدعون لعمر ، لما راوا من رحمته ورقته بالرجل : واهتمامه بامر المسلمين .

، للبحث صلة باذن الله تعالى

العوالم غير المنظورة

الأستاذ محمد المتولى النظامى

للايمان ستة اركان ، منها ما هو غيبى يقينى ، ومنها ما هو مشاهد حسى ، ولا يكمل ايمان المرء بدون الايمان بهما ، ولا تتحقق سعادة الدارين بدون العمل والتمسك بمستلزمات هذا الايمان قال تعالى :

« أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى فى الحياة الدنيا ، ويوم القيامة يردون الى اشد العذاب ، وما الله بغافل عما تعملون »

وهذه الاركان كما هو معلوم من الدين بالضرورة هى :

١ - الايمان بالله واهب الاعمار والارزاق والخيرات فنأتمر بما أمر به ، ونبتعد عما نهى عنه وصدق قول الله عز وجل : « **ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا** »

٢ - والايمان برسل الله الذين اصطفاهم الله فبلغوا الرسالة وتحملوا الاذى والاهانة فنقتدى بهم ونقتبس من أقوالهم وأفعالهم ما يطهر قلوبنا ، ويوجهنا الى الخير قال تعالى :

« **ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء ، فآمنوا بالله ورسله وان تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم** »

٣ - والايمان بكتب الله التى هى كلام الله وقوانين السماء ومصدر التشريع الالهى التى أنبأنا بها القرآن الكريم . وصدق قول الله « **أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها** » ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « **ان أردتم عيش السعداء ، وموت الشهداء فعليكم بالقرآن فانه كلام الرحمن وحرز من الشيطان** » .

٤ - والايمان بالقضاء والقدر الذى يجرى بالخير دائما وان خفيت علينا المنفعة أحيانا قال تعالى :

« **وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون** » .

٥ - ثم الايمان باليوم الاخر ، وما فيه من ثواب وعقاب ، وجنة ونار ، « **يوم تبدل الارض غير الارض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار** » يوم ينادى المنادى : لمن الملك اليوم لله الواحد القهار . وصدق قول الله عز من قائل : « **أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون ، فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم** » ويقول سبحانه وتعالى : « **بل الذين لا يؤمنون بالاخرة فى العذاب والضلال البعيد** »

٦ - والايمان بعوالم أخرى غير منظورة وموجودات غيبية وهى عالم الملائكة ، وقد تسمى جنا لاستتارها واختفائها عن الاعين قال تعالى : « **وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون** » . والملائكة لا يوصفون بالذكورة أو الانوثة خلقهم الله من نور . وجعل لهم القدرة على التشكل فى المناظر الخيرة ، وجعلهم اخيارا لا يزينون الشرور ، وجعل علاقتهم بالبشر وبخاصة المؤمنين منهم علاقة محبة وصفاء يزينون الخير لهم ويحببونهم فيه . يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« **خلق الله الملائكة من نور ، وخلق الجان من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم ! وقال سبحانه : « وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون** » وللملائكة أعمال ووظائف وكلها الله اليهم ، وكلفهم بها :

١ - فهم يبلغون رسالات السماء للانبياء قال تعالى : « **هل آتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين ، اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون ، فراغ الى اهله فجاء بعجل سمين فقربه اليهم قال الا تأكلون فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم** » .

ويقول عز من قائل : « **قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك فأسر بأهلك بقطع من الليل** » وذاك جبريل كان ينزل على رسول الله فى صور بشرية أحيانا يسأله ويعلمه ويحفظه كتاب الله ويعلمه الصلاة .

٢ - وهم يسجلون على الانسان اعماله من خير أو شر قال تعالى : « **وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون** !

ويقول وهيب رضى الله عنه : « ما من ميت تحضره الوفاة حتى يتراءى له ملكاه الكاتبان لاعماله فان كان مطيعا قالا

له : جزاك الله عنا خيرا فكم من مجلس صدق أجلستنا ، وعمل صالح أحضرتنا وكلام طيب أسمعتنا · وان كان فاجرا قالا له : لا جزاك الله عنا خيرا ، فكم من مجلس سوء أجلستنا ، وعمل غير صالح أحضرتنا ، وكلام قبيح أسمعتنا فلا جزاك الله عنا خيرا ·

٣ - وهم يحضرون مجالس العلم التى يذكر فيها الله ويتدارس فيها العلم يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « **ان لله ملائكة يطوفون فى الطرق يتلمسون أهل الذكر فاذا وجدوا قوما يذكرون الله تعالى تنادوا هلموا الى حاجتكم فيحفونهم بأجنحتهم** · ويقول صلوات الله وسلامه عليه : « **ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده** » ·

٤ - وهم يسبحون بحمد الله ويستغفرون للمذنبين من المؤمنين ويصلون عليهم ، والصلاة من جانبهم دعاء لله ورجاء ومن جانب الله رحمة وغفران قال تعالى : « **الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ، ويستغفرون للذين آمنوا ، ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم** » وقال عز من قائل : « **هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور** » ·

٥ - وهم يوالون المؤمنين ويثبتون أقدامهم فى جهادهم ، ويخدمون أرواحهم لانها أرواح طاهرة ترجو خيرى الدنيا والاخرة وفى غزوة بدر كلفهم الله بتثبيت المؤمنين فى جهادهم · قال تعالى « **اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب** » ·

وفى غزوتى الخندق وحنين أمد الله المؤمنين بهم قال تعالى فى غزوة الخندق :

« **يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها** » ويقول سبحانه عن غزوة حنين « **ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ، ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها** » ·

وذلك سيدنا عمر يهتف وهو يخطب الجمعة بمسجد المدينة قائلا : يا سارية الجبل فتبلغ الملائكة نداءه الى سارية بن زنيم والى جنود المسلمين فى معركة يجرد ببلاد فارس ة وصدق قول رسول الله فيما يرويه عن رب العزة : « **ان من عبادى من لو أقسم على الله لابره** » ·

٦ - وهم يقبضون الارواح عند الوفاة قال تعالى « **قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون** »

ويتلقون المؤمنين بالبشريات الطيبات ويتلقون الجاحدين بالعنف والتعذيب قال تعالى عن المؤمنين : « **لا يحزنهم الفزع الاكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الاخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم** » ·

ويقول سبحانه عن الجاحدين « **فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم** »

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم - ان الميت تحضره الوفاة - فان كان الرجل الصالح قالت الملائكة أخرجى أيتها النفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب - أخرجى حميدة وابشرى بروح وريحان · وان كان الرجل السوء قالت الملائكة أخرجى أيتها النفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث أخرجى زميمة ، وابشرى بجحيم وغساق وآخر من شكله أزواج ·

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لن يخرج أحدكم من الدنيا حتى يعرف أين مصيره حتى يرى مقعده من الجنة أو النار » ·

ويقول : اغتنم خمسا قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل مرضك · وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك ·

على انه اذا كانت الملائكة من العوالم الخفية غير المنظورة والموجودات الغيبية فان الجن أيضا من العوالم الخفية غير المنظورة والموجودات الغيبية ، وسموا جنا لاستتارهم واختفائهم عن الاعين قال تعالى « **انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم** » وقد خلقهم الله من نار السموم · وهى نار صافية لا لهب لها ولا دخان قال تعالى : « **والجان خلقناه من قبل من نار السموم** »

وبما أن النار مصدر الحرارة فى كل نجم ملتهب فقد ذهب بعض العلماء الى أن مايقال عن وجود أحياء فى بعض الكواكب لا يستبعد أن يكونوا جنا وقد توصلوا الى مخترعات من الممكن أن تؤثر فى عالمنا « **وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون** »

والجان مكلفون مثلنا بالايمان ، محاسبون على أعمالهم ورسول الله أرسل اليهم كما أرسل الينا ، وقد ذهب مع ابن عباس الى جن نصيبين وقرأ عليهم القرآن قال تعالى : « **قل أوحى الى انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا** » ·

والجن نوعان مسلم وكافر ، يقول الحق تبارك وتعالى : « **وانا منا المسلمون ومنا القاسطون** » أى الجائرون عن الحق الظالمون ويقول سبحانه « **وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك · كنا طرائق قددا** » · والكافرون من الجن هم الشياطين وابليس من مردة الشياطين حقد على آدم ، وامتنع عن الاعتراف بتفضيل آدم حيث أرجع الفضل الى معدن التكوين لا الى الصفات والتصرفات والاعمال الخيرة قال : « **أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين** » ودفعه الحقد الى الكيد لادم وحواء ، ودفع الحرص آدم وحواء باغراء الشيطان وارادة الله - الى الاكل من الشجرة المحرمة مع وجود نعم كثيرة لا تحصى - وعصيا ربهما - فأخرجهما من الجنة لتعمير الارض وليتصارع الخير والشر ثم تاب آدم فتاب الله عليه وغفر له قال تعالى « **فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه ، وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم** » ·

وقد أقسم ابليس لينتقمن من ذرية آدم قال تعالى « **قال فبعزتك لاغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين** » وقد حذرنا الله منه فقال سبحانه « **يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان** » وقال « **ان الشيطان للانسان عدو مبين** » ·

وبعد أن حذرنا سبحانه منه بين أن جهنم جزاء من يستجيب لاغرائه فقال تعالى :

« **اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا** » ·

والعفاريت من أقوياء الشياطين ، وهم يتصفون بالقوة الخارقة ويستطيع الواحد منهم أن ينقل القصور الى مكان بعيد دون أن يحدث لها تفكك قال تعالى فى قصة بلقيس وعرشها : « **قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وانى عليه لقوى أمين** » ·

والقرآن يسمى كل متنمر وكل مؤذ شيطانا فيطلق على الميكروب شيطانا لاختفائه وايذائه ، ويشبه الشىء المنفر المخيف برؤوس الشياطين فيقول : « **واذكر عبدنا أيوب اذ نادى ربه انى مسنى الشيطان بنصب وعذاب** » ويقول جل شأنه عن شجرة الزقوم : « **انها شجرة تخرج فى أصل الجحيم طلعها كأنه رؤوس الشياطين** » ·

والشيطان يزين للانسان الشر بدافع الحقد لادم وذريته فهو وراء كل اثم وكل منكر يوسوس ويزين ويغرى ويثير الغرائز ، وينتحل الاعذار الخداعة لكل عمل شرير ، ويعلل ذلك للانسان بانه مغلوب على امره حتى يصبح طوع أمره ورهن اشارته ، فيستجيب لاقل مؤثر ، ويصبح كالذى يتخبطه الشيطان من المس ، ويرتكب حماقات تجعله يخسر الدنيا والاخرة ، ولا يشعر بهدوء نفسى أو استقرار فكرى . قال تعالى : « **ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين** » وقال عز من قائل : « **استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون** » . فالشيطان وراء كل غضب وكل منكر والشيطان وراء كل حرص وكل بخل . والشيطان وراء كل مجاهد يخيفه ويزين له الهرب قال تعالى : « **الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء** » وقال عز من قائل : « **ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله** »

ولقد سئل الامام على عندما صنع لصدره غطاء من زرد يتقى به الضرب دون ظهره فقال لن أعطى ظهرى للعدو أبدا والله تبارك وتعالى يرسم لنا طريق التخلص من الشيطان واغرائه وذلك بأن نلجأ الى الله دائما بالندم والتوبة والاستغفار الصادق ، والاستعاذة من الشيطان الرجيم لان الله يتقبل الدعاء ويحقق الرجاء وينجى من اغراء الشيطان قال تعالى: «**وأما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم** » ويقول « **وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون** »

ويقول جل شأنه : « **فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين** »

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « **من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا ومن كل هم فرجا ورزقه من حيث لا يحتسب** » .

ويقول : ان للشيطان لمة يابن ادم وللملك لمة ، فأما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق . وأما لمة الشيطان فايعاد بالشر فمن وجد الاولى فليحمد الله على ذلك ومن وجد الاخرى فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ..

ويبين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن القرآن حارس للانسان ليلا يمنع عنه الاذى (ما من مسلم يأوى الى مضجعه فيقرأ سورة من كتاب الله عز وجل الا وكل الله عز وجل به ملكا ، فلا يقربه شىء يؤذيه حتى يهب متى هب .

ثم يبين ان الانسان اذا قرأ القرآن فى وقت يستجاب فيه الدعاء وقاه الله من كل سوء فيقول : من قرأ بعد صلاة الجمعة قل هو الله أحد ، وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس أعاذه الله بها من السوء الى الجمعة الاخرى .

وبعد ذلك نستطيع أن ندرك

١ ـ ان الملائكة الذين يزينون الاعمال الخيرة ويتشكلون فى المناظر الخيرة ويجلسون فى الاماكن الخيرة ويقبضون الارواح بأمر الله ، لا يمكن أن يخضعوا لارادة البشر ، فهم يفعلون ما يأمرهم به الله،وهم لا يعصون الله ما امرهم،وهم لا يتحركون الا باذن الله ، وهم لا يتناولون الشرور وبذلك كانوا أقوى من أن يتحكم فيهم انسان أو يسخرهم انسان مدعيا انه يسخرهم بقراءات معينة وتعاويذ وكل من يزعم ذلك فهو كاذب .

٢ ـ وكما أن الملائكة لا تخضع لبشر فكذلك الروح بعد أن تتحرر من عقال الجسد وترجع الى خالقها فانها تنطلق الى عالم أسمى ، وتتحرر من تبعية الانسان ، ولا تخضع لامر صادر من بشر ، وتصبح بعيدة عن ماديات الدنيا ، وعن أن تعود الماديات لها وعاء ، وبذلك يكون كذبا ما يقال أن هناك من يستطيع تحضيرها فالحق تبارك وتعالى يقول عن الارواح فى عالم البرزخ : « **ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون** » .

ويقول سبحانه مبينا عجز البشر عن التحكم فى الروح متى تقرر خروجها : « **فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم صادقين** » وان كانت الروح قد تأتى بارادتها وتتحدث الى أحبابها فى المنام ويتحدثون اليها « **وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الاخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون** »

٣ ـ أما الجان فان لهم قدرة على التشكل والتشبه وهم يزينون الشرور ، ويسكنون الاماكن الخربة ويتشبهون بأشياء مؤذية ، ويظهرون لبعض الناس ، وقد يمسون بعض ضعاف الارادة من الناس ، ولعل هذا يفسر ما يشعر به البعض أحيانا من قشعريرة تأتى خارجة عن الارادة دون أن يعرف مصدرها ودون أن يكون هناك ما يبررها . ومس الجن لضعيف الارادة يكون باحاطته باطار منها وهو فى حال خوف أو ضعف أو غيبوبة دون تلمس لجسد منها . فيسمع لها صوت رفيع متقطع غير صوت الانسان المعروف يقول الحق تبارك وتعالى : « **الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس** »

ويجب ألا يغيب عنا ان الجان لا يعلمون الغيب فالغيب قد اختص بعلمه الله : « **وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا** » . والجان نفس ، والله قد سخر الجن لسليمان . فلما مات استمرت تعمل دون أن تعلم بموته قال تعالى : « **فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل من منسأته فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين** » ومن ذلك نستطيع أن نتبين أن كل من يزعم انه يعلم الغيب المستقبل عن طريق الجان وتسخيره يعتبر دجالا ـ وان كان من الممكن أن يتصل بالجان ويسخره فى معرفة الغيب الماضى والحاضر الذى لا يعرفه غير صاحبه فذلك كما يعرف عن طريق الجان قد يعرف عن طريق الالهام قال تعالى : « **ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء** » وقد يتمكن البعض من الاتصال بالجن وتسخيره للاذى والضرر على أن من يتصل بها لا يظفر بخير .. قال تعالى : « **وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا** » .. وقال جل شأنه « **ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس ، وقال أولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا قال النار مثواكم** » .

والعلماء يمنعون أن تحمل المرأة من جان حتى لا تدعى كل من حملت سفاحا أن الجان قد اتصل بها ، ويبدون أن من يزعمون انهم يحضرون الارواح انما هم يكذبون . وانما هم يستطيعون احضار الجان أو قرين الانسان بالذات ، لان قرين الانسان من الجان يحيا بعد موت الانسان ، وعمره أطول من عمر الانسان ، وهو يعرف كل شىء عن حياة الانسان ، وقد يعرف الغيب الماضى أو الحاضر الذى لا يعرفه سوى صاحبه ولكنه يستحيل أن يعرف الغيب المقبل قال تعالى عن قرين الانسان من الجن : « **وقال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان فى ضلال بعيد** » .

٤ ـ وكما أن الجان لا يعرف الغيب فان المنوم المغناطيسى أبعد ما يكون عن معرفة ذلك اذ أن الوسيط انما يقرأ أفكار المنوم ـ والمنوم يستقى أفكاره بالفراسة من الجو المحيط به وبذلك تكون النتائج غير حقيقية ، وصدق قول الله : « **ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا ـ وما تدرى نفس بأى ارض تموت** » ويقول عز من قائل :

« **عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول** »

وصدق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **كذب المنجمون ولو صدقوا** » .

أمـة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

الأستاذ أحمد وافى

تطبيق الشريعة الاسلامية أصبح مطلبا جماعيا ، يتردد تحت قبة مجلس الشعب وعلى صفحات الصحف ، وان هذا لهو الاحرى بدولة اسلامية كبرى لها مكان الصدارة بين شعوب العالم الاسلامى وقد كان – ولم يزل – أمرا غريبا وغير مستساغ أن يتحاكم المسلمون فيها الى قوانين موضوعة ومستوردة ، وبينهم كتاب الله عز وجل ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيهما الغناء كل الغناء ، ذلك الى ان هذه الدولة تتميز بوجود الازهر الشريف أعلى واضوأ منارات الدين فى الاسلام ، وفيه ومنه تطلع وتتألق كوكب العلوم الدينية والفقهية ، ويتوارد على منهله الثرار قوافل الرواد من شتى أنحاء العالم .

والامر تاريخيا ليس سوى العودة الى ما كان عليه حال المسلمين قبل أن يغزوهم الاستعمار الاجنبى ويسلط عليهم شروره ومفاسده ، ويباعد بينهم وبين دينهم وشريعتهم ، ولهذا فانه من الواجب الحتم ، بعد أن تحررت الدول الاسلامية من هذا الاستعمار أن تعود الى دينها عبادة وأعمالا وتحاكما .

ولا ينال من قوة الحق فى هذا المطلب الجماعى ، أن من بين المفكرين عندنا من يرى أخذ الامر بالتريث والحذر ، فالناس – فى تقديرهم – قد عاشوا دهرا طويلا على أوضاع اجتماعية وأخلاقية ، وتعاملية ، الى آخر ما يتخبطون فيه من أحوال ومتناقضات مخالفة لاحكام الشريعة الاسلامية .. فليس من السهل مفاجاتهم باقامة أحكامها وحدودها وهم على تلك الحال ، فاجتنابا لما يحدثه ذلك من اهتزاز غير مأمون فى حياتهم القائمة ، ينبغى أن يسبق التطبيق التمهيد له بالتغيير ، وتهيئة المجتمع ليكون متوافقا مع التشريع الجديد الى آخره ..

ونحن لا نشك فى حسن نواياهم ، ولا نراهم أقل من غيرهم رغبة فى سيادة الشريعة الاسلامية ، ولكننا لا نوافقهم فى نظرتهم المرجئة الحذرة ، ذلك لان هذه الشريعة الصالحة لكل زمان ولكل مجتمع ، قد طبقت ، أول ما طبقت ، على المجتمعات الاولى التى كانت تعيش قبل الاسلام فى أعماق الجاهلية بمواريثها وتقاليدها ووثنيتها ومنكراتها ومتناقضاتها ، فاستطاعت أن تخرجها من الظلمات الى النور ، وأن تحكمها بقانون الله الذى لم يكن لها به عهد ولا علم ، والمجتمع الاسلامى فى عهد رسول الله نفسه لم يكن مجتمع ملائكة فقد كان فيه أثمة وفجار أخذوا بذنوبهم وأقيمت عليهم الحدود ؟

ويبدو أن هذا الفكر المرجىء الحذر كان قد دخل على بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما يدل على ذلك حديث أنس بن مالك رضى الله عنه ، قال : قلنا يا رسول الله لا نأمر بالمعروف حتى نعمل به كله ، ولا ننهى عن المنكر حتى نجتنبه كله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بل مروا بالمعروف وان لم تعملوا به كله ، وانهوا عن المنكر وان لم تجتنبوه كله » .

وواضح أن الرسول الكريم لا يعنى الاخذ ببعض الامر وترك بعضه ، وانما يعنى حتمية السير على طريق الله ، والخطوة الاولى تتبعها خطوات حتى تبلغ النهاية المرتجاه

ومن الحقائق الثابتة أن الشريعة الاسلامية ، هى دون غيرها ، السبيل الى اصلاح المجتمع وتطهيره وتقويم المعوج من أخلاق الناس ومعاملاتهم ، فالتعجيل فى تطبيقها أجدى على الامة بلا مراء .

ولكن الرأى الذى يفرض نفسه ، هو أن تطبيق الشريعة الاسلامية ، لا يكفى لتحقيقه أن تصبح مجرد قانون من قوانين الدولة ، فما أكثر ما عندنا من قوانين معطلة أو موءودة بالاهمال أو بسوء التطبيق .

ولا يجوز أن يقع هذا لقانون الشريعة الاسلامية . اجلالا لها وتحقيقا لما يراد بها من خير واصلاح .

ولا يكون ذلك الا اذا تلاقت فيه الدولة والشعب ، وكلاهما فى موقف المسئولية والحساب تجاه هذا الامر بالذات بحكم الدين نفسه .

أما الحاكم وهو ولى أمر المسلمين ، ففى يده القوة المنفذة ، من شرط وقضاء ، وارصاد وعيون ، وحق الله والامة عليه ، الا يغفل قط عن متابعة مراقبته للموكلين بهذا الامر ، حتى يظل القانون حيا ومرهوبا ، كما ينبغى ان يكون هو بشخصه ، وفيما يرى الناس من أعماله ومواقفه المتسمة بالتقوى والحزم والعدل ، قدوة صالحة ، يقتدون بها ، فذلك حكم الله عز وجل حيث يقول : « الذين ان مكناهم فى الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر » .

وخير ما نتمثل به فى هذا المقام هو ما نعرضه فيما يلى مقتطفا من كتاب طاهر بن الحسين (وهو من اعلام الدولة العباسية فى عصر المأمون) الى ولده عبد الله بن طاهر حين ولاه المأمون على الرقة ومصر وما بينهما ، وهو كتاب جامع شامل يعد فى الحقيقة أوفى ما كتب فيما ينبغى أن يكون عليه ولى الامر فى أى موقع من مواقع الحكم والسلطان ، وقد اعجب به المأمون عندما اطلع عليه وأمر أن ينشر على ولاة الاقطار وعمال الدولة ليكون دستور اعمالهم . كما اعجب به الامام ابن خلدون فاثبته حرفيا فى مقدمة كتابه المشهور

يقول طاهر بن الحسين لولده عبد الله ناصحا ومسددا :

« ان الله سبحانه وتعالى قد اوجب الرأفة عليك بمن استرعاك أمرهم من عباده ، والزمك العدل فيهم والقيام بحقه وحدوده عليهم » .

« وليكن أول ما تلزم به نفسك المواظبة على ما فرض الله عز وجل عليك من الصلوات الخمس والجماعة عليها بالناس قبلك وتوابعها على سنتها » .

« وآثر الفقه واهله ، والدين وحملته ، وكتاب الله عز وجل والعاملين به ، فان افضل ما يتزين به المرء الفقه فى الدين . فانه الدليل على الخير كله ، والقائد اليه ، والامر به ، والناهى عن المعاصى والموبقات كلها » .

« واسلك بمن تسوسه وترعاه نهج الدين وطريقه الاهدى ، واقم حدود الله تعالى فى اصحاب الجرائم ولا تعطل ذلك ولا تتهاون به » .

والكتاب طويل حاشد بالتوجيهات والنصائح القيمة مستقاة من كتاب الله وسنة رسول الله ومن المأثور بعده عن السلف الصالح ، فليرجع اليه من يشاء ، وحسبنا منه هذه القطوف بيانا لواجبات الحاكم ، ونعنى به كل من يلى امرا عاما للمسلمين فى أى موقع واول هذه الواجبات واحقها بالتقديم هو مواصلة الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فى أوسع دائرة وملاحقة القائمين على تنفيذ الشريعة باليقظة المتجددة ، والحساب الدقيق .

اما ما هو واجب وحق على المسلمين افرادا ، فقد بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كثير من احاديثه الشريفة كقوله : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك اضعف الايمان » .

ويعظم رسول الله من شأن الامرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، عندما سأله الصديق ابو بكر رضى الله عنه : يارسول الله ، هل من جهاد غير قتال المشركين ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « نعم ياابا بكر ، ان لله تعالى مجاهدين فى الارض افضل من الشهداء احياء يرزقون يمشون على الارض ، يباهى الله بهم ملائكة السماء ، وتزين لهم الجنة ، هم : الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر والمحبون فى الله ، والمبغضون فى الله » .

وان فى الناس من يرى منكرا فلا يغيره ولا ينكره ، تهاونا أو خوفا من ان تصيبه مضرة فى شخصه أو فى عرض من عروض دنياه ، فهذا وامثاله يقول فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من قوم عملوا بالمعاصى وفيهم من يقدر أن ينكر عليهم فلم يفعل الا يوشك ان يعمهم الله بعذاب من عنده » .

فالتهاون فى انكار المعصية ودفعها مع القدرة على ذلك ، كالتهاون فى دفع وباء خبيث واتقاء عدواه ، وليس وراء ذلك غير انتشار المعاصى ، مثلما تنتشر الاوبئة ، وهذا هو البلاء المدمر الذى يعم الجميع ، شرارهم وخيارهم على السواء .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يشدد فى التحذير من ذلك بقوله : « لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، او ليسلطن الله عليكم شراركم ، ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم » .

فالاخيار الصالحون اذا لم ينهضوا لهذا الواجب الذى ينيط بهم ، فان الاشرار العصاة يستفحل أمرهم ، ويملكون الامر عليهم ، فلا ينفعهم حينئذ صلاحهم وتقواهم وتغلق السماء دون دعواتهم .

وفى شمول المسئولية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عذب اهل قرية فيها ثمانية عشر الفا عملهم عمل الانبياء » فقالوا : يارسول الله : كيف ؟ قال : « لم يكونوا يغضبون لله ، ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر » .

وقد كان امير المؤمنين عمر بن الخطاب يرى فى اجتناب المعاصى والمنكرات قوة تعطى المسلمين المجاهدين نصرا على اعدائهم الذين يفوقونهم عددا وعدة ، ومثال ذلك ما كتبه الى سعد بن ابى وقاص قائد جيش المسلمين فى فتح فارس ، ففى هذا الكتاب يأمره ومن معه بتقوى الله فان تقوى الله افضل العدة على العدو ، ويقول : « وامرك ومن معك أن تكونوا اشد احتراسا من المعاصى منكم من عدوكم . فان ذنوب الجيش اخوف عليهم من عدوهم ، وانما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة ، لان عددنا ليس كعددهم ولاعدتنا كعدتهم الى آخر ما قال

ووصية عمر لقائده ظهرت ثمارها فى انتصارات المسلمين فى عهده وبعد عهده وكانت معركتنا الرمضانية أخيرا مع اسرائيل مصداقا لذلك ، اذ كان سلاحنا الاقوى فيها : صدق الايمان بالله والحق والتطهر من المعاصى والمنكرات .

واذا كان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر واجبا على كل مسلم ، فانه بخاصة واجب أشد الزاما على من يملكون القدرة له من علم وصلاح سيرة وسعة وقت ، ذلك لانه من غير المستطاع أن يفرغ الناس جميعا لذلك وهم المشغولين بأعمالهم ومزارقهم ومطالب حياتهم ، ولذلك قال الله تبارك وتعالى : (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) .

فهذه الامة المختارة أو على الاصح ، هذه الجماعة من الامة ، هى التى ألقى الله عليها هذا الامر العظيم ، وبديهى انها تكون ممن أوتوا علما وفقها فى الدين ، وخلقا قويما فى الناس ، وأن يكونوا ممن يأمرون بالمعروف ويفعلونه وينهون عن المنكر ويجتنبونه والا فسد أمرهم واصبح ضررهم أكثر من نفعهم ؟ وقد بين رسول الله مصير من يدعون الى الخير ويفعلون الشر فى قوله صلى الله عليه وسلم : « مررت ليلة أسرى بى بقوم تقرض شفاههم بمقارض من نار ، فقلت : من انتم ؟ قالوا : كنا

البقية ص ١٣٠

وأنه هو أضحك وأبكى

الأستاذ عبد السلام الشاذلى القوصى

لما كان عمر الانسان ، ولو طال ، كزياره ضيف ، أو سحابه صيف . ولا يعلم فى اى وقت يكون منتهاه . ولا مبلغ مداه . لزمه فى كل لحظة من لحظات الحياة ، ان يقرن عمله بتذكر لقاء مولاه . لانه هو الذى اضحكه وأبكاه . وهو الذى منحه القوة والقدره على العمل ليتمم ما نواه . وليعمل عمله الدنيوى مع ملاحظة اخراه . وليفوز بمرتبتين فيكون فى الدنيا منعما بمحاسن اعماله المأثورة ، وبعد موته بحسن السيره .

الدنيا التى نعيش فيها ضحكت علينا ، وضحكت منا . أما ضحكها علينا فقد غرتنا غرورا ابعدنا عن الدين وعن ساحة رب العالمين . والله جل جلاله يقول (وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور وقد حذرنا منها ومن غرورها ولكن لم نستمع لكلام رب العالمين ـ فعاش المغرور بين انواع اللهو والضحك والاستهتار والفجور والحرص على المال والزينة الفاجرة والجرى وراء الملذات والشهوات .

وضحكت منا استهزاء بنا لطول آمالنا دون ان نفكر ونتدبر العاقبة وننظر الى النهاية على أى حال تكون .

لقد درست انا صروف الزمان ، وتحسست مصائب الانسان ، فلم أجد أشقى من المريض . فبكيت لبكائه . ورايت الفقير فى اقصى الفقر يسكن كوخا وربما لم يجده فتوسد الغبراء والتحف بالسماء . وعشت معه واكلت من طعامه وشربت من شرابه ، ورغم ذلك لم يكن هناك اشقى من المريض . فبكيت لانى سمعت أنينه كعود بيد استاذ بارع يدق بانامله عليه ليخرج من نغمه تعبيرا عن الامه . ولم يجد من يرحمه قبلى هو وامكانى معه . ورغم ذلك لم أجد اتعس ولا اشقى من المريض .

ورايت العامل الفلاح يلبس خرقة بالية غير ساترة له يقف فى الحقل ليعمل والعرق يتصبب من بدنه كالمطر الغزير ليطعم سواه ، وأجره لا يكفيه ، ومع ذلك يصبر مع تأوهات حارة تخرج من فم لم يدخله من الطعام الا لقمة خبز جافة ، ناظرا بعينيه الى النعيم الذى ينعم به الغنى والموسر وهو يترنح من الخمر وبين اسراب الفساد ، فيبكى الفلاح وتهطل الدموع لانها هى رحمة الفقير ، ومع ذلك كله لم أجد أشقى من المريض .

فمن هو هذا المريض ؟ . انه هو ذلك الذى عرف أنه الى نهاية بالموت ان عاجلا أو اجلا فلم يتعظ ولم يستعد لهذا اللقاء ، بالعمل الصالح الذى يقربه الى رضاء رب العزه ، فهذا المريض هو الذى يحتاج الى علاج ، وعلاجه عند العلماء الذين اوصدوا الباب امام الناس فلم يتكلموا ولم ينصحوا خوفا من تعذيب الحاكم ونسوا أحكم الحاكمين ، فاصبحوا هم المرضى ويحتاجون الى طبيب .. الضحك فرحة ان الله لا يحب الفرحين) . والبكاء نعمة تحفف آلاف المحزونين ، ووسيلة التعبير لرب العالمين . وافضل البكاء ما كان من خشية الله تعالى وخوفا من عقابه وعذابه .

يقول سيدى على الخواص عليه سحائب الرحمة والرضوان ، وقد دخل عليه زائر فلم يجد فى بيته شيئا من المتاع ، فقال له : ما عندكم شىء ؟ . قال : بلى ، ولكن لنا داران ، دار خوف ، ودار أمان ، فنقلنا ما كان فى دار الخوف الى دار الامان ليكون محفوظا لوقت الحاجة . وقال الشيخ احمد بن ابى الحوارى : دخلت على

أبي سليمان الداراني رحمهما الله تعالى ، فوجدته يبكي ، فقلت له : يا استاذي ما الذي ابكاك ؟ فقال لي : يا احمد اذا جن الليل على المحبين صفوا اقدامهم وجروا دموعهم على خدودهم ، اشرف الجليل عز وجل عليهم ونادى « يا جبريل ، بعيني من تلذذ لكلامي ، واستراح الى مناجاتي وأنا المطلع عليهم ، اسمع حنينهم ، وأداوى انينهم ، فنادهم : ما هذا الجزع الذي أراه بكم ، هل اخبركم مخبر ان حبيبا يعذب حبيبه ؟ فبعزتي حلفت ، لا جعلن هديتي لهم اذا وردوا على يوم القيامه ان اكشف لهم عن وجهي الكريم ، ثم انظر اليهم وينظرون الى « ... افتلوموني يا احمد اذا بكيت على تخلفي عن هؤلاء القوم .

« **والله يدعو الى دار السلام** » ... دعا الاتام من دار الالام الى دار السلام ، فمن لبى فله تنشر الاعلام ، ومن أبى فبشقاوته جرت الاقلام ، دعاهم من دار أولها بكاء ، وأوسطها عناء ، واخرها فناء ، الى دار أولها عطاء ، وأوسطها لقاء ، وأخرها بقاء ، دعاهم من دنيا دنية ، الى عيشة رضيه ، دعاهم من دار التكليف الى دار التشريف ، دعاهم من دار اصلها مدريا وعيشها كدر ، ونفعها ضرر ، ووعدها غرر ، الى دار اصلها درر ، وعيشها لقاء ونظر ، وطرازها جنات ونهر ، ودار السلام هى الجنة ، يقول الشيخ ابو بكر ابن الشيخ محمد الملا الحنفى : ودار السلام الجنة ، والسلام من اسماء الله تعالى فمعناه دار الله ، دعاهم الى داره فنعم الدار دارهم ونعم المزار مزارهم ، ونعم الجار جارهم ، نعم الجار السيد المولى جل وعلا ، ونعم الرفيق مولايا محمد المصطفى .

تعالوا كل من حضرا
لنطرق بابه سحرا
ونبكى كلنا أسفا
على من بات قد هجرا

قال الله تعالى (**تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون**)

دع البكاء على الاطلال والدار
واذكر لمن بان من خل ومن جار

واذرف الدموع نحيبا وأيك من أسف
على فراق ليال ذات أنوار

ومن هذه الدموع العزيزة . دموع الفراق . دموع الاخلاص . دموع الوفاء . دموع الحب على من أحب ولمن أحب . تلك هى دموع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

روى ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت أمنا عائشة رضى الله عنها ، حين دنا الفراق . فنظر الينا (صلى الله عليه وسلم) فدمعت عيناه ، ثم قال : « **مرحبا بكم ، حياكم الله ، آواكم الله ، اوصيكم بتقوى الله ، وأوصى بكم الله ، انى لكم منه نذير مبين ، الا تعلوا على الله فى عباده وبلاده ، وقد دنا الاجل** والمنقلب الى الله تعالى والى سدرة المنتهى والى جنة المأوى والى الكأس الاوفى ، **فاقراءوا على انفسكم وعلى من دخل فى دينكم بعدى منى السلام** »

تلك هى الوصية الغالية . بالدموع العزيزة ، من القلب السليم والنفس الطاهرة من رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أمة الاسلام التى هى خير أمة اخرجت للناس .

هذه الوصية : بتقوى الله .. فأين هى هى الان فى هذا الزمان ... اعند الرجل الذى فقد مكانته فى البيت أم عند المرأة التى خرجت على الزوج واصبحت تلهو مع الشيطان او مع البنين والبنات فى جو تحيط به الشبهات أم مع اولئك الذين يدعون الناس الى الكفر والالحاد ويسعون بين الناس بالفساد والا تعلوا على الله فى عباده وبلاده .. فلماذا عذب الحكام الناس وحطموا شرف آدميتهم وقتلوهم وشردوهم واستحيوا نساءهم وطغوا فى البلاد حتى صب عليهم ربك سوط عذاب ؟ . فلعل من تسول له نفسه الطغيان ان يتعلم من صروف الزمان ما يكون وما قد كان ، حتى يكون فى أمان واطمئنان عند ملاقاة الواحد الديان .

مر الحسن البصرى رحمه الله تعالى بشاب مستغرق فى الضحك وهو يجالس اقواما فقال له الحسن : يا فتى هل مررت بالصراط ؟ قال لا . قال : هل تدرى ألى الجنه تصير أم الى النار ؟ قال لا . قال فما هذا الضحك ؟ . فما رؤى ذلك الفتى بعدها ضاحكا .

ودخل « **محمد فريد** » السجن ضاحكا ليعذب ، كما عذب الذين اخلصوا لله وللوطن واتجهوا لله . لان الاتجاه الى الله عندهم جريمة ولانهم لا يعترفون بوجود الله ، ولا قوة الله ولا قهر الله ولا بلقاء الله . وكانما وجد (محمد فريد) شيئا جديدا اهتزت له جميع احاسيسه فاستغرق فى الضحك وهو الرجل الذى ولد فى بيت كريم من بيوت مصر . وخرج (محمد فريد) من السجن (باكيا) كانما فقد شيئا وذلك عام ١٩١١ م . ثم قال مضى على فى السجن ستة اشهر لم اشعر أبدا بضيق الا عند اقتراب أجل خروجى لعلمى أنى خارج الى سجن آخر هو سجن الامة (المصرية) .

ومن زعماء الشرف والكمال (**مصطفى كامل**) وهو احد الاربعة الذين كافحوا من أجل مصر ومن كلامه يوم ٢٢ ديسمبر عام ١٨٩٨ م « الحياة جهاد والعمر قصير وخير الناس من جاهد فى سبيل بلاده وعمل لخيرها وناضل عن حقوقها » ... ولم يقل رحمه الله ، خير الناس من عذب الناس وعمل ليبقى فى منصبه عاش شابا مجاهدا أمينا ، ومات شابا عظيما أبيا عام ١٩٠٨ م وعمره اربعة وثلاثون عاما قضاها ضاحكا للشدائد ، فهو صاحب امتياز خاص فى هذه الناحية ، لم تعرف الدموع الى عينيه طريقا لا مرة واحدة لاجل مصر وابناء مصر كان ذلك فى ١٣ يونيه عام ١٩٠٦ م وكان هو فى أوروبا وحدثت حادثة دنشواى وبدأ يكتب مقاله فى صحيفة « الفيجارو » الفرنسية يوم ١١ يوليه ١٩٠٦ م بعنوان « الى الامة الانكليزيه والعالم المتمدين » كتب مقاله وكانما كان مداده تلك الدموع الغزيرة التى روت صحيفة المقال والقى بعد ذلك خطبتين فى اجتماعين سود بهما وجه بريطانيا ، وكان من اثرها استقالة اللورد كرومر فى ابريل سنة ١٩٠٧ . فكان هذا نصرا عظيما لمصر ولمصطفى كامل . ولقى ربه يوم ١٠ فبراير سنة ١٩٠٨ وفى عينيه دموع غزيرة كأنما كان يريد ان يبقى ليعوض ما فاته من الزمن فى سبيل مصر وشعب مصر .

مات (محمد فريد) فقيرا وعاش فقيرا ، ومات (مصطفى كامل) فقيرا وعاش فقيرا . ولهذا بقيت ذكراهما وستبقى الى الابد اكثر من المال والقصور والفدان والقيراط بل اكثر من الجاه والحسب والنسب والمنصب

قال الامام على كرم الله وجهه « الظالم على مدرجة من العقوبة وان طالت مدته ، والمظلوم موقوف على النصرة وان عظمت محبته وللامهال غايات وللاجال نهايات (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) » .

يقول بعض العلماء الفضلاء
لا تكثر من الضحك فان القلب الموصول بالله ساكن وقور »
وقد كان ...

اذا بكى ابصرت جامد دمعه
فى الهدب منه كلؤلؤ فى مثقب

كلمة التوحيد
وأثرها فى بناء الأمم وتحرير الشعوب

فضيلة الشيخ
الصاوى شعلان

ان لكلمة التوحيد « لا اله الا الله » اثرها البناء فى قيام الامم وتحرير الشعوب فهى للفرد وللجماعة عقيدة القوة وركيزة التقدم وبداية الانطلاق وافراد العبوديه للخالق ورفض كل عبودية لما سواه من الطواغيت والاوثان ، فالمؤمن لايحنى الجبين الا لله رب العالمين الذى يناجيه بصوت اليقين « اياك نعبد واياك نستعين »

فلو نظرت الامة بعين الشهود واستيقنت ما فى كلمة التوحيد من معنى قدسى ما استطاعت قوة أن تقهرها أو تنال من عزتها ، ولن يستطيع احد أن يتذوق المعنى العميق لكلمة التوحيد الا اذا عمل بمقتضاها وسلك طريق الحياة على هداها .

والذين أدركوا حكمتها واساغوا مذاقها وسماهم اقبال « رجال الحال » افادونا بعد تجاربهم بما جنوا من ثمارها وما تجلى لهم من أنوارها .

وكلمة التوحيد تنتظم أصلين هما قوتا السلب والايجاب ، ففى الاولى معنى الجلال وفى الثانية سمة الجمال ، الا ترى السالب وحده لا يعطيك شرارة القوة والموجب وحده لا يعطيك شعاع النور ، ولكنهما عند تلاقيهما تنطلق ومضة الضياء ، وهكذا اذا تلاقت القوتان تعادل ميزان الحياة واستقر كيانها فبين « لا » و « الا » تجرى الكائنات بحسبان وتسخر الموجودات للانسان .

ان كلمة التوحيد هى كلمة القدر التى صيغت منها العناصر فمن لا تكون الحركة وبـ « الا » تمضى الى السكون ومنهما البداية والنهاية لقوله تعالى « **كن فيكون** »

ان أية أمة لا تضىء حياتها بمصباح لا اله الا الله تتخبط فى دياجير الظلام ولا تستطيع أن تحطم الاغلال والاصفاد وهى فى حتمية القدر وقانون العدالة صائرة الى ما يشبه الفناء مذلة واستعبادا .

ونفى الطواغيت هو البداية لاثبات الايمان بالله وحده ، ان بناء بيت جديد لا محيص له من ازالة الانقاض وكذلك الشأن فى مجال العقيدة ، **فالعقيدة الصحيحه لا تقوم الا بعد محو عقائد الشرك . فالملة التى اشعلت وقود ايمانها بالتوحيد تستطيع ان تعيد بناء الحياة جديدا من ترابها .**

ان تلك الشعلة القدسية هى التى تبعث القوة وتحرق الرين وادناس الشبهات فيعود الانسان بها الى فطرته ، فالنطق بكلمة التوحيد ينفى ما عدا الحق فى مواجهة الطغاة وهو دليل الحيوية الصادقة واليقظة الكاملة .

ان جذبات العشق من كلمة التوحيد لايخفق بها كل قلب وانما تتحرك بها قلوب واعية صادقة اليقين ، « **ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب** » « **ألا بذكر**

الله تطمئن القلوب » . ومن ثم فلا تنتعش بهذه الجذبات كل نفس فليس كل حطب يصلح وقودا لمثل هذا اللهب القدسى الوهاج .

وإذا انبعث هذا الشعور فى قلب انسان موقن بنصر ربه استطاع ان يجعل القاعدين قياما وأن يلقى نظرة الى المستسلمين الكسالى فيخلق منهم ابطالا

وإذا اردت ان تطلق الاسير من قيده والمستعبد من أغلاله فأنبت فى ترابه بذور التوحيد واذ ذاك يعلم أنه لاسيادة لاحد فوقه سوى الله ولن يكون سجوده بعد اليوم على الارض الا لله الذى خلقه من ترابهـا وصاغه بشرا سويا .

ان كلمة « لا » تحمل هول الرعود وتبعث الحركة فى الجلمود وتخلق فى المتغفلين قوة الصعود .

فالمؤمنون بالله الذين نطقوا بشهادة التوحيد مخلصين هم الذين اشترى الله منهم انفسهم وأموالهم ، أشترى النفوس وهو خلقها والاموال وهو الذى رزقها ، ولا مشتر أعظم من الله ولا ثمن أغلى من الجنة وخلاصة القصة ان الجنة حين عرضت على التجار ، ظهر الادعياء واختلط الكاذب بالصادق فقيل لهم ان ربها لا يرضى لها مقابلا دون الروح والاموال جميعا فتتقدم المؤمنون للعقد كان المشترى هو الله والبائع هو المؤمن والسلعة الروح والمال والثمن الجنة أما الشاهدان فمحمد وجبريل والوثيقة فى التوراة والانجيل والقرآن فلما أمضوا البيع ورضوا به وقالوا بيع ربيح لا نقيل ولا نستقيل قيل لهم لقد صدق ايمانكم وسنرد عليكم الحياة ومعها النصر أو الاستشهاد ومعه الفوز والخلود فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم .

تلك هى كلمة التوحيد التى تجدد الصورة الانسانية فى القالب الترابى هيكلا من النور تحمل بكلمة التوحيد يوم النشور . قال اقبال فى رباعياته :

فى مقام التوحيد يشدو خيالى
بصدى الحق من رجال الحال
انما تدرك القلوب هداها
لصفاء الاحوال لا الاقوال

●●●

حرف « لا » مظهر لسر « الجلال »
وهو للجور منذر بالزوال
بعد نفى الكلام والظلام يبدو
عند الاشراق صبح الجمال

●●●

« لا » و « الا » فتح لباب « الحياة »
واحتساب الوجود والكائنات
بهما تقهر المهانة والقيم
وتمضى الامور فى الحادثات

●●●

حين يقوى مع الرجاء اليقين
فجواب الاقدار كن فيكون
يدفع النفى للتحرك والجد
وعند الاثبات يأتى السكون

●●●

كل شعب يروم عز حماه
فبنور التوحيد لا بسواه
ليس يحمى زماره غير حر
سيفه لا اله الا الله

●●●

حرف « لا » آية لبدء المسير
فى طريق الجهاد نحو المصير
انها أول المنازل طرا
لرجال الله العلى القدير
كل شعب يمضى بخطو سديد
للعلى فى حرارة التوحيد

●●●

يتبنى من ترابه صرح دنياه
ويحيا فيها بخلق جديد
قول لاجمرة امام الطغاة
هو عند الاحرار معنى الحياة
ثورة من نضالها يصنع المجد
ويبدد تجدد الكائنات

●●●

ليس فى ذلك الحنون العريق
كل ثوب يفوز بالتمزيق
لا أرى فى الغثاء والغش يوما
حطبا صالحا لهذا الحريق

●●●

لو لم يمس التوحيد فكرا نقيا
وضميرا حيا وقلبا أبيا
لاحال الخمول والضعف ايمانا
وعزما يغزو نجوم الثريا

●●●

حرف « لا » صيحه تثير العبيدا
ليزولوا مالم يزيلو القيودا
ويقيموا فى الدهر عصرا مجيدا
لا ترى فيه سردا ومسودا

●●●

لو سرت شعلة الهدى فى الصدور
وتمشى وميضها فى الضمير
لاقام الاحرار للهول يوما
يتحدى أهوال يوم النشور

●●●

صوت لا من دوى صوت الرعود
ليس شكوى ناى ولا لحن عود
لو يضيق الفضاء يوما على الحر
تخطى به نطاق الوجود

حول معجزة القرآن

كان أبو جهل وأبو سفيان والاخنس بن شريق من ألد أعداء النبى صلى الله عليه وسلم .. ومع ذلك فقد كانوا يتسللون فى الليل فرادى الى جدار بيت الارقم ليتسمعوا من نوافذه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتلو القرآن !

كان كل منهم يجلس فى مكان مظلم بحيث لا تراه العيون .. وكان كل منهم يحسب أنه وحده الذى يأتى فى الليل ليستمع الى القرآن .. وذات ليلة حدثت المفاجاة .. التقى الثلاثة وجها لوجه وهم يهمون بالانصراف بعد أن انتهى رسول الله من التلاوة !!

الأستاذ محمد دياب

وسأل كل منهم صاحبه : من اين جئت ؟

واطرق الجميع .. الكل تهرب من الجواب .. والكل تبادل الاتهام ثم الاعتراف والعتاب .. وأخيرا اقسموا على الا يعودوا الى ذلك مرة أخرى .. لان اقبالهم بهذه الصورة على سماع القرآن قد يؤدى بهم فى النهاية الى الدخول فى الاسلام .. وهذا ما يجب ان يقاوموه اشد المقاومة ماداموا يقاومون فيه غيرهم من الناس .

ثم كانت الليلة التالية ..

وفيها تحدث كل من الثلاثة الى نفسه : ان أحدا لن يذهب الليلة لسماع القرآن .. فما على أن حنثت فى قسمى وذهبت ؟ !

وذهب الثلاثة .. وعندما فرغ النبى صلى الله عليه وسلم من التلاوة أخذ كل منهم يطوف حول دار الارقم ليتأكد من أنه وحده الذى جاء .. وهنا تقابل الثلاثة مرة أخرى .. وتجاوز أمرهم هذه المرة مجرد الاتهام والاعتراف الى التلاحم والشجار !!

وظل أبو جهل وصاحباه على هذه الحال .. يقسمون ثم يحنثون ويذهبون .. ولم يستطيعوا كبت دوافع هذه الرغبة العارمة فى نفوسهم الا بحيلة ساذجة .. هى اجتماع الثلاثة فى بيت أحدهم كل ليلة .. حتى يراقب بعضهم بعضا فلا يذهب منهم أحد !!

الى هذا الحد فعلت روعة الاعجاز القرآنى باشد غلاة المشركين عداوة للنبى الكريم .. والى اكثر من هذا الحد فعلت بغيرهم من أساطين الفصاحة والبيان رغم أنهم لم يدخلوا الاسلام .

فهذا هو الوليد بن المغيرة - أحد سادة الابداع البلاغى فى العرب - ينهض فى قومه مأخوذا بعد أن سمع آيات من القرآن ويقول لهم : لقد سمعت من محمد كلاما ، ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن .. ان له لحلاوة ، وان عليه لطلاوة ، وان اعلاه لمثمر ، وان اسفله لمغدق ، وانه ليعلو ولا يعلى عليه .

واذا كان الوليد بعد هذا لم يدخل الاسلام خوفا .. فقد دخله من هو أعظم منه فصاحة وبلاغة .. دخله لبيد بن ربيعة أحد شعراء المعلقات السبع .. وظل طوال أربعين سنة فى الاسلام لا يقول شعرا .. وكان كلما سئل عن شعره تلا سورة من القرآن وقال : لقد ابدلنى الله خيرا من الشعر !

وحتى الذين حاولوا انكار اعجاز القرآن وأرادوا الاتيان بمثله .. سقطوا فى المحاولة وكانوا فى سقوطهم مثار هزء وسخرية .. لقد تهاوى اولئك الكذبة الذين ادعوا النبوة ونزول الوحى عليهم .. من امثال الاسود العنسى الذى قتلته زوجته لانه قتل أباها .. ومسيلمة الكذاب الذى قتل فى خلافة ابى بكر .. بل ان بعض هؤلاء المنكرين والمدعين عادوا أمام جلال القرآن الى الحق واعتنقوا الاسلام .. من امثال سجاح وطليحة ابن خويلد .

تلك هى معجزة القرآن الخالدة التى كانت وستظل شاهدا على صدق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وسمو رسالته .. واذا كانت كل معجزات الاديان السابقة جاءت مؤقتة فان معجزة الاسلام وهى القرآن تنفرد من بينها جميعا بالدوام لان الاسلام دين دائم وخاتم .. واذا كانت هذه المعجزات قد جاءت محدودة بقوم معينين فان معجزة القرآن جاءت عامة وشاملة لان الاسلام دين عام وشامل .

على ان معجزة القرآن لا تستمد خلودها من حيث ان القرآن مصدر اعجاز بلاغى فحسب .. بل من حيث انه أيضا مصدر تشريع ومصدر أخلاق ودستور محكم قامت على اساسه نهضة فقهية وتشريعية . واشتقت من مناهجه ضروب من السلوك والاخلاق والتربية والمدارس الصوفية والفلسفية التى فتحت امام الباحثين فى مختلف العصور والبلاد آفاقا واسعة من التاليف والتصنيف والتفكير .. وأوحت اليهم بدراسات خصبة مازالت تنمو وتنضج حتى استوت فى النهاية علوما واضحة المعالم والحدود .

لقد جاء القرآن الكريم برسالة نظمتها حكمة الله وقدرته . رسالة أوضحت ما عجزت الانسانية عن فهمه عبر القرون فيما يتعلق بما وراء الكون .. رسالة نظمت شئون الدنيا وكفلت لمن يعتنقونها العدل والسعادة والامن .

وجاء القرآن بنظام للميراث عاش اربعة عشر قرنا وما يزال .. وعبر هذا النظام حدود الجزيرة العربية واصطدم بمدنيات وثقافات متعددة ورجحها جميعا .. واذا قارنا نظام

الميراث فى القرآن بالنظام الانجليزى الذى يجعل الميراث للابن الاكبر فقط دون بقية اخوته .. او بالنظام الهولندى الذى يمنح نصف الثروة للزوجة ثم يقسم النصف الثانى بالتساوى بين الاولاد والبنات والزوجة مرة اخرى . او بالنظم التى تعطى البنين وتحرم البنات كما كان متبعا لدى كثير من قبائل العرب ولدى سكان شمال افريقيا .. او بالنظم التى تجعل الميراث لابنة الخالة الكبرى وتحرم من عداها كما يحدث فى بعض انحاء اندونيسيا .. اذا قارنا نظام الميراث فى القرآن بهذه النظم قديما وحديثا فسنجده يرجحها جميعا .. وهذا ما يعترف به كثير من المفكرين والمصلحين .

كذلك فقد جاء القرآن بنظام للزواج وبنظام للطلاق ونظام للعبادات ونظام للسياسة والاقتصاد والحرب والسلم وكل شئون الحياة .

فكيف استطاع رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهو الامى الذى لم يعرف القراءة ولا الكتابة - أن يضع فى عشر سنوات فقط أنماطا من التشريعات استلهمتها البشرية عبر القرون وماتزال وستظل صالحةلكل زمان ومكان ؟

من علمه ذلك العلم الذى أحدث انقلابا عالميا فى العقائد والشرائع والاخلاق ؟

تلك هى معجزة القرآن التى حملت الغرب فى نهضته الحديثة على ان ينقل القرآن الى لغاته ويشغل بدرسه . حتى تخصص فيه من الغربيين علماء مشهورون كتبوا فى تاريخه وفى مذاهب تفسيره واستهلموه كثيرا من وجهات النظر فى دراساتهم وبحوثهم عن الجبر والاختيار .. والخير والشر .. ونظرة الاديان الى الانسان .. وصلة الانسان بالله .. ومذاهب الاخلاق وغيرها من نظريات الفكر والحضارة .

وبعد ...

فقد أردت بما قدمت من سطور أن أوقظ بعض الضمائر الغافية التى يحلو لها أن تنقل الى أجيالنا ما يكتبه أعداء الاسلام الذين يحاولون انكار معجزة القرآن ومعجزات نبينا عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام .. اما انسياقا جاهلا فى غمار التيارات المعادية للاسلام ولكل الاديان .. أو جريا وراء بريق الشهرة والاموال .

اما معجزات الاسلام ونبى الاسلام فقد عاشت وتعيش .. لانها لغة العقول والافكار .. ونجوى الضمائر والارواح .. ونداء الافئدة والقلوب ..

وليس لمن ينكرون ضوءها من العمى .. الا ماكان لابى جهل وصاحبيه فى أول المقال !

بقية مقال « امة الامر بالمعروف ، والنهى عن المنكر »

نامر بالخير ولا ناتيه ، وننهى عن الشر وناتيه » .

وصفوة القول : أن الامر بالمعروف والنهى عن المنكر حق قائم ومستمر كأى حق من حقوق الله من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا يجوز بأى حال وفى أى ظروف القعود عن ادائه فى دولة اسلامية محررة الارادة ، وهو التزام مشترك بين الدولة ومعها عمالهاوأجهزتها وأدوات الرقابة والضبط والقصاص ، وبين الامة باتقيائها ومؤمنيها وأئمة العلم والدعوة فيها ، وبكل غيور على دينه قادر على دفع معصية وانكار منكر ، والله تبارك وتعالى يقول : **(والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة) فهو حق أيضا على المؤمنات ، وفى ذلك معنى التكريم الصريح للمراة المؤمنة فى مثل هذه الرسالة الجليلة .**

وقد يلوح هذا الازدواج بين الدولة والناس معقدا ، أو غير ميسور التحقيق فى ظل التنظيمات الحكومية المتخصصة والممتدة الفروع فى كل المصالح العامة ، ولكن الامر فى الواقع لا يمثل ازدواجا ولا تدخلا غير مأذون به ، وذلك لان الدولة الان دولة مؤسسات ، والشعب ممثل فيها تمثيلا واسعا بنوابه المنتخبين على مستويات القرية والمدينة والمركز والمحافظة الى مستوى الجمهورية ككل ، ومن أولى واجبات هؤلاء أن يدرأوا عن دينهم وأمتهم ما لابد انهم يعرفون مظانه وأشخاصه من المنكرات والمعاصى .

ولنعترف : أن أعيب ما يعاب ، على كثير منا ، أنهم يرون المعصية معلنة ومتكررة فى الطرقات والاسواق ، وفيما يتصل بضرورات الحياة للطبقات الفقيرة ، وقد يصيبهم منها ما يؤلمهم ثم لا يزيد الامر عندهم على التشاكى فيما بينهم ؟

أكثر الناس ، ونكاد نقول كلهم ، يتكلمون على الحكومة ، وينتظرون منها أن تفعل كل شىء ، وماهى - قطعا - بمستطيعة أن تضع شرطيا على كل تاجر جشع فى السوق ولا على كل منكر فى طريق ، وعلى كل موظف منحرف فى ديوان .... الخ .

وانما الامر المنطقى والميسور والذى هو واجب وحق فى عنق كل مسلم . **هو أن يتصل من فوره بالمسئول المختص ويدله على مايقع فى دائرة اختصاصه . وان يعينه فى شجاعة المؤمن على الاخذ بناصية الاثمة والمجرمين فان لم يفعل المسلم ذلك فقد صار مثلهم فى الاثم والجريمة ؟**

ولسنا نعدو الواقع . اذا قلنا ان حياتنا الانسانية بكل جوانبها فى هذا العصر ، تستصرخنا ان ننهض لندفع عنها شرورا طاغية تقتحم حصون الدين ، وتحطم قلاع العقائد والعادات والاخلاق .

ومامن وسيلة افعل واجدى لحماية حياتنا وتقويمها ، سوى الشريعة الاسلامية قنونا (منفذا) ومعها جناحاها : الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فى تعاون وثيق بين الدولة والشعب ....

لقاء سريع

مع مسلمي الصين في الصين

الأستاذ صبري أبو المجد

كانت زيارة السيد حسني مبارك نائب رئيس الجمهورية الى الصين من انجح الزيارات الرسمية والشعبية التي تمت في السنوات الاخيرة اذ استطاع حسني مبارك بشبابه وحيويته ، وصدقه ، وايمانه ومقدرته أن يكسب ود الشعب الصيني وقادته وأن يكسب احترامهم ، وتقديرهم .

وخلال الثلاثة وعشرين يوما ، التي قضيتها وثمانية من خيره الصحفيين والكتاب المصريين في ضيافة شعب الصين ، كنا نلمس في المصانع والجامعات والمدارس وفي كل مكان زرناه الاثار الايجابية الرائعة لتلك الزيارة والذين يعرفون شعب الصين عن قرب يعرفون عنه تقديره البالغ ، لمصر ، وكفاح شعب مصر ، ورغبته الحاره في اقامة جسور الصداقة ، والمحبة والتعاون بينه وبين شعب مصر . كنا نستمع من القادة الصينيين الذين التقينا معهم عن الاثار الايجابية التي حققتها رحلة حسني مبارك وعن الامال المرتقبة في تقرير التضامن بين الشعبين لما فيه خيرهما وخير البشرية جمعاء .

وفي مدينة شنغهاي - كبرى مدن الصين وذات الاهمية الصناعية البالغة - حيث استقبل حسني مبارك في المطار اربعة ملايين من ابناء شنغهاي « الدلي شوى شنج شبان نائب رئيس اللجنة الثورية لبلدية شانغهاي ان مدينته تستقبل ضيفا عزيزا غاليا ، كما استقبلت ممثل شعب مصر ، ورسول أنور السادات السيد حسني مبارك : قال لي شبان : أنت لا تتصور مدى النجاح الذي حققته تلك الزيارة التي جاءت في الوقت المناسب . والتي نرجو أن تكون مقدمة لزيارات مستمرة من جانبنا ، ومن جانبكم » وأذكر أنني اقترحت عليه كممثل ثائر لمنطقة

شنغهاى ذات الماضى الثورى الرائع فى مقاومة كل أنواع الاحتلال الاجنبى حيث كانت مقسمة فى الماضى ، الى مناطق هذه المنطقة يسيطر عليها الاستعمار الفرنسى وهذه المنطقة يسيطر عليها الاستعمار البريطانى ، وهكذا وكان كفاح هذه المدينة اسطوريا : أقول اقترحت على شبان أن يزور مدن القناة ليتعرف عن قرب على مدى التضحيات الرائعة التى قدمها شعبنا من أبناء بورسعيد والسويس والاسماعيلية » وقلت له وأنا أحرضه على تلك الزيارة : ان أقامة الجسور - جسور الصداقة والمحبة والمودة ، والتضامن لا تتم من جانب واحد ، وانما يجب أن تتم من قبل كل الاطراف المعنية » ووعد شبان أن يقوم بتلك الزيارة مؤكدا أن كل فرد من أبناء الشعب الصينى الذين تجاوزوا - فى العدد - ٨٠٠ مليون يعرفون الكثير عن كفاح شعب مصر ، فى الماضى والحاضر وأنهم جميعا يكنون مشاعر الحب والمودة والتقدير لقائد مصر ، محمد أنور السادات .

وفى خلال زيارتنا للصين تمنيت على الاخوة الصينيين أن نقوم بزيارة بعض المساجد والالتقاء ببعض الاخوة المسلمين ، وقد رحب الصينيون بتلك الفكرة ، وأنا فى الحقيقة فى كل بلد أزوره ويكون فيه المسلمون قلة أحرص على زيارة المسلمين والتعرف على مشاكلهم ايمانا منى بأن هؤلاء الذين احتفظوا بالعقيدة الاسلامية رغم كل العقبات والمصاعب ، التى تعترض طريقهم كأقلية هم فعلا من الابطال ، الذين يستحقون كل تقدير ، واحترام . وقد سبق أن ذكرت فى عدد سابق من اعداد هذه المجلة بعض ما قيل عن دخول الاسلام فى الصين وعن علاقات التعاون التى نمت وترعرعت فى قرون سابقة بين الصينيين والمسلمين فى شتى أرجاء العالم ، ورويت فيما رويته كيف كانت الجالية الاسلامية فى الصين فى بعض الازمنة الماضية أكثر الجاليات الاجنبية فى الصين من ناحية العدد وأكثرها احتراما من جانب الصينيين .

والذى يعتز به المسلمون فى الصين ، ويعتز به بقية شعب الصين فى نفس الوقت ان المسلمين قد وثقوا منذ بداية النضال ضد الاستعمار الاجنبى فى الصين ، الى جانب الشعب الصينى فى كفاحه ، ونضاله باعتبارهم جزءا لا يتجزأ من الشعب الصينى . وقد **خلد الشعب الصينى بطولات كثير من المناضلين المسلمين الذين سقطوا شهداء وهم يقاتلون الاستعمار الاجنبى بكل صوره واشكاله والوانه ، وقد امتلأت سجون الصين بكثير من قادة المسلمين الذين كانوا يحاربون الاستعمار اليابانى والذين كانوا يعملون من اجل تحرير بلدهم من الاستعمار وفى المرات التى لقيت فيها شوان لاى رئيس وزراء الصين السابق كان باستمرار يتحدث عن بطولات المسلمين الصينيين وكيف أن للمسلمين الصينيين مكانة طيبة عند كل الصينيين وان مركزهم كجماعة محتفظة** بتقاليدها ، وقيمها داخل المجتمع الصينى ؟ محترم وممتاز .

والمسجد عند الاخوة المسلمين فى الصين ليس مكان عبادة وحسب ولكنه مكان عبادة وتعلم : فى كل مسجد - وفى بكين وحدها اكثر من ستين مسجدا - نجد المكتبة المليئة بالكتب القديمة ، التى تعود بعضها الى مئات السنين ، وهذه المكتبة للعامة ، وللخاصة على حد سواء ، والى جانب المكتبة ، توجد مدرسة يتلقى العلم فيها بعض أبناء المسلمين ، الذين يرغبون فى دراسة القرآن والسنة وتعاليم الدين وكذلك بعض دروس اللغة العربية .

ويستقبلنا فى مسجد بكين الكبير ، امام المسجد ومؤذنه وبعض الاخوة المسلمين وامام المسجد الكبير ، يستطيع ان يفهم اللغة العربية ولكنه لا ينطق اللغة العربية الا بصعوبة بالغة نتيجة عدم ممارسته التحدث باللغة العربية مع من يجيدون اللغة العربية ونتيجة لانه لم يدرس اللغة العربية الا فى الصين وان كانت دراسة اللغة العربية قد أصبحت اليوم منتشرة جدا فى جامعة بكين ، وفى بعض الجامعات الاخرى فان هيئة التدريس والطلبة الذين يدرسون اللغة العربية فى جامعة بكين وحدها يزيدون عن المائة ومن هذه المائة عدد كبير من ابناء المسلمين ، ويطلب بعض الزملاء من مؤذن المسجد ، ان يؤذن ليعرفوا مدى قدرته على الاذان ولكنه يرفض معتذرا بأن وقت الاذان لم يحن بعد وانه يخشى اذا ما ارتفع صوته ان يجىء المسلمون المجاورون للمسجد . ويقترح المؤذن أن يقرأ بعض آيات الذكر الحكيم ، ويفعل ذلك ليؤكد لزملائنا الذين يزورون الصين لاول مرة والذين كانوا متشككين فى قدرة هذا المؤذن على قراءة القرآن لانه لا يعرف كيف يتحدث باللغة العربية وتكون قراءته جيدة ومفهومة وأسأل امام المسجد - الشيخ صالح - عن المذاهب الاسلامية ، فى الصين . فيقول : ان كل مسلمى الصين من الاحناف وأسأله عن مواقيت الصلاة ، وموعد الافطار والامساك فى رمضان فيقول لى ، لقد استطعنا على ضوء تحديد مواعيد الصلاة فى السنة النبوية الشريفة أن نضع للمسلمين فى بكين مواعيدا للصلاة نطبعها ونوزعها على المسلمين وكذلك فى رمضان نضع كل عام امساكية تحدد مواعيد الافطار والامساك ، وكذلك يفعل المسلمون فى منطقة سنكيانج حيث يشكل المسلمون فى تلك المنطقة الاغلبية المطلقة وحيث يتمتعون بالحكم الذاتى ، كغيرهم من تجد أى فارق بينها وبين أى بلد اسلامى .

وفى بكين - كما روى لنا الشيخ صالح - يقيم المسلمون فى مناطق مجاورة حيث يشكلون أسرة واحدة لها تقاليدها المحترمة من قبل الدولة كما أنها تتبادل المنافع ، وللمسلمين فى كل منطقة من مناطق

الصين تقاليدهم الموروثة التى يحافظون عليها بكل ما يملكون من جهد ، وامكانيات للمسلمين – مثلا – محلات جزارة خاصة لا يقدم فيها من الذبائح الا ما ذكر عليه اسم الله ، وفى بعض الاحيان عندما يفد الى الصين بعض الضيوف المسلمين لا تقدم اللحوم ، الا من تلك المحلات ، واذكر اننا عندما زرنا الصين لاول مرة فى ديسمبر عام ١٩٥٥ ، امتنعنا عن تناول اللحوم ، التى تقدم الينا ظنا منا انها لم يذكر اسم الله عليها عند ذبحها وكانت المفاجأة اننا فى اليوم التالى وجدنا ورقة مكتوب عليها باللغة العربية وقد وضعت على المائدة : هذا الطعام معد وفقا للتقاليد الاسلامية وقد أعده طباخون مسلمون » وفى بعض الاماكن التى زرتها فى منغوليا الداخله عام ١٩٦٥ ذهبوا بى الى بعض السلخانات الخاصة بالمسلمين ، وفى هذه الزيارة عندما كنا نزور بعض المطاعم ، الملحقة بالمصانع كانوا يذهبون بنا الى بعض الاجزاء المخصصة للمسلمين حيث يعد الطعام فى تلك المطاعم وفقا للتعاليم الاسلامية !

ويتحدث الينا الشيخ صالح وزملاؤه عن حياة المسلمين فى الصين وعن تمسكهم بدينهم ، وحرصهم الشديد على اداء شعائر الدين الحنيف .

ولا توجد فى المسجد الكبير ، كما لا توجد فى كل مساجد الصين صورا معلقة لشخصيات صينية ، وانما توجد آيات قرآنية معلقة على الجدران .

والمساجد فى الصين ، وخاصة مسجد بكين الكبير تعتبر قطعا فنية رائعة من الناحية المعمارية حيث بنى بعضها فى القرون التى ازدهرت فيها الفنون الصينية ولعل مسجد الشوق الى النبى – كما يطلقون عليه فى كوانتون – هو اقدم هذه المساجد وهو اكثرها اهمية من الناحيه التاريخيه حيث تواترت الروايات حول قصة انشائه حتى ان البعض قال ان صاحب فكرته هو سعد بن ابى وقاص وهناك اجماع على انه أول مسجد اقيم فى الصين .ولمسجدالشوق الى النبى فى كوانتون منارة مرتفعة تعتبر من الاثار التاريخية ذات الاهميه البالغة واسم هذا المسجد باللغة الصينية مسجد « خواى شينج » وترجمة الكلمة الشوق الى النبى .

ومن خلال احاديث عابرة مع بعض المسلمين الذين التقيت بهم فى زياراتى للصين فى اعوام ١٩٥٥ ، ١٩٦٥ ، تبين لى مايلى :

● الاسرة المسلمة فى الصين اسرة محافظة ، لاتشرب الخمر ، ولاترتدى نساؤها الملابس التى تظهر بعض المفاتن والمسلمون لا يتزوجون الا مسلمات ، وتعدد الزوجات غير موجود فى الصين لانه يخالف القانون العام والزواج بالنسبة للمسلمين يتم على مرحلتين ، مرحلة دينية ، حيث يتم النكاح على يد المأذون وأمام شاهدين وبصورة علنية ، ثم تسجيل هذا الزواج طبقا للقوانين المدنية السائدة فى الصين ! وقد يتزوج المسلم غير مسلمة ولكن المسلمة لا تتزوج الا من مسلم .

● العقيدة الاسلامية ، عند مسلمى الصين ، على الفطرة السليمة لم تتأثر بأية اتجاهات مريبة ، فلا يعرف المسلمون فى الصين البابية ، او البهائية ، او القاديانية ! وهم يهتمون جدا بصلاة الجماعة حتى كان الصلاه فى المنزل غير جائزة فنجد أنهم – كما يقول الاستاذ محمد مكين من خريجى الازهر الشريف وعضو أول بعثة صينيه جاءت الى الازهر ، فى أوائل الثلاثينيات – يهرعون الى المساجد لادراك صلاة الفجر وقد أمطرت السماء ، وولاا ، البرق ، ودوى الرعد ، وهم يقرءون فى صلاتهم ما تيسر من القرآن الكريم ولو لم يفهموا معناه ، والاذان وخطبة الجمعة باللغه العربيه ايضا والقوم لا يستفيدون منها شيئا ، ولاجل تدارك هذا النقصان يعطى الامام بعد صلاة الجمعة او قبلها باللغة الصينية .

● الحرص على الصيام ، والزكاة مما يتميز به أهل الصين وفى بعض أماكن تجمع المسلمين يلتقى المسلمون فى رمضان فى أروقة المساجد حيث تقدم اليهم الحلوى للافطار ، ويدعو بعضهم بعضا الى الافطار فى بيوتهم بعد صلاة المغرب وفى بعض الاماكن يشترك الصائمون معا فى الافطار ، فى أروقة المساجد ، ولا يعودون الى بيوتهم الا بعد اداة صلاة العشاء والتراويح . والمسافرون الذين يفطرون فى المساجد لا يدفعون ثمن ما يتناولونه لانهم ضيوف الرحمن ، والزكاة هى المصدر المهم ، للنفقات على المساجد ، والكتاتيب بجانب ما تعاونهم الدولة وفى بعض المناطق يطلقون على الحاج ، كلمة اب احتراما له .

● توجد بمساجد الصين نسخ كثيرة من القرآن الكريم بعضها مطبوع على الخشب وبعضها مطبوع على الحرير ، وتوجد فى بعض المساجد نسخ من القرآن طبعت فى مصر ، منذ زمن بعيد كما توجد ترجمة لمعانى القرآن الكريم باللغة الصينية قام بها الشيخ سعد الياس وانج ون سينج ، واشترك فى تصحيحها كبار العلماء فى بكين .

والحديث عن الاسلام ، والمسلمين فى الصين يحتاج الى دراسة وافية شافية ذلك لان للاسلام وللمسلمين فى الصين حضارة ذات قيمة انسانية رفيعة والمسلمون فى الصين – وعددهم فى الغالب يتجاوز خمسة عشر مليونا – بحاجة الى دعم مادى وروحى من الجهات المعنية بشئون الاسلام والمسلمين وفى مقدمتها الازهر الشريف والمجلس الاعلى للشئون الاسلاميه .

يوم من أيام الرسول

تلقى أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمتنا ومجتمعنا ضوءا كاشفا يهدى الى العبرة والعظة والفهم واختيار أقرب أساليب العيش والتعامل الى الله »ويوضح الاسلوب الربانى فى التعامل والحركة انطلاقا من الرحمة واليسر والسماحة والحب والاخاء، وهى علامة الطريق الحق ·

وقد كانت أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مكة ابان الدعوة جهادا واحتمالا وصبرا لقسوة المشركين ولمساءة قريش ولكن رسول الله كان قويا وقادرا على مجابهة اقوى عتاتهم دون ان يخشى شرئا، مؤمنا بربه ، واثقا من نصره · فيجىء يوم عسير ثم يجىء يوم نضير ، يوم يجد اهل مكة ان طريق محمد هو الطريق ·

صلى الله عليه وسلم

الأستاذ أنور الجندى

عن يحيى بن عروة بن الزبير عن أبيه عروة عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال :

ما أكثر ما رايت قريشا اصابت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كانت تظهر من عداوته · حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوما فى الحجر ، فذكروا رسول الله فقالوا ما أثبنا من قبل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط سفه أحلامنا وشتم آباءنا وعاب وفرق جماعتنا وسب الهتنا لقد صبرنا منه على أمر عظيم · قال فبينما هم كذلك اذا طلع عليهم رسول الله فاقبل يمشى حتى استلم الركن ثم مر بهم طائفا بالبيت ، فلما أن مر بهم غمزوه ببعض ما يقول · قال فعرفت ذلك فى وجهه ثم مضى فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها فعرفت ذلك فى وجهه ثم مضت بالثالثة فغمزوه مثلها فقال :

تسمعون يامعشر قريش ، أما والذى نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح ، فأخذت القوم كلمته حتى ما فيهم رجل الا كانما على رأسه طائر وقع ، حتى أن اشدهم حمله عليه قبل ذلك ليرفاوه باحسن ما يجد من القول حتى أنه ليقول : انصرف ياأبا القاسم ، انصرف راشدا فوالله ما كنت جهولا ·

قال فانصرف رسول الله حتى اذا كان الغد اجتمعوا فى الحجر وانا معهم فقال بعضهم : لقد ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه حتى اذا بادأكم بما تكرهون تركتموه وفيما هم فى ذلك اذ طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوثبوا اليه وثبة رجل واحد فأحاطوا به يقولون له : أنت الذى تقول كذا وكذا لما كان يبلغهم عنه من عيب الهتهم ودينهم قال رسول الله : نعم أنا الذى أقول ذلك قال فلقد رأيت رجلا منهم يأخذ بمجمع ردائه ، قال وقام ابو بكر الصديق رضى الله عنه دونه ، يقول وهو يبكى : أتقبلون رجلا أن يقول ربى الله ثم انصرفوا عنه فان ذلك لاشد ما رايت قريشا بلغت منه قط ! ·

٢ ـ ثم دارت الايام : وهاجر الرسول وأقام المجتمع الاسلامى فى يثرب وجاء الرجل الذى رأو انه لا طريق غير طريق محمد :

« قصد عثمان بن طلح وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص المدينة فلما سمع الرسول بقدومهم سر بهم وقال لاصحابه :

رمتكم مكة بأفلاذ كبدها ·

يقول خالد ، ولبست صالح ثيابى ثم عمدت الى رسول الله فلقينى اخى فقال : اسرع فان رسول الله قد سر بقدومكم ، وهو ينتظركم ·

فاسرعنا المشى ، فاطلعت عليه فما زال ـ صلى الله عليه وسلم ـ يبتسم الى حتى وقفت عليه فسلمت عليه بالنبوة · فرد على السلام بوجه طلق فقلت : أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله ·

قال الرسول : **الحمد لله الذى هداك ، فقد كنت أرى لك عقلا رجوت ألا يسلمك الا الى خير ·**

قلت : يارسول الله ادع الله أن يغفر لى تلك المواطن التى كنت أشهدها عليك ·

قال النبى : الاسلام يجب ما قبله ·

٣ ـ وفى مجتمع المدينة ترى الصورة واضحة :

« عندما قدم رسول الله الى المدينة نزل فى دار ابى ايوب الانصارى ، يقول ابو ايوب لما نزل رسول الله فى بيتى نزل فى الادنى وانا وام أيوب فى الاعلى فقلت يارسول الله : بأبى انت وامى انى لاكره واعظم ان اكون فوقك، وتكون تحتى فأظهر انت فكن فى العلو وننزل نحن فنكون فى السفل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ياابا ايوب ارفق بنا وبمن بغشانا ان نكون فى أسفل البيت · وقال : لقد انكسر جب لنا فيه ماء فقمت انا وأم ايوب بقطيفة لنا ما لنا لحاف غيرها ننشف بها الماء تخوفا من ان

البقية ص ١٣٧

الإسلام وتطهير العقائد من الإلحاد

فضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان

ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك فى الاذلين ■ كتب الله لاغلبن أنا ورسلى ان الله قوى عزيز ■ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد اللهورسوله ولو كانوا آباءهم أو ابناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم اولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون ■

سورة المجادلة ٢٠ ـ ٢٢

كان خليل الرحمن ابراهيم عليه السلام عدوا للكفر والشرك والالحاد، فهو محطم الاوثان والاصنام ، وهو ابو الانبياء الذى دعا الى توحيد الله الخالق الرازق الواحد القهار ، وملته هى الاسلام ٠٠ ولقد نظر ابراهيم حوله فرأى اصناما تعبد مندون الله، وتلفت فرأى أباه غارقا فى الجهالة والضلالة ، فقال له ، (يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا ٠ يا ابت انى قد جاءنى من العلم مالم ياتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا ٠ يا أبت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا ٠ يا أبت انى أخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا) ٠

(سورة مريم ـ ٤٢ ـ ٤٥)

ولكن اباه ظل فى ضلاله المبين فقال لابراهيم : (اراغب انت عن آلهتى يا ابراهيم ؟ لئن لم تنته لارجمنك واهجرنى مليا) ٠ (سورة مريم ٤٦)

واتجه ابراهيم الى قومه فقال لهم: (اعبدوا الله واتقوه ٠ ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ٠ انما تعبدون من دون اللهاوثانا وتخلقونافكا ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له ـ اليهترجعون٠ (سورة العنكبوت) ٠

ثم قال لهم فى حزم وعزم وقوة وصراحة ، (افرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون ٠ فانهم عدو لى الا رب العالمين) ٠ الذى خلقنى فهو يهدين ٠ والذى هو يطعمنى ويسقين ٠ واذا مرضت فهو يشفين ٠ والذى يميتنى ثم يحيين ٠ والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين (سورة الشعراء ـ ٧٥ ـ ٨٨) ثم ذهب الى التماثيل فكسرها والى الاصنام فحطمها : (فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون ٠ (سورة الانبياء ٨٥) ثم شاهدوا مصرع الهتهم التى قضىعليها ابراهيم الذى كان امة قانتا لله حنيفا ، وكان صديقا نبيا ٠

وفى سبيل عقيدته ـ عليه السلام ـ اعتقل وحوكم ـ وقرروا احراقه بالنار ، قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين ٠ قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم) ونصره الله على اعدائه الذين ارادوا به كيدا « وارادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين ، وخرج مهاجرا (الى لارض التى بارك الله فيها للعالمين٠ ليؤدى الامانة ويبلغ الرسالة ، واقام ببلاد الشام يدعو لدين الله ويصحح العقائد من المفاسد ، بصدق النبيين

وعزيمة المرسلين ، والله قد وهب رسوله ابراهيم ذرية صالحة ، وهبه اسماعيل واسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب ووصى ذريته بالاسلام ، ونفذوا اوامره ، فاعتصموا بدينهم وعقيدتهم، (ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب : يا بنى أن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون) .
(سورة البقرة ١٣٢) .

« بزوغ النور »

وقد بزغ النور على يد ذريته ، ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون - وكذلك نجزى المحسنين - وزكريا ويحيى وعيسى والياس - كل من الصالحين - واسماعيل واليسع ويونس ولوطا - وكلا فضلنا على العالمين .
(سورة الانعام ٨٤ - ٨٦) .

وكل رسل الله من أولهم لاخرهم كانوا يدعون الى توحيد الله ، وكذلك كان قوم كل نبى يقولون له اجئتنا لنعبد الله وحده ؟ فلم ينكروا الله ، ولكنهم كانوا يتخذون معه اندادا والله يقول (فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون) (سورة البقرة ٢٢)

وكانوا يعتقدون ان الانداد ستقربهم الى الله زلفى وتشفع لهم لديه . ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ؟ ليقولن . خلقهن العزيز العليم) والله يقول فى سورة يونس :

قل من يرزقكم من السماء والارض؟ أم من يملك السمع والابصار ؟ ومن يخرج الحى من الميت ؟ ويخرج الميت من الحى ؟ ومن يدبر الامر ؟ فسيقولون الله : فقل افلا تتقون ؟ ويقول جل جلاله :

(قل لمن الارض ومن فيها ؟ ان كنتم تعلمون . سيقولون لله . قل افلا تذكرون) .

(قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم . ؟ سيقولون لله . قل افلا تتقون ؟

قل من بيده ملكوت كل شىء ؟ وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون؟ سيقولون لله : قل فانى تسحرون .] (سورة المؤمنون ٨٤ - ٨٩)

من هذا تعلم ان الكفار لم يتخذوا الاوثان الهة ، ولكن اتخذوها شركاء لله ليقربوهم اليه فليعبدون من دون ما لا ينفعهم ولا يضرهم - وهى الاصنام - ليتخذوهم شفعاء عند الله ووسطاء .

ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم . ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله . قل اتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض ؟ سبحانه وتعالى عما يشركون) فجعل الله تعالى اتخاذهم للشفعاء شركا ، والله لا يشفع عنده احد الا باذنه

افيشفع الشفعاء بغير اذن لهم فى الشفاعة عند الله ممن ليسوا اهلا لها ولا يغنون شيئا ؟

(كبرت كلمه تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا) .

والله جل جلاله يوجه الاسئلة الاتية لكل عاقل لعله يتذكر او يخشى

أمن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أأله مع الله بل هم قوم يعدلون . أمن جعل الارض قرارا وجعل خلالها انهارا وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا ؟ أأله مع الله بل اكثرهم لا يعلمون . أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض ؟ أأله مع الله ؟ قليلا ما تذكرون . أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ؟ ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته ؟ أأله مع الله ؟ . تعالى الله عما يشركون . أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ؟ ومن يرزقكم من السماء والارض ؟ أأله مع الله ؟ قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين . (سورة النمل ٦٠ - ٦٤)

هذه تساؤلات تؤكد فى النفس استقرار التوحيد ، وتجعل العقل يستجيب بسرعة للاقتناع بوضوح الادلة وشهادة البينات ، على ان الله هو الخالق البارىء المصور . ان الكفاءة العقلية تستجيب لنداء الفطرة الانسانة السليمة التى لم تخالف صحة الاعتقاد وسلامة التفكير ، لان دين الحق يعطى العقل تقديره ومنطقه، فعليه ان ينتفع بهذه النعمه الكبرى فلا يخالف فطرته ولا يعادى تفكيره وضميره وتقديره .

ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لايات لقوم يعقلون) (سورة البقرة ١٦٤)

وما من نبى بعثه الله الا وجه الدعوة لتصحيح المعتقدات والعادات بما يرفع قدر الانسان ويعلى شانه ويشرح صدره لكيلا يضل ولا يزل ولا يزيغ فى عقيدته ومناهج حياته ، فاما ياتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى) (سورة طه ١٢٣)

(فاما ياتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (سورة البقرة ٣٨)

ولقد منع الاسلام الاضطهاد والتسلط فلا اكراه فى الدين (وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون) (سورة يونس ١٠٠) فالافكار حرة طليقة ولكن الناس قد اختلفت عقولهم فمنهم من يرى الاسلام خير نظام ، ومن الناس من يرى الالحاد فلسفة وحرية وتقدما ومدينة ، وهؤلاء قد ضل سعيهم وحبط عملهم وخاب أملهم ، ومثل هؤلاء الحيارى فى حاجة لنمو عقلى وسمو نفسى يهذب آراءهم ويربى عواطفهم ويرقى اخلاقهم .

افلم يسيروا فى الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها او آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) .
(سورة الحج ٤٦)

ومع استقلال العقل استقلالا تاما وتحريره من الرق الجاهلى فلا يزال فى الدنيا ناس اذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول . قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا او لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون) (سورة المائدة ١٠٤)

انهم اطفاوا مصابيح عقولهم فعموا وصموا . وفترت مداركم واستعصت عقولهم عن قبول الهدى ، لان قلوب الملاحدة مريضة فطبع الله عليها .

(واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل ان الله لا يامر بالفحشاء اتقولون على الله ما لا تعلمون ؟) (سورة الاعراف ٢٨) .

أما المؤمنون فقد شرح الله صدرهم للاسلام . فادركت عقولهم سمو الايمان وجلال الاسلام ، وروعة الهداية . فاستمدوا من نور اليقين طهارة الضمير ونزاهة القلب واللسان وعفة النفس وحب الخير للغير . (اولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم) (سورة الانفال

فهم الكرام البررة واولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) لذلك كان للايمان روعته وعزته وقوته (انما يتذكر أولو الالباب) فلقد اخلصوا دينهم لله وعملوا الصالحات وسلكوا المنهاج القويم والصراط المستقيم : (وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) (سورة البينة ٥) نعم : انهم اعتمدوا على ربهم الذى قال لهم « فاياى فاعبدون » : فقالو له اياك نعبد واياك نستعين ، والايمان يهذب المشاعر ويصقل العقل ويقوى القريحة، وآية العقل سرعة الفهم : سئل على رضى الله عنه كيف يحاسب الله العباد على كثرتهم ، قال كما يرزقهم على كثرة عددهم ، وسئل ابن عباس

اين تذهب الارواح اذا فارقت الاجساد فقال : اين تذهب نار المصابيح عند فناء الاوهان ؟ .

وهذه الاسئلة تذكرنا بما حكى ان ابليس حين ظهر لعيسى بن مريم عليه السلام قال الست تقول انه لن يصيبك الا ما كتب الله عليك ؟ قال نعم : قال فارم نفسك من ذروة هذا الجبل فانه ان يقدر لك السلامه تسلم، فقال له . يا ملعون ان الله يختبر عباده وليس للعبد ان يختبر ربه ، وهذا رد مسكت من نبى الله عيسى عليه السلام ، والناس صور مكررة وصحف مصورة ، ولايزال بعض الناس يتساءلون كثيرا ، للتشكيك وللثرثرة ،وسئل على كرم الله وجهه، كم بين السماء والارض ؟ قال دعوة مستجابة ، وسئل كم بين المشرق المغرب ، قال : مسيرة للشمس ، والذين يتساءلون اليوم باسئلة تعترض على افراد الله بالوحدانية هم قوم ملحدون ، فسواء عليهم او عظت ام لم تكن من الواعظين ، والذين يعلنون ان شرائع الله غير صالحة لهذا الزمان هم قوم لئام جاحدون للحق لانهم يكرهون شريعة الحق وينفرون من العدل ، وذلك لشرودهم من الهدى ، وجهلهم بان صانع النفس هو المشرع الحكيم وهو القائل (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد) (سورة ق ١٦) .

روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال :

أثنى على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير فقال كيف عقله ، قالوا يا رسول الله . ان من عبادته ، ان من خلقه ، ان من فضله، ان من أدبه .. فقال كيف عقله ؟ فقالوا يا رسول الله نثنى عليه بالعبادة واصناف الخير وتسالنا عن عقله ؟ ؟ فقال صلى الله عليه وسلم ان الاحمق العابد يصيب بجهله اعظم من فجور الفاجر وانما يقرب الناس من ربهم بالزلف على قدر عقولهم ، ويوم القيامة يقول اعداء عقولهم ما جاء في القرآن الكريم (وقالوا لوكنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير) (سورة تبارك)

وفى الاثر : افضل الناس اعقل الناس :

وجاء فى كتاب ادب الدنيا والدين صفحة ٧٣ ـ ان معاوية استعمل رجلا من « بنى كلب . فذكر المجوس عنده يوما ، فقال لعن الله المجوس . ينكحون امهاتهم . والله لو اعطيت عشرة آلاف درهم ما نكحت أمى ، !!! فبلغ ذلك معاوية فعزله . وولى الربيع العامرى . وقال . اترونه لو زادوه فعل ؟ الا قبحه الله .

ان منطق المرء دليل عقله ، وحكى الاصمعى رحمه الله قال قلت لغلام ذكى من أولاد العرب كان يحادثنى فامتعنى بفصاحته وقوة بيانه ، ايسرك ان يكون لك ماته الف درهم وانت احمق قال لا والله ، قلت لم ؟ قال اخاف ان يجنى على حمقى جنايه تذهب بمالى ويبقى على حمقى ، وهذه لغة صبى صغير ولكنه ذو عقل كبير :

وهل ثمة احمق ممن يجحد دين الله وشرائعه الخالدة ؟ . (فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ان الاسلام قادر على ان يربى أقواما تستنير بالحق ابصارهم فلا يخافون فى الحق لومة لائم . فلا يرتكبون الضلالة ولا يحترفون الجهالة ، ولقد نجح هذا الدين فى بناء المجتمع المثالى المؤمن وهو اليوم يستطيع بمبادئه وشرائعه كلها ان ينتصر اذا ساندته القوة فلابد للحق من قوة تصونه وتجعله يمحق الباطل ويدمغه فاذا هو زاهق ، ويمحو عواصف الالحاد التى يثيرها الملاحدة الزنادقة من المنتسبين الى المبادىء المضادة للتوحيد ورسالات الله المنكرين لوحيه وكتبه ورسله وملائكته وقد اضلهم الله على علم ، والدين الاسلامى بقوته الذاتية يحتاج لقوة مادية تصد عنه كيد المعتدين ، وهو فى قلوب المؤمنين قوة متمكنة لا يزحزحها شك ولايخالطها ريب مهما اخذوا بالعنت والضيق . ومهما عرض عليهم من اغراء بالمال او غيره من جانب اعداء الاسلام . !

وما استطاعت الحملات التبشيريه التى رصدت لها الاموال الضخمة وجندت لها العقول الجبارة ان يخلخل عقيدة مسلم عن دينه او تفتنه فيه ، وسيظل القرآن « وشريعته » باقيا خالدا صامدا .

(وبالحق انزلناه . وبالحق نزل وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا . وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا قل آمنوا به او لا تؤمنوا ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا) (سورة الاسراء ١٠٥ـ١٠٧)

ويقول جل جلاله (تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب اليم . وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) . (سورة النحل ٦٣ ـ ٦٤) .

بقية مقال «يوم من ايام الرسول صلى الله عليه وسلم»

يقطر على رسول الله منه شىء فيؤذيه . » .

٤ وفى يوم العيد

« عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج يوم الفطر والاضحى الى المصلى فاول شىء يبدأ به الصلاة ثم ينصرف فيقوم مقابل الناس والناس جلوس على صفوفهم فيعظهم ويوصيهم ويأمرهم فان كان يريد ان يقطع بعد قطعه أو يامر بشىء امر به ثم ينصرف » .

٥ وفى يوم العيد يتمثل السماحة والرحمة ، ونرى صورة من صور رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اهل بيته .

« قالت عائشة رضى الله عنها : كان السودان يلعبون فى ايام العيد بالدورق والحراب فقال النبى ان كنت اشتهى ان انظر قلت نعم : قال فاقمنى وراءه ، وهو يقول : دونكم بنى أرفدة ، حتى اذا مللت قال : حسبك قلت نعم قال فاذهبى .

وتقول : خرجت مع النبى فى بعض اسفاره وانا جارية لم أكن احمل اللحم فقال للناس : تقدموا تقدموا ، ثم قال لي : تعالى اسابقك . فسابقته فسبقته فسكت حتى اذا حملت اللحم وكنا فى سفرة أخرى قال للناس : تقدموا ثم قال : تعالى اسابقك ، فسابقته فسبقنى .

فجعل صلى الله عليه وسلم يضحك . ويقول : هذه بتلك

٦ ويدخل عمر على رسول الله وقد نام على فراش من ليف اثر فى جنبه الشريف فيقول قولته عن كسرى وقيصر فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ان هؤلاء قوم قد عجلت لهم طيباتهم فى حياتم الدنيا : انما مثلى ومثل الدنيا كراكب استظل فى شجرة ساعة من نهار ثم مضى وتركها » .

هكذا كانت ايام رسول الله صلى الله عليه وسلم عامرة بالعبرة التى تنفع مجتمعنا وتكشف عن جوهر شخصية هذا النبى العظيم : سيد الخلق وخاتم المرسلين والمثل الاعلى للبشرية كلها وقدوة المسلمين وأسوتهم الحسنة فى حياتهم كلها وعلى طول الازمان والعصور .

منتجاتها تحوز رضاء عملائها في جميع أنحاء العالم
تصدر إلى
أوربا
الشرقية والغربية
أفريقيا
الوسطى والغربية
الدول العربية
أمريكا
أستراليا
شركة مصر/حلوان للغزل والنسيج
مصانع ت ٣٨٠٣٠ - ٣٨٠٣٦ / ٣٨٠٣٨
٣٩١٨٠ - ٣٩١٨٦ / ٣٩١٨٨
عنوان تلغرافي
سومسو حلوان

الفن الإسلامي

نجر الخشب وزخرفته

فى العصور الإسلامية

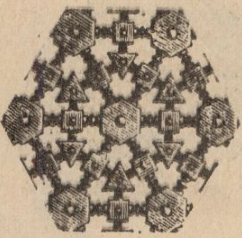

الأستاذة سميحة محمد الجبالى

فتح العرب مصر فورثوا عن أهلها فنا جميلا هو فن الحفر على الخشب ، ولا غرابه فى أن يزدهر هذا الفن فى مصر الاسلاميه ، فهى عريقة فيه مبدعة فى فنونه منذ أقدم العصور : وان التحف الخشبية التى كشفت عنها الحفائر الاثرية فى منطقة « عين الصيرة » و « الفسطاط » كثيرة ومتنوعة ، ومن أحسن المراجع التى تجلو لنا قيمة هذه القطع ذلك الكتاب القيم الذى نشره المتحف - الاسلامى بالقاهرة ووضعه العلامة الفرنسى - بوتى - عن الزخارف الاسلاميه فى الخشب .

ولقد احتفظت صناعة الحفر على الخشب فى العصر الاموى بالاساليب الفنية التى كانت معروفة من قبل فى سورية ، كما نلاحظ أن الزخارف على الخشب كانت عناصرها متأثرة بالفنون السابقة على الاسلام لاسيما الهلينيستية والساسانية ، واحسن مثل لها الواح الخشب التى عثر عليها فى المسجد الاقصى بالقدس ، وتضم زخارفها وحدات من أوراق الاكانتاس ، وأوراق العنب وتفريعاته ، واشكال السلال التى تخرج منها الفروع النباتية .

ومن أحسن أمثلة الحفر على الخشب فى العصر العباسى الاول ، قطعة خشبية عثر عليها فى مدينة تكريت الواقعة شمالى العراق يرجع العلماء أنها كانت جزءا من منبر أو باب ، وتتألف زخارفها من نبات العنب وعناقيده وكيزان الصنوبر التى شاع استخدامها من قبل فى العصر الاموى ، وامتاز اسلوب مدينة السمراء فى العراق بالفن التجريدى الواضح فى زخارف بعض الالواح الخشبية التى بها رسوم لزهيرات مجردة او لطيور أو حيوانات مألوفة لكن مع تحوير فى أشكالها .

وفى عهد الدوله الطولونية حدث تطور واضح فى الاساليب الفنية وتغيير ظاهر فى العناصر الزخرفية ، قد امتاز الحفر على الخشب لهذا العصر بأن زخارفه كانت مزينة بزخرفة محفورة حفرا مائلا او مشطوفا ، كما كانت مكونة من بعض فروع وخطوط حلزونية ، وقد تؤلف هذه الخطوط رسما تخطيطيا لازواج من الطيور المتقابلة او أوراقا مجنحة ، وقد استخدم الخشب أيضا ليسجل عليه من الكتابة ما يراد ثباته وبقاؤه ، وكانت بخط كوفى يبرزه الحفر البسيط كما يرى فى افريز بأعلى الجدران فى الجامع الطولونى .

وفى اوائل العصر الفاطمى كانت العلاقة واضحة بين الزخارف الخشبيه العباسية والفاطمية ، ثم نرى نماذج لعصر الانتقال من الاسلوب الطولونى والفاطمى فى الزخارف الخشبية الموجودة فى الباب الذى صنع بأمر الخليفة الحاكم ليوضع فى الازهر وقت تجديده سنة ٤٠٠ هـ - ١٠١٠ م ، ويلاحظ أن التفريعات النباتية الموجودة به تشبه كثيرا الزخارف المنحوتة فى الخشب بمدينة السمراء ، كما اقبل الفنان على استخدام الاشكال الحيوانية كعناصر زخرفية ، مثال ذلك حشوة خشبية مستطيله بالمتحف الاسلامى بالقاهرة كانت تزخرف بابا خشبيا ، ويظهر فى زخارف هذه القطعة تفريعات نباتية وزوج من رءوس الخيل تخرج من

افواهها مراوح وأنصاف مراوح نباتية .

ولقد وصلت الزخارف الخشبية الفاطمية الى عصرها الذهبى فى القرن الحادى عشر الميلادى ، فى هذه المرحلة نرى امتزاجا وتنوعا عجيبا بين العناصر النباتية والحيوانية والهندسية يجعل منها وحدة متماسكة .

ومن التحف الخشبية التى ترجع الى اواخر القرن الحادى عشر منبر الخليل فى فلسطين ذو الزخارف النباتية المتشابكة وهى فى غاية الدقة داخل مناطق من أشكال هندسية واشكال نجوم .

ويظهر فى أواخر العهد الفاطمى ميل الى استخدام الاشكال الهندسية فى زخرفة الخشب فنجد الاشكال النجمية والمربعات والمعينات والمستطيلات تحتوى على زخارف نباتية يجمعها الفنان بعضها الى بعض لتكون الشكل الهندسى المطلوب ، وأحسن مثل لذلك محراب السيدة

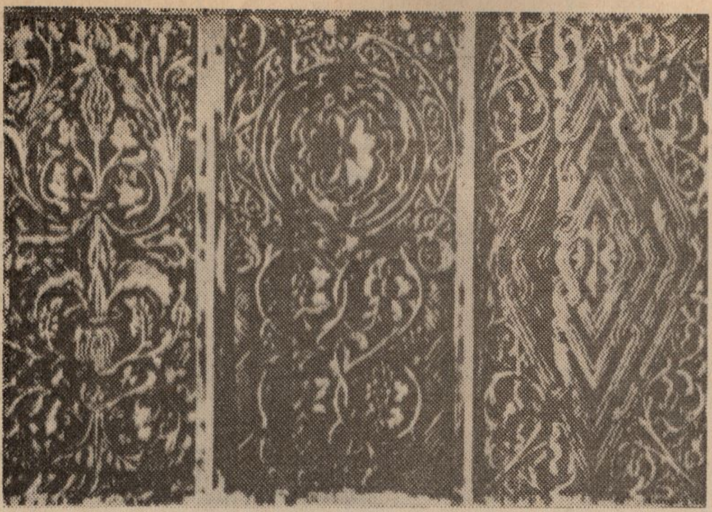

ثلاثة الواح خشبية منقوشة ، عثر عليها فى المسجد الاقصى بالقدس ، العصر الاموى

رقية الذى تزين واجهته حشوات بداخلها زخارف من التفريعات النباتية الدقيقة العميقة الحفر ، وتكون كل ست حشوات منها شكلا نجميا ، ويلاحظ أن بعض الحشوات محفورة بعمق ظاهر وبعضها الاخر قليل العمق ، وهذا المحراب له اطار مزين بالخط الكوفى المزخرف الذى يقترب من الخط النسخ ، ويستطيع المشاهد ان يتامل فيه روعة الاسلوب الفاطمى وهو فى اوج كماله الفنى ، وقد كان ثراؤه بالزخارف يفوق اروع ما قام به الصناع الفاطميون حتى فى ميدان الزخارف الجصية .

اما صناعة الحفر على الخشب خلال العصر الايوبى فكانت امتدادا لاساليب العصر الفاطمى ، غير أننا نلاحظ أن الخط النسخى بدأ يحل محل الخط الكوفى ، كما أن الحشوات ذات الزخارف النباتية زادت دقة ويتوسط بعضها نجمة ، ومن اجمل تحف هذا العصر تابوت الامام الشافعى وتابوت المسجد الحسينى بالقاهرة .

ولقد بلغ الحفر على الخشب درجة كبيرة من الدقة والاتقان فى تركيا خلال القرنين الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين ، يؤيد ذلك ما عثر عليه من منابر خشبية وكراسى ومصاحف وتوابيت

رسم تفصيلى لباب من الجامع الاخضر فى بروسه تتجلى به روعة الزخارف المحفورة

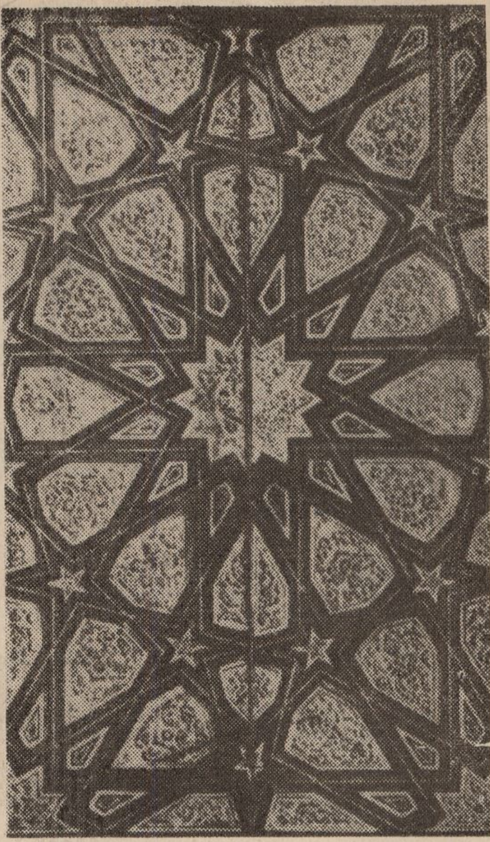

باب من الخشب مطعم بالعاج ، العصر المملوكى ، اواخر القرن ٧ هـ — ١٣ م — حاليا بمتحف المتروبوليتان

حشوة خشبية بنقوش تنتهى براس جوادين ، العصر الفاطمى ، القرن ٥ هـ — ١١ م — المتحف الاسلامى بالقاهرة

وأبواب منقوشة بزخارف غاية فى الدقة والروعة ، ولقد زخرفت هذه المصنوعات الخشبية غالبا بوحدات هندسية ، ومن أجمل هذه النماذج باب يرجع تاريخه الى القرن السادس الهجرى « الثانى العشر الميلادى » عثر عليه فى قونية ، العصر السلجوقى بتركيا ، ويغطى سطح الباب زخارف هندسية على هيئة الاشكال النجمية ، ويحيط بهذا الجزء المنقوش بالزخارف الهندسية اطار به زخارف نباتية دقيقة ، كما يعلو الباب شريط من الكتابة النسخية ، ومن اجمل القطع التى تظهر فيها الزخارف النباتية زخارف الارابيسك منقوشة بمهارة ، كرسى لمصحف كان فى مسجد علاء الدين بقونية قوام زخرفته عناصر كتابية ونباتية ، وتظهر الزخارف الكتابية محفورة حفرا عميقا ، ويوجد على هذا الكرسى نقش باسم صانعه عبد الواحد بن سليمان وترجع صناعته الى القرن الثالث عشر الميلادى .

أما فى ايران فكان احسن الامثلة للحفر على الخشب منابر خشبيه مزخرفة بحشوات ذات زخارف هندسية ونباتية ، ومن روائع نماذج تحف الخشب التى نحتت فى أواخر القرن الثامن الهجرى الرابع عشر الميلادى كرسى مصحف تتكون زخارفه من تفريعات نباتية متشابكة ونباتات طبيعية مزهرة ، وبراعم صينية ، ويظهر بالكرسى أيضا نص كتابى بالخط النسخى يفيد بأنه من صنع سليمان الاصفهانى فى عام « ٧٦١ هـ — ١٣٦٠ م » .

أما فى العصر المملوكى فى مصر فقد استطاع الفنانون أن يبدعوا فى زخرفة الحشوات بالرسوم الدقيقة ، قد أغفل الفنان المصرى نهائيا استخدام الوحدات والعناصر الحية ، واقبل على الاشكال الهندسية النجمية ، وبرع فى تكوين زخارف منها ، وتتكون هذه الاشكال النجمية من حشوات صغيرة تتألف من أشكال سداسية الاضلاع مزخرفة بالفروع النباتية المورقة الدقيقة ، وبتوسط هذه الحشوات أشكال نجمية مزخرفة بنقوش نباتية دقيقة أطلق عليها اسم « الاطباق النجمية » ولقد انتشر استخدام

هذه الزخارف النجمية فى الابواب والمنابر الخشبية المملوكية التى صنعت فى القرون الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر الميلادى . ولقد توصل الفنان فى العصر المملوكى الى أسلوب زخرفى جديد فى زخرفة الاسطح الخشبية ، وذلك بتطعيم الخشب بأشرطة رقيقة من نوع آخر من خشب يخالفه فى اللون ، كما طعمت القطع الخشبية بطبقة دقيقة من الفسيفساء تتألف عادة من قطع العظم او العاج أو الابنوس أو الاصداف أو انواع أخرى من الخشب الثمين تلصق على السطح كله ، وهو ما يسمونه بالترصيع ، ومن امثلة ذلك تحفتان رائعتان وجدتا فى جامع أم السلطان شعبان هما ، صندوق مصحف ، وكرسى عشاء ، فالصندوق مسدس الاضلاع لحفظ القرآن ، ويغطى ظاهره وداخله ترصيع جميل ، وغطاؤه منحدر الجوانب ، يزينه شريط به اشكال هندسية مسدسة يتوسطها شكل نجمى ، وسائره مزخرف بأشكال هندسية تملؤها نجوم ، أما كرسى العشاء فهو على شكل منشور ذى ستة أضلاع ، مكسو بطبقة من الفسيفساء ، تتألف فى الغالب من قطع صغيرة من الابنوس والسن والعظم .

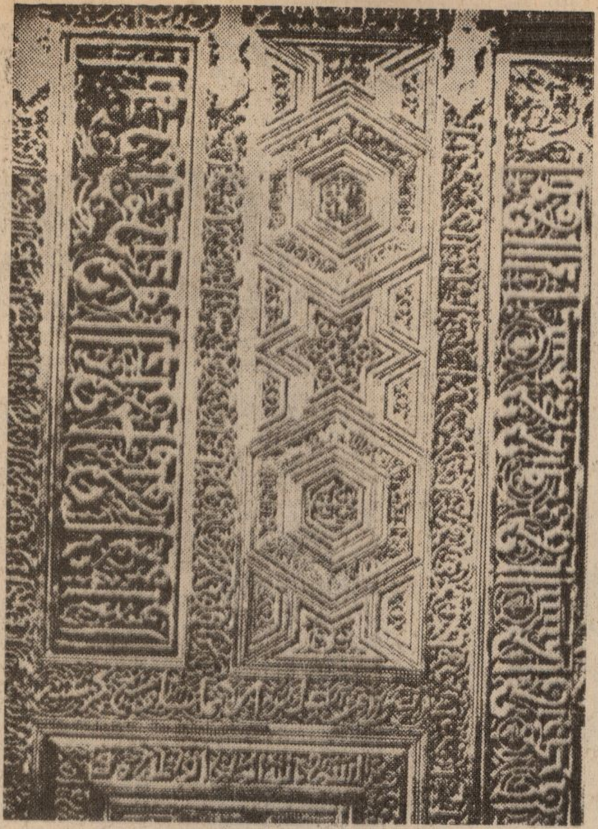

تركيبة قبر [تابوت] ، القرن ٧ هـ — ١٣ م ، مزينة بحشوات مجمعة مزخرفة بالحفر نقل من جامع سيدنا الحسين بالقاهرة سنة ١٩٤٥ ، المتحف الاسلامى

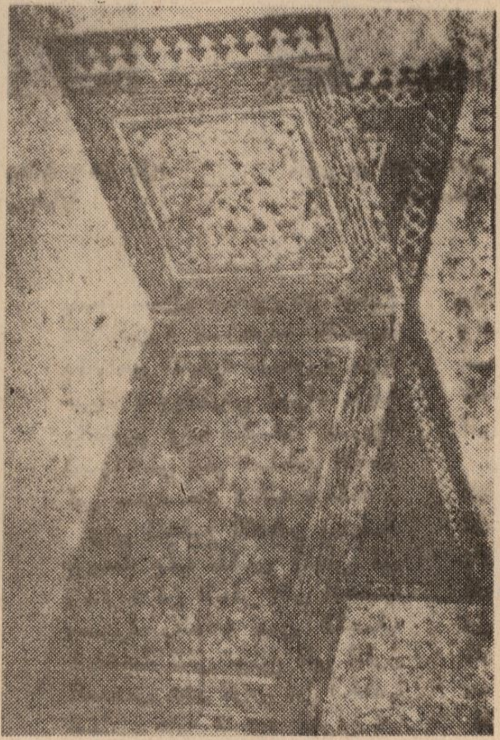

كرسى مصحف من الخشب المطعم بالعاج والصدف متحف الفن الاسلامى باسطنبول

كما ازدهرت فى عصر المماليك صناعة الشبكيات من الخشب المخروط ، وهى التى تعرف باسم « المشربيات » ولقد بلغ عصر المماليك فيه حد الاتقان والتنوع ، وكانت فتحات العيون فى المشربيات تتفاوت اتساعا ، وتملأ أحيانا بقطع أخرى من الخشب المخروط لتؤلف كتابات او رسوما ، وذلك يترك العيون الاخرى واسعة لتكون أرضية يظهر منها الرسم أو الكتابة ، ومن امثلة ذلك مشربية دقيقة الصنع ، ملئت بعض عيونها بقطع من الخشب المخروط ليظهر عليها

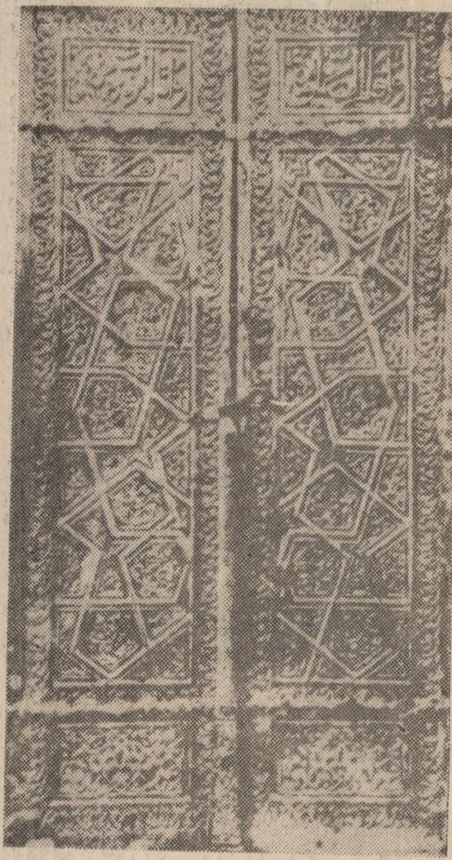

باب خشبى منقوش بزخارف هندسية وكتابية ، عثر عليه فى قونية العصر السلجوقى بتركيا

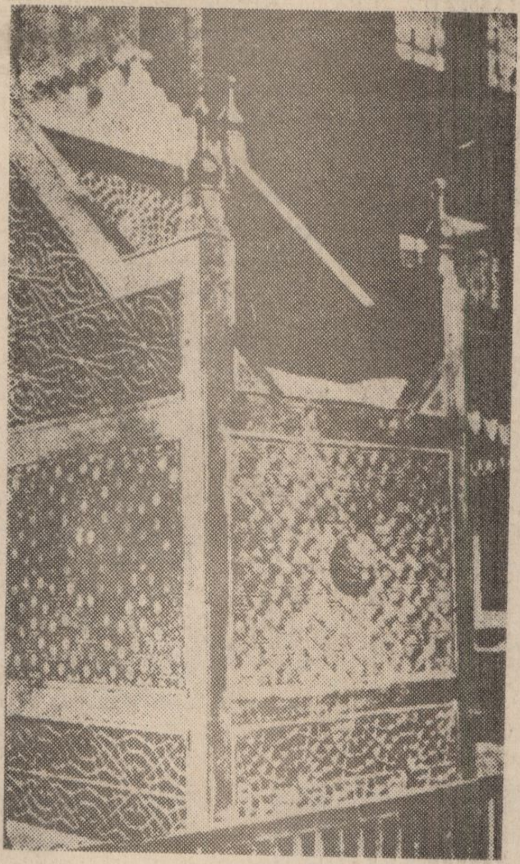

كرسى من الخشب تتجلى فيه الزخارف المجمعة والمخرمة من مسجد السلمانية باسطنبول

رسم منبر ومشكاه ، وتركت العيون الاخرى واسعة كأرضية للرسم ، وقد أقبل الفنانون على انتاج تحف من الخشب الخرط كالدكك والكراسى والحوافز الخشبية للمقصورات فى المساجد

أما العثمانيون فقد استعملوا فى تزيين تحفهم المصنوعة من الخشب طريقة تخريم الزخارف فى الخشب وتكوين مناور زخرفية بواسطة ثقب الخشب بطريقة معينة . ومن التحف الخشبية العثمانية « كرسى مصحف » بمتحف الفن الاسلامى باسطنبول ، مكون من لوحين متداخلين ، مزخرف كلاهما بالعناصر النباتية المحفورة حفرا عميقا ، وبالكرسى اجزاء مزينة بالتخريم وفيه كتابة عربية نصها « فى أيام السلطان الاعظم أبى سعيد خلد « الله » ملكه .

وفى **الجامع الاخضر بمدينة بروسة** باب خشبى يتجلى فى زخارفه فن الحفر على الخشب بصورة رائعة ، ومن التحف الخشبية التى ترجع الى القرن السادس عشر كرسى من الخشب لبجلس عليه قارىء القرآن ، وهو يزدان بزخارف مخرمة ، وزخارفه مجمعة غاية فى الروعة والجمال . وفى متحف مدينة اسطنبول تحف شتى من الخشب المطعم بالصدف وبالعاج ترجع الى القرن الثامن عشر .

وهكذا نرى فيما لدينا من الآثار الخشبية الباقية فى أنحاء الاقطار الاسلامية ما يشهد بالاحسان والابداع فى الصناعات الخشبية وحفرها وزخرفتها وتطعيمها على مر العصور ، ويرينا ما امتاز به صناعنا من صبر ، وأصالة فى الفن ، وقدرة على الابتكار والتطوير .

الإبداع الفنى فى صناعة الأسلحة عند العثمانيين

قال تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم » . صدق الله العظيم حثنا الله سبحانه وتعالى على القتال لنصرة الحق واعلاء كلمة الله والاستعداد لذلك وتجهيز العتاد اللازم للمعارك .

وقد عمل العثمانيون بما جاء فى هذه الايات الكريمه من ارشاد وتوجيه ، نظرا لما تميز به عصرهم من كثرة الحروب والفتوحات . فنبغوا فى صناعة الاسلحه والمعدات الحربية وقد ساعدهم على ذلك وفرة المعادن اللازمة لهذه الصناعة واتصالهم بالاقطار التى بلغت شأوا بعيدا فى هذا المضمار ، بالاضافة الى حب العثمانيين لهذه الفنون وشغفهم باضفاء الجمال على كل ما تلمسه أيديهم وما تراه أعينهم .

دكتورة سعاد أحمد جمعه

ولقد عرف العثمانيون من المعادن والنحاس والذهب والفضة والبرنز والحديد ، كما نبغوا فى اتقان شتى أساليب التقنيات الصناعية والفنية فى تشكيل وتزيين المنتجات الفنية . ومن التقنيات التى عرفها العثمانيون طريقة الصب التى تقوم على صهر المعادن مثل البرونز والحديد وصبها فى قوالب من الحجر عليها زخارف بارزة او غائرة ، كما عرفوا أيضا طريقة الطرق ، وهذه الطريقة تستعمل فى المعادن اللينة التى يسهل طرقها مثل النحاس والذهب والفضة ، حيث تشكل بالضرب عليها . ومن الطرق التى عرفها العثمانيون أيضا فى تشكيل المعادن طريقة التحزيز ، وهى الطريقة التى تعتمد على رسم زخارف المشغولات بواسطة آلة مدببة ، وهذه الطريقة تصلح للمعادن التى يمكن احداث الزخارف عليها بهذه الطريقة وبسهولة ..

ونبغ العثمانيون ايضا فى طريقة تثقيب المعادن ، حيث تزخرف المشغولات بزخارف مخرمة تشبه الدنتلا . كما أتقنوا طريقة الزخرفة بالتكفيت أو التطعيم أو الترصيع . وتعتمد هذه الطريقة على تطعيم المنتجات بمعدن أعلى قيمة من المعدن المصنوعة منه ، حيث تحفر الزخارف وتملأ بالذهب او الفضة السائلة . كما عرف العثمانيون طريقة التطعيم بالمينا ، وعرفوا منها طريقتين ، الاولى استخدام مسحوق الزجاج الذى يخلط ببعض الاكاسيد ويذاب فى مادة زيتية حتى يتحول الى سائل بواسطة التسخين الى درجة معينة ويصبح صالحا للرسم به . وتختلف ألوانه باختلاف الاكاسيد المكونة للخليط . وتملأ به الزخارف المحفورة على سطح المنتجات .

أما الطريقة الثانية . فتعرف باسم Niels او المينا السوداء وهى تتركب من مسحوق الرصاص والنحاس والبورق والكبريت وملح النشادر وتمزج معا ويتكون منها سائل يصب وهو ساخن فى الاماكن المحفورة على السطح المراد زخرفته ، وعندما يبرد السائل يصقل فيظهر لون المينا الاسود اللامع وقد تأثر العثمانيون بصناعة الاسلحه فى الاقطار التى غزوها وقاموا بفتحها ومن هذه الاقطار ايران فى العصر الصفوى : والتى كانت تعتبر اعظم مراكز صناعة الاسلحة فى الشرق الادنى والاوسط وقد نقل العثمانيون منها الكثير من الاسلحة والمعدات الحربية . كما أخذوا عنها طريقة زخرفة الاسلحة بالتطعيم والترصيع بالاحجار الكريمة . وكذلك نقلوا الكثير من التقنيات عن مصر

ومن الاسلحة ومعدات القتال التى عرفها العثمانيون الزرد والدروع والسيوف والدبابيس والفئوس والخوذات . وقد اقتصروا فى صناعتها على الحديد والصلب نظرا لقوة تحملهما .

وقد غنم السلطان سليم الاول : اشهر سلاطين العثمانيين - الكثير من الاسلحة فى حروبه مع الايرانيين عندما استولى على تبريز سنة ٩٢٠هـ . وهذه الاسلحة معروضة فى كثير من المتاحف التركية والعالمية منها متحف طوبقابو باستمبول والمتحف الحربى التركى . ومن أشهر هذه الاسلحة ، سيف مصنوع من الصلب تغطيه زخارف نباتية وكتابات عربية من الذهب .

كما برع العثمانيون فى صناعة الخناجر وابرز ما عرف منها خنجر معروض فى متحف طوبقابو ، ترجح الاراء ان سليم الاول قد غنمه فى حربه مع اسماعيل الصفوى شاه ايران . وهو مصنوع من الحديد عليه عبارات تشيد بالنصر وزخارف نباتية مذهبة ومرصع بالاحجار الكريمة ومقبضه من البللور الصخرى .

ومن الاسلحة التى برع العثمانيون فى صنعها وزخرفتها الدبابيس وهى تتكون غالبا منرأس ضخمةمن معدن صلب ولها يد معدنية طويلة · معروض أحدها فى متحف طوبقابو وله يد مصبوعة من الفضة المذهبة وراسه من حجر اليشب ·

أما الفئوس التى عرفها العثمانيون وبرع فى صناعتها فأروع مثال لها ذلك الفاس المعروض فى المتحف الحربي التركى · نصله على هيئة هلال من الفضة المذهبة وتزينه زخارف مخرمة بالاسلوب الرومى ، أى بيزنطى وهو أسلوب يقوم على الفروع النباتية المرسومة بطريقة خاصة لا تخضع فى شكلها لمطابقة

من سورة الفتح · **انا فتحنا لك فتحا مبينا · ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك ما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما ·**

كما حرص العثمانيون على وقاية رؤوس المحاربين بصنع الخوذات ، حرصوا كذلك على حماية أجساد الجنود بصنع الزرود · والزرد هو رداء يشبه القميص مصنوع من حلقات معدنية متصلة ببعضها تكون شكلا يشبه الشبكة ويتخللها بعض الصفائح المعدنية المستطيلة الشكل عليها كتابات زخرفية · ومتحف طوبقابو يحتفظ بزرود يرجع تاريخه الى القرن الخامس عشر مصنوع من الصلب المطعم بالذهب كما عرف

وقد انعكست تعاليم العقيدة الاسلامية فى صنع معدات القتال ، حيث حثت على الشفقة والرحمة والعطف بالحيوان · ونظرا لاهمية الخيول ودورها فى المعارك الحربية ، **فقد ابتدع العثمانيون للخيل دروعا لحمايتها من سيوف الاعداء وسهامهم وخناجرهم · وكان درع الفرس يتكون من عدة أجزاء اهمها ما كان يوضع فوق وجه الفرس لحماية جبهته وانفه وأذنيه ·**

ولم يقتصر ابداع العثمانيين للاسلحة على هذه الانواع الوقائية بل امتد نشاطهم الى تلك الاسلحة المعدنية القتالية الخالصة او التى يدخل المعدن فى بعض اجزائها مثل القوس والسهم

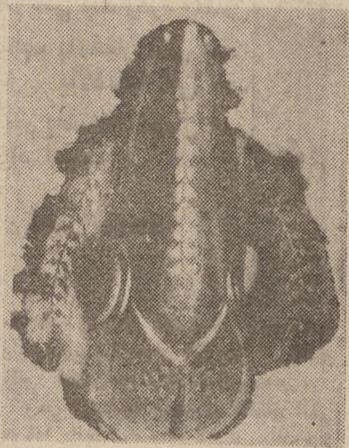

درع من الحديد المكفت بالفضه يوضع فوق وجه الفرس لحمايته

خوذة من الحديد المطعم بالذهب — متحف طوبقابور استمبول

خوذة من الحديد المطعم بالذهب — متحف طوبقابو استمبول

الاشكال الطبيعية ، مما جعل لها طابعا خاصا بها وتسمى ايضا زخارف التوريق العثمانية ·

ومن معدات الحرب الوقائية عرف العثمانيون صناعة الخوذات التى تقى رؤوس المحاربين من ضربات اعدائهم ، وكان المحاربون يرتدونها عند خورجهم الى ساحة المعارك وهى تصنع من الحديد او النحاس على شكل مخروط وهى تعد من أهم ادوات القتال وتلبس فوق العمامة — ويحتفظ متحف طوبقابو بعدد منها وهى تصنع غالبا من الحديد وتزين بالزخارف النباتية بطريقة التطعيم بالذهب ·

وبالايات القرآنية التى تحث على الجهاد ، وطلب العون من الله تعالى ، حتى يتحقق النصر ومن الايات التى كتبت على هذه الخوذات

العثمانيون صناعة الدروع لوقاية اجساد المحاربين ايضا · والدرع يلبس فوق الزرد ويصنع من الحديد المطعم بالذهب وهو يتكون من أربعة اجزاء واحد لحماية الظهر وآخر لحماية الصدر والاثنان الاخران لحماية الاجناب بكل منهما فتحة لخروج الذراعين ·

للدروع العثمانية انواع عديدة من اشهرها النوع المسمى بالتركية جهار آيه اى ذى المرايا الاربع ، تغطيه زخارف قائمة على ايات قرآنية كريمة تتحدث عن الجهاد · ومن الدروع التى يحتفظ بها متحف طوبقابو درع مزين بوحدات زخرفية تتكون من أزهار القرنفل واللالىء وقد كان لهذه الزهرة الاخيرة قيمة روحية لدى العثمانيين حيث يتكون اسمها من حروف لفظ الجلالة

وجعبه · الا ان صغر حجم هذه الاسلحة وضيق المساحة المراد زخرفتها دفع الفنان الى تصميم بعض الوحدات الزخرفية البسيطة التى لا تنم عن مهارة فنية خارقة · ما عدا جعبات السهام الخشبية التى مكنت الفنان من ابداع زخارف متنوعة ·

ان حب العثمانيين للفن والجمال كان عميقا متاصلا فى نفوسهم بدرجة لم تنسهم اياه خشونة الاسلحة والمعدات وقسوة وبشاعة وظيفتها ·

ان ترسم الجمال فى جميع مجالات الحياة ، يسمو بالنفس ويهذب السلوك ويدفع أفراد المجتمع الى التعاون والتعاطف ، وعلى أفراد الامة الاسلامية العمل على خلق البيئة الجمالية حتى تتحقق مبادىء العقيدة الاسلامية ويسود الود والتآلف والمحبة بين الناس وتزول آثار الحقد والبغضاء من النفوس ·

القصة

رجـل
ومعـارك

سعد بن أبي وقاص

الأستاذ محمد صالح

كان سعد بن ابى وقاص يرتبط بصداقة عميقة بأبى بكر الصديق رغم فارق السن بينهما فهو بعد عمره عن الخامسة والعشرين عاما وابى بكر تزيد سنين عمره عن الاربعين .. ومع ذلك كان الحب بينهما صافيا والود خالصا .

لذلك ما أن سمع سعد ان صديقه قد اتبع دينا جديدا جاء به محمد بن عبد الله حتى ذهب الى ابى بكر يسأله وجاءه الرد بالايجاب ، ولم يتردد فهو لا يثق بصديقه فقط .. ولكنه وقبل ذلك يعرف ان محمدا هو الصادق الامين الذى يكرم الضيف ولا يرتكب المحرمات ولا يأكل الربا كما أن محمدا الى جانب ذلك يعتبر من ابناء اخوته .. فآمنة بنت وهب والدة محمداً هى ابنة عم سعد بن ابى وقاص ..

ويطالب سعد من ابى بكر ان يذهب الى النبى . وعن ذلك يقول سعد

ماأسلم رجل قبلى الا رجل اسلم فى اليوم الذى اسلمت فيه . ولقد اتى على يوم وانى قبلت الاسلام .

واسلم سعد ، ورغم تكتمه عرفت امه التى يكن لها حبا عظيما .. ولانها تعلم مكانتها من قلبه ونفسه قررت ان تعيده الى دين آبائه فأضربت عن الطعام وهى تعلم بأن ولدها سيتراجع عن ما اعتنقه حتى لا يتركها تهلك من الجوع والعطش .

ومرت ساعات والابن ثابت على موقفه .. وانتهى اليوم والام تتضور جوعا ويتغير لونها . والابن يتألم لما تعانيه امه ولكنه مصر على دينه ويجىء اليوم الثانى ويزداد عذاب الام من الجوع والعطش ويتألم سعد ويعصر الحزن قلبه على ما تلاقيه امه التى يحبها .. ومع ذلك فانه لا يتزحزح عن موقفه .. بل يميل على امه ويقول لها « أمى . والله لو كانت لك

الف نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت هذا الدين ابدا » .

وتشعر الام انها ستموت لا محالة اذا استمرت على عنادها ، فتعدل عن الاضراب وتأكل وتشرب .. ويعرف الرسول .. فتزداد منزلة سعد فى نفسه .. وينزل القرآن الكريم مسجلا لموقف البطل فيقول سبحانه وتعالى « **وان جاهداك على ان تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا** » وفى قوله تعالى « **جاهداك** » وصف لما تعرض له سعد بن ابى وقاص .

هذا الموقف من أشهر مواقف سعد فى الايام الاولى لاسلامه » موقف فيه الاصرار على مايراه حقا .. موقف فيه كل الايمان بدين الله حتى لو ادى ذلك الى هلاك اقرب الناس اليه ، أمه .

مع موقف آخر : كان المسلمون من الايام الاولى للدين الجديد يؤدون صلاتهم خفية من المشركين بناء على اوامر النبى فى احدى شعاب مكة البعيدة حتى لا يتعرض لهم المشركون بالادى ، وفى يوم يتصدى بعض اهل الكفر للمسلمين وبينهم سعد بن ابى وقاص ، ويحاول أهل الكفر منع المسلمين من الصلاة ويتقولون على النبى .. فلا يسكت سعد يغلظ لهم القول .. ويتماسك مع كبيرهم ويشج له راسه ويسجل التاريخ انه بذلك اصبح اول من اراق دم كافر فى سبيل الاسلام . وتعلم مكة ومصير سعد على ان يخرج المسلمون على نية للصلاة تحديا للمشركين وتشرفا بالانتماء الى دين الله .

بعد الهجرة يكون صاحب اول سهم يرى فى الاسلام .. فقد خرج قبل بدء سرية يقودها عبيدة بن الحارث ارسلها النبى لتعترض قافلة من قريش وكان اول من رمى بسهم فيها .

ثم قامت الغزوات .

بدر..ثم احد .. وفيها تكشفت مواهبه العسكرية والقتالية ، فقد اشترك فى وضع الخطة وترتيب اماكن المقاتلين .. حملة الرماح ورماة السهام والفرسان ، فلما استدارت كفة القتال نتيجة مخالفة بعض المقاتلين لاوامر النبى بتركهم مواقعهم واصبح المسلمون فى غاية الحرج والتضييق عليهم من جيش المسلمين .. وقف سعد الى جوار الرسول يصد عنه الحراب ويرمى من يريدون الوصول اليه والرسول يقول له مشجعا «ارم سعد ارم .. فداك ابى وامى» .. ورغم جراحه لم يتزحزح وظل طوال المعركة درعا واقيا للنبى .

واستمر مشاركا فى الغزوات بالتخطيط والقتال كأمهر ما يكون الجنود البواسل وذلك طوال حياة النبى ثم فى الغزوات التى جهزها الخليفة الاول صديقه ابو بكر الصديق .

وكانت أكبر المعارك التى قادها فى خلافة عمر بن الخطاب .

يومها قال الخليفة لاصحابه وهو يعد للجيش الذى سيوجهه الى بلاد فارس : «دلونى على رجل استعمله

.. رجل اذا كان فى القوم وليس اميرهم ، كان كأنه أميرهم ، واذ كان أميرهم كان كأنه رجل منهم » .

واتجهت كل العيون الى سعد بن أبى وقاص .. فأومأ عمر بن الخطاب مثنيا على حسن اختيارهم .. واتجه الخليفة بعينيه الى سعد الذى وقف فى تواضع المؤمنين يستمع الى نبأ اختياره قائدا واميرا للجيش الكبير ثم الى عمر بن الخطاب يقول له والناس من حولهما : « يا ابن أم سعد .. لا يغرنك فى الله أن يقال انك خال رسول الله .. وصاحب رسول الله ، فان الله لا يمحو السىء بالسىء ، ولكنه يمحو السىء بالحسن .. وانه ليس بين الله وبين أحد نسب الا طاعته .. الناس شريفهم ووضيعهم فى دين الله سواء .. يتفاضلون بالتقوى ، ويدركون ما عنده بالطاعة .. فانظر الامر الذى رأيت رسول الله يلزمه فالزمه » .

وسار الجيش وكان سعد بن أبى وقاص فى معركة القادسية كأعظم ما تكون البطولة وأصاب الذهول قادة الفرس وهم يهزمون على أيدى رجل بعثه لهم عمر ابن الخطاب ، رغم نظريات الحرب وفنونها وجزعها التى استزدموها جميعا معه !

وكان نصرا لم يتغير معه شىء من طبائع سعد بن أبى وقاص فهو لا يزال الرجل المتواضع الذى لم يزدهيه النصر .. لا يزال « ابن أم سعد » كما قال له عمر يوم اختاره لقيادة الجيش الكبير .

وعندما أسند اليه عمر منصب الولاية فى الكوفة .. تلقى النبأ بنفس التواضع .. وكان واليا عادلا محبا لرعيته .

وعندما استدعاه عمر الى المدينة وقاسمه ماله ليضمه الى بيت المال كما فعل مع معظم الولاة كان نعم الرجل الراضى والمتقبل لكل ما يأمر به ويراه خليفة المسلمين .

وظل سعد بن أبى وقاص موضع حب ورعاية عمر ابن الخطاب الى ان مات شهيدا فأوصى وهو فى لحظات حياته الاخيرة ان يكون سعد من المرشحين للخلافة على أن يستعين به الخليفة اذا فاتتهم امامة المسلمين .. لانه كما قال عنه عمر يتق الله راعيا .. ويتق الله اذا كان من الرعية .

وعندما حدثت الفتنة الكبرى رفض من ينضم لأى من المتحاربين على « معاوية » دون اعتبار لايهما صاحب الحق وقال قولته المشهورة ، لا أقاتل حتى تأتون بسيف له عينان ولسان وشفتان .. فيقول هذا مؤمن وهذا كافر .

هكذا يريد سعد أن يتأكد أولا لانه لن يحارب سوى الكفر والكفار !

ومن الصعب عليه أن يقاتل مؤمنا او ما يظن انه كذلك مادام الاسلام قد الف بين الجميع .. من أهل البلد الحرام ..

موقف اخلاقى لا يستغربه أحد على سعد وايمان بالرسالة التى قاتل من اجلها حتى اصبح الدين لله ..

عندما حضرته الوفاة فى بيته على مشارف المدينة دمعت عينا ولده مصعب فنظر اليه سعد يسأله عما يبكيه .. وعندما يرد الابن انه يبكى لما يراه من حال ابيه والموت الذى هو مقدم عليه .. يرد الاب « لا تبك على فان الله لا يعذبنى ابدا .. وانى لمن اهل الجنة »

وصدق سعد فقد كان من الذين بشرهم الرسول بالجنة .

الشعر الإسلامي

وبالوالدين إحسانا

الشاعر محمد صلاح عفيفي

من للقرآن قد انتسبا
فليتعلم منه الادبا
يا عبد الله الام لها
وابوك له حق وجبا

•••

أوصانا المولى أوصانا
بهما فى الدنيا احسانا
أبدا لن نعرف فضلهما
ونكافئه مهما كانا

•••

آمنت به وأوحده
لا رب سواه
وأقوم الليل واعبده
حتى القاه
ونشيد الذكر أردده :
الله .. الله
وأطيعهما أما وأبا

يا عبد الله الام لها
وابوك لها حق وجبا

•••

لهما نسبى بهما حسبى
وادين بدنياى ودينى
ولعل رضاءهما سببى
فى مغفرة يوم الدين
يا رب ارحم أمى وأبى
واجعلنى بارا واهدينى

•••

ان عز مكانى فى قومى
ما زلت ابثهما همى
والوذ باحضان الام
وابى لا يابى لى طلبا
يا عبد الله الام لها
وابوك له حق وجبا

رسالة إليه

الشاعر رشاد محمد يوسف

اسمع الدنيا حديث المكرمات
وانتزع اعجابها بالتضحيات
انت يا كبرا على هاماتنا
أنت يا ابن النيل يا رمز الثبات
ايها الثائر مذ كنت فتى
تهب الثورة وجدان الاباة
تتحدى كل ظلم ساخرا
بقوى البطش وطغيان الطغاة
لم تخف فى الحق يوما فالتقى
يملأ القلب بصدق العزمات
مثل عليا تسامت وغدت
بك يا أنور من خير الصفات
ايها الثائر كم من وقفة
سجلت للشعب بيض الصفحات

يوم يوليو صافحت اسماعنا
فى صباح الخير خير الكلمات
ردت الروح لشعب طيب
والاغاريد وعذب الامنيات
انت والثورة والصحب الاولى
عاهدوا الله لخوض الحادثات
حققت مصر بكم احلامها
وخطت فى الدرب أولى الخطوات
اصلحت ، خاضت ، أقامت ، عمرت
حاربت ، عانت عديد العثرات
واجهت أقدارها صابرة
تزرع اليوم لتجنى فى الغداة
وأتى حين من الدهر غدت
مصر ملهاة بكف الشهوات

اوصياء الشعب خانوا عهده
دولوا الشعب سجينا للوصاة
تاجروا بالشعب ، باعوا فكره
بدلوا الحق بزيف الفلسفات
خربوا الانسان من أعماقه
ففدا الانسان مقطوع الصلات
قسموا الارهاب فيما بينهم
ذا عميل ، ذا زعيم للوشاة
ذا عتل سادر فى غيه
وزنيم ينتشى بالعربدات
مصر أعطتهم فماذا قدموا
غير تعذيب وسجن وافتئات
يوم ودعنا جمالا خشعا
وبكيناه بفيض العبرات
وثبت اطماعهم فى خسة
تطلب القسمة من فىء الوفاة
دبروا أمرا وحاكوا فتنة
ووقاك الله من كيد الجناة
خضت باسم الله أقوى ثورة
أنزلت بالظلم أقوى الضربات
ثورة التصحيح جاءت صحوة
وأمانا لنفوس خائفات
أمن الناس على أعراضهم
واستقر العدل فى كف القضاة
فتح السجن وأخرجت الاولى
قد قضوا ظلما عديد السنوات
جئت بالدستور حصنا مانعا
يحفظ الحق لشعب أو ولاة
جئت بالشورى أساسا عادلا
لنظام الحكم فى شرع الهداة
جئت بالايمان والعلم هدى
جئت يا انور ربان النجاة
جئت بالنصر مأذهلت الورى
وزرعت النور من حول القناة

• • •

اسمع الدنيا فما أحوجها
لحديث منك علوى السمات
وتحدث للملايين التى
ألقت السمع طويلا للعداة
صوورونا أمة بادية
تمضع الوهم وترضى بالفتات
خيم الغيم على أجوائنا
زمنا أنساهم شرق الدعاة
ونسوا موسى وعيسى والهدى
والوصايا ومزامير الرعاة
والحياة البكر تلقى سمعها
لحداة الركب صناع الحياة
اسمع الدنيا حديثا مؤمنا
صادق الود نقى النبرات
خلفك العرب شعوبا نهضت
أرجعت مجد السنين الغابرات
خلفك النيل رحيقا سلسلا
شربت من خمره كل حصاة
خلفك المسجد عمران التقى
داعيا بالخير فى كل صلاة
خلفك القريه يا فلاحها
حصدت منك قطوفا دانيات
خلفك الابطال يوم انطلقوا
عبر سيناء وباراليف الطغاة
خلفك الشعب جدار صامد
شمر الزند لصنع المعجزات

• • •

اسمع الدنيا حديثا مقنعا
دافع الحجة ، موفور الثبات
عن فلسطين وعن أحزانها
وضياع الشعب بين الفلوات
ولصوص أدعياء أقبلوا
جمعوا الشمل بها بعد الشتات
واستحلوها سماء وثرى
أخرسوا فيه نداء الصلوات
قل لهم ما شئت عن آمالنا
وطموح السنوات المقبلات
بعد أيام عجاف ما يرى
فى ربانا غير خضر السنبلات
لم نقم يوما بعدوان ولم
نزرع الشوك على درب الحياة
بل عشقناه سلاما دائما
يحفظ الفكر ، يصون الفلسفات

اسبح بفكرك شاكرا

الشاعر عبد المنعم عيسى

فى غبطة بل فى هيام
أجلوا قصيدى للانام
ويظل قلبى هائما
فى حب رب لا ينام
والروح تهفو دائما
للود تأبى الانفصام
الناس فى تفكيرهم
متفاوتون ولا ملام
البعض يبغى متعة الد
نيا واكسير الدوام
ويقول انى تائب
يارب من هذا السقام
حتى اذا برىء اللئـ
ـيم يعاود الفعل الحرام
هو عاشق عرضا يز
ول ولا يبالى بالحمام
أتظن أن الله يغـ
ـفل عن خطاياك الجسام ؟
انظر لنفسك صاحبى
وخذ الهوى وارع الذمام
واسبح بفكرك شاكرا
لله أنعمه العظام
ابصارك الدنيا لكاف
كى تعود الى السلام
والله قد برأ النفـ
ـوس وما لمخلوق دوام
ارجع الى باب الكر
يم فباب ربك للكرام
ورسول ربى قد دعا
نا للمحبة والوئام
لتفوز فى الاخرى بجنا
ت يدوم بها المقام
فارجع لربك تائبا
تنل المهابة والمرام

اليك رجعت ياربى

الشاعر عبد المنعم حسن القن

اليك رجعت ياربى
ولذت بجاهك الرحب
اتيت اليك فى شوق
أرتل آية الحب
تركت جميع آثامى
وتبت اليك من ذنبى
رجوت الصفح عن اثمى
فانك قابل التوب
هجرت طريق عصيانى
وجئتك طاهر اللب
ولى فى الليل ركعات
تضىء بهديها دربى
ولى فى الفجر ترتيل
صداه مقدس الطرب
يهز كيان أعماقى
تبارك فالق الحب
الهى جئت فاقبلنى
وزلل بالهدى صعبى
فذى الدنيا وما فيها
بغير رضاك لم تطب
أراها رغم زينتها
بغير هداك كاللهب
أتيتك نادما أبكى
ذنوبى فاعف عن ذنبى
ويسر خالقى أمرى
وفرج شدة الكرب
قصدتك ضارعا ربى
ومن يقصدك لم يخب
مددت يدى ومن أرجو
سواك لساعة النوب ؟
شكوت اليك أسرارى
فانك عالم الغيب
وحسبى رحمة أنى
رجعت اليك ياربى

إملأ هذا الكوبون وارسله الى ص . ب ٢٠٩٣ يصلك الكتيب التفصيلى دون مسئولية أو ارتباط

الإسم ______
العنوان ______
المهنة ______ السن ______
تليفون ______

الطب في الإسلام

الطب الوقائى

بين الهدى النبوى

جاء فى الحديث الشريف
« أتقوا الملاعن الثلاث :
البراز فى الموارد [أى موارد المياه الراكدة] وقارعة الطريق والظلال » .

ونحن تاديه لواجبنا فى حمل لواء الاسلام فى الدعوة اليه والتبشير به بالطريقه التى التى تتلاءم وروح العصر قد قمنا بمشيئه الله تعالى - بشرح بعض من جزء من الحديث الشريف فى قوله - صلوات الله وسلامه عليه - اتقوا البراز فى الموارد فقد شرحنا أسباب نهيه - صلى الله عليه وسلم - لذلك العمل هو منع تلوث المياه ببويضات طفيل البلهارسيا المعويه وبويضات الدودة الكبديه والهتروفيس هتروفيس والداى فيلو بوثريم لاتم وقد قمنا فى العدد السابع من مجلة منبر الاسلام الغراء سنة ١٣٩٦ هـ السنة ٣٤) بشرح مستفيض عن دورة حياة طفيل البلهارسيا المعويه وعن أهم مضاعفاتها الا وهى تضخم الكبد والطحال وهى من اخطر المضاعفات لانها تودى بحياة المريض وعن التغيرات المرضية فى الامعاء الغليظة من تقرحات وتليف وتكوين حويصلات ،زوائد .

يأتى بنا الحديث الان عن طفيل آخر يصيب الانسان ومن أسباب اصابته هو تلوث المياه بواسطة براز المحتوى على البويضات مما يتيح الفرصة للطفيل لان يكمل دورة حياته .

الدودة الكبدية

التوزيع الجغرافى :

فى كل أنحاء العالم وبخاصة أماكن المراعى .

الشكل الظاهرى :

شكل ورق الشجر . وأطوالها ٢ - ٣ سم فى ٨ر. - ٣ر١ سم وهى مفلطحة من الامام للخلف ولها مماص أمامى ومماص باطنى والقشرة الخارجية بها أشواك يثبت بها الطفيل نفسه فى أنسجة العائل . ويمنع طرده بواسطة حركة القنوات المرارية حيث يعيش الطفيل . كما يثبت الطفيل نفسه ايضا بواسطة الممصات وهى خنثى الجهازين التناسليين الذكرى والانثوى يوجدان فى الطفيل الواحد .

دورة الحياة :

تعيش الدودة البالغة فى الكبد « فى القنوات المرارية » فى الحيوانات آكلة العشب وفى الانسان .

وتخرج البويضات مع الصفراء للامعاء ومنها الى الخارج مع البراز حجم البويضة ١٣٠. - ١٥٠. ميكرون فى

الدكتورة
ابتسام عبد الحليم

ونظريات الطب الحديثة !

٥٠ – ٩٠ ميكرون وهى بيضية الشكل لها غطاء وتكون غير ناضجة عند نزولها مع البراز وتحتاج من أسبوع الى أسبوعين فى الظروف المواتية لتنضج والميراسيديوم بداخلها يكون على استعداد للفقس فى الماء فيرفع الغطاء ويتحرك فى الماء بواسطة أهدابه حتى يجد القوقع المناسب « لمنيا » الذى يخترق الانسجة الرخوة ويتحول الى « السبوروسيست » ثم الى « ابنة السبوروسيست » ثم الى الريديا ثم « السركاريا » الذى تعود الى الماء مرة اخرى ثم تتكيس وتتحول الى السركاريا المتكيسة « الطور المعدى

وعندما يحدث ان تبلع السركاريا المتكيسة اما بأكلها مع النبات او بشرب الماء فانها تحدث العدوى وعندما تصل الى الاثنى عشر فانها تخرج من الكيس . وبمساعدة افرازات غدد الاختراق فان السركاريا تخترق جدار الاثنى عشر وتقع فى الفراغ البريتونى وتتجه ناحية الكبد وتخترق جدار الكبد وتذهب الى القنوات المرارية حيث تبقى هناك الى ان تبلغ او قد يحدث خلال رحلتها الى الكبد ان تحمل بواسطة الدم او اللمف الى الدورة الدموية العامة ومنها الى انحاء الجسم المختلفة الى الجلد او المخ حيث لاتستطيع استعادة دورة حياتها .

التغيرات المرضية التى تحدثها الدودة الكبدية فى جسم الانسان

تعتمد هذه التغيرات على شدة العدوى فعند وجود عدد قليل من الديدان فان مايحدث من تغيرات يكون طفيفا . ولكن العدوى الشديدة تحدث تكسيرا خطيرا لخلايا الكبد مما ينشأ عنه تحطيم انسجته فيؤدى ذلك للوفاة .

وذلك لانها عندما تصل الى الكبد فانها تتغذى على خلاياه وتحطم انسجته ويحدث التهابا وضمورا وتليفا بالكبد .

وعند وجودها فى القنوات المرارية تحدث التهابا متكررا مما يؤدى الى ضيق القنوات المرارية فيؤدى ذلك الى اليرقان الانسدادى كما ان التهاب القنوات المرارية التى تحدث بواسطة الدودة قد تؤدى الى حدوث الحصاوى المراريه كما قد تغزو البكتريا القنوات المرارية .

الاعراض والمشاهدات :!

ألم فوق الكبد – مغص – قىء – سعال – زيادة فى عدد « الاوزينوفيل » ارتفاع درجة الحرارة – حدوث عرق وفقر دم ويرقان مختلف فى درجته . وتشخيص المرض عن طريق وجود البويضات فى البراز .

ويصل بنا المطاف الى التحدث عن طفيل آخر الا وهو طفيل « الهتروفيس هتروفيس » .

توزيعه الجغرافى :

يوجد فى جمهورية مصر العربية فى دلتا النيل وبصفة خاصة فى منطقة بحيرة المنزلة وبحيرة البرلس كما توجد ايضا فى اليابان والصين وكوريا والفلبين .

الشكل الظاهرى :

مفلطح الى حد ويكون شكله شكل الكمثرى واطواله ١ – ٢ مم فى الطول ٣ر – ٥ ر مم فى العرض . والجزء الامامى مدبب والجزء الخلفى عريض . القشره محاطة بالاشواك مما يثبت الطفيل فى جدار الامعاء الدقيقة كما تثبت الدودة نفسها ايضا بواسطة الممصات ولا يوجد اختلاف فى الجنس فى الهتروفيس هتروميس فهى خنثى . .

دورة الحياة :

يعيش الطفيل البالغ فى الامعاء الدقيقة فى الصائم والجزء العلوى من المعى ويثبت الطفيل نفسه بالاشواك والممصات .

وعندما يضع الطفيل البويضات فانها تأتى للخارج مع البراز وحجم البويضة ٣٠ فى ١٥ ميكرون وهى بيضية الشكل لها غطاء ولونها اصفر وتحتوى على « ميراسيديوم » ناضج عند خروجها مع البراز . وعندما تجد البويضات طريقها الى الماء عن طريق تبرز المصاب نجدانها تذهب فى اتجاه القوقع المناسب فى مصر « قوقع البيرنيلاكونيكا »

ولاتفقس البويضة فى الماء ولكنها تؤكل بواسطة القوقع وفى امعاء القوقع ان « الميراسيديوم » يخرج من البويضة التى تجد طريقها الى الكبد حيث تتحول الى « السبوروسيست » الذى يتحول بدوره الى « ابنة السبوروسيست » او الى « الريديا ثم الى « السركاريا » وتخرج السركاريا من القوقع وتعوم فى الماء حيث تجد العامل الوسيط الثانى وهو نوع من السمك « البلطى او البورى فى مصر » فتخترق « السركاريا » السمكة فيما بين القشور وبصفة خاصة عند الزيل وتعيش بين العضلات وتفرز حولها كيس وهذا الطور يسمى « الميتاسركاريا المتكيسة » وهى لاتكون معدية فى الحال للانسان ولكنها تحتاج الى ٢ ــ ٣ اسابيع . لتنمو فى السمكة وتصبح معدية . وعندما يأكل الانسان السمكة المعدية الغير مطهية طهوا جيدا أو المملحة اقل من عشرة ايام فان « المتياسركاريا » الحية عندما تصل الى الامعاء الدقيقة فانها تخرج من الكيس وتثبت نفسها فى الغشاء المخاطى المبطن للامعاء وتكمل دورة حياتها .

الاعراض والمشاهدات

تعتمد على شدة الإصابة فنجد ان الاصابات الخفيفة تمر دون تغير يذكر . ونجد حدوث ضمور فى الغشاء المخاطى للامعاء مما يؤدى الى المغص والاسهال والالم المتواصل فى البطن كما نجد زيادة عدد الاوزنيفيل « الكريات الدموية البيضاء » وقد يحدث ان تخترق البويضة الغشاء المخاطى المبطن للامعاء وتذهب الى النسيج الذى تحته ومنه تذهب الى الاوعية اللمفاوية ومنه الى الجهاز الدورى العام فتذهب البويضة بدورها الى المخ والى عضلة القلب والى صماماته والى الرئة والمساريقا . مما يؤدى الى تحطم والتهاب القلب والى هبوط القلب .

كما ان اصابة المخ قد تؤدى الى حدوث حالات من الصرع او الى نزيف المخ .

وعلاج الهتروفيس بواسطة عقار « الاللكوبار » .

وبعد فاننا بذلك نكون قد شرحنا بعض من جزء من الحديث الشريف الذى تحدث به اقدم واعظم استاذ نشأ فى البشرية جمعاء فوجدنا كيف ان كلماته الوجيزة تضم المعانى العظيمة وكيف انه بالتحدث وبالنهى عن حدوث عمل قد يظنه البعض شىء لايذكر يجنبنا ويلات الأمراض التى لاقبل لنا بها وانه بذلك يحقق لنا السعادة فى تمتعنا بالصحة وينشد بذلك ان نكون اقوياء « **المؤمن القوى خير واحب الى الله من المؤمن الضعيف وبذلك يتحقق الرفاهية والتقدم ونسأل الله عز وجل ان نكون قد وفقنا فى هذا الشرح كما نسأله ان يسدد خطانا وان ينير لنا طريق الخيـــر .**

« للحديث بقية ان شاء الله »

شخصيات إسلامية

الامام علي رضي الله عنه

الأستاذ توفيق أبو علم

- ٨ -

موقف الامام على بعد وفاة الرسول

عندما توفى الرسول صلى الله عليه وسلم ذهل الناس ، وكانوا بين مصدق ومكذب ، حتى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه صاح فى القوم : من قال ان محمدا قد مات ضربت عنقه ، انه يكلم ربه كما فعل أخوه موسى من قبل • أما الصديق فكان حكيما فقد قال : « يأيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت، وتلا قوله تعالى : وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات او قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين •

اما الامام على ومعه لفيف كبير من بنى هاشم وغيرهم ، فكانوا بجانب الحدث الشريف •

قال المفيد : ولم يحضر دفنه أكثر الناس لما جرى بين المهاجرين والانصار من التشاجر فى أمر الخلافة ، وفات كثيرا منهم الصلاة عليه لذلك •

وفى هذا الوقت قال العباس لعلى : امدد يدك أبايعك ، فيقول الناس عم رسول الله بايع ابن عم رسول الله ، فلا يختلف عليك اثنان ، فأجابه على ولم يرفع بصره عن الجثمان الكريم : لنا برسول الله ياعم شغل وعكف على تجهيز الرسول وتكفينه لا يأبه بشيء من أمور الدنيا ولا تخرجه عما هو فيه دعوة القوم ليحضر مشاورتهم فى شأن الخليفة ولا فيمن يكون الخليفة •

ونترك الامام عليا رضى الله عنه ومشغوليته فى تجهيز الرسول لنرى أن الناس انقسموا بعد وفاة الرسول الى عدة أحزاب : حزب سعد بن عبادة رئيس الخزرج ، حزب الشيخين وهم جل المهاجرين ، حزب على وهم بنو هاشم ومعهم قليل من المهاجرين منهم الزبير وكثير من الانصار ، ويقول الطبرى : ان أكثرهم أرادوا البيعة لعلى • ونضيف الى هذه الاحزاب الثلاثة حزب عثمان من بنى أمية ، وحزب سعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن عوف من بنى زهرة •

ومن رأى الامام على أن ترشيح سعد بن عبادة جرأ الناس ولا يبعد أن يكون سعد لما رأى تصميم المهاجرين على عدم اعطاء الحق لاهله طلبه لنفسه ، ويقول ابن قتيبة فى روايته : ان سعدا قال لابنه قيس : « انى لا أستطيع أن أسمع الناس كلامى لمرضى ، ولكن تلق منى قولى فأسمعهم » ففعل ، وذكر فضل الانصار ونصرتهم الدين وايواءهم الرسول ، وأنهم أحق الناس بهذا الامر •

ويقول الطبرى : انه لما بلغ أبا بكر أن الانصار اجتمعوا فى سقيفة بنى ساعدة ليبايعوا سعد بن عبادة جاء ومعه عمر وأبو عبيدة بن الجراح ، فقال الانصار : منا أمير ومنكم أمير ، فقال أبو بكر : منا الامراء ومنكم الوزراء ،

ويقول ابن قتيبة : فقال الحباب بن المنذر فقال : يامعشر الانصار املكوا على أيديكم فانما الناس فى فيئكم وظلالكم ، ولن يجير مجير على خلافكم ، ولن يصدر الناس الا عن رأيكم ، أنتم أهل العز والثورة والعدد والنجدة ، وانما ينظر الناس ماتصنعون ، فلا تختلفوا ، فيفسد عليكم رأيكم أنتم أهل الايواء والنصرة ، واليكم كانت الهجرة ، ولكم فى السابقين الاولين مثل مالهم ، وأنتم أصحاب الدار والايمان من قبلهم ، والله ماعبدوا الله علانية الا فى بلادكم ، ولا جمعت الصلاة الا فى مساجدكم ، ولا دانت العرب للاسلام الا بأسيافكم ، فأنتم أعظم الناس نصيبا فى هذا الامر ، وان أبى القوم فمنا أمير ومنهم أمير •

واشتد الخلاف ، فقام أبو عبيدة وقال : يامعشر الانصار أنتم أول من نصر وأوى فلا تكونوا أول من يبدل ويغير • واشتدت المناقشة واشترك فيها بشير بن سعد (وهو والد النعمان بن بشير) وعمر ، وأبوعبيدة ، وأبو بكر • وأخيرا انتهت الازمة كما يقول الطبرى : « فقال أبو بكر : هذا عمر وهذا أبو عبيدة فأيهما شئتم فبايعوا ، فقالا : لا والله لا نتولى هذا الامر عليك ، ابسط يدك نبايعك وبذلك تمت البيعة للصديق ، وبايعه جميع المسلمين ماعدا بنى هاشم ، أو على الاحرى العباسى وأولاده وعلى الذى لم يبرح دار الرسول حتى وسده مثواه الاخير وهو يبكى ويقول : « **ان الصبر جميل الا عنك يارسول الله ، وان الجزع القبيح الا عليك ، وان المصاب بك لجليل وانه قبلك وبعدك لجلل** » •

وانصرف على غاضبا من الصورة التى تمت بها البيعة ، لانه كان يعتقد أنه أحق بها من غيره ، وجاءه أبو بكر يحف به عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح ، ودعاه الى البيعة فأبى ، وخرج الزبير بسيفه •

وقال عمر : عليكم بالرجل فخذوه فأخذوا منه السيف •

فقال له : ابن عم رسول الله وختنه على ابنته يريد أن يشق عصا المسلمين •

وقال العباس : ماأحد أولى بمقام رسول الله منه •

قال على : أنا أحق بهذا الامر منكم ، لا أبايعكم وأنتم أولى بالبيعة لى • أخذتم هذا الامر من الانصار ، واحتججتم عليه بالقرابة من النبى صلى الله عليه وسلم ، وتأخذونه منا أهل البيت غصبا ، الستم زعمتم للانصار أنكم أولى بهذا الامر منهم • لما كان محمد منكم ، فاعطوكم المقادة ،

شركة التأمين الأهلية المصرية

أولى شركات التأمين فى مصر

يسرها أن تقدم للمواطنين
بمناسبة احتفالها بمرور
٧٥ سنة على إنشائها

هديتها الجديدة الوثيقة الماسيّة

ادفع أقساط لمبلغ تأمين قدره ٢٠٠٠ جنيه
تحصل على مبلغ تأمين قدره ٣٠٠٠ جنيه
وبذلك تمنحك الوثيقة الماسية وثيقة مجانية

مدى الحياة بمبلغ ١٠٠٠ جنيه

للاستعلام

القاهرة { ٢٣ شارع قصر النيل ت ٩٧٩١٠٠
٢٨ شارع طلعت حرب ت ٤٧٠٤٩ }
الاسكندرية ٣٣ شارع سعد زغلول ت ٨٠٢٣٢٨
وجميع فروع الشركة بالمحافظات

وسلموا اليكم الامارة ، فاذا احتج عليكم بمثل ما احتججتم على الانصار ، نحن أولى برسول الله حيا وميتا ، فأنصفونا ان كنتم تؤمنون والا فبؤوا بالظلم وأنتم تعلمون .

عمر : انك لست متروكا حتى تبايع .

علي : احلب حلبا لك شطره وشد له اليوم يردده عليكم غدا . أبو عبيدة : يابن عم ، انك حديث السن ، وهؤلاء مشيخة قومك ، ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالامور ، ولا أرى أبا بكر الا أقوى على هذا الامر منك ، وأشد احتمالا واستطلاعا ، فسلم لابى بكر هذا الامر ، فأنك ان تعش ويطل بك بقاء فأنت لهذا الامر خليق وحقيق ، فى فضلك ودينك وعلمك وفهمك وسابقتك ونسبك وصهرك

على : الله الله يامعشر المهاجرين ، لا تخرجوا سلطان محمد فى العرب من داره وقعر بيته الى دوركم وقعور بيوتكم ، وتدفعوا أهله عن مقامه فى الناس وحقه، فو الله يامعشر المهاجرين لنحن أحق الناس به لانا أهل البيت ونحن أحق بهذا الامر منكم . فاعتذر اليه أبو بكر بخوف الفتنة لو أخر ، ثم أشرف على الناس وقال : أيها الناس ، هذا على ابن أبى طالب لا بيعة لى فى عنقه ، وهو بالخيار من أمره ، الا وأنتم بالخيار جميعا فى بيعتكم ، فان رأيتم لها غيرى فأنا أول من يبايعه . فلما سمع ذلك الامام على زال ماكان قد داخله وصفت نفسه فقال : « أجل ، لا نرى غيرك . امدد يدك » . فبايعه هو والنفر الذين كانوا معه .

وهناك رواية ذكرها اليعقوبى وذكرها غيره من المؤرخين ، هى أن جماعة من المهاجرين والانصار اجتمعوا مع على بن أبى طالب فى دار فاطمة بنت رسول الله يدعون الى مبايعته ، وبينهم خالد بن سعيد يقول : « فوالله مافى الناس احد أولى بمقام محمد منك » . وبلغ أبابكر وعمر اجتماعهم بدار السيدة الزهراء ، فأتيا فى جماعة حتى هاجموا الدار ، وخرج على ومعه السيف، فلقيه عمر فصارعه فصرعه وكسر سيفه، ودخلوا الدار ، فخرجت فاطمة رضى الله عنها وقالت : « لتخرجن اولا كشفن شعرى ولا عجن الى الله » ، فخرجوا وخرج من كان فى الدار ، وأقام القوم أياما ، ثم جعل الواحد بعد الواحد يبايع ، ولم يبايع على الا بعد وفاة فاطمة أى بعد ستة أشهر ، وقيل فى رواية أنه بايع بعد أربعين يوما .

وروى الطبرى فى تاريخه قال : « أتى عمر بن الخطاب منزل على وفيه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين ، فقال والله لاحرقن عليكم أو لتخرجن الى البيعة . فخرج عليه الزبير مصلتا بالسيف فعثر ، فسقط السيف من يده فوثبوا عليه فأخذوه .

وفى رواية أخرى أن عمر قال لعلى ، ان لم تبايع أبابكر لاحرقن دارك ، قال على : أو تحرقها وفيها ابنة رسول الله ؟ : قال : أحرقها وفيها ابنة رسول الله وفى ذلك يقول شاعر النيل حافظ ابراهيم

وقولة لعلى قالها عمر
أكرم بسامعها أنعم بملقيها
حرقت دارك أبقى عليك بها
ان لم تبايع وبنت المصطفى فيها
ما كان غير أبى حفص يفوه بها
أمام فارس عدنان وحاميها
فاذكرهما وترحم عند ذكرهما
أعاظم الهوا فى الكون تاليها

هذا هو المشهور عن موقف على بن أبى طالب من بيعة أبى بكر ، وينكر بعض المؤرخين هذا المشهور من تخلف بنى هاشم أو غيرهم من المهاجرين ويذكرون أن أبابكر بويع بعد السقيفة بالاجماع . ويروى الطبرى حديثا باسناده أن سعيد بن زيد سئل : أشهدت وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم . قيل : فمتى بويع أبو بكر ، قال : يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كرهوا أن يبقوا بعض يوم وليسوا فى جماعة ، قيل أخالف عليه أحد ؟ قال لا ، الا مرتد أو من قد كاد أن يرتد ، لولا أن الله عز وجل ينقذهم من الانصار ، قيل : فهل قعد أحد من المهاجرين قال : لا ، تتابع المهاجرون على بيعته من غير أن يدعوهم

وفى رواية أن على بن ابى طالب كان فى بيته اذ جاءه من أنبأه أن أبابكر قد جلس للبيعة فخرج فى قميص له ماعليه ازار ولا رداء عجلا كراهية أن يبطىء عنها حتى بايعه ثم جلس اليه وبعث الى ثوبه فأتاه فتجلله ولزم مجلسه .

وهناك رواية أخرى تقول ان الصديق صعد المنبر عقب البيعة فنظر فى وجوه القوم فلم ير الزبير فدعا به فجاء ، فقال له : ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه ، أردت أن تشق عصا المسلمين . فقال : لا تثريب ياخليفة رسول الله ، فقام فبايعه ثم نظر فى وجوه القوم فلم ير عليا فدعا به فجاء فقال له ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه على ابنته ، أردت أن تشق عصا المسلمين ، فقال : لا تثريب ياخليفة رسول الله ، فقام فبايعه .

ورواية أخرى أنه بعد وفاة السيدة الزهراء بستة أشهر أرسل الامام الى أبى بكر ان ائتنا ولا يأتينا معك احد . وتلقاه وعنده بنو هاشم فقال : « انه لم يمنعنا من أن نبايعك ياأبابكر انكار لفضيلتك ، ولا نفاسة عليك بخير ساقه الله اليك ، ولكنا كنا نرى أن لنا فى هذا الامر حقا فاستبددتم به علينا » .

والذى لاشك فيه ان الامام كان يرى أنه أحق بالخلافة من سابقيه ، وأنه لم يزل مدفوعا عن حقه هذا منذ انتقل النبى عليه السلام الى الرفيق الاعلى .

ومع هذا اليقين الراسخ عنده فى حقه وحق غيره نرجع الى سيرته واحاديثه فنرى ولا ريب انها أقل ما تشعر به النفس الانسانية فى هذه الحالة من النفرة ، والنقمة ولا نجد فى خطبه ومساجلاته التى ذكر فيها أبو بكر وعمر وعثمان كلمة تستغرب من مثله أو يتجاوز بها حد الحجة التى تنهض بحقه . بل الغريب أنه لزم هذا الحد ولم يجاوره الى جمحة غضب تفلت معها بوادر اللسان ، ولو جاوزه لكان عاذروه أصدق من لائميه .

وقد أعلن الخلفاء الثلاثة برأيه وعمله وجاملهم مجاملة كريمة بمسلكه ومقاله ، ولم يبد منه قط ما ينم على كراهية وضغن مكتوم ، ولكنه كان يأنف أن ينكر هذه الكراهية اذا رمى بها كما يأنف العزيز الكريم ، وفى ذلك يقول لمعاوية : « ذكرت ابطائى عن الخلفاء وحسدى اياهم والبغى عليهم ، فأما البغى فمعاذ الله أن يكون ، وأما الكراهة لهم فوالله ماأعتذر للناس من ذلك » .

وأولى أن يقال ان دلائل وفائه فى حياتهم وبعد ذهابهم كانت أظهر من دلائل جفائه . فانه احتضن ابن أبى بكر محمدا أو كفله بالرعاية ، ورشحه للولاية حتى حسب عليه ، وانطلقت الالسنة بانتقاده من أجله ، وقد سمى ثلاثة من أبنائه بأسماء الخلفاء الذين سبقوه ، وهم أبو بكر وعمر وعثمان .

بقى أن نقول ان بعض المؤرخين قد احصى على الامام أن الخلافة قد تأخرت نيفا وعشرين سنة ، فلم يخلف النبى صلى

« البقية ص ١٦٤ »

محمد بن مسلمة الأوسى

لم يتخلف عن الرسول غزوة

الأستاذ عبدالمنعم حسن الادفوى

وقف هذا الصحابى الجليل كل حياته على التمكين للاسلام فى الارض فبذل من نفسه وروحه ما لا يمكن تصويره فى بناء صرح العقيدة حتى تسامت فوق معوقات الاعداء ، وتصدت فى بسالة وقوة وفعالية لمواجهة الذين يصدون عن سبيل الله .

ذكر ابن عبد الله الاندلسى فى مؤلفه « الدرر فى اختصار المغازى والسير » ان كعب بن الاشرف ، وهو رجل من نبهان من طىء وأمه من يهود بنى النضير ، غاظه قتل صناديد قريش فى بدر حتى قال : بطن الارض خير من ظهرها . ونهض الى مكة ، فجعل يرثى قتلى قريش . ويحرض على قتال النبى صلى الله عليه وسلم . وكان شاعرا ، ثم عاد من مكة الى المدينة ، فلم يزل يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويدعو الى التصدى له ويسب المسلمين حتى اذا هم .

فقال رسول الله : من لى بابن الاشرف ، فانه يؤذى الله ورسوله والمؤمنين ، فقال له محمد بن مسلمه انا يا رسول الله .. انا اقتله .. ان شاء الله قال : فافعل ان قدرت على ذلك .. قال ، ولكن ائذن لى أن اقول شيئا اتمكن به ، أى يتظاهر امام ابن الاشرف بأنه غير مؤمن بالرسول ، فاذن له عليه السلام ، ثم خرج ابن مسلمةومعه اربعة من قومه، الاوس ، وهم ابو نائلة اخو كعب بن الاشرف من الرضاعه وعباد بن بشر ابن وتش والحارث بن اوس فابو عبس بن جبر .

وبعد ان اجتمع ابن سلمة مع هؤلاء الاربعة اعلمهم بما وعد به رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل ابن الاشرف ، فاجابوه الى ذلك ، وقالوا كلنا يا رسول الله نقتله .

ونادى ابن مسلمه ابن الاشرف ، ولما اراد ان ينزل من بيته قالت له امرأته .. اين تخرج الساعة وانت امرؤ تحارب ، فقال لها انما هو ابن اخى محمد بن مسلمة ورضيعى ابو نائلة .. ان الكريم لو دعى الى طعنة بليل لاجاب . ثم قال محمد بن مسلمة لمن معه اذا جاءنى فانى اخذ بشعره ، فأشمه ، فاذا رأيتمونى استمكنت من رأسه ، فاضربوه ، فنزل اليهم كعب متوشحا سيفه ، وهو ينفح منه ريح المسك ، فقال محمد بن مسلمة : ما رأيت كاليوم ريحا أطيب . اتأذن لى ان اشم رأسك ؟ قال : نعم ، فشمه ، فلما ، استمكن منه قال لاصحابه دونكم فاقتلوه ، فتعلموا وأراح الله المسلمين من شر اعماله التى كان يوجهها اليهم ، ثم اتى الصحابة الفدائيون الخمسة ، رسول الله ، فأخبروه بقتل عدوه .

لو اقتصر دور ابن مسلمه فى الجهاد من أجل الله على قتل كعب ابن الاشرف لكان ذلك فخرا يسجل له عند الله ، وعند المسلمين ، ولكنه كما قلنا افنى حياته فى سبيل الله ، ومن أجل اعلاء كلمته .. يقول ابن سعد فى الطبقات الكبرى كان **محمدبن مسلمة يقول : يابنى سلونى عن مشاهد النبى عليه السلام ومواطنه فانى لم اتخلف عنه فى غزوة قط الا واحدة فى تبوك خلفنى على المدينة .**

وسلونى عن سراياه صلى الله عليه وسلم . فانه ليس فيها سرية تخفى على ، اما ان أكون فيها او ان اعلمها حين خرجت .

وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطى محمد بن مسلمة سيفا ، فقال قاتل به المشركين ماقوتلوا فاذا رأيت المسلمين قد اقبل بعضهم على بعض ، فائت به احدا اى جبل أحد فاضربه به حتى تقطعه اى تقطع السيف بحيث [يصبح صالحا للقتال به ، ثم اجلس فى بيتك حتى تأتيك يد خاطئة او منية قاضية وبهذا يحرم الرسول تحريما قاطعا ان يقاتل المسلمون بعضهم بعضا .

وروى هذا الخبر بصورة أخرى ..

قال ابن مسلمة اعطانى رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفا فقال : يا محمد بن مسلمة من جاهد بهذا السيف فى سبيل الله حتى اذا رأيت من المسلمين فئتين تقتتلان ، فاضرب به الحجر حتى تكسره ، ثم كف لسانك ويدك حتى تأتيك منية قاضية او يد خاطئة ، فلما قتل عثمان ، وكان من أمر الناس ما كان . خرج ابن مسلمة الىصخرة فى فنائهفضرب الصخرة بسيفه حتى كسره .

وقد تحققت وصيه الرسول لابن مسلمة والتزم بها . ذلك ان جماعة من المسلمين **كانوا جلوسا مع حذيفة** ابن اليمان الصحابى العظيم . فقال **حذيفه انى لاعلم رجلا لا تنقصه الفتنة شيئا ، فقيل : من هو .. ؟ فقال : محمد بن مسلمة الانصارى ، قال الراوى فلما مات حذيفة وكانت الفتنة - قتل عثمان - خرجت فيمن خرج من الناس ، فأتيت اهل ماء** تضربه الرياح فقلت : لمن هذا القسطاط قالوا لمحمد بن [illegible] فأتيته ، فاذا هو شيخ ، فقلت له يرحمك الله أراك رجلا من خيار المسلمين .. تركت بلدك ودارك واهلك وجيرانك قال :

تركته كراهية الشر ، ما فى نفسى أن تشتمل على مصر من أمصارهم حتى تتجلى عما اتجلت .

وكان محمد بن مسلمة يقال له فارس رسول الله .. فاتخذ سيفا من عدد وصيره فى الجفن معلقـــا فى البيت ، وانما علقته اهيب به ذا عسر عسر

ومحمد بن مسلمة هو ابن خالد بن عدى بن مجدعة بن حارثة بن الحارث ابن الخزرج بن عمرو ، وهو النبيت ، ابن مالك بن الاوس وأمه أم سهم ، واسمها حليدة بنت ابى عبيد بنوهب ابن كودان بن عبد ود بن زيد بن ثعلب بن الخزرج بن ساعدة بن كعب من الخزرج .

وكان لابن مســلمة عشرة اولاد وست بنات : عبد الرحمن ، وبه كان يكنى ، وأم عيسى وام الحارث وامهم ام عمرو بنت سلامه وعبد الله وام احمد وامهما عمزة بنت مسعود بن اوس بن مالك بن سواد بن ظفر - وهو كعب من الخزرج من الاوس ، وسعد وجعفر وام زيد وامهم قتيله بنت الحصين ابن ضمضم من بنى مرة بن عوف من قيس عيلان وعمر وامه زهراء بنت عمار بن معمر من بنى مرة ثم من بنى خصيلة من قيس عيلان ، وانس وعمرة وامهما من الاطبا ، بطن من بطون كلب ، وقيس وزيد ومحمد وامهم أم ولد ومحمود ولا عقب له وحفصه وأمهما أم ولد .

وأسلم محمد بن مسلمه بالمدينة على يد مصعب بن عمير ، وذلك قبل اسلام اسيد بن الحضير ، وسعد بن معاذ زعيم الاوس .

ويكفى لتقدير ابن مسلمه فى مفهوم الاسلام ان آخى الرسول عليه السلام بينه وبين عبيدة بن عامر الجراح .

ومات محمد بن مسلمة بالمدينة في صفر سنه ست واربعين وهو يومئذ ابن سبعين وصلى عليه مروان بن الحكم .

بقية مقال « الامام على رضى الله عنه »

الله عليه وسلم ، ولم يخلف أبابكر وعمر ويسارع العلامة الاستاذ عباس العقاد فى الاجابة عن هذا بأن نرجع الى العوائق التى حالت بينه وبين الخلافة قبل وصولها اليه ، لنعلم منها العائق الذى كان فى أيدى الحوادث والعائق الذى كان فى يديه أو كانت له قدرة معقولة عليه .

فكما رأيت أن الامام أنكر اجحافا اصابة فى تخطيه بالبيعة الى غيره بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأنه كان يرى أن قرابته من النبى مزية ترشحه للخلافة بعده ، لانها فرع من النبوة على اعتقاده ، ومما لاشك فيه أن شعوره هذا طبيعى فى النفس الانسانية كيفما كان حظها من الزهد والقناعة ، لان تخطيه مع هذه المزية التى ترشحه للبيعة ، يشبه أن يكون قدحا فى مزاياه الاخرى من علم وشجاعة ، وسابقة جهاد ، وعفة عن المطامع ، أو يشبه أن يكون كراهة له وممالاة على الغض من قدرة ولم يزل من غرائز النفوس أن يسؤها القدح فيها ، والحط من مزاياها ، ومواجهتها بالنفرة والكراهة الا ان الخلافة الاسلامية مسألة عالية لا توزن بميزان واحد ولا يؤتم فيها برأى واحد ولا بحق واحد وقد يضحى فى سبيلها بالعظيم والعظماء الكثيرين اذا تعارضت الحقوق وتشعبت الاراء ، ويشاء القدر أن تكون المزية الاولى فى ميزان على هى العائق الاول فى سائر الموازين ، ومنها ميزان النبى صلى الله عليه وسلم ، فقد كان عليه السلام يأبى أن يثير العصبيات فى قريش وفى القبائل العربية عامة ، لعلمه بخطر هذه العصبية على الدعوة الجديدة ، وكراهته أن يصور الاسلام للعرب كانه سيادة هاشمية تتوارثها عنه عصبة هاشم دون العصب من سائر العرب والمسلمين ، وقد رضى فى سبيل هذا المقصد الحكيم أن يجعل بيت أبى سفيان صنوا للكعبة فى أمان اللاجئين اليه ، وأصهر الى أبى سفيان ، وندب ابنه معاوية للكتابة له بين النخبة المختارة من كاتبيه ، وربما حسن لديه أن تؤول الخلافة الى على بعده ، اذا شاء المسلمون ذلك ، ولكن على أن تكون خلافته اختيارا مرضيا ، كاختيار غيره مـــن انصاره ، وأصحابه ، ويستوى منهم القريب والبعيد ، كما بينت ذلك سابقا .

أما العائق الثانى فيرى بعض المؤرخين أن قريشا كانت تحقد على الامام وتنحية عن الخلافة لعلة أخرى تقترن بها العصبية التى أوقعت التنافس بين بيوتها وبنى هاشم ، فقد بطش الامام بنفر من جلة البيوت القرشية فى حرب المسلمين والمشركين ، وقتل من أعلام بنى أمية وحدهم عتبة بن ربيعة جد معاوية ، والوليد بن عتبة خاله ، وحنظلة أخاه ، وجميعهم من قتلاه فى يــوم بدر عــدا من قتلهم فى الوقائع والغزوات الاخرى ، فحفظ أقاربهم له هذه التراث بعد دخولهم فى الاسلام ، وزادهم حقدا عليه أنهم لا يملكون الثأر منه لقتلاهم من الكفار ، وكانت حاله بعد تلك المدة كما قال ابن أبى الحديد : « كأنها حالة لو أفضت الخلافة اليه يوم وفاة ابن عمه من اظهار مافى النفوس ، وهيجان مافى القلوب ، حتى الاخلاف من قريش والاحداث والفتيان الذين لم يشهدوا وقائعه وفتكاته فى أسلافهم وأبائهم ، فعلوا به مالو كانت الاسلاف أحياء لقصرت عن فعله » .

وقد علم الامام هذا من قريش عندما يئس من مودتها وابتلى بالصريح والتدخيل من كيدها فقال : مالى ولقريش ؟ أما والله لقد قتلتهم كافرين ولاقبلنهم مفتونين ، والله لابقرن الباطل حتى يظهر الحق من خاصرته ، فقل لقريش فلتضج ضجيجها » .

أما الذين سبقوا الامام الى الخلافة فهم : ابو بكر وعمر وعثمان ، وهم من شيوخ الصحابة ، فاذا خرجت العصبية الهاشمية من مجال الترجيح كانوا هم أقرب الناس الى أن يختارهم المسلمون ، وذلك للسن ، فعند وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وعلم كانت سن الامام لا تتجاوز الثلاثين ، وان كان فارق السن قد تقارب بعد موت الفاروق ، فقد بلغ الامام الخامسة والاربعين ، ولكن ماكاد الامام يبلغ هذه السن حتى بدأت المطامع الدنيوية تزداد ، واعتقد الطامعون أن فى لين عثمان بعض الامل وفضلوا هذا على شدة الامام ، وعسر حسابه ، وزيادة على ذلك بقيت الجفوة بينه وبين قريش على حالها ، لم يكفكف منها تقادم العهد كما قال ابن أبى الحديد .

هذه هى العوائق التى صادفته بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهل كان الامام مستطيعا أن يخلف أحدا بعد وفاة الرسول بعمل من جهده وسعى من تدبيره ، فأعياه السعى والتدبير ، فلم يكن الامام مسئولا عن نظرة العصبية التى نظرت بها قريش الى السيادة الهاشمية ، كذلك هو غير مسئول عن سنة التى تأخرت به عن الوصول الى الخلافة ، ولو كان فى زماننا هذا لكانت عقبة السن ميزة تؤهله لتولى الخلافة .

صفحات من التاريخ

ابن رشد

مولده ونشأته

الأستاذ عبد المنعم حماده

تحدثنا فى الجزء الاول من هذا البحث ، عن العصر الذى ولد فيه ، ويهمنا فى هذا الجزء الثانى أن نذكر باختصار شيئا عن مولده ونشأته ٠٠ واستطرادا لذلك الحديث نقول أن

ابن رشد ، هو ابو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد القاضى الطبيب الفقيه الفيلسوف الذى ولد فى قرطبه عام ٥٢٠ هجرية ـ الموافق ١١٢٦ ميلادية ، وكان مولده فى اعقاب قيام دولة ملوك الطوائف التى انتهت باستيلاء النساء على الاموال ، وفى ذلك يقول المراكشى فى كتابه « المعجب فى تلخيص أخبار المغرب » طبعة المجلس الاعلى للشئون الاسلامية صفحة « ٢٤١ » :

(وعندما أسندت اليهن الامور ، وصارت كل امرأة من أكابر لتونه ومسونه مشتملة على كل مفسد وشرير ، وقاطع سبيل ، وصاحب خمر وماخور ، وأمير المسلمين فى ذلك كله يتزيد تغلغله ، ويقوى ضعفه ، وقنع باسم امرة المسلمين ، وبما يرفع اليه من الخراج ، وعكف على العبادة والتبتل ، فكان يقوم الليل ويصوم النهار ، مشتهرا عنه ذلك ، وأهمل أمور الرعية غاية الاهمال ، فاختل لذلك عليه كثير من بلاد الاندلس ، وكادت تعود الى حالها الاول ، لاسيما دعوة منذ قامت ابن تومرت بالسوس) ٠

وابن تومرت هذا هو محمد بن عبد الله بن تومرت الذى ظهر فى السوس عام ٥١٥ هجرية وسنه ست عشرة سنة ، وكان ظهوره أول الامر فى صورة الامر بالمعروف ، الناهى عن المنكر ، وهو من قبيلة تسمى هرغة ، ومن قوم يعرفون بايسرغينن وهم الشرفاء بلسان المصامدة ، وله نسب متصل بالحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ابن عم النبى صلوات الله وسلامه عليه ـ يقول عنه المراكشى فى كتابه السابق الاشارة اليه صفحة (٢٤٥) (وكان أى ابن تومرت قد رحل الى المشرق فى شهور سنة ٥٠١ فى طلب العلم ، وانتهى الى بغداد ، ولقى أبا بكر الشاش فأخذ عليه شيئا من أصول الفقه وأصول الدين ، وسمع الحديث على المبارك بن عبد الجبار ونظرائه من المحدثين ، وقيل أنه لقى أبا حامد الغزالى بالشام أيام تزهده) ٠

وبعد أن تنقل ابن تومرت فى عدد من البلاد عاد الى السوس التى بدأ منها دعوته فى الحث على طلب العلم ، والدعاء الى الخير ، وذكر المهدى والتشويق اليه ، وجمع الاحاديث التى جاءت فيه من المصنفات المختلفة ، ثم ادعى فضيلة المهدى ونسبه ونعته لنفسه ٠٠ ولما فتن به القوم واستوثق من اخلاصهم وشدة الطاعة له ، بدأ فى الدعوة الى دولة الموحدين ، خاصة بعد أن اختلت أحوال المسلمين أيام المرابطين كما ذكرنا من قبل ٠

نعود الى أبى الوليد بن محمد بن أحمد بن رشد فنقول انه ولد بمدينة قرطبة عام ٥٢٠ هجرية ، والدعوة الى دولة الموحدين لاتزال فى بدايتها ، فلم يكن قد مر عليها أكثر من خمس سنوات ، ولذلك لم نتصل الاسباب القوية بين المهدى ابن تومرت الداعى الى هذه الدولة الجديدة وبين ابن رشد ، وكذلك لم تجمع الصلة المتينة بين ابن رشد وبين عبد المؤمن أول أمراء الموحدين بعد ابن تومرت ، وكل ما عرف من اتصالهما أن عبد المؤمن استعان به فى انشاء دور العلم والادب وتنظيمها نظرا لشغفه بهذا الامر ٠٠ وكان عدم هذا الاتصال يرجع فى الواقع الى سببين رئيسيين الاول : أن ابن رشد لم يكن قد ولد بعد عندما بدأ مؤسس دولة الموحدين يدعو دعوته فى سنة ٥١٥ ، وكان لايزال صغير السن عندما تولى عبد المؤمن زمام الامور ، فقد بويع البيعة العامة فى ٢٠ ربيع الاول سنة ٥٢٦ ، أى أن ابن رشد وقد استقامت الامور لعبد المؤمن كان لايزال فى سن السادسة من عمره ، وهى سن مبكرة لا تسمح بظهور التفوق والنبوغ فى صورتيهما الكاملتين ، ولا تسمح بمجالسة الحكام وعليه القوم والعلماء والفلاسفة والمسئولين فى الدولة ٠٠ الثانى أن قدم ابن رشد فى علوم الفكر والفلسفة لم تكن قد ثبتت بعد ، ولم تكن قد قويت على الوقوف صامدة متحدية مختلف الاراء والنزعات ، خاصة وأن دولة المرابطين كانت تناهض الفلسفة والفلاسفة ، وكانت تقف حجر عثرة فى طريق الاشتغال بهذه العلوم ٠٠ فلما زالت دولة المرابطين وانتهت أيامها ، ورفعت أيدى رجالها ، وخفت قبضتها عن رجال الفكر الحر ، وانقشعت السحب المظلمة من أمام ابن رشد استطاع أن يحلق فى الفضاء الفسيح ناشرا آراءه وأفكاره فى النور الجديد ٠

وقد ساعد على هذا الاشتغال وهذا التحرك أمران كذلك :
فأما الاول : فهو حرية الفكر التى ظهرت فى بلاد المغرب العربى وتزعم المناداه بها والدعوة اليها محمد بن عبد الله بن تومرت الذى صنف لاتباعه عدة تصانيف فى العلم منها :

كتاب أسماه (أعز ما يطلب) ، صنفت فيه عقائد فى أصول الدين ، وقسم الموحدين الى طبقات فجعل منهم العشرة وهم المهاجرون الاولون الذين أسرعوا الى اجابته الى دعوته ، وجعل منهم الخمسين وهم الطبقة الثانية .. وليس من شك فى أن هذه التصانيف والاحاديث المتباينة التى أدارها ابن تومرت ، والتقاسيم التى ابتدعها قد فتح بها أمام الاذهان المتوقدة ، والعقول الناضجة آفاقا جديدة للمناقشة والحوار .

وأما الامر الثانى : فهو تولى يعقوب يوسف بن عبد المؤمن ثانى أمراء الموحدين زمام الامور ، وكان يعقوب هذا شغوفا بمجالسة العلماء والفلاسفة فقرب ابن رشد وقدمه ، وشجعه على الاخذ بعلوم الفلسفة وكانت سنه اذ ذاك قد ناهزت الخامسة والثلاثين وهى سن يستطيع فيها ابن رشد أن يفكر التفكير السليم ، وأن يستوعب كل ما يبحث فى حضرته من مشكلات ، وأن يناقش كل ما يطرح أمامه من قضايا علمية وفلسفية بالصراحة والنضوج اللازمين .

كانت ولادة أبو الوليد بن أحمد بن رشد فى مدينة قرطبة فاتحة خيرا له وللمشتغلين بالعلوم والمعارف ، فقد كانت قرطبة حاضرة الاندلس التى أزهرت فى عصر يعقوب يوسف ابن عبد المؤمن حتى أصبحت مراكش قلعة الثقافة الاسلامية ، وأهم مركز لتقدم العلوم والفنون والادب .. وقد ولد ابن رشد فى أسرة أندلسية تولى أفرادها كثيرا من المناصب العظيمة فهو من أسرة عريقة معروفة بالعلم والفقه والقضاء .. يقول الدكتور محمد عبد الرحمن مرحبا فى كتابه « من الفلسفة اليونانية الى الفلسفة الاسلامية ، صفحة (٧٢٠) : (هو أبو الوليد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد .. ولد بمدينة قرطبة ، وهى سوق للعلم ومركز العلماء فى ذلك الحين ، وكان له من أسرته العريقة تراث ضخم : فقد كان والده أبو القاسم احمد قاضى قرطبة ، وكان جده - ويعرف بأبى الوليد بن رشد - قاضى القضاة فى الاندلس كلها ، وأمير الصلاة بالمسجد الجامع فى قرطبة ، وله فتاوى مخطوطة لاتزال محفوظة بمكتبة باريس تدل على ملكة النظر والقدرة على التفكير ، والمحاكمة العقلية التى سيرثها عنه حفيده ، وكان الاثنان - الاب والجد - من أئمة المذهب المالكى ، مذهب أهل المغرب والاندلس) .

وهكذا نرى أثر الوراثة وأثر البيئة فى حياة ابن رشد ، فقد ورث عن أجداده كثيرا من مواهبهم الفطرية ، فنشأ على غرارهم ، وسلك مسلكهم ، ونهج نهجهم فى حب العلم والاقبال على الدرس والتحصيل حتى قيل أنه من شدة حبه للعلم ورغبته فى تحصيل النصيب الاوفى من العلوم والفنون ، لم يترك الدرس والتحصيل الا ليلة بنائه بأهله ، وليلة وفاة أبيه .. يقول الاستاذ الكبير عباس محمود العقاد فى كتابه ابن رشد صفحة ١٩ : (والمتواتر من جملة أخباره انه كان شديد الاكباب على البحث والمذاكرة ، لم يصرف ليلة من عمره بلا درس أو تصنيف الا ليلة عرسه وليلة وفاة أبيه ، وربما شغله ذلك عن العناية ببدنه أو ادخار المال لايام عوزه .

ويحدثنا التاريخ عن ابن رشد فيقول : (أنه أتقن علم الكلام على طريق الاشاعرة ، والفقه على مذهب مالك ، وروى الحديث عن أبيه ابن القاسم واستظهر عليه الموطأ حفظا وهو الكتاب الاول والاساسى لمذهب الامام مالك ، وكان لدراسة هذا الكتاب وحفظه أثر كبير فى مجرى حياته ، وفى الطريق الذى أخطته فى مستهل أيامه العملية . فقد رشحه ذلك لتولى منصب القضاء فى اشبيلية وقرطبة . وهما نفس المنصبين اللذين تولاهما من قبل أبوه وجده .

والاشاعرة اللذين درس ابن رشد علم الكلام على طريقتهم فهم تلاميذ الاشعرى اللذين تخرجوا عليه ، وذهبوا مذهبه ، وقد تسموا بذلك نسبة الى أبى الحسن الاشعرى مؤسس المذهب الكلامى الاسلامى الذى ينسب اليه ويعرف باسمه ، واصبح اسم الاشعرية علما على الفرقة التى تعتنق ذلك المذهب ، وتعارض به مذهب المعتزلة ومذاهب الفرق الاخرى التى ترمى بالزيف والضلال ، وأصبح مذهب الاشعرية مذهبا لاهل السنة وأصحاب الحديث ولاسيما الشافعية منهم .

وكانت قرطبة قد لمع نجمها فى سماء العلوم والاداب ، وسمت مكانتها على كثير من البلاد بسبب ما أرسلته من اشعاعات العلم والمعرفة تلك التى بعثت بها الى الشرق والغرب .. فقد نشأ ابن رشد فى أحضان هذه الاشعاعات التى أصبحت فى نفسه شرارة أخذ لهيبها يتوهج سنة بعد سنة الى أن وصلت درجة أثارت عليه كثيرا من أعدائه الحاقدين الناقمين عليه لمكانته وعلمه .. فى هذه البيئة التى أينعت بالعلم والمعرفة نشأ وترعرع وتثقف ابن رشد ..

يقول الدكتور جميل صليبا فى كتابه « تاريخ الفلسفة العربية » صفحة (٤٤٢) : (نشأ ابن رشد الحفيد فى هذه البيئة الزاخرة بالعلم والفضل ، فدرس ما يدرسه أبناء زمانه من اللغة ، والادب ، والفقه والاصول ، وعلم الكلام ، فاستظهر على أبيه موطأ الامام مالك ، وأخذ الفقه عن ابن بشكوال ، وأبى مروان بن مسرة وغيرهما ، ودرس الرياضيات والطب وغير ذلك من علوم الحكمة على أبى جعفر ابن هارون الترجالى ، فبرز فى ذلك لشدة ذكائه ، وكثرة عنايته بالمطالعة) .

وقد مكث ابن رشد فى قرطبة حتى بلغ السابعة والعشرين من عمره متوفرا طوال سنوات عمره منذ أن بلغ يدرك ويعقل على الدرس والتحصيل ، وخاصة بعد أن انتقل وهو فى هذه السن الى مراكش ، واتصل بأبناء زهر وهم من مشاهير الاطباء ، وقد انعقدت فى ذلك الحين أواصر المودة بينه وبين أبى مروان بن زهر حتى قيل أنه لما ألف كتاب الكليات فى الطب سأل صديقه أبا مروان أن يؤلف كتابا يضمنه الاقاويل الجزئية المطابقة للكليات ، وهكذا ألف أبو مروان كتابا سماه التيسير ذكر فيه علامات الامراض وأسبابها وطرق علاجها .. وبقى ابن رشد فى مراكش حتى توفى عبد المؤمن وتلى أمره الموحدين من بعده ولده ابن يعقوب يوسف الذى كان مغرما باجتذاب العلماء والفلاسفة لديه ، وقد اتصلت الاسباب بينه وبين ابن رشد ، وتذكر كتب التاريخ قصة اللقاء الذى تم بين الخليفة والفيلسوف فقال المراكشى فى كتاب المعجب فى تلخيص أخبار المغرب صفحة (٣١٤) : (أخبرنى تلميذه الفقيه الاستاذ أبو بكر بندود بن يحيى القرطبى قال : سمعت الحكيم أبا الوليد يقول غير مرة : لما دخلت على أمير المؤمنين أبى يعقوب وجدته هو وأبو بكر بن طفيل ليس معهما غيرهما : فأخذ **أبو بكر يثنى علي ويذكر بيتى وسلفى : ويضم بفضله الى ذلك أشياء لا يملكها قدرى : فكان أول ما فاتحنى به أمير المؤمنين بعد ان سألنى عن اسمى واسم ابى ان قال لى :** ما رأيهم - أى الفلاسفة - فى السماء ، أقديمة هى أم حادثة ؟ فأدركنى الحياء والخوف ، فأخذت أتعلل وأنكر اشتغالى بعلم الفلسفة ، ولم أكن أدرى ما قرر معه ابن طفيل ، ففهم أمير المؤمنين منى الروعة والحياء ، فالتفت الى ابن طفيل وجعل يتكلم على المسألة التى سألنى عنها ، ويذكر ما قاله أرسطو طاليس وأفلاطون وجميع الفلاسفة ، ويورد مع ذلك احتجاج أهل الاسلام عليهم ، فرأيت منه غزارة حفظ لم أظنها فى أحد من المشتغلين بهذا الشأن المتفرغين له ، ولم يزل يبسطنى حتى تكلمت ، فعرف ما عندى من ذلك ، فلما انصرفت أمر لى بمال وخلعة سنية ومركب) .

ولقد كان من المسائل التى تدعو الى العجب حقا الاشتغال بالفلسفة وترجمة كتب أرسطو طاليس من جانب أحد ملوك الموحدين الذين عرفوا بالتزمت والمحافظة الشديدة على العلوم السلفية حتى قيل عن بعض هؤلاء الملوك أنهم أحرقوا كتب الفلسفة والبحث فى مذاهب المتكلمين .. ولقد كان عجبا أن يكون يعقوب يوسف بن عبد المؤمن ثانى خلفاء الموحدين من

البقية ص ١٧٢

المكتبة الإسلامية

تحصيل نظائر القرآن

للحكيم أبي عبد الله محمد بن علي الترمذي
المتوفي عام ٣٢٠ هجرية

الدكتور منيع عبد الحليم محمود

اننا نعجل فنورد في مطلع الحديث عن الحكيم الترمذي قوله :

ما صنفت حرفا عن تدبير ، ولا لينسب الى شيء من المؤلفات ، ولكن كان اذا اشتد على وقتي أتسلى به ..

ولقد تثقف في اللغة والدين والحكمة كأحسن مايكون التثقيف ، والتزم العبودية لله سبحانه وتعالى أخلص ما تكون العبودية ، ولما توفر له العاملان الاساسيان لكل مرب ومصلح : الثقافة وتزكية النفس ، اخذ يجاهد في سبيل الله ، داعيا العبيد الابقين الى الدخول من جديد في ساحة الرضوان ، ليتكفل الله بهم ، وليرعاهم ، وليسعدوا في دنياهم وفي آخرتهم .

وفاضت عنه الحكمة جذابة وضاءة زكية ، فاضت عنه حديثا ، وفاضت عنه سلوكا ، وفاضت عنه كتابة وبحثا وتاليفا في مختلف الميادين الدينية .. يقول عنه الامام الشعراني :

وهو من كبار مشايخ خراسان ، وله التصانيف المشهورة وكتب الحديث .

ثم يروي الامام الشعراني بعض أقواله . نذكر منها قوله :

دعا الله الموحدين للصلوات الخمس رحمة منه عليهم ، وهيأ لهم فيها ألوان الضيافات لينال العبد من كل قول وفعل شيئا من عطاياه سبحانه وتعالى : فالافعال كالاطعمة ، والاقوال كالاشربة وهم عرش الوحدانية .

وكان رضي الله عنه يقول :

(صلاح الصبيان في المكتب ، وصلاح قطاع الطريق في السجن ، وصلاح النساء في البيوت .

أما الامام القشيري فانه يقول عنه :

(من كبار الشيوخ ، وله تصانيف في علوم القوم)

والواقع أنه لم يكن له التصانيف في علوم القوم « والقوم هنا هم الصوفية » فحسب ، وانما كانت له كتب كثيرة في كثير من الفنون المختلفة .

ومنذ زمن بعيد والناس - كبارا وصغارا - متاثرون به نقدا أو اعجابا .

ومن الكتب التي كان يدرسها الامام أبو الحسن الشاذلي والامام أبو العباس المرسي ، كتاب « ختم الاولياء » .

وكتاب ختم الاولياء للحكيم الترمذي ، كتاب أقام الجو الثقافي وأقعده حين صدوره ، وكان سببا في صعوبات كثيرة اعترضت المؤلف بسبب الاراء التي احتوى عليها .

وهو كتاب أثار اهتمام الامام الاكبر محيي الدين بن عربي اثارة كبرى ، فافرد له كتابا خاصا ثم أفرد له صفحات وصفحات من كتاب الفتوحات ، وحاول أن يجيب على ما ورد فيه من أسئلة ووضع نفسه بهذا موضع الاختيار وهو من هو فلسفة وحكمة وعلم وتصوف .

ووضع نفسه أيضا بهذا موضع التحدي ، وكأنه يقول :

هانذا أجيب على الاسئلة متحديا فيما يتعلق بصحة الاجابة .

لقد كان الشاذلي يلقي دروسا في شرح هذا الكتاب ، ولقد بلغ من روعة هذه الدروس أن كان أبو العباس المرسي يحرص كل الحرص على حضورها لما كان لها في نظره من الاهمية ، وحينما يكون على سفر في شأن من شئون الدعوة ، فانه يلتمس كل وسيلة تمكنه من حضورها .

ولقد كان كتاب ختم الاولياء مفقودا الى عهد قريب ، ثم عثر الاستاذ عثمان يحيى عليه فطبعه في بيروت طبعة محققة مع دراسة عن الترمذي .

ويقول ابن عطاء الله السكندري رضي الله عنه عن أبي العباس المرسي :

« وكان هو والشيخ أبو الحسن كل منهما يعظم الامام الرباني محمد بن على الترمذى ، وكان لكلامه عندهما الحظوة التامة ».

وكانا يقولان انه أحد الاوتاد الاربعة ».

ومن كتبه التى أثارت ضجة كبرى أيضا كتاب :

« علل العبودية أو علل الشريعة »

ومن الناس من يقول : ان الاحكام لا تعلل ، وأن الله سبحانه يذكر الاحكام معللا لها أحيانا ، فنعرف علتها نصا ، ويترك سبحانه فى الاغلب الاعم التعليل ، فنأخذ بالاحكام ولا نتساءل عن التعليل والعبودية التزام ما أتى به الوحى : التزامه دون فتور أو تباطؤ ، أو تردد ودون محاولات للتعليل ».

فلما أخرج الامام الحكيم هذا الكتاب ثار عليه هؤلاء ورموه بالانحراف ».

والقى الحكيم بنفسه فى معركة الفكر السائدة فكتب من الكتب فى ذلك :

١ ـ الرد على الرافضة ، فاثار الرافضة ضده (الرافضة هم الشيعة)

٢ ـ الرد على المعطلة ، والمعطلة هم المعتزلة ، فأثار المعتزلة ضده .

وكتب كتبا كثيرة متعددة ، أثارت جدلا ونقاشا ، وثورة فكرية فى المجتمع الاسلامى ، ومن الكتب التى لها صلة بكتابنا الذى نقدمه الآن كتاب :

(الفروق ومنع الترادف)

وفكرة الكتاب تقوم على أن الترادف غير موجود فى اللغة العربية ، فليس هناك لفظتان بمعنى واحد ، وهذا رأى يخالفه فيه كثيرون ، وليس هو الرأى العادى ، ولم يبال الترمذى بما يشيع عند الناس ، وانما كتب فى ذلك مبرهنا ، وممثلا ، فأثار بذلك أيضا جدلا فى الاوساط اللغوية .

والكتاب الذى نقدمه هو تفسير للقرآن فى زاوية خاصة جدا هى زاوية بيان أن القرآن خال من المترادفات ، وأن كل كلمة فيه لها أصلها اللغوى الذى يختلف عن الاصل اللغوى للكلمات التى تشابهها .

وطريقته : أن يأتى بالاصل اللغوى للكلمة ثم يورد ما يمكن أن يكون فى تيارها من كلمات قريبة المعنى منها ، مبينا الفرق ولو كان يسيرا .

ولقد أتى من أجل ذلك بمجموعة من المصطلحات القرآنية وأخذ فى تفسيرها وبيان أصلها وما تختلف به عما يشابهها من الكلمات ، وحديثنا النظرى هذا عن الكتاب توضحه الامثلة التى نوردها

وهاك نموذج من تفسيره يقول : الخير : ما وقع عليه اختيار الله للعباد .

١ ـ المال : وانما صار الخير فى هذا المكان « المال » لانه خير الدنيا ونعيمها ، فالاختيار واقع عليه ولذلك سمى « خيرا » .

٢ ـ الايمان والاسلام : وانما سمى الخير « الاسلام والايمان فى مكان آخر لانه مختارة للآخرة .

٣ ـ الوفاء والامامة : وانما صار الخير الوفاء والامامة فى مكان آخر ، فذلك لاختيار الله اياه .

٤ ـ السعة والغنى : وانما صار الخير « السعة والغنى » فى مكان آخر ، فذاك مختارة للدنيا .

٥ ـ السرور : وانما صار الخير « السرور » فى مكان آخر : لانه مختاره على الاشياء « ا . هـ ونموذج آخر من تفسيره يقول :

« الهدى » فقد جاءت على ثمانية عشر وجها ، فالحاصل من هذه الكلمة : كلمة واحدة فقط ، وذلك أن الهدى : هو الميل ، ويقال فى اللغة : رأيت فلانا يتهادى فى مشيته ، أى يتحايل ، ومنه قوله تعالى :

« انا هدنا اليك ! أى ملنا اليك ، ومنه سميت الهدية : هدية ، لانها تميل بالقلب الى مهديها ، وان القلب أمير على الجوارح ، فاذا هداه الله لنوره : أى أماله اليه لنوره :

« اهتدى » ، أى : استمال ، وقد قال فى تنزيله :

« يهدى الله لنوره من يشاء » .

فهذا أصل الكلمة ، ثم وجدنا تفسير الهدى :

١ ـ البيان : فانما صار الهدى بيانا فى ذلك المكان ، لان البيان اذا وضح على القلب بنور العلم مد ذلك النور القلب الى ذلك الشىء وأماله اليه .

٢ ـ الاسلام : وانما صار الهدى فى المكان الاخر « الاسلام » لانه اذا مال القلب بذلك النور الى ذلك الشىء الذى تبين له : انقاد العبد وأسلم ، ومد عنقا الى قبوله .

٣ ـ التوحيد : وانما صار الهدى التوحيد فى المكان الاخر ، لانه اذا مال القلب الى ذلك النور ، سكن عن التردد ، واطمأن الى ربه فوحد .

٤ ـ الدين : وانما صار الهدى « الدين » فى مكان آخر ، لانه اذا مال القلب الى ذلك النور دان لله ، أى خضع ، والدين : هو الخضوع ، ومنه قيل للشىء المتضع : « دون » .

٥ ـ الدعاء : وانما صار الهدى فى مكان آخر « الدعاء » لانه اذا دعا الى الله بقلب مستنير مالت القلوب الى ذلك النور ، لان على ذلك الكلام نورا ، لانه خرج من قلب مستنيرا .

٦ ـ بصيرة : وانما صار الهدى « بصيرة » فى مكان آخر ، لانه اذا دعا الداعى بقلب ذى نور ولج الكلام مع النور فى الاسماع فاستنارت الصدور من المستمعين ، فابصرت عيون نفوسهم وهى بضمائرها ، فتلك بصيرة النفس ، فان للفؤاد بصرا ، وللنفس بصيرة ، وكلاهما يبصران فى الصدر ، لان الصدر ساحة القلب وساحة النفس ، وقد اشتركا فى هذه الساحة ، ومنه تصدر الامور ، ولذلك سمى صدرا ، لانه مصدر الامور ، والاعمال منه تصعد الى الاركان : ما دبر القلب ، وما دبرت النفس اتفقا ، أو اختلفا فتنازعا .

فالاركان لايهما غلب بجنوده ، فاذا كانت النفس ذات بصيرة تابعت القلب فى الحق ، والصواب ، الذى هو كائن من القلب ، لان فى القلب المعرفة والعقل معها ، والحفظ معها ، والفهم معها ، والعلم معها ، فهؤلاء كلهم حزب واحد ، فاذا كانت النفس ذات بصيرة تابعت القلب وجنوده واذا عميت فانما تعمى لقلبه الشهوات ، ودخان الهدى ، نازعت القلب بجنودها فغالب ومغلوب ، وذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

حدثنا بذلك : عمر بن ابى عمر العبدى ، قال حدثنا محمد بن الرعينى ، قال حدثنى بعلى ابن الاشدق الطائفى ، قال سمعت عمى عبد الله بن جراد يقول : سمعت رسول الله صلى عله عليه وسلم يقول :

« ليس الاعمى من يعمى بصره ، انما الاعمى من تعمى بصيرته »

وهو قوله تعالى :

« بل الانسان على نفسه بصيرة »

فكل آدمى على بصيرة ، فمادام لا تغلب على بصيرته الشهوات ، فهو مستقيم ، فاذا غلبت الشهوات عليها

« البقية ص ١٧١ »

الإمام البوصيري

رضي الله عنه

تأليف فتحي محمد عثمان

لم يحظ شعر شاعر فى المشرق والمغرب مثل ما حظيت قصيدة الامام البوصيرى « البردة » حتى أصبحت وردا للعباد والزهاد .. وكأنها قد حظيت بهذا الذيوع والانتشار ببركة المصطفى صلى الله عليه وسلم ولذلك نجد الامام البوصيرى يقول فيها :

« هذه القصيده سبب نظمى اياها انني قد اصابني خلط فالج عجز عن علاجه كل معالج أذ أبطل نصفى وحير فيه وصفى .. فلماأيست من نفسى .. وقاربت حلول ومسى ... تذكرت فى ساعة سعيدة أن أصنع قصيدة فى امتداح المصطفى ... ورجوت بها البرء والشفا .. فاعانني ربى ويسر على طلبى ... فلما ختمتها ورأيت فى منامى المصطفى التهامى ... قد اتى الى ... ومر بيده المباركة على ... فعوفيت لوسى ... وعدت لما كان من نعتى » .

ولعظم قدر هذه القصيدة اعتنى بها الباحثـــون وقد اصفوا عليها اسماء عدة فمن سماها :

براة : لان البوصيرى قد شفى ببركتها .

ومن سماها بردة : لان الرسول صلى الله عليه وسلم خلع عليه البردة فى المنام .

ومن سماها قصيدة الشدائد : لان بقراءتها تنفرج الشدائد .

عرض وتقديم

عبد الودود محمد طه

روى عن الامام البوصيرى رضى الله عنه عندما نظم قصيدة البردة قال : - استدعانى الصاحب بهاء الدين وزير الملك الظاهر وقال لى : انشدنى القصيدة التى مدحت بها النبى صلى الله عليه وسلم « يعنى البردة) وأقسم آلا يسمعها الا قائما مكشوف الرأس وقد كتبها بيده فلم تزل عنده يقرؤها ويتبرك بها فى الملمات فلما مات ورثها ابنه فخر الدين من بعده » .

ويكفى البردة فخرا انه لم توجد قصيدة عربية قلدت وتهافت الشعراء على النسج على منوالها مثلما حظيت البردة فقد قلدها البارودى صاحب السيف والقلم وقلدها كذلك أبو بكر بن حجة الحموى .

وقلدها كذلك عبد المطلب فقال :

اغرى بك الشوق بعـــد الشيب والهرم
ســـار طوى البيد من نجد الى الهرم
ياسارى الطيف يجتاب الظلام الى
جفن من النجم لم يهدأ ولم ينم

أما امير الشعراء شوقى فنهج البردة التى حاكى فيها البردة جد مشهورة ولكنه يعترف بأنه مهما سما وارتفع فانه لم يصل لما وصل اليه البوصيرى فى بردته ولذلك نجده يعيد الفضل لذويه فيقول :

المادحون وارباب الهـــــول تبـــع
لصاحب البردة الفيحاء ذى القـــدم
الله يشهد انى لا اعـــــارضه
من ذا يعارض صوب العارض العرم
وانما انا بعض الغـــابطين ومن
يغيـــط وليـــك لا يذمم ولا يـــلم
هذا مقام من الـــرحمن مقتبس
ترمى فصـــاحته سحبـــان بالبكم

أما ما يروى عن بركة البردة فانه كثير كثير ويكفيها وصاحبها انها اصبحت لها مجالس للذكر .

وقصة الشيخ الحملاوى غير خافية فقد اصيب بخراج فى بطنـــه استعصى على الاطباء علاجه فأرسل من يحج عنه وامره ان يقرأ البردة أمام قبر الرسول صلى الله عليه وسلم فاذا فى نفس الساعة التى يقرأ فيها القارىء للبردة أمام قبر الرسول صلى الله عليه وسلم ينفجر الخراج ويشفى الشيخ تماما من علته ، وما روى كثير نكتفى بهذا المثل لضيق المقام .

هذا عن البردة المشهورة فجدير بنا ان نعرف بصاحبها لان كثيرا من الناس يحفظونها ولا يعرفون شيئا عن ناظمها .

اذا كـــان حســان بن ثابت من أول المادحين للمصطفى صلى الله عليه وسلم فان الامام البوصيرى امام المادحين ويكفيه فخرا قوله للمصطفى صلى الله عليه وسلم فى همزيته

كيف ترقى رقيك الانبياء
باسماء ما طاولتها سماء

والبوصيرى هو الامام الجليل محمد بن سعيد بن حماد بن محسن ابن أبى سرور بن حيان بن عبد الله بن ملاك الصنهاجى المغربى الاصل البوصيرى النشأة ٠

فهو شاعر مصرى من الدرجة الاولى ٠ وسبب تسميته الصنهاجى انهمن قبيلة قبائل البربر وكانت تسمى صنهاجة واصل وطنها الصحراء المغربية اما تسميته بالبوصيرى فهو نسبة لاحدى قرى بنى سويف فى صعيد مصر وهى بوصير قريودس وانه ولد سنة ٦٠٧ هـ فى العام الذى توفى فيه ابن سناء الملك فى عهد الملك العادل أيوب ٠ وقد عاصر الحروب الصليبية وكان له فيها باع ٠

وهو من أعلام الصوفية تتلمذ على سيدى أبى العباس المرسى بطل الاسكندرية المعروف وقد دفن فى مسجده المعروف بمسجد الاباصيرى بالاسكندرية ٠

وقد كانت للرجل كرامات ورؤى صدقت جميعها فى الحروب الصليبية ٠

وقد جاء فى طبقات الشاذلية الكبرى : « أنه دام له الاجتماع بالنبى صلى الله عليه وسلم فى اليقظة والمنام وكان جسده طيب الرائحة يشمه الكبير والصغير » بالاضافة الى مقامه الصوفى كان شاعرا وأديبا ومصلحا دينيا ٠

وقد كان الامام البوصيرى مصلحا اجتماعيا هاجم المستخدمين فى عصره وحاول تهذيب اخلاقهم وحمل عليهم حملة شعواء فنجده يقول ؟

أرى المستخدمين مشوا جميعا
على غير الصراط المستقيم
معاشر لو ولوا جنات عدن
لصارت منهم نار الجحيم
فما من بلدة الا ومنهم
عليها كل شيطان رجيم

فكان لحملته اثرها المرجو فى اصلاح الجهاز الادارى فى الدولة والكتاب من طباعة المجلس الاعلى للشئون الاسلامية وهو على صغر حجمه ملىء بالمعلومات والمقارنات الادبية لهذا الامام الجليل وختاما نبتهل جميعا مع صاحب البردة :

لعل رحمة ربى حين يقسمها
تاتى حسب العصيان فى القسم
يارب واجعل رجائى غير منعكس
لديك واجعل حسابى غير منخرم
والطف بعبدك فى الدارين ان له
صبرا متى تدعه الاهوال ينهزم

وصلى الله عليه معلم الناس الخير ٠

بقية مقال « تحصيل نظائر القرآن »

عميت ، فاذا عميت استمرت لشرتها وتجلب على القلب شرتها حتى يتابعها القلب فاذا تابعها عمى القلب ، قال الله تبارك اسمه :

« فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » ٠

٧ – المعرفة : وانما صار الهدى « المعرفة » فى مكان آخر ، لانه اذا استنار الصدر : انشرح وانفسح ، فعرف القلب ما يأتى وما يذر فى ذلك الضوء ٠

٨ – القران : وانما صار الهدى « القرآن »

٩ – والرسول : فى مكان آخر ، لان القلب اذا عقل ما فى القرآن مال الى ما فيه من الامر والنهى والوعظ ٠

١٠ – الرشد : وانما صار الهدى « الرشد »

١١ – والصواب : فى مكان آخر ، لانه اذا مال القلب الى ذلك النور فقد رشد ٠

١٢ – التقوى : وانما صار الهدى « التقوى » لانه اذا مال القلب الى ذلك النور فقبله صار فى الوقاية ، والتقوى هى الوقاية من النار ٠

١٣ – التوفيق : وانما الهدى « التوفيق » ، لانه مال القلب الى ذلك النور وفقه الله للصواب ٠

١٤ – التوبة : وانما صار الهدى « التوبة » لانه اذا مال القلب الى ذلك النور تاب ، والتوبة هى الرجوع الى الله ٠

١٥ – المرء : وانما صار الهدى « المرء » ، لان المرء طريق العباد الى الله ، فاذا مال القلب الى ذلك النور فقد أصاب المرء ٠

فمرجع هذه الاشياء التى حيرت وجوها ذات شعب : الى كلمة واحدة ، لان الهدى : هو ميل القلب الى الله بذلك النور الذى أشرق به الصدر ، فانشرح وانفسح وهو قوله تعالى : « افمن شرح الله صدره للاسلام ، فهو على نور من ربه »

هذه الاصالة الفكرية ، وهذه السعة فى المعارف ، وهذه الجرأة فى اعلان ما يرى أنه الحق هى التى اطلقت على أبى عبد الله الترمذى : الحكيم ، وهذا الوصف يميزه عن الامام الترمذى المحدث الكبير ولكنها هى نفسها التى عرضته لفتنة أثارها أعداؤه وحاسدوه ٠

ان الله سبحانه وتعالى يقول : « وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا »

ولم يكن للترمذى عدو واحد وانما كان له أعداء من الرافضة ومن المعطلة ، ومن المحدثين ومن الفقهاء ، وقد أثر هؤلاء على العامة فكان له أعداء من العامة أيضا والناس على دين ملوكهم ، أما الناس هنا فهم العامة وأما ملوكهم فهم أصحاب الاقلام والالسنة ٠

ولكن العجب العجاب أنه تعرض ايضا للاضطهاد من الصوفية أنفسهم ٠ ولكن الحق الذى نقوله انه لم يخل من المسئولية فى ذلك فانه هاجم دون رفق أو هوادة ، أو مجاملة لاى انحراف ٠

انظر اليه يقول عن الصوفية :

قل للمفتونين (بعض الصوفية) يقول لكم محمد بن على (هو الحكيم نفسه) : « حرام على قلوبكم الوصول الى منازل القربة حتى تؤدوا الفرائض على ما وصفت ، ثم حرام على قلوبكم بعد ذلك درجات الوسائل حتى تميتوا مشيئاتكم ثم حرام على قلوبكم بعد ذلك الدرجة العظمى فى ملك الملك بين يديه حتى تنقطع عن قلوبكم مشيئة الوصول اليه

وتالب عليه جميع أعدائه فاخذوا يتهمونه (وهو الصوفى العالم الحكيم) بتهم لا تخطر له على بال ، حتى رموه فى نهاية الامر بالزندقة :

وأخذ الحكيم الترمذى الى الوالى وتحدث اليه الوالى فوجد عقلا وحكمة ولكنه من جانب آخر وجد هياجا شعبيا ضد الحكم ، ماذا يصنع

انه اخذ على الحكيم تعهدا أن لا يتحدث فى الحب وكان الحديث فى الحب من التهم التى اتهموه بها ولم تسكن الفتنة فاخرج الحكيم من ترمذفسافر الى بلخ فكرمه أهلها وقدروه واعتزوا به ٠

وهدأت الفتنة فى ترمذ وعاقب الله تعالى كل من أساء اليه فعاد الى ترمذ معززا مكرما ومات بها سنة ٣٢٠ هـ على أرجح الاقوال ٠

هذا وبالله التوفيق ٠

« بقية مقال ابن رشد »

أكثر ملوك المغرب حبا للعلم والعلماء واكثرهم تقريبا للفلاسفة ، والاتصال بهم أشد اتصال حتى جمعت بينه وبين ابن طفيل مودة قوية ، وتوثقت بينهما عرى المحبة والصداقة ، فابن طفيل هو الذى جمع للخليفة العلماء والفلاسفة من كل حدب وصوب ، وهو الذى حمله على تكريمهم ، كما أنه هو الذى لفت نظر الخليفة الى ابن رشد ورتب قدومه اليه ، والمقابلة معه ، كما وضح من القصة التى أوردناها فيما تقدم عن ابن مندود ،وابن طفيل هو كذلك الذى رشح ابن رشد لترجمة كتب أرسطو طاليس ·· يقول المراكشى فى ذلك نقلا عن أبى بكر مندود بن يحيى رواية عن ابن رشد نفسه : (استدعانى أبو بكر بن طفيل يوما فقال لى : سمعت اليوم أمير المؤمنين يتشكى من قلق عبارة أرسطو طاليس - أو عبارة المترجمين عنه - ويذكر غموض أغراضه ، ويقول : لو وقع لهذه الكتب من يلخصها ويقرب أغراضها بعد أن يفهمها فهما جيدا لقرب مأخذها على الناس ، فان كان فيك فضل قوة لذلك فافعل ، انى لارجو أن تفى به ، لما أعلمه من جودة ذهنك وصفاء قريحتك وقوة نزوعك الى الصناعة ، وما يمنعنى من ذلك الا ما تعلمه من كبر سنى واشتغالى بالخدمة ، وصرف عنايتى الى ما هو أهم عندى منه ، قال أبو الوليد : فكان هذا الذى حملنى على تلخيص ما لخصته من كتب أرسطو طاليس)

وتم لابن رشد تلخيص هذه الكتب فى جزء واحد فى نحو مائة وخمسين ورقة ، وجعلها فى كتاب عرف بكتاب الجوامع لخص فيه كتاب الحكيم المعروف بسمع الكيان ، وكتاب السماء والعالم ورسالة الكون والفساد ، وكتاب الاثار العلوية ، وكتاب الحس والمحسوس ، ثم لخصها بعد ذلك وشرح أغراضها فى كتاب مبسوط فى أربعة أجزاء

وقد أثمر لقاء أبى يعقوب يوسف بن عبد المؤمن لابن رشد ثمرا طيبا ، وكان له آثار بعيدة فى حياة الحكيم الاندلسى الذى نترجم له ، فأبو يعقوب هو الذى شجعه أولا على الاشتغال بالفلسفة كما رأينا ، وهو الذى أخذ بيده للسهر على ترجمة أرسطو طاليس بعد التمعن الدقيق والفهم الكامل واستيعاب ما خفى منها حتى عرف فى الاوساط العلمية الاوربية بالشارح ·· يقول الاستاذ الكبير عباس محمود العقاد فى كتابه « ابن رشد » صفحة (٤٩) : (اشتهر أرسطو بين الاوربيين فى القرون الوسطى باسم الفيلسوف ، فاذا ذكر الفيلسوف بغير اسم فى كتاب من كتب تلك العصور فأرسطو هو المقصود ·

(واشتهر ابن رشد باسم الشارح أو المعقب فاذا قيل الشارح أو المعقب فى كلام من كلامهم فابن رشد دون غيره هو المقصود ·

(وقد عرف ابن رشد بين متعلمى القوم بالمعلم الاول وهو لا يعرف اليونانية ولم يكن شىء من كلام ارسطو قد ترجم الى اللاتينية أو لغة من اللغات الاوربية قبل عصر ابن رشد غير كتب المنطق ، ثم تنبه علماؤهم الى ترجمته بعد ذيوع اسم ابن رشد ، فطلب القديس توما الاكوينى من صديقه « وليام موبربك » أن ينقل جميع كتبه فنقلها ، ولم يظهر بعد نقلها أن ابن رشد قد أخطأ فى شىء من لباب الفلسفة ولم يحصوا عليه غير هفوات من الغلط ببعض الاسماء لتشابه نطقها ، وسائر شروحه بعد ذلك لا غبار عليها من جهة المعنى ، وقد يقع العارف باليونانية فى أخطاء أكثر من الاخطاء التى لوحظت على الفيلسوف القرطبى ، ولم تكن له فطنة كفطنة ذلك الفيلسوف) ·

ومن الثمر الطيب كذلك ، والاثار البعيدة ، أن الاتصال الذى تم بين الخليفة وبين الحكيم كان سببا فى تلك الخطوة الكبيرة التى بلغها الحكيم عند الخليفة الذى قربه اليه ، وأسند له عدة مناصب ·· يقول الدكتور جميل صليبا فى كتابه « تاريخ الفلسفة العربية » صفحة (٤٤٥) : (كان لاجتماع ابن رشد بالخليفة أبى يعقوب يوسف أثر كبير فى تغيير مجرى حياته ، فقد سماه الخليفة قاضيا لاشبيلية سنة ١١٦٩ ميلادية ، فلخص فيها كتاب الحيوان ، وقال : اذا كنت قد أخطأت فى بعض أقسام هذا الكتاب فمرد ذلك الى اشتغالى بالخدمة ، وبعدى عن مكتبتى فى قرطبة ، ولما نقله الخليفة الى منصب القضاء فى قرطبة سنة ١٧٧١ ميلادية ، انصرف الى تلخيص كتب أرسطو الاخرى ، بالرغم من اشتغاله بشئون عامة لم تترك له من الوقت والحرية ما يستطيع معهما انجاز عمله ، حتى أن اشتغاله بالخدمة كثيرا ما كان يضطره الى التنقل من قرطبة الى أشبيلية أو مراكش ولما جاء عام ١١٨٢ ميلادية استدعاه الخليفة أبو يعقوب الى مراكش وجعله رأس أطبائه بدلا من ابن طفيل ، الذى احتفظ بالوزارة ، ثم اعاده الى قرطبة ، وولاه منصب قاضى القضاة الذى كان يشغله جده · وقد وصفه ابن الابار بقوله : كان يفزع الى فتواه فى الطب ، كما يفزع الى فتواه فى الفقه ، وحكى عنه أبو القاسم الطيلسان أنه كان يحفظ شعرى حبيب والمتنبى ، ويكثر التمثل بهما فى مجلسه ، ويورد ذلك أحسن ايراد ،ويضيف ابن الابار الى ذلك قوله : فحمدت سيرته وتأثلت له عند الملوك وجاهة عظيمة لم يصرفها فى ترفيع حال ، ولا جمع مال ،وانما قصرها على مصالح أهل بلده خاصة ومنافع أهل الاندلس عامة) ·

وسار ابن رشد فى القضاء سيرة طيبة حسنة ، وكان مثالا للقاضى العادل النزيه الذى حافظ على شرف المهنة ، كما حافظ على شرف نفسه ·· يقول الاستاذ العقاد فى كتابه المشار اليه صفحة (٢٠) : (ولم يذكر قط عن القاضى الفيلسوف خبر من أخبار التبسط لمجالس اللهو والطرب مما استباحه جملة أبناء عصره ، ومنهم طائفة من العلماء والحكماء ، بل كان يتعفف من حضور هذه المجالس ، وبلغ من تعففه عما لا يراه خليقا بعلمه ومكانه من القضاء أنه أحرق شعره الذى نظمه فى الغزل أيام شبابه · وعلى هذا كان يحفظ الجيد من الشعر ويرويه فى مواطن الحكمة وشواهد المثل) ·

وكان ابن رشد يعرف كيف يحبب الناس فيه ، ويجمعهم حوله ·· وفى فترة اشتغاله بالقضاء يقول الاستاذ محمد لطفى جمعة فى كتابه « تاريخ فلاسفة الاسلام » صفحة (١٢١) : (ولى قضاء قرطبة بعد ابى محمد بن مغيث ، فحمدت سيرته وتأثلت له عند الملوك وجاهة عظيمة لم يصرفها فى ترفيع حال ، ولا جمع مال ، انما قصرها على مصالح أهل بلده خاصة ، ومنافع أهل الاندلس عامة ، وكان قد قضى فى أشبيلية قبل قرطبة وكانت الدراية أغلب عليه من الرواية ، ولم ينشأ بالاندلس مثله كمالا وعلما وفضلا ·

(وكان على شرفه أشد الناس تواضعا ، وأخفضهم جناحا ، وعنى بالعلم من صغره الى كبره ·· ومال الى علوم الاوائل فكانت له فيها الامامة دون أهل عصره ·· وكان مشهورا بالفضل معتنيا بتحصيل العلوم) ·

ولما توفى يعقوب يوسف بن عبد المؤمن فى سنة ٥٨٠ هجرية - ١١٨٤ ميلادية ، وبويع ابنه يعقوب المنصور استمر نجم ابن رشد فى الصعود ، واستمر يلمع ، ويزداد لمعانه شيئا فشيئا ، فقد كان المنصور كأبيه محبا للعلم وأهله وقد استدعى الخليفة الجديد ابن رشد وقربه واحترمه احتراما كبيرا ، وأجلسه الى جانبه ·

وكان هذا القرب من الخليفة ، وكان هذا الاحترام الذى لقيه منه ، وكان هذا الايثار الذى أضفاه المنصور على ابن رشد سببا فى اشتعال النفوس بالحقد على الفيلسوف القرطبى ، وسببا فى تغير نفس الخليفة من جهته ، وسببا فى نكبته التى عانى منها شيئا كثيرا ، والتى كان لها رد فعل بعيد المدى ، فلم تقتصر هذه المعاناة على ابن رشد وحده ، ولكنها تعدته الى كثير من أصدقائه ، وتلاميذه ، ومريديه الذين كان لهم نفس المصير وان تفاوتت درجاته كما سنذكر تفاصيله فيما يأتى من حديث ان شاء الله ·

للحديث بقية ·

الإفتاء

أنت تسأل والمفتى يجيب

فضيلة الإمام الأكبر
الدكتور عبد الحليم محمود
شيخ الأزهر

س ١ من السيد محمد الطيب محافظة القاهرة

قرأ باحدى الجرائد اعلانا عن حفل ساهر تقيمه جمعية اسلامية بفندق الهيلتون ويسبق الحفل عشاء فاخر والغرض من هذا الحفل هو الحصول على موارد مالية لانشاء مدرسة لتحفيظ القران الكريم • فهل يجوز العمل بهذا المال فى انشاء مدارس لتحفيظ القرآن الكريم ؟

الجواب

اذا كان فى هذا الحفل ما ينهى عنه الله تعالى مما هو مألوف - بكل أسف - فى مثل هذه الحفلات فان اقامته حرام والمال الذى يجمع منه زمن أمثاله مال حرام ومانبت من حرام فالنار اولى به والواجب على جمعياتنا الاسلامية أن تحترم عنوانها « الاسلامى » وتربأ بنفسها عن جمع المال الا بالطرق التى احلها الله سبحانه وتعالى حتى يبارك الله لها فى عملها ويحقق لها أهدافها • ومدارس القرآن الكريم أكرم على الله من أن تقام بأموال جمعت بوسائل غير مشروعة •. وعلى مجتمعنا الاسلامى مجتمع العلم والايمان أن يطهر نفسه من كل مايغضب الله تعالى حتى يجمع الله شمل الامة الاسلامية ويرفع عنها ماتعانيه من بلاء •

س ٢ من عبد الله الهوارى سنتماى - ميت غمر دقهلية

مارأى الدين فيمن قتل - بغير قصد - طفلة صغيرة تبلغ من العمر ٤ سنوات

الجواب

مادام القتل بغير قصد فهو قتل خطأ وقد قرر الفقهاء ان القتل الخطأ يوجب الكفاره على القاتل والدية على عاقلته وهم عشيرته ولا اثم عليه قال تعالى « **ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى اهله** » • والاثم مرفوع عنه لقوله صلى الله عليه وسلم « **رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه** » • وقد رفع عنه اثم القتل ووجبت الكفارة لترك الاحتراز والتثبت - والكفاره هى تحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين لقوله تعالى « **فدية مسلمة الى أهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين** » • ولايجزىء فيها الطعام لان الكفارات لا تعلم الا بالنص ولم ينص فى كفارة القتل على الاطعام والدية مقدرة بألف دينار أو عشرة آلاف درهم لما روى أن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه قضى فى الدية بعشرة آلاف درهم ومن الدنانير بألف دينار ومن الابل بمائة ومن البقر بمائتى بقرة ومن الغنم بألفى شاه •

س ٣ : من المواطنة عزيزة محمد - بالاسكندرية

ابلغ من العمر ٥٨ سنة وكنت نذرت لله أن أصوم ثلاثة أيام متتالية لامر قضاه الله سبحانه وتعالى لى الا انى أديت الصيام فى أيام متقطعة فما الحكم فى ذلك •

الجواب :

مما يشترطه الفقهاء لوجوب الوفاء بالنذر أن يكون

من جنسه واجب ولما كان التتابع فى الصيام واجبا فى بعض أنواعه كأداء رمضان وبعض الكفارات فان هذا النذر واجب الاداء بالصفة التى نذرتها السائلة وهى التتابع فى الصيام الا اذا عجزت عن التتابع فيجوز لها الصيام غير متتابع اذ « **لا يكلف الله نفسا الا وسعها** » .

س ٤ : من نفس السائلة

تقول انها مصابة بسلس البول ولا تستطيع تغيير ملابسها أثناء العمل خارج البيت وعملها يبدأ من العاشرة صباحا الى الثامنة والنصف مساء فهى مضطرة للوضوء والصلاة بملابسها الداخلية اثناء العمل وخارج البيت فما الحكم فى ذلك ؟

الجواب :

المريض بسلس البول معذور والمعذور يتوضأ لوقت كل صلاة ويصلى به ما شاء من الفرائض والنوافل ويبطل وضوؤه بخروج الوقت ما لم ينتقض بناقض آخر غير العذر الذى يشكو منه فعلى السائلة أن تتوضأ كلما دخل وقت من اوقات الصلاة وتصلى بملابسها حيث يشق عليها تغيير ملابسها ودين الله يسر لاحرج فيه قال تعالى « **وماجعل عليكم فى الدين من حرج** » وقال « **يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر** » .

س ٥ : من المواطن التونسى رءوف فحبيش .

أعمل باحدى المعامل التونسيه ويحين وقت صلاة الجمعة وأنا فى العمل واذا ذهبت الى المسجد لاداء صلاة الجمعة فانتى أطردفورا من العمل فماذا أفعل وهل اصليها ظهرا ام ماذا افعل ؟

الجواب :

صلاة الجمعة فرض عين على المكلفين من الرجال ومزاولة العمل ليست عذرا مسقطا لصلاة الجمعة بل يجب على المسلم ترك عمله والذهاب الى المسجد اذا نودى لصلاة الجمعة لقوله تعالى « **يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم أن كنتم تعلمون . فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون** » .

فالواجب ترك العمل والذهاب الى أقرب مسجد لاداء صلاة الجمعة ثم العوده لمباشرة العمل . وبالنسبة للسائل فان كان يجد عملا آخر فعليه - ان كان ذلك ميسرا له ولا يضره فى قوته أو قوت عياله - أن يترك هذا العمل الذى يحول بينه وبين عبادته لربه ويباشر عملا آخر يستطيع معه أداء ما فرضه الله عليه أما اذالم يجد عملاآخرفانه حينئذيكون مضطرالترك صلاة الجمعة وعليه والحالة هذه أن يصلى الظهر أربع ركعات - والضرورات تبيح المحظورات - والله أعلم .

س ٦ : من نفس السائل .

يقول بعض الناس « ان ابراهيم الخليل تزوج أخته » والبعض الاخر يقول بغير ذلك فما هو الرأى الصحيح ؟

الجواب :

السيدة سارة زوجة سيدنا ابراهيم الخليل كانت مصاحبة له حين قدم الى مصر ، وكان ملكها وقتذاك من الطغاة الذين يحلو لهم ان يستحوذوا على ما يعجبهم من زوجات الاخرين فأوصاها سيدنا ابراهيم أن تخبر هذا الطاغية حين يسألها عن صلتها بابراهيم بأنها أخته ويقصد بذلك أنها أخته فى الدين . فليست سارة أختا لابراهيم من النسب بل هى زوجته وأخته فى الاسلام .

روى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « **لم يكذب ابراهيم النبى عليه السلام قط الا ثلاث كذبات اثنين فى ذات الله : قوله « انى سقيم » وقوله « بل فعله كبيرهم هذا » وواحدة فى شأن سارة فانه قدم ارض جبار ومعه سارة وكانت أحسن الناس فقال لها : ان هذا الجبار ان يعلم أنك امراتى يغلبنى عليك فان سألك فأخبريه أنك أختى فانك أختى فى الاسلام فانى لا اعلم فى الارض مسلما غيرك وغيرى . فلما دخل ارضه رآها بعض أهل الجبار فأتاه فقال له لقد قدم ارضك امراة لا ينبغى لها أن تكون الا لك فأرسل اليها فأتى بها فقام ابراهيم عليه السلام الى الصلاة فلما دخلت عليه لم يتمالك أن بسط يده اليها فقبضت يده قبضة شديدة فقال لها ادعى الله أن يطلق يدى ولا اضرك ففعلت فعاد فقبضت أشد من القبضتين الاولين فقال ادعى الله ان يطلق يدى فلك الله ان لا اضرك ففعلت فاطلقت يده ودعا الذى جاء بها فقال انك انما أتيتنى بشيطان ولم تأتنى بانسان . فأخرجها من ارض وأعطها هاجر .. الخ .**

الحديث الذى أخرجه البخارى فى احاديث الانبياء واخرجه مسلم فى الفضائل - وورد مثل ذلك فى حديث الشفاعة فى فصل القضاء يوم القيامة وفيه « **أنه حينما يأتون ابراهيم عليه السلام يطلبون منه « الشفاعة » يقول لست هناكم انى كذبت ثلاث كذبات : قوله انى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا . وقوله لامرأته أخبريه أنى أخوك** » .

فالصحيح أن السيدة سارة زوجة سيدنا ابراهيم لم تكن أخته من النسب بل هى أخته فى الاسلام . والكذب المنسوب لسيدنا ابراهيم لايقدح فى النبوة لانه ليس كذبا على سبيل الحقيقة بل هو من قبيل المعاريض وابراهيم عليه السلام قد صرح بذلك اذ قال انك اختى فى الاسلام ، وحينئذ فليس فيه نسبة الكذب حقيقة اليه . وامتناعه عن الشفاعة لانه يرى أنه وان لم يرتكب خطأ فقد ارتكب ما هو فى صورة الخطأ .

س ٧ : من سيف سعد مصطفى الجوهرى .

يسأل عن حكم أكل البولبيف واللنشون واللحمة المستوردة والفراخ المستوردة وهل هى مذبوحة على الطريقه الاسلامية .

كما يطلب حكم أكل الفسيخ والسردين المملح وعلب السلمون والتونة وما شابهها .

الجواب :

الاطعمة المستوردة واللحوم والطيور المذبوحة اذا

تأكد لدينا على سبيل اليقين أن بها شيئا محرما أو انها لم تذبح ذبحا شرعيا فيحرم على المسلمين تناولها أما اذا لم نتأكد من ذلك فهى حلال لان الاصل الحل والتحريم لا يثبت بالشك.

أما الفسيخ والسردين وما اليهما فانها من الميتة التى أحل الله أكلها لقوله صلى الله عليه وسلم :

« احلت لكم ميتتان ودمان أما الميتتان فهما السمك والجراد وأما الدمان فهما الكبد والطحال » فهذه الاشياء الاربعة مستثناه من عموم قوله تعالى **« حرمت عليكم الميتة والدم »**.

س ٨ : من المواطن ل - د - م - ح من القاهرة

١ - هل يجب التتابع فى صيام كفاره اليمين أم يجوز صومها غير متتابعة ؟

٢ - هل يصح الوضوء مباشرة بدون دخول المرحاض اذا لم يكن للمتوضىء حاجة لدخوله ؟

٣ - هل يجوز للزوج أن يستمنى بيد زوجته أم لا ؟

الجواب :

١ - يجب التتابع فى صيام كفارة اليمين عند الحنفية ويجوز صومها غير متتابعة عند غيرهم.

٢ - يصح الوضوء مباشرة بدون دخول المرحاض مادام فى غير حاجة الى التبول او التغوط وليس على بدنه نجاسة تجب ازالتها.

٣ - لايحل للزوج ان يستمنى بيد زوجته فحرمة ذلك كحرمة الاستمناء بيد الشخص نفسه لانها داخلة فى قوله تعالى « **فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون** » كما سبق ان شرحنا ذلك تفصيلا فى كثير من الاعداد السابقة ردا على الذين يسألون عن حكم العادة السرية - غير أن المداعبة بين الزوجين شىء والاستمناء شىء آخر. وقد قال تعالى : « **فاذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله** » أى فى الفرج ولا تعدوه الى غيره فمن فعل شيئا من ذلك فقد اعتدى - قاله ابن عباس ومجاهد وغيرهما كما جاء فى ابن كثير.

س ٩ : من عادل حسن صديق ابراهيم طالب بالثانوية العامة - اللبان باسكندرية

يقول : كثيرا ما يحتلم وحينما يغتسل ويطلب تغيير ملابسه يجد مخالفة من الوالدين فى تغيير ملابسه باستمرار فيستحى من مصارحتهم ويضطر بسبب ذلك الى ترك الصلاة ويسأل ماذا يفعل ؟

الجواب

الاحتلام امر طبيعى لا حرج فيه ولا حياء منه خصوصا بالنسبة للشباب، وهو أمر حدث للوالد ومرت به تلك المرحلة قبل أن يحدث للابن. ثم انه لا حياء فى الدين والاسلام قد أوجب الغسل على من احتلم رجلا كان أو امراة ولا يجوز اطلاقا ترك الطهارة من الجنابة لهذا الوهم الذى يستحوذ على السائل فعليه ان يغتسل كلما احتلم حتى لا يقع فى اثم البقاء بلا طهارة ثم يرتكب تبعا لذلك وزرا كبيرا بترك الصلاة على أن الطهارة من الجنابة بسبب الاحتلام أو غيره لا تستتبع بالضرورة تغيير الملابس.

س ١٠ من المواطن على رعد من لبنان

حدث خلاف بينه وبين بعض الاشخاص فى سنة العشاء هل هى أربع ركعات أم هى ركعتان. أما هو فيظن أنها أربعة وغيره يقول انها ركعتان وقد قرأ فى كتب مدرسية تدرس فى لبنان أن سنة العشاء ركعتان بعد صلاة الفرض ويرجو توضيح الامر.

الجواب

هذا الموضوع لايحتاج الى الخلاف بالصورة التى صورها السائل فالسنة تطوع وهى نافلة زائدة عن الغرض سنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلما تقرب العبد الى الله بالنوافل كلما ازداد قربا من ربه وسنة العشاء كما يراها فقهاء الحنفية هى ركعتان مؤكدتان بعد صلاة العشاء وقبل الصلاة أربع مندوبة وبعدها أربع مندوبة كذلك وهى بخلاف الركعتين المؤكدتين بعد الصلاة وعند الشافعية ركعتان بعد صلاة العشاء مؤكدتان وركعتان قبلها غير مؤكدتين.

ويرى المالكية أنه يستحب التنفل قبلها بركعتين بعد الاذان - ومن النوافل غير الراتبة عندهم الشفع وأقله ركعتان وأكثره لا حد له ويكون بعد صلاة العشاء وقبل صلاة الوتر وحكم الشفع الندب وأما الوتر فانه سنة مؤكدة عندهم بل هو آكد السنين بعد ركعتى الطواف ودقته بعد صلاه العشاء وأما الحنابلة فيرون أن من السنن الراتبة ركعتين بعد صلاة العشاء رواتب أربع بعد صلاة العشاء.

ومن ذلك يتضح ان الذى يصلى أربعا أتى بالسنة والذى يصلى ركعتين أصاب السنة كذلك.

ردود خاصة

س بالقاهرة

الاموال السائلة التى تحت أيديكم حق لجميع ورثة المتوفى تقسم على الجميع كل بحسب نصيبه الشرعى وليس فى هذه الاموال وصية.

١٢ ر - م - ر الاسكندرية

الصيغتان الواردتان فى خطابك لا يعتبرهما قانون الاحوال الشخصية الحالى طلاقا غير أننا ننصحك بعدم التفوه مرة أخرى بمثل هذا اليمين حتى تظل الاسرة محتفظة بكيانها والله الموفق - وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

للسيد المهندس الميكانيكى الزراعى - محمد احمد بدر دياب ميت سهيل - مركز منيا القمح شرقية

هذه المشكلة التى بينك وبين اهل زوجتك وقد فصل فيها القضاء. فليس من حق احد ان يتعرض لحكم المحكمة. الا بالطرق التى رسمها القانون وهى الطعن بالمعارضة او الاستئناف او غيرهما. مما نص عليه القانون ومع ذلك فمن حقك ان تستعين بالقضاء على تمكينك من اخذ زوجتك التى لم تدخل بها بعد «بطلب الطاعة» والذى ننصح به هو مادعانا اليه القرآن الكريم وذلك باللجوء الى اهل الخير والاصلاح من ذوى الطرفين لازالة مابينكما من شقاق وانهاء هذا الخلاف، قال تعالى « **وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا** » والله الموفق..

الأسرة المسلمة

خواطر إسلامية

الأستاذ ناصف سليم

لم يقل أحد أن العرب كانوا قبل الاسلام جبناء : فقد كانت الشجاعة من صفاتهم وفى طباعهم : ولم يقل أحد أنهم كانوا جميعا فقراء : فقد كان بينهم القادرون والاثرياء .. وكانوا من الكرماء .. ولكنهم مع ذلك لم يكونوا على حال تسر فى حياتهم الدينية والاجتماعية والسياسية !

● ● ●

وكانت اطرافا بلادهم نهبا مقسما بين الدولتين المقتسمتين للعالم آنذاك ، فارس والروم !! كانوا موجهين ، وتابعين ، وتحت اقدام غيرهم من الامم ! بالرغم من انهم كانوا مضرب الامثال فى الاقدام والشجاعة !

اما سبب هذا الهوان الذى أصاب العرب ، قبل ان يبعث الله محمدا رسوله الى الناس كافة ، فهو تفرقهم وتنازعهم وعدم وجود رابطة قوية بينهم تربطهم !

● ● ●

● ولكى يتخلصوا من هذه النقط الضعيفة فى حياتهم وكيانهم ، أخذهم الرسول عليه الصلاة والسلام بالتربية والتهذيب ، ومازال ينتزع من عقولهم ونفوسهم العقائد الزائفة ويزرع فيها العقائد الصحيحة ، حتى روضهم على الاخلاق الكريمة ! وبعد ذلك بقليل : أصبحوا أمة واحدة لا تعرف التفرق ، متآلفة لايخالط قلوبها البغض ، متآخية متناصرة لا يتطرق ، اليها الوهن او التخاذل !

● كانت هذه مراتب التربية المحمدية ، ينتقل بهم من ضعف الى قوة ، ومن تفرقة الى وحدة ، بالتربية الاصيلة . وكان من نتيجة ذلك أن اصبحوا فى اقل من خمسة عشر عاما ، دولة مرهوبة الجانب عزيزة المنال وثيقة الاركان . وبدلهم الله بعد خوفهم أمنا ، ومن بعد ضعفهم قوة ، فانطلقوا خارج جزيرتهم يتلون عرش الاكاسرة والقياصرة وهم زاهدون فى الملك والجبروت والسلطان .. كانوا يضحون من اجل غيرهم .. من اجل تخليص المظلومين من أيدى الطغاة : واحكام المحرومين من مال الاغنياء : وننشر نور الرسالة المحمدية .. على عباد الله .. لينعم بها كل الناس !

● ● ●

● واستمر ذلك طويلا .. طالما كانوا متحدين ، فلما صاروا شيعا وأحزابا تتنازعها الاهواء والشهوات وصارت الدولة الواحدة دويلات لا تجمعها وحدة ، ولا تسعى لغاية واحدة ضعفوا جميعا .. ذهب ريحهم ، وضاعت هيبتهم !!

ورأينا وسمعنا عن المآسى كل يوم بما يوحى باننا بغير اسلوب التربية الذى بداه الرسول عليه الصلاة والسلام لن نعود أمة واحدة .. هذا الاسلوب اهم مبادئه الزهد فى الملك والسلطان ، تحمل المسئولية كاملة أمام الله .. يتساوى فى ذلك الحاكم والمحكوم .. انطلاقا من قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته : فالامام الذى على الناس راع وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهى مسئولة عنهم ، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسئول عنه الا فكلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته .. »

● واذا كان واضحا أن أعظم المسئوليات وأحقها بالعناية والرعاية مسئولية الراعى عن الرعية لانها تتعلق بأفراد الامة كلها ، وبسياسة الدولة العامة وكيانها ، فان مسئولية افراد الرعية قادرة على أن تعين الحاكم على القيام بمسئولياته . وقد كان عمر بن الخطاب يطلب من أفراد الرعية ان يقوموه بسيوفهم اذا بدا منه اعوجاجا أو انحرافا .

● وفى عهود كثيرة استطاع المحكومون ان يردوا الحاكم عن طغيانه ، وان يوجهوا اليه النصح اذا وجدوا فى سياسته ما يدعو الى تفريق وحدة المسلمين ، وسجل تاريخ الاسلام مواقف كثيرة لابطال مسلمين ، الزموا الحاكم بالتزام حدود الله . وعدم توجيه سيف المسلم الى نحر أخيه المسلم !

● قال صاحب كتاب المحاسن والمساوىء : دعا الامير بن هبيرة بعلماء العراق ، وصار يباحثهم فلم يرض منهم غير الحسن البصرى والشعبى فاختلى بهما ، ثم قال للشعبى ، انى مامور أمير المؤمنين وربما جاء منه الامر بخلاف الشريعة لقطع عطاء هذا ، وحبس او ضرب هذا فلا أقدر ان أرده فما العمل ؟!

قال الشعبى : فقلت له أصلح الله الامير السلطان والد يخطىء ويصيب والنت له القول فسره ذلك منى واعجبه !

● ثم اقبل على الحسن البصرى وقال :

ما تقول انت يا أبا الحسن ؟ !

فقال له الحسن : قال صلى الله عليه وسلم : من استرعى رعية فلم يحطها بالنصيحة حرم الله عليه الجنة ، فحق الله تعالى الزم من حق أمير المؤمنين والله أحق أن يطاع ، ولاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق . فاعرض كتاب أمير المؤمنين على كتاب الله عز وجل ، فان وافقه فخذ به والا فانبذه ، ان الله تعالى ليمنعك من يزيد بن عبد الملك ، وان يزيد لا يمنعك من الله تعالى ، الحساب من ورائك ، وغضب الله امامك ، والله بالمرصاد !!

وغضب هبيرة غضبا ظهر على وجهه ، وتغير لونه ، قال الشعبى فاخرجت للحسن التحف والجوائز وكانت له المنزلة ، واستخف بنا ، وحرمنا من معروفه !! وأنا عاهدت الله أن لا أشهد سلطانا بعد هذا المجلس فأحابيه !!

● قرأت هذه القصة ، وأنا أسائل نفسى : الا يوجد عالم أو أفراد من الرعية يوجه النصح ، لمن أرغموا المسلمين على قتال المسلمين !! لكل عربى يحمل السلاح ليقتل به عربيا ، وما حمله « فى الاصل » الا ليقتل به اسرائيليا !!

● ولكنه مع هذا درس . يذكرنا بمدرسة محمد صلى الله عليه وسلم فهى وحدها القادرة على حقن الدماء ، واعادة كيان الامة ، انها ليست مدرسة أو رسالة للوقت الذى قامت فيه دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام ، ولكنها رسالة لكل وقت —

مع القراء

إعداد: فؤاد هيبه

عزيزى القــارىء ..

انطلاقا من مفهوم الدورة الروحية التى اختص الله بها المؤمنين من عباده على مدار رجب وشعبان ورمضان والتى تحدثت عنها فى العدد الماضى أقول:

انه لا يحق لانسان أن يدعى أنه حقق لروحــه الصفاء ولنفسه التوبة والمآب ولعمله الرجـاء من الخطأ الا اذا برز له صدق ذلك من خلال التفاعل مع الحياة ومتطلباتها والاعمــال ومسئولياتهـا والنزعات وبريقها حيث يتم صقل التطلعات الروحية والقيم الخلقية والمفاهيم النظرية بالقضايا العملية .

ثم يأتى بعد هذه الممارسة للقيم والتطلعات دور الكاتب الناقد الذى قيضه الله لتقييم الاعمال من خلال المتابعة وهو دور لا يقل فى خطورته عن الدور الذى يؤديه من يتحمل المسئولية من فعالية الشهوات وترويض النفس مع استمرار السعادة من خـلال الصدق فى القول واتقان العمل ..

وحرى بالناقد أن يتوخى الصدق ويبرأ من الحقد ويترفع عن الاسفاف حتى يصدر فيما يقول عن نزاهة فى الرأى وأصالة فى العطاء اعمالا لقوله تعالى : ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب » .

وقد حدثنا المولى جل وعلا فى كتابه العزيز عن ميزان النقد النزيه وألزمنا به فى معاملاتنا من أخذ أو عطاء فى مجال الفكر أو المادة فقال عز من قائل :

« والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانو بآياتنا يظلمون »

وهنا الزام لكل من باشر النقد أو التقييم باتبـاع الحق فمن لا يلتزم بالحق « والوزن يومئذ الحق » والبحث عن الحقيقة قبل الحكم على أعمال الآخرين كان من الخاسرين فى الدنيا والآخرة لانه بتعمده تحريف الحقائق وتشويهها قد ارتكب اثما عظيمـا وجرما قبيحا ..

فالحذر كل الحذر من هؤلاء الذين ينكرون الفضل على ذويه حسدا من عند أنفسهم ويجهدون أنفسهم فى اختلاق النقائض وتجسيدها اشباعا لاحقادهم وامعانا فى غيهم وانتقاما لما الم بهم من نوازل لم يلهمهم الله الصبر عليها فجزعت قلوبهم وانحرف ايمانهم فصاروا يعيثون فى الأرض فسادا ، عشقت نفوسهم الشماتة والامانة للغير وتشويه الاعمـال العظيمـة من خـلال كلمات معسولة زينتهـا لهم شياطينهم ونوازعهم الانتقامية وأوحت لهم بهـا جروح الماضى ليحققوا لانفسهم متعة ايلام الآخرين

والا فبماذا يفسرلنا هؤلاء الموتورون الحاقدون على أقرب الناس اليهم تنكرهم للاعمال العظيمة ألم يعوا قول الله تعـالى فى الحض على الخير واشاعتـه بقوله « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون » ولـكن يبدو أن اشاعة الخير لا تروق لمرضى القلوب لانهم يرون فى اثارة الشائعات وتشويه الاعمـال نشوة ترضى عنها أنفسهم السقيمة فيعمدون الى كل ماهو خير بالتشهير والتهويل على ان هناك فرقا شاسعا بين النقد والتشهير .. فالنقد أسلوب تربوى ناجح يرشد الضال ويهدى العاصى بالموعظة الحسنة ..

أما التشهير فهـو أسلوب المرضى من المتعلمين والسوقه الذين لم ينعم الله عليهم بنعمة العـلم والحكمة والموعظة الحسنة وهـو من الاسـاليب الهدامة التى يلجأ اليهـا المعوقون ويسـتخدمونها لارهاب المخلصين خاصة فى مجتمع مثل مجتمعنـا الذى يسعى الى توطيد أركان الحرية فى النفوس وارساء دعائم الديمقراطية على أساس من الحب والوئام ..

وحرى بنا ونحن نمر بأخطر فترات ممارسة حرية الرأى والصحافة وممارسة الديمقراطية الحقة أن يكون سبيلنا الى ذلك « والوزن يومئذ الحق » حتى لا تتفرق بنا السبل الشيطانية والاهوائية عن سبيل الله .. وهو ما أشار اليه القرآن الكريم بقوله : « أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم »

وياحبذا لو اننا أخلصنا فى كل ماتقدم عليه من قول أو فعل أو نقد ومساندنا تجربتنا الرائدة العظيمة فى تثبيت دعائم الحرية والديمقراطية الحقة التى أصر الرئيس السادات على ممارستها وعدم التراجع عنها مهما كانت السلبيات التى تطفو من حين لآخر على سطح التجربة ..

ولعلها علامات صحية اذ تهيب بنا أن نكون أشد مراسا وتضحية وتحملا للشدائد التى يفرضها علينا الحاقدون ولنا فى الرسل والانبياء أسوة حسنة ..

ونصيحة أخيرة الى هؤلاء — الذين زين لهم سوء أعمالهم — أن يعلموا أن الله عليم بذات الصدور وأن مسئولية الكلمة اذا لم تقم من مخلص امين كان شيطانا أثيما وصدق الله العظيم اذ يقول : قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا »
صدق الله العظيم …
والى لقاء مع شهر القرآن شهر النور والتباريك

رسالة تونس

من الصديق عبد الحفيظ محمد الونيفى
معلم بمدرسة فرنانه — جندوبه — تونس

اقدم اليكم تحية طيبة وادعو الله العلى القدير أن يديم لنا هذه النعمة « مجلة منبر الاسلام » حتى نتعرف أكثر وأكثر على فضائل ديننا الحنيف نحن معشر شباب القرن العشرين . ورغم ما يحيط بنا من اهواء ومغريات فاننا والحمد لله قد هدانا الله بفضل هذه المجلة الى الايمان وبث فى نفوسنا الهدى والتقوى .

ولا أستطيع أن أعبر عن مدى سرورى بمجلتنا المفضلة عندما أحصل عليها فى منتصف كل شهر ، وبالمناسبة أرجو التكرم بزيادة ما يكتب فى تاريخنا الاسلامى المجيد حتى تزداد معرفتنا به ومع أيام أحلى وأسعد وعلى طريق الله والدين أتمنى لمجلتكم (مجلتنا) العزيزة دوام التقدم والازدهار ولمحرريها دوام الهناء والراحة للقدرة على تقديم الافضل . اكرمكم الله والسلام عليكم ورحمة الله .

رسالة الجزائر

من الصديق عبد المجيد رياشي
الطالب بالجمهورية الجزائرية

تحية اسلامية . يسرنى أن أتقدم الى أسرة مجلة منبر الاسلام — ولاول مرة — بشكرى وتقديرى لما تبذل من الجهد فى سبيل نشر المبادىء الاسلامية والمحافظة عليها .. ان مجلتنا الغراء منبر الاسلام منارة أشعلت فى وسط عصر ساده الجهل وعمه الفساد . فهى للضال هاديه ومرشده اهتدى بنورها الوضاء العديد من الشباب . ارجو من سيادتكم أن تكملوا لهذا النور الذى أشرقتموه فى الوجود نصفه الآخر وهو ان تضيفوا الى أبواب المجلة بابا خاصا للفرائض (المواريث) لكى نكون على الصفة التى ارادها لنا الرسول صلى الله عليه وسلم . والسلام عليكم ورحمة الله .

ويقول الصديق نور الدين شيبوط الطالب بالجزائر

بواسطة خطابى هذا أود أن أهنئكم من كل أعماق قلبى على المجهودات الجبارة التى تبذلونها فى سبيل اصدار مجلة منبر الاسلام الرائعة التى استطاعت بحق أن تحوز مكانا شاسعا فى خواطرنا وأفكارنا . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ومجلة منبر الاسلام اذ تقدم شكرها العميق الى هذين الاخوين الشقيقين على تلك المشاعر الطيبة فانها تعدهما وتعد كل قرائها بالعمل المستمر لتبقى دائما رافعة راية الايمان والعلم كما تعد بالنظر الجاد فى آراء قرائها والعمل على تنفيذ الصالح منها .

ومن الصديق حسن عبد الفتاح أحمد اسماعيل من كفر الشيخ ابراهيم بمحافظة القليوبية ج٠م٠ع٠

انى لا أدرى كيف أخط لسيادتكم عبارات الشكر على ما أضأتم به صفحات صديقتى المجلة الغراء والكوكب الوضاء « منبر الاسلام » التى تحتوى على أهم الموضوعات الروحية والدينية والاقتصادية والسياسية والثقافية فلسيادتكم الشكر على ماتبذلونه من جهد فى هذه المجلة التى أصبحت نبراسا يهتدى به جميع من اصبح من عشاقها والتى تعالج العديد من مشاكل المسلمين الدينية والدنيوية وهى لم ينقصها شىء ولكن .. نريد مزيدا من الموضوعات القيمة مثل نشر المحاضرات الجامعية العظيمة فمثل هذه المحاضرات لا يكفى اذاعتها فى البرنامج القرآنى « من تسجيلاتنا الخارجية » باذاعة القرآن الكريم بل يجب نشرها لتكون تحت أيدينا وفقكم الله واعانكم على تحقيق مطالب عشاق هذه الدرة الثمينة « منبر الاسلام » والسلام عليكم ورحمة الله .

● **نشكركم على ما ابديتم من طيب المشاعر ونعدكم بما أردتم ان شاء الله .**

ومن الصديق هلال سعيد على عامر عزيز جامعة طنطا — كلية التربية — ج٠م٠ع٠

« نصائح ورق البردى »

١ — أخلص لله تعالى فى أعمالك لتتقرب اليه وتبرهن على صدق عبوديتك وبذلك تنالك رحمته وتلحظك عنايته ، فانه تعالى يمهل من توانى فى خدمته .

ومن الصديق محمد خليفة أحمد
بقرية علوان مركز أسيوط
« أهواك يا خير الورى »

بمديح من أهوى يرق حنانى
ويهم قلبى مغرم ولسانى
وأذوب شوقا للنبى وكلما
غنيت غنى الطير من الحانى
خير البرية ان جفانى لحظة
حقا سأغدو بالكآبة عانى
وتقر عينى ان وافانى طيفه
فالوصل منه محبة وتدانى
العمر يحلو ان ذكرته مادحا
ويطيب عيشى بالنبى العدنان
خير الخلائق والشفيع المرتجى
انت النجاة وانت بر امان
صلى عليك الله يا علم الهدى
ما غنى قمرى على الاغصان
أو كلما هب النسيم مع الصبا
عدد النجوم واحرف القران

الاسم : فيصل البشرى سليمان
البلد : جمهورية السودان الديمقراطية
المهنة : طالب
السن : ٢٠ عاما
الهواية : المطالعات الدينية — المراسلة
العنوان : السودان — العاليات

الاسم : تيناى شفيق
البلد : المملكة المغربية
المهنة : طالب
السن : ١٦ سنة
الهواية : المراسلة وجمع الطوابع
العنوان : شارع الجامعة العربية — خياطة النبل رقم ٥٥ الناظور — المغرب

الاسم : ابن فاسى محمد الجزائرى
البلد : الجمهورية الجزائرية
المهنة : طالب
السن : ٢٤ سنة
الهواية : المناقشة الدينية وفلسفة الاسلام
العنوان : ١٤٥ باب تحبيش الزيتون مكناس المغرب

الاسم : غريب محمد غريب
البلد : ج٠م٠ع
المهنة : طالب ثانوى
السن : ١٨ سنة
الهواية : المراسلة — جمع الصور
العنوان : المحلة الكبرى — حى السبع بنات ش عدلى يكن رقم ٥

الاسم : عبدالفتاح محمد فراج
البلد : جمهورية مصر العربية
المهنة : موظف حكومى
السن : ٥٦ سنة
الهواية : جمع الكتب الدينية — والمراسلة
العنوان : حدائق القبة — دير الملاك البحرى — حارة هلال محمود منزل عبد الحكيم يوسف رقم ١

الاسم : محمد عبد الرحمن يونس
البلد : الجمهورية السورية
المهنة : مدير مدرسة عانا الابتدائية
السن : ٢٥ سنة
الهواية : المراسلة — الرحلات — القراءة الدينية
العنوان : اللاذقية — حبكة — بريد الحصان — الكرامة

الاسم : جمال عبد الرحمن محمد
البلد : جمهورية مصر العربية
المهنة : طالب جامعى
السن : ٢١سنة
الهواية : المراسلة ـ قراءة المجلات الاسلامية
العنوان : كلية الزراعة جامعة اسيوط

الاسم : الزهرانى عبد اللطيف
البلد : المملكة المغربية
المهنة : طالب
السن : ١٩ سنة
الهواية : تبادل الاراء والصور ـ والرياضة
العنوان : الادريسية الزنقة ١٢ الرقم ٤٨١ الدار البيضاء ـ المغرب

الاسم : الكرمومة أحمد
البلد : المملكة المغربية
المهنة : طالب
السن : ١٧ سنة
الهواية : المراسلة ـ تبادل الاراء ـ جمع الطوابع
العنوان : الدار البيضاء ـ ٥ زنقة الانجليز ـ ٢٨ درب الحداوى

الاسم : توفيق بو ذويع
البلد : المملكة المغربية
المهنة : طالب
السن : ٢٣ سنة
الهواية : المراسلة ـ تبادل الطوابع والصور
العنوان : طريق موزار . درب عياش ـ فاس ـ المغرب

الاسم : أحمد اسماعيل ابو اسماعيل
البلد : ج.م.ع
المهنة : طالب ثانوى
السن : ١٨ سنة
الهواية : المراسلة وتبادل الاراء
العنوان : ميت دمسيس ـ مركز اجا ـ دقهلية

الاسم : جفبور مراد
البلد : الجمهورية الجزائرية
المهنة : طالب
السن : ٢٢ سنة
الهواية : تبادل الاراء والرحلات والقراءة العلمية
العنوان : الشقفة ـ ولاية جيجل ـ الجمهورية الجزائرية

الاسم : أحمد عبد النبى ابراهيم
البلد : ج.م.ع
المهنة : طالب
السن : ١٨ سنة
الهواية : المراسلة ـ جمع الطوابع وتبادل الصور
العنوان : ٩٩ حارة التوحيد الشرقاوى تقاطع شارع ثروت ـ طنطا

الاسم : محمد الدسوقى ابراهيم الحبشى
البلد : ج.م.ع
المهنة : طالب ثانوى
السن : ١٧ سنة
الهواية : الاطلاع والفن والموسيقى والكتب الدينية
العنوان : المنصورة ـ سندوب ـ ش الشهيد نبيل رستم [حارة الباجور]

اقــرأ

فى هذا العدد

■ معـــالم الطريق : خطاب الرئيس المؤمن محمد أنور السادات الى الامة فى العيد الرابع والعشرين لثورة يوليو ٣

نص الرسالة التى بعث بها الرئيس محمد أنور السادات الى الشعب الامريكى بمناسبة الاحتفال بمرور مائتى عام على استقلال الولايات المتحدة الامريكية ١٤

■ دراســات قرآنية :

- تفسير سورة البقرة .... الاستاذ أحمد حسين ١٨
- انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون .... فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى ٢١
- خصائص القصة القرآنية .... الاستاذ فتحى رضوان ٢٤
- من دعاء الانبياء .... الدكتور أحمد الحوفى ٢٩
- اياك نعبد واياك نستعين .... الدكتور محمد عبد المنعم القيعى ٣١
- أصحاب الكهف والرقيم .... الدكتور عبد الغنى الراجحى ٣٢
- العلم فى القرآن .... الدكتور أحمد حسنين القفل ٣٤
- من أخلاق القرآن .... الدكتور أحمد الشرباصى ٣٧
- تأملات فى البيان القرآنى .... الدكتور ابراهيم عوضين ٤٠

■ التشريع الاسلامى :

- من أحكام الشريعة الاسلامية وآدابها ..... فضيلة الشيخ محمد خاطر ٤٤
- الاعجاز العلمى للسنة النبوية .... الدكتور عبد الرزاق نوفل ٤٦
- البيوع فى الاسلام .... الدكتور محمد عبد المنعم خميس ٤٧
- التطبيق المعاصر لزكاة المال .... الدكتور شوقى اسماعيل شحاتة ٤٩
- التجارة فى الاســلام .... المستشار عبد الستار آدم ٥٤
- الائمـــة الاربعة .... المستشار أحمد محمود خليل ٥٦
- استصحاب الحال فى الشريعة الاسلامية ...... الدكتور عبد العزيز محمد عزام ٥٩
- التشريع الجنائى الاسلامى .... فضيلة الشيخ عبد الحميد بلبع ٦٠
- الشيخ الشرقاوى يعلن الحجة الشرعية بحقوق الاستاذ محمد فهمى عبد اللطيف ٦٢

■ مع الدعوة والدعاة : يشرف على تحريره : منصــور عبيد ــ فؤاد هيبة ــ على عيــاد ....

- حديث الى الائمة ٦٦
- اضواء على الدعوة الاســلامية .... فضيلة الشيخ محمود أحمد هاشم ٦٧
- من أخلاق الاسلام حسن الجوار .... فضيلة الشيخ محمد هلال عبد الرسول ٦٨
- منهج الاسلام فى تربية الشباب .... فضيلة الشيخ منصور الرفاعى عبيد ... ٧٠
- التعاون الجماعى رقى للامة .... فضيلة الشيخ على فريج حسنين ٧٢
- امام وامامة .... فضيلة الشيخ محمد متولى المراكبى ... ٧٣
- من ذكريات شهر شعبان .... فضيلة الشيخ عبد المؤمن حسن مجاهد ٧٤
- وذكرهم بأيام الله .... فضيلة الشيخ أحمد مسلم ابراهيم مصطفى ٧٦

■ شـــهر شـــعبان :

- شعبان شهر ترفع فيه الاعمال الى الله .... فضيلة الشيخ محمد مصطفى أبو العلا ٨٠
- ليــلة الغفران .... فضيلة الشيخ أحمد كامل الخضرى ... ٨٢
- شهر شعبان وتكريم الرسول صلى الله عليه وسلم الدكتور حامد محمد شعبان ٨٥
- من بيت المقدس الى الكعبة المشرفة .... فضيلة الشيخ عبد الرحمن النجار ٨٨
- ذكريات فضائل شعبان .... فضيلة الشيخ السيد خليل الجراحى ... ٩٠
- ليــلة البراءة .... الاستاذ عبد المعطى اسماعيل عبادة ... ٩٢
- مقاصد رفيعة فى تحويل القبلة .... الدكتور زكى مشعل ٩٤
- مواقف خالدة فى شعبان .... الاستاذ صــلاح عزام ٩٦
- الدعــاء المستجاب .... الاستاذ محمد كمال الدين ٩٧

■ التصـــــوف :	الصوفية فى الهامهم	الاستاذ حسن كامل الملطاوى	١٠٠
■ العلم والايمـــان :	هذا هو الاسلام	فضيلة الشيخ محمود ابراهيم طيرة	١٠٦
	تحية للرجال على تعاقب الاجيال	الاستاذ عبد العظيم منصور	١٠٩
	فى المعرفة الانسانية	الاستاذ طــه محمد كسبة	١١٣
	شـكر النعمـة	الاستاذ محمدمحمدعبداللطيف بن الخطيب	١١٦
	من ملامح واخلاق مجتمع العلم والايمان	فضيلة الشيخ مصطفىعبدالحليم الجندى	١١٨
	العوالم غير المنظورة	الاستاذ محمد النظامى	١٢٠
	امة الامر بالمعروف والنهى عن المنكر	الاستاذ أحمد وافى	١٢٣
	وانه هو اضحك وابكى	الاستاذ عبد السلام الشاذلى القوصى	١٢٥
	كلمة التوحيد	فضيلة الشيخ الصاوى شعلان	١٢٧
	حول معجـزة القرآن	الاستاذ محمد ديابي	١٢٩
	لقاء سريع مع مسلمى الصين	الاستاذ صبرى أبو المجد	١٣١
	يوم من ايام الرسول صلى الله عليه وسلم ...	الاستاذ أنور الجندى	١٣٤
	الاسلام وتطهير الاعتقاد من الالحاد	فضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان	١٣٥
■ الفـــــن :	نجر الخشب وزخرفته فى العصور الاسلامية ...	الاستاذة سميحة محمد الجبالى	١٤٠
	الابـداع الفنى فى صـناعة الاســلحة عند العثمانيين	دكتورة سعاد أحمد جمعة	١٤٥
■ القصـــــة :	رجل ومعارك (قصة العدد)	الاستاذ محمد صالح	١٤٨
■ الشـــــعر :	وبالوالدين احسانا	الشاعر محمد صلاح عتيقى	١٥٢
	رسـالة اليه	الشاعر رشاد محمد يوسف	١٥٢
	اسبح بفكرك شاكرا	الشاعر عبد المنعم عيسى	١٥٤
	اليك رجعت يا ربى	الشاعر عبد المنعم عبد الله التن	١٥٤
■ الطب فى الاسلام :	الطب الوقـائى	الدكتورة ابتسام عبد الحليم	١٥٦
■ شخصيات اسلامية :	الامام على بن ابى طالب	الاستاذ توفيق أبو علم	١٦٠
	محمد بن مسلمة الاوسى	الاستاذ عبد المنعم حسن الادفوى	١٦٣
	ابن رشــد	الاستاذ عبد المنعم حمادة	١٦٥
■ المكتبة الاسلامية :	تحصيل نظائر القرآن	عرض الدكتور منيع عبد الحليم	١٦٨
	الامام البوصـيرى	عرض وتقديم عبد الودود محمد طه	١٧٠
■ الافتـــــاء :	أنت تسأل والمفتى يجيب	فضيلة الامام الاكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الازهر	١٧٤
■ الاسـرة المسلمة :	خواطر اسلامية	الاستاذ ناصف سليم	١٧٨
	بريد القـراء	اعداد فؤاد هيبة	١٧٩
	التعـارف		١٨١

وثيقة الشرق الجديدة

أولادك أمانة فى عنقك

فماذا أعددت لهم ؟

وثيقة الشرق الجديدة تحقق الأمان لأسرتك

فهى الوثيقة ذات المزايا العديدة

- فى نهاية مدة التأمين تدفع الشركة ضعف مبلغ التأمين الأصلى .
- فى حالة الوفاة العادية تدفع الشركة للمستحقين فوراً مبلغ التأمين الأصلى مضافاً إليه زيادة قدرها ٥٪ عن كل سنة من بدء التأمين حتى الوفاة .
- فى حالة الوفاة بحادث تدفع الشركة للمستحقين مبلغ التأمين الأصلى بالإضافة إلى مبلغ التأمين المستحق فى حالة الوفاة العادية .
- فى حالة الإصابة بعجز كلى دائم تدفع الشركة ضعف مبلغ التأمين الأصلى .
- تأمين إضافى على الأرملة بمبلغ التأمين الأصلى بدون دفع أقساط .
- تغطية أخطار الحرب للمدنيين بدون قسط إضافى .
- تمنح الشركة قروضاً بعد سداد أقساط سنتين معفاة من الفوائد فى حالة الحج والتدريس والعمليات الجراحية .

(انظر الكوبون صفحة ١٥٤)

شركة الشرق للتأمين

المركز الرئيسى ١٥ شارع قصر النيل - القاهرة

يسرى

ابع الأهرام التجا